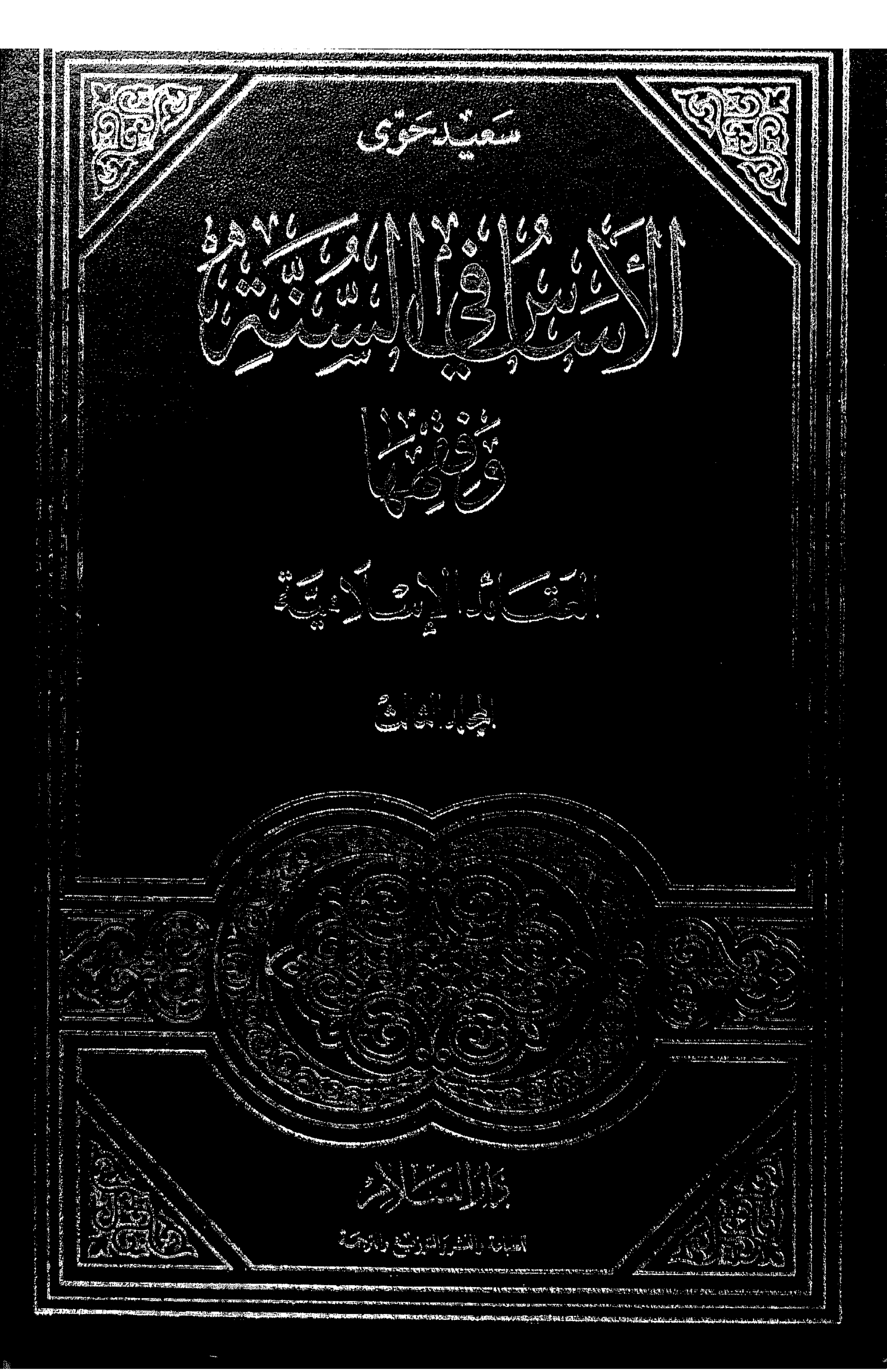
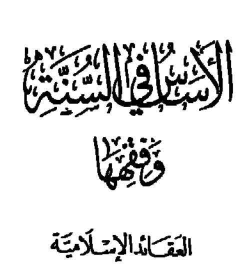

سعيد حوى
الأساس في السنة
وفقهها
العقائد الإسلامية
المجلد الثالث
دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة








الأساس في السنة
وفقهها
العقائد الإسلامية

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار
120 شارع الأزهر - ص.ب 161 الغورية
ت: 932820-2704280-2741578 فاكس: 2741750

الطبعة الثالثة 1417هـ - 1996م

سَعيد حوّى

الأساس في السُّنَّة وفقهها

المجلد الثالث

القسم الثاني

العقائد الإسلاميّة

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

راجع هذا القسم ودققه

فضيلة أخينا الشيخ

عبد الحميد الأحدب

حفظه الله

الفقرة العشرون

في :

صفة المسيح ابن مريم عليه السلام ونزوله

مقدمة

قال تعالى : ﴿ إذ قال الله ياعيسى إنّي متوَفّيك ورافعُك إليّ ﴾ (١) والتوفّي هو : القبض ، أي قابضك من الدنيا ورافِعُك إليّ ، وقد رفعه الله إلى السماء الثانية وهناك رآه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ، وقد غلط غلطًا كبيرًا من فسّر الوفاة بالآية بالموت لأنّ ذلك يتعارض مع فكرة نزوله مرّة ثانية إلى الأرض كما هو متواتر ، فالمراد بالوفاة التنويم أو القبض أو أن الآية تشير إلى أنّه معصوم من القتل فهو سيرفع إلى السماء ثمّ سينزل إلى الأرض ويتوفّى وفاة لا كما زُعم أنّه قتل وصلب .

قال تعالى : ﴿ وماقتلوه وماصلبوه ولكن شُبّه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه مالهم به من علم إلا اتّباعَ الظنّ وماقتلوه يقينًا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا * وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا ﴾ (٢) . فالذي قتل رجل ألقي عليه شبهه ، ومن تأمل الروايات النصرانية التي تذكر القتل والصلب يعرف أنه يستحيل أن تصدر من المسيح عليه السلام التصرفات التي ظهرت من القتيل المصلوب يوم ذاك ، وفي قوله تعالى : ﴿ ليؤمنن به قبل موته ﴾ . دليل على أن المسيح لم يمت وأنه سينزل في آخر الزمان ، وأن النصارى سيؤمنون به وقتذاك .

وقال تعالى : ﴿ وإنّه لَعِلْمٌ للساعة ﴾ (٣) . وفي قراءة : (وإنّه لَعَلَمٌ للساعة) . وقد فسر أكثر العلماء الآية بأن نزول المسيح من أعلام الساعة ، وجاءت النصوص المتواترة بنزوله وقد جمعت أكثر هذه النصوص في كتاب : (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) للشيخ محمد أنور الكشميري ، وقد حققه الشيخ عبد الفتّاح أبو غدة ، وأضاف إليه وعلّق

---

(١) آل عمران : ٥٥ .

(٢) النساء : ١٥٧ ـ ١٥٩ .

(٣) الزخرف : ٦١ .

عليه مازاد به الكتاب قيمة على قيمته وفضلاً على فضله ، وقد ذكر في الكتاب حوالي خمسة وثمانين حديثًا عن رسول الله ﷺ وآثاراً كثيرة عن الصحابة ، فنزول المسيح عليه السلام قضيّة متواترة يكفر منكرها ، وهو عليه السلام ينزل حاكمًا بشريعة رسولنا عليه الصلاة والسلام ، فلا يتناقض نزوله مع فكرة ختم النبوّة ، فهو عليه السلام ينزل تابعًا لمحمد ﷺ ، أخرج أحمد [1] عن رسول الله ﷺ : « لو كان موسى حيًا ماوسعه إلا اتباعي » .

وأحاديث نزول المسيح عليه السلام مرتبطة بأحاديث ظهور الدجال وأحاديث خروج يأجوج ومأجوج وقد ذكرنا الكثير عنها في هاتين الفقرتين ، ومع ذلك خصصنا هذه الفقرة لها .

---

(١) مسند أحمد (٣ / ٣٨٧) .

نصوص

١٠٧٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، ليوشِكَنَّ أنْ يَنزلَ فيكم ابنُ مريم حَكَمًا مُقْسِطًا ، فيكسرَ الصليبَ ، ويقتلَ الخِنْزيرَ ، ويَضعَ الجزية ، ويَفيضَ المالُ حتى لا يقبَلَه أحدٌ » .

زاد في رواية (١) : « وحتى تكونَ السَّجدةُ الواحدةُ خيراً من الدنيا ومافيها » . ثم يقولُ أبو هريرةَ : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وإنْ مِنْ أهلِ الكتابِ إلا ليؤمِنَنَّ بهِ قَبْلَ موته ... ﴾ الآية . [النساء : ١٥٩] .

وفي أخرى (٢) قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنتم إذ نزل ابنُ مريمَ فيكم ، وإمامُكم منكم ؟ » .

وفي رواية (٣) : « فأمَّكم » . وفي أخرى (٤) : « فأمَّكم منكم » . قال ابنُ أبي ذئب : تدري مالأمّكم منكم ؟ قلت : تخبرُني . قال : فأمّكم بكتابِ رَبِّكم عز وجل وسُنَّةِ نبيِّكم ﷺ .

وفي أخرى (٥) قال : قال رسول الله ﷺ : « واللهِ لينزِلَنَّ ابنُ مريمَ حكَمًا عادلاً ، فَلَيَكسِرَنَّ الصليب ، وليَقْتُلَنَّ الخنزيرَ ، ولَيَضَعَنَّ الجزية ، ولَتُتْرَكَنَّ القِلاصُ فلا يُسْعَى عليها ، ولَتَذْهَبَنَّ الشَّحْناءُ والتباغضُ والتحاسدُ ، وليُدْعَوُنَّ إلى المالِ فلا يقْبَلُه أحدٌ » .

١٠٧٨ ـ البخاري (٤ / ٤١٤) ٣٤ ـ كتاب البيوع ، ١٠٢ ـ باب قتل الخنزير ... إلخ .
مسلم (١ / ١٣٥) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧١ ـ باب نزول عيسى ابن مريم ... إلخ .

(١) البخاري (٦ / ٤٩٠ ، ٤٩١) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ، ٤٩ ـ باب نزول عيسى ابن مريم ... إلخ .
مسلم (١ / ١٣٥ ، ١٣٦) في الموضع السابق .

(٢) البخاري (٦ / ٤٩١) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ، ٤٩ ـ باب نزول عيسى ... إلخ .
مسلم (١ / ١٣٦) في الموضع السابق .

(٣) مسلم : في الموضع السابق .

(٤) مسلم (١ / ١٣٧) في الموضع السابق .

(٥) مسلم (١ / ١٣٦) ، في الموضع السابق .

وفي روايـة أبي داود (١) : أنّ رسـول الله ﷺ قـال : « ليس بيني وبينـه » - يعني عيسى - « نبي ، وإنـه نـازلٌ ، فـإذا رأيتُموه فـاعرفـوه ، فـإنـه رجـل مربـوعٌ ، إلى الحُمرةِ والبيـاضِ ، ويَنزلُ بين مُمَصَّرتين ، كأن رأسَـه يقطُر وإن لم يُصبْـه بللٌ ، فيقـاتِلُ الناسَ على الإسلام ، فيَدُقُّ الصليب ، ويقتلُ الخنزير ، ويَضعُ الجزيةَ ويُهْلِكُ الله في زمانه المِلَلَ كلَّها إلا الإسلامَ ، ويُهلِـكُ المسيحَ الـدجـال ، ثم يمكثُ في الأرض أربعين سنةً ثم يُتَوفي ، ويُصلّي عليه المسلمون » .

(الحكَم) : الحاكِم الذي يقضي بين الناس ، والأمير الذي يلي أمورهم .

(مقسطًا) : المقسط : العادل ، والقاسط : الجائر .

(فيكسر الصليب) : قال الشيخ عبد الفتاح :

« قـال الحـافـظ ابن حجر : أي يُبطِـلُ دينَ النصرانيـة ، بـأن يَكْسِرَ الصليبَ حقيقـةً ، ويُبطِلَ ماتزعمه النصارى من تعظيه » أ . هـ (التصريح) .

(ويقتل الخنزير) : قال الشيخ عبد الفتاح :

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري : ٤ / ٣٤٣ » : أي يأمُرَ بإعدام الخِنزير ، مُبالغةً في تحريم أكلِـه . وفيـه توبيخٌ عظيمٌ للنصـارى الـذين يَـدَّعون أنهم على طريقـة عيسى عليـه السلام ، ثم يَستحلُّون أكلَ الخنزير ، ويُبالغون في محبته . اهـ (التصريح) .

(وضع الجزية) هو إسقـاطهـا عن أهل الكتـاب ، وإلزامهم بـالإسلام ، ولا يقبل منهم غيره ، فذلك معنى وَضْعِها .

(حكمًا عادلًا) : قال الشيخ عبد الفتاح :

أي حاكمًا عادلًا . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٦ « والمعنى أنـه عليـه السلام يَنزِلُ حاكمًا بهذه الشريعة ، فإنَّ هذه الشريعة باقية لا تنسخ ، بل يكون عيسى عليه السلام حاكمًا من حُكَّام هذه الأمَّـةِ . وعنـد الإمـام أحمـد من حـديث عـائشـة : « وَيَمْكُثُ

---

(١) أبو داود (٤ / ١١٧ ، ١١٨) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

عيسى في الأرض أربعين سنة » . وللطبراني من حديث عبد الله بن مُغفَّل : « ينزلُ عيسى ابنُ مريم مُصَدِّقًا بمحمَّدٍ على مِلَّته » . انتهى .

وقال القرطبي في « التذكرة بأحوال الآخرة » ص ٦٧٨ عند ذكره لنزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان :

قال العلماء رضي الله عنهم : وإذا نَزَل عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، يكون مقرِّرًا لشريعة محمد ﷺ ومجدِّدًا لها ، لأنه لا نبي بعد رسولِ الله ﷺ يحكمُ بشريعةٍ غير شريعة محمد ﷺ ، لأنها آخِرُ الشرائع ، ونبيها خاتمُ النبيين . فيكون عيسى حَكَمًا مُقسِطًا ، لأنه لا سلطان يومئذ للمسلمين ، ولا إمامَ ولا قاضي ولامفتيَ لهم ، وقد قَبَض الله العلمَ وخلا النَّاسُ منه .

فَينزِلُ وقد عَلِمَ بأمر الله تعالى له في السماء قبلَ أن يَنزل ، مايحتاج إليه من علم هذه الشريعة ، ليَحكُمَ به بين الناس . وليعمل به في نفسه فيجتمع المؤمنون عند ذلك ويحكِّمونه على أنفسهم ، إذْ لا أحَدَ يَصلُح لذلك غيرُه ، ولأن تعطيلَ الحكم غير جائز ، وأيضًا فإنَّ بقاء الدنيا إنما يكون بالتكليف ، فلا يزال التكليف قائمًا إلى أن لا يَبْقى على وجه الأرض من يقول : الله ، الله . انتهى من « مختصر تذكرة القرطبي » للشَّعْراني ص ١٧٩ ـ ١٨٠ من طبعة القاهرة سنة ١٣٠٨ .

وجاء في « صحيح مسلم » ١٥ : ١٧٤ : عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » .

قال الإمام النووي في شرحه ١٥ : ١٧٤ « قال العلماء : في هذا الحديث دليلٌ على أن عيسى ابن مريم ﷺ ، إذا نزل في آخر الزمان نَزَل حَكَمًا من حُكّام هذه الأمة ، يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ ، ولا يَنزلُ نبيًا ... » . اهـ (التصريح) .

(القلاص) : جمع قلوص ، وهي الناقة .

(الشحناء : العداوة .

(مُمَصَّرتين) ثوب ممَصّر : إذا كان فيه صُفرة خفيفة يسيرة .

(ويهلك الله في زمانه المِلَلَ كلها إلا الإسلام) :

قال الشيخ عبد الفتاح « يعلق على قوله : (فيُهلِك الله في زمانه المِلَلَ كلَّها إلا الإسلام) بما يلي :

... هذا النص في الحديث ، يفيد شمولَ طهارة الأرض من الشرك والكفر ، وانبساطَ الإسلام عليها ، وهو يخالف ماذهب إليه المؤلف الكشميري في كتابه « فيض الباري » ٣ : ١٩٥ ، وأنقلُه ليُنظَر فيه .

قال رحمه الله تعالى : « ما اشتهر على الألسنة أن دين الإسلام يَبْسَطُ في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام على البسيطة كلها ، ليس في الأحاديث ، والذي فيها أنه لا يَقْبَلُ اليهوديةَ والنصرانيةَ بعدَ نزوله ، فيُنقِذُ نفسَه من أسلم ، ويُقْتَلُ من أبىٰ . وهذا أيضًا حيثُ يغزو نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام .

وملخصُ الأحاديث : أن اليوم تَجري الأديانُ الثلاثة ، فإذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام لا يَقْبَلُ إلا الإسلام ، وحينئذ يكون الدينُ كلُّه لله .

فهذا بيانٌ للمسألة ، لا إخبارٌ بما يكون في الخارج ، فيجوز أن يَبْقى الكفرُ والكُفّارُ أيضًا ، لكن إنْ يَبلُغ إليهم عيسى عليه الصلاة والسلام ، لا يقبل منهم إلا دين الإسلام ، لا الجِزية ، كما هو اليوم .

ويُستفاد من الأحاديث أن الغلبةَ المعهودة ، إنما تكون في الشام ونواحيه ، حيث ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام ، وفسادُ يأجوج ومأجوج في هذه الأطراف ، والجزيرةُ طَبَرِيّةُ : أيضًا نحو الشام .

وبالجملة : لم نجد في حديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام أيضًا يدور في الأرض كدور الدَّجال ، فلا تكون غلبةٌ موعودة إلا في موضع نزوله ، أما سائر البلاد فسكوت عنها ، والله تعالى أعلم بما يكون فيها . انتهى .

وقال المؤلف الكشميري أيضًا في كتابه « فيض الباري » ١ : ١٧٢ ، عند حديث « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمرُ الله وهم ظاهرون » : « أي لا يخلو زمان إلا وتوجد فيه تلك الطائفة القائمة على الحق ، لا أنهم يكثرون في كل زمان ، ولا أنهم يغلبون على من سِواهم ، كما سَبق إلى بعض الأفهام .

حتى إنَّ غلبةَ الدِّين في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام عندي ليس كما اشتهر على الألسنة ، بل الموعودُ هو الغلبة ، حيث يَظْهَرُ عليه الصلاة والسلام فيما حَوَالَيْه ، أما فيما وراءَ ذلك فلم يتعرضْ إليه الحديثُ ، والعموماتُ كلها واردةٌ في البلاد التي يظهر فيها ، ولا تتجاوز فيما وراءها ، وإنما هو من بداهة الوهم والسبق إلى ما اشتهر بين الأنام » . انتهى كلام الشيخ الكشميري ، فتأمل . اهـ . (التصريح) .

أقول :

إذا صحّ ما ذكره الشيخ الكشميري في تفسيره لهلاك الملل فهذا يرجح ماذهبنا إليه أنّ بيننا وبين نزول المسيح عليه الصلاة والسلام أمدًا تقوم به دولة عالمية للإسلام كما ورد في مضمون بعض النصوص التي وردت معنا ، ثم يحدث انحسار بالإسلام لدرجة أن القسطنطينية نفسها يحكمها النصارى من جديد ويفتحها المسلمون مرة أخرى ، وبعد الفتح الثاني يظهر الدجال وينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، ولاشك أن ماذكره الكشميري في عدم وجود نصوص تدل على تحرك عالمي للمسيح حق ، ولكن إذا عرفنا أن يأجوج ومأجوج وهم الذين يسيطرون على العالم وقتذاك يهلكون في زمن المسيح عليه السلام ، وأن المسيح عليه السلام يقتل اليهود الذين يكونون مع الدجال ، ولا يقبل من يهودي أو نصراني جزية فإن هذا يدل على هلاك للملل التي تكون في دائرة وجوده وسلطانه ، وهل يعم ذلك العالم كله أو لا ؟ الأمر محتمل وتفسيره وقوعه .

(ثم يمكث في الأرض أربعين سنة) : قال الشيخ عبد الفتاح :

« يعلق على قوله : (ثم يمكث عيسى عليه السلام أربعين سنة) بما يلي :

هذه الأداة العاطفة (ثم) للترتيب الذكري لا الزمني ، إذ مكثُه عليه السلام في الأرض

كلّه أربعون سنة منذ نزوله حتى وفاته ، وليس ابتداؤها بعدَ قتله الدجال ، كما هو ظاهر العبارة . قاله العلامة الشيخ ناجي أبو صالح حفظه الله تعالى » . اهـ (التصريح) .

١٠٧٩ ـ * روى أحمد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ينزل ابْنُ مَرْيَمَ إمَامًا عَادِلاً وَحَكَمًا مُقْسِطًا فيكسر الصليبَ ويَقْتل الخنزيرَ ويَرْجع السَّلْمَ ويَتَّخِذُ السُّيُوفَ مَنَاجِل ويُذْهِبُ حُمَةَ كلِّ ذاتِ حُمَةٍ . وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاء رِزقُها ، وَتَخْرُجُ مِنَ الأَرض بَرَكَتُها ، حَتَّى يَلعَبَ الصَّبِيُّ بِالثُّعْبَانِ وَلا يَضُرُّه ، وَتَرْعَى الْغَنَمُ والذِّئْبُ وَلا يَضُرُّها ، وَيرعى الأَسَدُ وَالبَقَرُ وَلا يَضُرُّها » .

١٠٨٠ ـ * روى الترمذي عن مُجَمِّع بنِ جاريَةَ الأنصاري رضي الله عنه يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يَقْتُلُ ابنُ مريم الدجَّال بباب لُدّ » .

١٠٨١ ـ * روى الطبراني ، عن أوسِ بن أوسٍ عن النبي ﷺ قال : « ينزلُ عيسى بن مريم عند المنارةِ البيضاء فِي دمشق » .

١٠٨٢ ـ * روى مسلم ، عن يعقوبَ بنِ عاصمِ بنِ عُروةَ بن مسعودٍ الثَّقفيِّ قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ عمرو رضي الله عنه ـ وجاءه رجل ـ فقال : ماهذا الحديث الذي تُحَدِّثُ به الناسَ ؟ تقولُ : إنَّ الساعةَ تقوم إلى كذا وكذا ، فقالَ : سبحانَ اللهِ ! ـ أو لا إله إلا الله ، أو كلمةً نحوها ـ لقد هممت أن لا أُحدِّثَ أحدًا شيئًا أبدًا ، إنما قلتُ : إنكم ستَرَوْنَ بعدَ قليل أمرًا عظيمًا ؛ يُحرَّقُ البيتَ ، ويكونُ ويكونَ . ثم سمعتُه يقول : قال رسول الله ﷺ :

١٠٧٩ ـ مسند أحمد (٢ / ٤٨٢ ، ٤٨٣) .

قال ابن كثير في النهاية : تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي صالح .

١٠٨٠ ـ الترمذي (٤ / ٥١٥) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٦٢ ـ باب ماجاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال .

وقال : هذا حديث صحيح .

وأحمد (٣ / ٤٢٠) . وفي بعض طرقه : « إلى جانب باب لُدّ » .

(لُدّ) : بلدةٌ في فلسطين قريبةٌ من بيت المقدس .

١٠٨١ ـ المعجم الكبير (١ / ٢١٧) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٥) . وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٠٨٢ ـ مسلم (٤ / ٢٢٥٨ ، ٢٢٥٩) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٣ ـ باب في خروج الدجال ومكثه ... إلخ .

مسند أحمد (٢ / ١٦٦) .

=

« يخرج الدجال في أُمَّتي ، فيمكث أربعين » . لا أدري - وفي رواية قال ابن عمرو : لا أدري أربعين يومًا ، أو شهراً ، أو عامًا - « فيبعَثُ اللهُ عيسى بنَ مريم ، كأنه عروةُ ابنُ مسعودٍ ، فَيَطْلُبُه فيُهْلِكُه ، ثم يَمكُثُ الناسُ سبعَ سنين ، ليس بين اثنين عداوةٌ ، ثم يُرسِلُ الله عز وجل ريحًا باردةً من قِبل الشام ، فلا يبقى على وجهِ الأرض أحدٌ في قلبه مثقالُ ذَرَّة من خيرٍ أو إيمانٍ إلا قَبَضَتْهُ ، حتى لو أنَّ أحدَكم دخلَ في كَبِدِ جبلٍ لدخلتْ عليه حتى تَقْبِضَه » . قال : سمعتُها من رسول الله ﷺ . قال : « فيبقى شِرارُ الناسِ في خِفَّة الطير ، وأحلامِ السِّباعِ ، لا يعرفون معروفًا ، ولا يُنكرون مُنْكَرًا ، فيَتَمثَّلُ لهم الشيطانُ ، فيقول : ألا تَسْتَجيبون ؟ فيقولون : فما تأْمُرُنا ؟ فيأمُرُهم بعبادةِ الأوثانِ ، وهم في ذلك دارٌّ رِزقُهم ، حَسَنٌ عَيشُهم ، ثم يُنفخُ في الصور ، فلا يَسْمَعُهُ أحدٌ إلا أصغى لِيتاً ، ورَفَع لِيتًا ، فأولُ من يَسْمَعُهُ رجلٌ يَلُوطُ حَوضَ إبلِه » قال : « فيُصْعَق ، ويُصْعَقُ الناسُ » . قال : « ثم يُرسِلُ الله » - أو قال : « يُنزلُ اللهُ مطرًا كأنه الطَّلُّ ، أو الظِّلُّ » - نُعمانُ [أحد رواة الحديث] يشك - « فَيَنْبُتُ منه أجسادُ الناسِ ، ثم يُنْفَخُ فيه أُخرى فإذا هم قيامٌ ينْظُرون ، ثم يقالُ : ياأيها الناسُ ، هَلُمُّوا إلى رَبِّكم ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ ثم يقال لهم : أَخْرِجوا بعثَ النار ، فيقال : مِنْ كم ؟ فيقال : من كل ألفٍ تسعَمائةٍ وتسعةً وتسعين » قال : « فذاك يومَ يجعلُ الولدان شيبًا ، وذلك يومَ يُكشفُ عن ساق » .

أقول : كثيراً مايحدث أثناء الكلام عن الساعة وأشراطها وعما يكون بعدها أن يطوي بعض الرواة بعض المشاهد ، أو يفهم بعض الرواة عن المحدثين فهمًا فيصوغه بعبارته ، فيحدثُ لبسٌ أو وهم ، فمثلاً : ورد في هذا النص قول ابن عمرو : (ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله عز وجل ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى

= (كبد جَبَل) : كبد الجبل : استعارة ، والمراد : ما غمض من بواطنه .

(أصغى ليتًا) : اللِّيت : صفحة العنق ، وإصغاؤه : إمالته .

(يُصعق) : يغشى عليه ويموت .

(الطَّل) : النَّدى الذي ينزل من السماء في الصحو .

على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته) فهذه الرواية تفهم :

أن بعد سبع سنين من قتل الدجال يبعث الله هذه الريح ويصفها أنها تأتي من قبل الشام مع أن المعروف المشهور : أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض أربعين سنة ، وبعد وفاته يبقى الناس على فترة من الزمان على خير ، ثم تأتي ريح من قبل اليمن فتقبض روح أهل الإيمان . فالحديث يحتاج إلى توجيه ومن ثَمَّ قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله معقبًا على رواية عبد الله بن عمرو : (ثم يمكث الناسُ سبع سنين) بما يلي :

« هكذا جاء في جميع نُسَخ « صحيح مسلم » التي رجعتُ إليها وهي مختلفة الطبعات ، وهكذا جاء في « المسند » و « الدر المنثور » و « المستدرك » في جميعها بلفظ (ثم يمكث الناسُ سَبْعَ سنين) برفع (الناس) على الفاعلية ، وهي رواية صحيحة واضحة ، ومعناها عندي ـ والله أعلم ـ أن الناس يعيشون متحابين ليس بينهم عداوة ولا بغضاء سنينَ طويلة ، وهي أربعون سنةً كما بيَّنَتْها روايةُ أبي داود وأحمد المتقدِّمةُ في ص ٩٦ ، ونصُّها : « فيمكثُ ـ أي سيدُنا عيسى ـ في الأرض أربعين سنة ، ثم يُتَوفّى ويُصلّي عليه المسلمون » . ويكون ذكْرُ (سبع سنين) هنا رمزاً للكثرة لا للحصر كقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سنابل في كلِّ سُنبُلَةٍ مائةُ حبّةٍ ﴾ إذ التمثيلُ فيها للتكثير لا للحصر ، وكقوله سبحانه : ﴿ والبَحْرُ يَمُدُّه مِن بَعدهِ سبعةُ أبْحُرٍ ﴾ . قال الألوسي في « تفسيره » ٦ : ٤٨٦ عند هذه الآية « المراد بالسبعة الكثرةُ بحيث تشمَلُ المائةَ والألفَ مثلًا ، لا خصوصُ العدد المعروف ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمنُ يأكلُ في مِعًى واحدٍ والكافرُ يأكلُ في سبعة أمعاء » . انتهى .

أما الروايةُ التي وقعت قديمًا في بعض نُسَخ « صحيح مسلم » بلفظ « ثم يمكثُ في الناس سَبْعَ سنين » كما جاء منقولاً عن « صحيح مسلم » بهذا اللفظ في « مشكاة المصابيح » من طبعة الهند ص ٤٨١ ومن طبعة دمشق ٣ : ٥١ وفي نسخة « المرقاة شرح المشكاة » للعلامة علي القاري ٥ : ٢٢٧ فتحتاجُ إلى تأويل ، إذ الضميرُ فيها في «يمكثُ سبعَ سنين » عائدٌ إلى سيدنا عيسى ، فلهذا علّق عليها كلٌّ من الحافظِ ابن كثير والحافظِ ابن حجر رحمهما الله تعالى .

قال الحافظُ ابنُ كثير في « تفسيره » ١ : ٥٨٣ « جاء في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن عيسى عليه السلام يمكثُ في الأرض بعدَ نزوله أربعين سنة . رواه الإمام أحمد ، وفي حديث عبد الله بن عَمرو عند مسلم أنه يمكث سَبْعَ سنين . فيُحتَملُ والله أعلم أن يكون المرادُ بلَبْثِه في الأرض أربعين سنة مجموعَ إقامته فيها قَبْل رفعه وبَعْدَ نزوله ، فإنه رُفِعَ وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح » . انتهى .

قلتُ : لكنَّ الحافظَ ابن حجر لم يَرتضِ هذا الجمع ، فلذا حَطَّ كلامُه على أن مدة إقامته بعد نزوله عليه السلام أربعين سنة إذ ذكرَ رواية « سبع سنين » ثم أعقبها بروايات صحيحة فيها ذكْرُ « أربعين سنة » وسكت عليها مرتضيًا لها ، وهذه عبارته في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٧ « روى مسلم من حديث ابن عَمْرو في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنها سَبْعُ سنين . وروى نُعيم بن حمَّاد في كتاب الفتن من حديث ابن عباس أن عيسى إذ ذاك يَتزوَّجُ في الأرض ويُقيم بها تِسْعَ عشرةَ سنةً ، وبإسنادٍ فيه راوٍ مُبْهَم عن أبي هريرة يقيمُ بها أربعين سنة ، وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : فيَمكثُ - أي عيسى - في الأرض أربعين سنة » . انتهى . فليكن هو المعوَّلَ عليه ، والله تعالى أعلم . » اهـ (من التصريح) .

١٠٨٣ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تَزالُ طائفةٌ من أُمَّتي ، يُقاتِلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة » . قال : « فَينزِلُ عيسى ابنُ مريم عليه السلام فيَقُولُ أميرُهم : تَعالَ فصَلِّ فيقول : لا ، إنَّ بعضكم على بعضٍ أُمراء ، تَكرِمَةَ اللهِ هذه الأُمَّة » .

فسر بعضهم أحاديث الطائفة بأنهم أهل الشام وممن فسرها بذلك قتادة ، وعلق الشيخ عبد الفتاح على تفسير قتادة بقوله :

« هذا التفسير من قتادة لـ (العصابة) هو أحَدُ أقوال عشرة لخَّصَها شيخنا عبد الله الغُماري في « إقامة البرهان » ص ٣٠ ، وحَكَى أن الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم »

١٠٨٣ - مسلم (١ / ١٣٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٧١ - باب نزول عيسى بن مريم ... إلخ .
وأحمد (٣ / ٣٨٤) .

١٢ : ٦٣ ارتاحَ إلى أن هذه العصابة عامّة مفرّقة بين أنواع المؤمنين ، فمنهم علماء محدِّثون ، ومنهم فُقَهاء ، ومنهم زُهّاد ، ومنهم مجاهدون مقاتلون ، ومنهم قائمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى غير ذلك من أنواع الخير ، ولا يلزمُ أن يكونوا مجتمعين في بلدٍ واحد أو قطرٍ واحد » اهـ (التصريح) .

١٠٨٤ - * روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « كيف أنتم إذا نَزَل ابنُ مَرْيمَ فيكم وإمامُكم منكم ؟ » وفي رواية لمسلم [١] : « فَأَمَّكُم » . وفي رواية أُخرى [٢] : « فأمَّكم مِنكم » .

ورواه أحمدُ [٣] ؛ قال : « كيف بكم إذا نَزَل ... ؟ » .

قال الشيخ عبد الفتاح :

« قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٨ : « وعند أحمد من حديث جابر في قصة الدجّالِ ونزولِ عيسى : « وإذا هُمْ بعيسى ، فيُقالُ : تَقَدَّمْ ياروحَ الله ، فيقولُ : لِيتقدَّمْ إمامُكم فليُصَلِّ بكم » . ولابنِ ماجه في حديث أبي أُمامة :

« وكلُّهم - أي المسلمون - ببيت المقدس ، وإمامُهم رجلٌ صالحٌ ، قد تَقَدَّمَ ليصلّي بهم ، إذ نَزَل عيسى ، فرَجَعَ الإمامُ يَنْكُصُ ليَتقدَّمَ عيسى ، فيَقِفُ عيسى بين كتفيه ثم يقول : تَقَدَّمْ فإنها لك أُقيمَتْ » . وعند مسلم من حديث جابر : « فيقال له : صلِّ لنا ، فيقول : لا ، إنَّ بعضكم على بعض أُمراء تكرِمةً لهذه الأمّة » .

قال الحافظ ابن حجر بعد هذه الأحاديث : « وفي صلاة عيسى خَلْفَ رجلٍ من هذه

١٠٨٤ - البخاري (٦ / ٤٩١) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٤٩ - باب نزول عيسى ... إلخ .

مسلم (١ / ١٣٦) ١ - كتاب الإيمان ، ٧١ - باب نزول عيسى ... إلخ .

(١) مسلم (١ / ١٣٦) في الموضع السابق .

(٢) مسلم (١ / ١٣٧) ، في الموضع السابق .

(٣) مسند أحمد (٢ / ٢٧٢) .

وذكره البيهقي في كتاب « الأسماء والصفات » ، وعزاه البخاري ومسلم ، ولفظه : « إذا نزل ابنُ مريم من السَّماء فيكم ، وإمامُكم منكم » .

الأمّة مع كونه في آخر الزمان وقُرْب قيام الساعة : دلالةٌ للصحيح من الأقوال أنّ الأرضَ لا تخلو عن قائمٍ لله بحُجّة ، والله أعلم » . انتهى . وقيل . في معنى (وإمامُكم منكم) : وهو منكم أي عيسى ، فوُضِعَ الاسمُ المُظهَر موضعَ الاسمِ المضمرِ تعظيمًا له وتربيةً للمهابة في النفوس » . اهـ (التصريح) .

١٠٨٥ - * روى مسلم ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نَفْسي بيده : لَيُهِلَّنَّ ابنُ مَرْيَم بفجِّ الرَّوْحَاء حاجًّا أو مُعتمِراً ، أو لَيُثَنِّيَنَّهما » .

وأخرجه أحمد في مسنده [1] ولفظه : « يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريم ، فيَقْتُلُ الخِنزيرَ ، ويمحو الصَّليبَ ، وتُجْمَعُ له الصلاة ، ويُعطِي المالَ حتى لا يُقْبَل ، ويَضَعُ الخراجَ ، ويَنْزِلُ الرَّوْحَاءَ ، فيَحُجُّ منها أو يَعْتَمِرُ أو يَجْمَعُهُما » . وتلا أبو هريرة رضي الله عنه : ﴿ وإنْ من أهلِ الكتاب إلا لَيُؤْمِنَنّ به قَبلَ مَوْتِه ويَوْمَ القيامةِ يكونُ عليهم شهيدًا ﴾ . فزَعَمَ حنظلةُ أنّ أبا هريرة قال : يؤمِنُ به قَبْلَ موتِ عيسى ، فلا أدري هذا كلُّه حديثُ النبي ﷺ ؟ أو شيءٌ قاله أبو هريرة ؟

وأخرجه الحاكم [2] وصححه كما في الدر المنثور ولفظه : « لَيَهْبِطَنَّ ابنُ مَرْيم حَكَمًا عدْلًا ، وإمامًا مُقْسِطًا ، ولَيَسْلُكَنَّ فَجًّا حاجًّا أو مُعتَمِرًا ، ولَيَأتِيَنَّ قبري حتى يُسَلِّم علي ، وَلأَرُدَّنَّ عليه » . يقولُ أبو هريرة : أيْ بَني أخي ! إنْ رأيتموه فقولوا : أبو هريرة يَقرئُك السَّلام .

قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله :

« معنى (لَيُهِلَّنَّ) : لَيَرْفَعَنَّ صوتَه بالتلبية قائلاً : لبَّيْك اللّهمّ لبَّيْك ، مُحْرِمًا بحجٍ أو بعُمْرة . ومعنى (أو لَيُثَنِّيَنَّهما) : أو ليجْمَعَنَّ بين الحجّ والعُمْرة . وفَجُّ الرَّوحاء : مكانٌ في طريق النبي ﷺ من المدينة إلى بَدْر . قيل يبعد عن المدينة ستة أميال .

١٠٨٥ - مسلم (٢ / ٩١٥) ١٥ - كتاب الحج ، ٢٤ - باب إهلال النبي ﷺ وهديه .

(١) مسند أحمد (٢ / ٢٩٠ ، ٢٩١) .

(٢) المستدرك (٢ / ٥٩٥) ، وقال صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

(وتجمع له الصلاة) : أي يصيرُ هو الإمامَ في الصلاة مع قيامِهِ بأعباء الإمامة العُظمى . وإمامتُه بالصلاة إنما تكون بعد صلاته الصبح فورَ نزوله مؤتمًا بإمام المسلمين إظهاراً لكرامةِ هذه الأُمّة وفضلِها .

(فزعم حنظلة) : هو حنظلة الأَسْلميُّ المَدَني ، تابعيّ روى هذا الحديث عن أبي هريرة . ومعنى (زَعَمَ) : قال صادقًا . فإنَّ الزعم كما يُطلَق على القول الكذب أو المشكوكِ فيه ، يُطلَق أيضًا على القولِ المحقَّقِ والصدقِ الذي لا شكَّ فيه » . اهـ (التصريح) .

١٠٨٦ - * روى البخاري ومسلم ، عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما ، قال : لا واللهِ ما قال النبيُّ ﷺ لعيسى : « أحمرُ » ولكن قال : « بَينما أنا نائمٌ أطُوفُ بالبَيْتِ ، فإذا رَجلٌ آدَمُ سَبِطُ الشَّعَرِ ، يُهادَى بين رجلَين ، يَنطُفُ رأسُهُ ماء » أو « يُهْرَاقُ رأْسُهُ ماءً » ، « فقلتُ : مَنْ هَذا ؟ قالوا : ابْنُ مَرْيَمَ ، فَذَهَبت أَلْتَفتُ ، فإذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ ، أعْوَرُ عَيْنِهِ اليُمنى ، كأنَّ عَينَهُ اليمنى عِنَبةٌ طافيَةٌ ، قلتُ : مَنْ هَذَا ؟ قالوا : هذا الدَّجالُ ، وأقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبهًا ابْنُ قَطنٍ » . قال الزهري : رجلٌ من خُزَاعَةَ هَلَكَ في الجاهليَّةِ ، ليس عند مسلم قول الزهري .

وفي رواية [1] قال : ذكر رسولُ الله ﷺ يومًا بَينَ ظَهرَانَي النَّاس المَسيحَ الدَّجالَ ، فقال : « إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتعالى ليس بأعوَرَ ، ألا إنَّ المسيح الدَّجَّال أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمنى ، كأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافيةٌ » . قال : وقال رسول الله ﷺ « أراني اللَّيلَةَ في المنامِ عند الكَعْبَةِ ، فإذا رَجلٌ آدَمُ ، كأحسَنِ ماتَرى مِنْ أُدْمِ الرِّجالِ ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بين مَنْكِبَيْهِ ، رَجِلُ الشَّعَرِ ، يَقْطُرُ رأسُهُ ماءً ، وَاضِعًا يديهِ على مَنكبي رَجُلَينِ ، هو بينهما ، يطوفُ بالبيت . فقلت : مَنْ هذا ؟ فقالوا : المسيحُ ابْنُ مَريَمَ ، ورأيتُ

١٠٨٦ - البخاري (١٢ / ٤١٧) ٩١ - كتاب التعبير ، ٣٣ - باب الطواف بالكعبة في المنام .
مسلم (١ / ١٥٦) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٥ - باب في ذكر المسيح ابن مريم ... إلخ .
والموطأ (٢ / ٩٢٠) ٤٩ - كتاب صفة النبي ﷺ ، ٢ - باب ماجاء في صفة عيسى ... إلخ .

(١) البخاري (٦ / ٤٧٧) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٤٨ - باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ... ﴾ .
مسلم (١ / ١٥٥) في الموضع السابق .
والموطأ : في الموضع السابق .

وراءَهُ رَجُلاً جَعْدًا قططًا ، أعْورَ عَيْنِ اليُمنى ، كأشْبَهِ مَن رأيتُ من النَّاسِ بابْنِ قَطنٍ ، واضعًا يَديه على منكبي رَجُلَيْن ، يَطوفُ بالبَيْت ، فقلتُ : مَن هذَا ؟ فقالوا : هذا المسيحُ الدَّجَّالُ » .

وفي روايةٍ [١] قال : قال النبيُّ ﷺ : « رَأيتُ عِيسى وموسى وإبراهيمَ عليهم السلام ، فأمَّا عيسى : فأحمرُ جَعْدٌ ، عَريضُ الصَّدْر ، وأمَّا مُوسى : فآدَمُ جَسيمٌ سَبْطٌ ، كأنَّهُ من رِجالِ الزُّطِّ » .

(آدَمُ) : رجلٌ آدم : شديدُ السُّمْرة .

(يُهادى) : تَهادَى الرجل في مِشيته : إذا تمايَلَ ، ورأيتُ فلانًا يُهادَى بين رجلين : إذا كان يمشي مُتَّكِئًا [عليهما] من ضَعفٍ وتَمايُلٍ .

(يَنْطِفُ) : أي : يَقْطُر .

(عِنَبةٌ طافِيَةٌ) : إذا كانت خارجة القَدِّ والسَّمْت عن أخواتها في العنقُودِ .

(لِمَّتهُ) : اللِّمَّةُ : شعر الرأسِ .

(رَجِلُ الشَّعَر) : شَعرٌ رَجِلٌ ، أي : مُسَرَّحٌ غيرُ شَعِثٍ .

(قَططًا) : شَعرٌ قَططٌ : مُتناهي الْجُعُودَةِ .

(الزط) : جيل من الهند والسودان ، معرب « جت » .

قال محقق الجامع :

« قال الحافظ في الفتح : اللام في قوله : « لعيسى » بمعنى « عن » وهي كقوله تعالى :

---

(١) البخاري (٦ / ٤٧٧) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ، ٤٨ ـ باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ... ﴾ .
هكذا في كتاب البخاري ، وليس فيه ذِكْرُ إبراهيم .
وقد ذكره البرقانيُّ فيما حكاه الحميديُّ ، فقيل له : فإبراهيم ؟ قال : « شبيه صاحبكم » . قال الحميديُّ : قال أبو مسعود [الدمشقي] : كذا في البخاري في سائر النسخ ، عن مجاهد عن ابن عمر ، وإنما رواه الناس عن محمد بن كثير ، فقالوا : مجاهد عن ابن عباس ، وعلى روايتهم اعتمد أبو بكر البرقاني ، فأخرجه في مسند ابن عباس .

﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا ماسبقونا إليه ﴾ قال : وفيه جواز اليمين على غلبة الظن ، لأن ابن عمر ظن أن الوصف اشتبه على الراوي ، وأن الموصوف بكونه أحمر إنما هو الدجال ، لا عيسى ، وقرب ذلك أن كلا منهما يقال له : المسيح ، وهي صفة مدح لعيسى ، وصفة ذم للدجال ، قال : وكان ابن عمر قد سمع سماعًا جزمًا في وصف عيسى أنه آدم ، فساغ له الحلف على ذلك لما غلب على ظنه أن من وصفه بأنه أحمر واهم » . اهـ .

أقول :

لقد مرت معنا رواية تصف المسيح عليه الصلاة والسلام بالحمرة والبياض ، فليس ماورده ابن عمر في وصف المسيح صحيحًا ، بل هو الحق ، ولذلك استعمل ابن حجر تعبير الوهم أثناء الكلام عن موقف ابن عمر في وصفه المسيح بالسمرة ونفيه الحمرة عنه .

قال محقق الجامع :

« ابن قطن : رجل من خزاعة هلك في الجاهلية ، قال الحافظ في « الفتح » : اسمه : عبد العزى بن قطن بن عمرو بن جندب بن سعيد بن عائذ بن مالك بن المصطلق ، وأمه هالة بنت خويلد ، أفاده الدمياطي ، قال : وقال ذلك أيضًا عن أكثم بن أبي الجون ، وأنه قال : يارسول الله هل يضرني شبهه ؟ قال : « لا ، أنت مسلم وهو كافر » . حكاه عن ابن سعد ، والمعروف في الذي شبه به ﷺ أكثم بن عمرو بن لحي جد خزاعة ، لا الدجال ، كذلك أخرجه أحمد وغيره ، وفيه دلالة على أن قوله ﷺ : « إن الدجال لا يدخل المدينة ولا مكة » . أي في زمن خروجه ، ولم يرد بذلك نفي دخوله في الزمن الماضي ، والله أعلم » . ا . هـ .

١٠٨٧ - * روى أحمد ، عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال : « إني لأرجو إنْ طالَ بي عُمُرٌ أن ألقى عيسى ابنَ مريمَ ﷺ ، فإن عَجِّلَ بي موتٌ فمن لقيه منكم فلْيقرِئْهُ مني السلام » .

١٠٨٧ - مسند أحمد (٢ / ٢٩٨) .

مجمع الزوائد : (٨ / ٥) وقال رواه أحمد بإسنادين ، مرفوع وهو هذا ، وموقوف ، ورجالهما رجال الصحيح .

١٠٨٨ ـ * روى أبو سعيد النَّقَّاش ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « طُوبى لِعَيْشٍ بعدَ المسيح ، يُؤذَنُ للسَّماء في القطْر ، ويُؤذَنُ للأرض في النَّبات ، حتى لوبَذَرْتَ حَبَّك على الصَّفَا لنبَت ، وحتى يَمُرَّ الرَّجُلُ على الأسدِ فلا يَضُرَّهُ ، ويَطأ على الحَيَّةِ فلا تَضُرَّه ، ولا تَشَاحَّ ، ولا تحاسد ، ولا تَباغُض » .

أقول :

هذا دليل على أن بعد وفاة عيسى عليه السلام يبقى الخير ويستمر السلام والبركة ، وأن الريح التي تقبض أرواح المؤمنين كما سيّمر معنا تكون بعد ذلك ، وهذا النص يؤكد أن النص المروي عن ابن عمرو الذي علقنا عليه وعلق عليه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة قد حصل فيه وهم أو لبس أو اختصار مخلٌّ من أحد الرواة .

١٠٨٨ ـ فوائد العراقيين .

ورواه عنه أبو نُعَيم كما في « كنز العمال » . ورمز السيوطي إلى حُسْنه ، وقوّى الغُماري إسناده .

وقال المناوي (فيض القدير ٤ / ٢٧٥) : ظاهر عدول المصنف للنقاش أنه لم يره مخرجًا لأحدٍ من المشاهير ، وهو غفلة فقد خرجه أبو نعيم والديلمي وغيرهما .

(طوبى) : طُوبَى من الطِّيْب ، ومعناها هنا : فَرَحٌ وقُرَّةُ عَيْنٍ وقد يُطلق لفظُ (طوبى) ويرادُ به الجَنَّةُ أو شجرةٌ فيها .

(الصفا) : أي الحَجَر الأملس الأصمّ .

مسائل وفوائد

(١)

من أعظم الكتب التي ألفت في نزول المسيح عليه السلام كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » الذي حققه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله ، فقد ذكر فيه مؤلف الكتاب الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ستة وسبعين حديثًا في نزول المسيح ، وأضاف إليها الشيخ عبد الفتاح حفظه الله عشرة أحاديث استدركها على الشيخ فأصبحت الأحاديث الواردة في نزول المسيح عليه السلام ستة وثمانين ، ثم ذكر الشيخ أنور من الآثار عن الصحابة والتابعين خمسة وعشرين أثراً ، واستدرك عليه الشيخ عشرة آثار فبلغت الآثار عن الصحابة والتابعين خمسة وثلاثين ، فيكون مجموع الوارد في نزول المسيح مابين خبر وأثر (١٢١) ، فدل ذلك على أن هذه المسألة من القطعيات في الشريعة من أنكرها فقد كفر .

وفي سياق هذه الآثار والأخبار تمرّ نصوص كثيرة لها علاقة بالدجال ويأجوج ومأجوج والمهدي عليه السلام وأشراط الساعة ، مما يضاف على ماورد من أحاديث مفردة في بعض هذه الشؤون ليقويها ، ومن ها هنا كانت أحاديث الدجال متواترةً وكذلك أحاديث المهدي عليه السلام . وفي الكتاب من الفوائد مالو وزن الكتاب بالذهب لكان قليلاً في حقه .

(٢)

ورد في القرآن الكريم أربع آيات تشير إلى نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان وهي :

١ - ﴿ إذْ قالَت المَلائكةُ يامَرْيَمُ إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بكَلِمةٍ منه اسْمُهُ المَسِيحُ عيسى ابنُ مريم وَجِيهًا في الدُّنيا والآخرةِ ومِنَ المُقرَّبِينَ * ويُكلِّمُ النَّاسَ في المَهْدِ وكَهْلًا ومِنَ الصَّالحين ﴾ [١] .

٢ - ﴿ إذْ قالَ اللهُ ياعيسى ابنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عليكَ وعلى والدَتِكَ إذ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ الناس في المَهْدِ وكَهْلًا ﴾ [٢] .

---

(١) آل عمران : ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) المائدة : ١١٠ .

٣ - ﴿ وقولِهِمْ إنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عيسى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ ومَاقَتَلُوهُ ومَاصَلَبُوهُ ولكنْ شُبِّهَ لَهُم وإنَّ الذين اخْتَلَفُوا فيه لَفِي شَكٍ منه ما لَهُمْ به مِن عِلْمٍ إلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ومَاقَتَلُوهُ يَقِينًا * بل رَفَعَهُ اللهُ إليهِ وكان اللهُ عزيزًا حكيمًا * وإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلا لَيُؤمِنَنَّ بهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ويَوْمَ القِيامَةِ يكونُ عَلَيْهِم شَهِيدًا ﴾ [١] .

٤ - ﴿ ولما ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إذَا قَوْمُكَ منه يَصِدُّونَ ﴾ [٢] . ﴿ إنْ هو إلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إسْرائيل ﴾ [٣] . ﴿ وإنَّه لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ فلا تَمْتَرُنَّ بِهَا واتَّبِعُونِ هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيم ﴾ [٤] .

أشارت الآية الأولى والثانية إلى نزوله بتكليمه الناس كهلاً والصحيح أنه رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين والكهولة فوق هذه السن .

وأشارت الآية الثالثة إلى نزوله بإيمان أهل الكتاب به إيمانًا صحيحًا قبل أن يموت وذلك بعد نزوله .

وأشارت الآية الرابعة إلى أن المسيح عَلَمٌ للساعة على قراءةٍ : أي علامة ، و (عِلْمٌ) في قراءةٍ ، فهو في كل الأحوال يدلّ بنزوله على أنّ الساعة أصبحت قريبة .

روى ابن حبّان [٥] ، عن أبي يحيى مولى ابن عفراء ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى : (وإنَّه لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ) قال : « نُزولُ عيسى ابنِ مريم قبلَ يوم القيامة » .

وعن ابن عباس [٦] رضي الله عنه في قوله تعالى : (وإنه لَعَلَمٌ للساعة) قال : خروج عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة) .

---

(١) النساء : ١٥٧ ـ ١٥٩ .
(٢) الزخرف : ٥٧ .
(٣) الزخرف : ٥٩ .
(٤) الزخرف : ٦١ .
(٥) الإحسان بترتيب ابن حبان (٨ / ٢٨٨) .
(٦) مجمع الزوائد (٧ / ١٠٤) وقال : رواه أحمد والطبراني بنحوه .
وأخرجه ابن جرير .

١١١٠

قال الشيخ عبد الفتاح :

« أي إنّ سيدنا عيسى عليه السلام - والمرادُ نزولُه - أمارَةٌ وعلامةٌ على قُرب وقوع الساعة . والآية المذكورة من سورة الزُّخْرُف : ٦١ . وهذه قراءةُ ابن عباس وأبي هريرة وأبي العالية وأبي مالك وعِكرِمة والحسن وقتادة والضحَّاك وغيرهم كما في « تفسير ابن كثير » ٤ : ١٣٢ ، وهي قراءة الأعمش من القُرّاء أصحاب القراءات كما في « إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر » للدمياطي ص ٣٨٦ . وقراءةُ الجمهور : ﴿ وإنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعة ﴾ . وفي هذه القراءة أيضًا الضميرُ عائد إلى عيسى عليه السلام . والمرادُ أن عيسى عليه السلام بحُدوثه من غير أب وبإحيائه الموتى : يكفي دليلاً على صحّة البَعْث وإعادة الخلق يوم القيامة ، وهو عليه السلام أيضًا عِلْمٌ للساعة أي تُعْلَمُ بنزوله ، فهو أمارةٌ وعلامةٌ عليها ، قال الزمخشري في « الكشاف » ٣ : ٤٢٤ ﴿ وإنه لَعِلمٌ للساعة ﴾ أي إنّ عيسى عليه السلام شرطٌ - علامة - من أشراطها تُعْلَمُ به ، فسُمِّي الشَّرَطُ عِلمًا لحصول العِلْم به . انتهى وهكذا فسّر الآية أبو حيان الأندلسي في تفسيره « البحر » ٨ : ٢٦ وابن قتيبة في « غريب القرآن » ص ٤٠٠ وغيرُهم من المفسّرين ، وتكون الآيةُ بقراءتيها ناطقةً أن عيسى عليه السلام عِلْم وعلامة على الساعة بنزوله من السماء قبل قيامها » . اهـ (التصريح) .

وروى ابن جرير [1] ، عن ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ يكلّم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ﴾ . قال : قد كلمهم عيسى عليه السلام في المهد ، وسيكلّمهم إذا قتل الدجّال وهو يومئذٍ كَهْل .

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم [2] ، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وإنْ مِن أهلِ الكتاب إلا لَيُؤمِنَنَّ به قبلَ موتهِ ﴾ قال : قبلَ موتِ عيسى .

---

(١) الدر المنثور : تفسير آل عمران (٢ / ٢٥) .

(٢) الدر المنثور : تفسير النساء (٢ / ٢٤١) .

وأشار إليه ابن حجر وصحح إسناده في الفتح : ٦ / ٤٩٢ (٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٤٩ - باب نزول عيسى) .

(٣)

صرّح جماعة من الراسخين في العلم أن الأحـاديث في نزول عيسى عليـه السلام متواترة ، فقال العلامة السّيد محمود الآلوسيّ في تفسيره : « رُوح المعاني » : « ولا يَقْدَحُ في ذلـك ـ أي في خَتْم النُّبوّة ـ ماأَجْمَعَتْ الأُمّةُ عليه ، واشتهرَتْ فيـه الأخبـار ـ ولعلّهـا بَلَغَتْ مبلغَ التواتُرِ المعنوي ـ ونَطَق به الكتابُ ـ على قولٍ ـ ووجَبَ الإيمانُ به . وأُكْفِرَ مُنكِرُه كالفلاسفة : من نُزُولِ عيسى عليه السلام آخِرَ الزمان ، لأنه كان نَبيًا قبلَ تحلّي نبينـا ﷺ بـالنُّبُوّة في هـذه النشأة » . اهـ .

وقال العلاّمة الألوسيّ في تفسيره بعد هـذا : « ثم إنّ عيسى عليـه السلام حين يَنْزِلُ بـاقٍ على نُبوّته السابقة لم يُعزَلُ عنهـا بحـال ، لكنـه لا يتَعبَّـدُ بهـا لِنَسْخها في حَقّـهِ وحقّ غيره ، وتكليفهِ بأحكام هـذه الشريعـة أصلاً وفرعـا ، فلا يكون إليـه عليـه السلام وحيٌ ولا نَصْبُ أحكام ، بل يكونُ خليفةً لرسول الله ﷺ ، وحاكمًا من حُكّام مِلّتـه بين أُمّتـه بمـا عَلِمـه في السماء قبل نزوله من شريعته عليه الصلاة والسلام كما في بعض الآثار » . ا . هـ .

وبـه صرّح الحـافـظ عِمادُ الـدين ابنُ كَثير ، حيث قـال في « تفسيره » في تفسير سـورة الزخرف عند قوله تعالى : ﴿ وإنـه لَعِلْمٌ للسـاعـة ﴾ : « وقـد تواتَرَت الأحـاديثُ عن رسول الله ﷺ أنه أخبرَ بنزولِ عيسى عليه السلام قبلَ يوم القيامة « إمامًا عادلاً ، وحَكَمًـا مُقْسِطًـا » ا . هـ . وصَرّح به في تفسير سورة النساء أيضًا .

وقال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة :

« [ومنهم]: الإمـامُ ابنُ جَرير الطبري في « تفسيره » عنـد قـولـه تعـالى في سـورة آل عمران : ﴿ إني مُتَوفّيك ورَافِعُـك إليّ ﴾ ٣ : ٢٠٣ ، فقـد قـال بعـد أن ذكَرَ الأقوالَ في معنى التَّوَفّي : « وأولى هذه الأقوالِ بالصحة عنـدنـا قولُ من قـال معنى ذلـك : أنّي قـابِضُـك من الأرض ورافعُك إليّ . لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنـه قـال : « يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريم فَيَقْتُلُ الدجّالَ ... » .

قال شيخنا الإمام الكوثريّ رحمه الله تعالى في كتابه : « نظرة عـابرة في مزاعم من يُنكِرُ

نـزولَ عيسى عليـه السـلام قبـلَ الآخرة » ص ٣١ : « وليس في قـول الإمـام ابن جرير الطبري : (وأولى الأقوال بالصحة) مايُحتَجُّ به أنَّ تلـك الأقوالَ مشتركَـةٌ في أصلِ الصحـة ، وكيف وقد ذَكَرَ بينها ماهو مَعْزُوٌّ إلى النَّصارى ؟ ولا يُتَصوَّرُ أنْ يَصحَّ ذلـك في نظره ، بل كلامُهُ هذا مِنَ قَبيلِ مايُقال : فلانٌ أذكى من حمار ، وأفقهُ من جدار ، كما يظهر من عـادة ابن جرير في « تفسيره » عند نَقْلِهِ لرواياتٍ مختلفـةٍ ، كائنـة مـاكانَتْ قيمتُهـا العلميـة ، وقـد يكون بينها ماهو باطلٌ حتمًا ، فلا يكونُ لأحدٍ إمكانُ التمسُّكِ بمثلِ تلك العبـارةِ في تقويـةِ الروايات المردودة » .

قلتُ : وهذه قاعدة وفائدةٌ تستفادُ لفهمِ كلامِ ابن جرير في « تفسيره » فـاعْلَمْهـا واشـدُدْ عليها بيديك ، فإنها من العلم المكنون .

ومنهم : الإمـامُ المفسِّر ابنُ عطيـة الغَرنـاطي الأنـدلسي ، فقـد قـال في « تفسيره » : « وأجمعتِ الأمَّةُ على مـاتضمَّنـهُ الحـديثُ المتواتِرُ من أنَّ عيسى في السماء حيٌّ ، وأنـه يَنزِلُ في آخِرِ الزمان فيَقْتُلُ الخنزير ، ويَكسِرُ الصَّليب ، ويَقْتُلُ الـدجَّـال ، ويُفيضُ العَـدْل ، وتظهرُ به مِلَّةُ محمد ﷺ ، ويَحُجُّ البيتَ ، ويَعتمِرُ » . انتهى .

ومنهم : العلامةُ الشوكاني اليمنى ، قال في كتابه : « التوضيح في تواتر مـاجـاء في المنتظر والدجَّال والمسيح » بعد أن ساق الأحاديث الواردة في ذلك : « فتقرَّرَ أنَّ الأحاديث الواردة في المَهْدِيِّ المنتظر متواترة ، والأحاديثَ الواردةَ في الدجَّال متواترة ، والأحـاديث الواردة في نزولِ عيسى ابنِ مريم متواترة » . كما نقله عنه أستاذُنا العلامـة الشيخ عبـد الله ابن الصـدِّيق الغُمَاري فرَّج الله عنه في كتـابـه : « عقيـدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليـه السلام » ص ١١

ومنهم : شيخُ شيوخنا العلامة المحدث الشريف سيـدي محمـدُ بنُ جعفر الكتَّـاني رحمـه الله تعالى في كتابه : « نَظْمِ المتناثر من الحديث المتواتِر » : ص ١٤٧ حيث قـال : « وقـد ذكَرُوا أنَّ نزولَ سيدنا عيسى عليه السلام ثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع . ثم قـال : والحـاصِلُ أنَّ الأحاديثَ الواردةَ في المَهْدِيِّ المنتظر متواترة ، وكذا الواردَةُ في الدجَّـالِ وفي نزول عيسى ابنِ مريم عليه السلام » . اهـ (التصريح) .

(٤)

قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله:

(تواردتِ النصوصُ المتواترةُ على نزول سيدنا عيسى عليه السلام ، ولكن لا توقيت فيها لزمن نزوله بالتحديد والتعيين ، وإنما التوقيت فيها بالأمارات والعلامات الدالة على نزوله .

قال الإمام ابن جرير الطبري في مقدمة « تفسيره » : ١ : ٧٤ و ٩٢ : « تأويلُ جميع القرآن على أوجه ثلاثة : أحدُها لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو مالا يَعلم تأويلَه إلا اللهُ الواحدُ القهار ، وهو الذي استأثر الله بعلمه ، وحَجَب علمَه عن جميع خلقه ، وذلك مافيه من الخبر عن آجالِ حادثة ، وأوقات آتية ، كوقت قيام الساعة ، والنفخ في الصور ، ونزولِ عيسى ابن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وماأشبه ذلك .

فإن تلك أوقاتٌ لا يَعلم أحدٌ حُدُودَها ، ولا يَعرف أحدٌ من تأويلها إلا الخبرَ بأشراطها ، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه ، وبذلك أنزَل ربُّنا مُحكَمَ كتابه، فقال : ﴿ يَسألونك عن الساعة أيّانَ مُرْساها قلْ إنما علمها عند ربي لا يُجَلّيها لوقتها إلا هو ثَقُلَتْ في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بَغْتَةً يَسألونك كأنك حفِيٌّ عنها قل إنما عِلمُها عند الله ولكن أكثرَ الناسِ لا يَعلمون ﴾ [١] .

وكان نبينا محمد ﷺ إذا ذكَر شيئًا من ذلك ، لم يَدُلَّ عليه إلا بأشراطه ، دون تحديده بوقته ، كالذي رُوي عنه ﷺ أنه قال لأصحابه ، إذْ ذَكَرَ الدجّال : « إنْ يَخرج وأنا فيكم ، فأنا حَجيجُه ، وإن يَخرجْ بعدي ، فاللهُ خليفتي عليكم » . وماأشبَهَ ذلك من الأخبار الدالّة على أنه ﷺ ، لم يكن عنده علمُ أوقاتِ شيء منه بمقادير السنين والأيام ، وأن الله جل ثناؤه إنما عرَّفه مجيئَه بأشراطه ، ووَقَّتَه بأدلته ») اهـ (التصريح) .

---

(١) الأعراف : ١٨٧ .

(٥)

جدول ماثبت بالقرآن والسنة من أمارات المسيح عيسى عليه السلام

تأليف العلامة المحقق الجليل الشيخ محمد شفيع

مفتي باكستان حفظه الله تعالى

ننقلها مع شيء من الحذف :

ـ اسمه السامي : عيسى ، يدل عليه ما لا يحصى من الآيات والأحاديث .

ـ كنيته : ابن مريم ﴿ ذلك عيسى ابن مريم ﴾ مريم : ٣٤ .

ـ لقبه : المسيح .

ـ و : كلمة الله .

ـ و : روح منه ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ النساء : ١٧١ .

ـ والدته : مريم ، يدل عليه مالا يحصى من الآيات والأحاديث .

ـ نفي الوالد : ولد عيسى من غير أب بمحض قدرة الله تعالى .

ـ والد أمه : عمران عليه السلام ﴿ ومريم ابنة عمران ﴾ التحريم : ١٢ .

ـ خاله : هارون ﴿ ياأخت هارون ﴾ مريم : ٢٨ .

ـ والدة أمه : امرأة عمران ـ حنة ـ ﴿ إذ قالت امرأة عمران ﴾ آل عمران : ٣٥ .

ـ نذر جدته حملها للوقف على بيت المقدس : ﴿ إني نذرت لك مافي بطني محررًا ﴾ آل عمران : ٣٥ .

ـ ولادة حملها أنثى : ﴿ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى ﴾ آل عمران : ٣٦ .

ـ اعتذارها في حضرة الله بأنها وضعتها أنثى وهي لا تليق أن تخدم بيت المقدس :

﴿ قالت رب إني وضعتها أنثى ﴾ ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ آل عمران : ٣٦.

ـ تسميتها مريم : ﴿ وإني سميتها مريم ﴾ آل عمران : ٣٦ .

بعض ماورد من أحوال أمه عليها السلام

ـ استعاذتها : من مس الشيطان : ﴿ أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ آل عمران : ٣٦ . وقد نص الحديث النبوي بأن هذا مما خص الله به مريم عليها السلام كما في صحيحي البخاري ومسلم .

ـ اختصام مجاوري بيت المقدس في تربية مريم وكفالة زكريا عليه السلام لها : ﴿ وماكنت لديهم إذ يُلْقون أقلامهم أيهم يَكْفُل مريم وماكنت لديهم إذ يختصمون ﴾ آل عمران : ٤٤ .

ـ إقامتها بالمحراب ورزقها من الغيب : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يامريم أنى لك هذا ﴾ آل عمران : ٣٧ .

ـ سؤال زكريا عن الرزق وجوابها أنه من عند الله : ﴿ قالت هو من عند الله ﴾ آل عمران : ٣٧ .

ـ مخاطبة الملائكة إياها : ﴿ إذ قالت الملائكة يامريم إن الله ﴾ آل عمران : ٤٢ .

ـ كونها مقبولة عند الله : ﴿ اصطفاك ﴾ آل عمران : ٤٢ .

ـ كونها طاهرة من الحيض : ﴿ وطهرك ﴾ آل عمران : ٤٢ .

ـ كونها أفضل نساء زمنها : ﴿ واصطفاك على نساء العالمين ﴾ آل عمران : ٤٢ .

ـ ذهابها إلى زاوية : ﴿ إذ انتبذت من أهلها ﴾ مريم : ١٦ .

ـ كون الزاوية في جانب شرقي : ﴿ مكانًا شرقيًا ﴾ مريم : ١٦ .

ـ اتخاذها حجابًا : ﴿ فاتَّخذت من دونهم حجابًا ﴾ مريم : ١٧ .

ـ وجاءها ملك بشكل إنسان ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا ﴾ مريم : ١٧ .

- استعاذتها : ﴿ إني أعوذ بالرحمن منك ﴾ مريم : ١٨ .

- ثم بشرها الملك بولادة عيسى عليه السلام : ﴿ لأهب لك غلامًا زكيًا ﴾ مريم : ١٩ .

- تعجبها بهذا الخبر ﴿ أنى يكون لي غلام ﴾ مريم : ٢٠ .

- إخبار الملك بأن ذلك ليس بصعب على الله ﴿ قال ربك هو عليّ هين ﴾مريم : ٢١ .

- حملها عيسى بمحض قدرة الله من غير أن يمسها رجل : ﴿ فحملته ﴾ مريم : ٢٢ .

- ذهابها إلى جذع نخلةٍ وقت المخاض : ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلةِ ﴾ مريم : ٢٣ .

وقال العلماء : إن كل ماحصل لمريم عليها السلام من خوارق العادة كان في الأصل إرهاصات تبشر بنبوة عيسى عليه السلام .

محل ولادته عليه السلام وكيفية ذلك

- ولد في زاوية بستان بعيد من العمارة : ﴿ فانتبذت به مكانًا قصيًا ﴾ مريم : ٢٢ .

- كانت متكئة إلى جذع نخلة : ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴾ مريم : ٢٣ .

أحوال مريم بعد ولادته عليه السلام

- اضطرابها حياء وخوفًا من تهمة الناس : ﴿ قالت ياليتني مت قبل هذا ﴾ مريم : ٢٣ .

- نداء الملك من تحت الشجرة أن لا تحزني فقد منحك الله ابنًا من سادة الناس : ﴿ ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ﴾ مريم : ٢٤ .

- رزقها الله تعالى رطبًا جنيًا : ﴿ تساقط عليك رطبًا جنيًا ﴾ مريم : ٢٥ .

- إتيانها قومها بعيسى عليه السلام في حجرها : ﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾ مريم : ٢٧ .

- تهمة القوم للسيدة مريم : ﴿ يامريم لقد جئت شيئًا فريًا ﴾ مريم : ٢٧ .

- كلام سيدنا عيسى عليه السلام في حجرها : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب ﴾ : مريم : ٣٠ .

وجاهة عيسى عليه السلام

- ﴿ وجيهًا في الدنيا والآخرة ﴾ آل عمران : ٤٥ .

- قامته معتدلة .

- لونه أبيض مشرب بالحمرة .

- شعر رأسه ممتد إلى منكبيه .

- شعره أسود كأنه يقطر وإن لم يصبه بلل .

- شعره جعد ، في بعض الروايات أنه سبط ، ويمكن أن هذا الاختلاف باختلاف الأوقات .

- نظيره في الحلية : يشابهه من الصحابة عروة بن مسعود رضي الله عنه .

خصائص عيسى المسيح عليه السلام

- إحياؤه الموتى بإذن الله ﴿ وأحيي الموتى بإذن الله ﴾ آل عمران : ٤٩ .

- إبراء الأكمه بإذن الله : ﴿ وأُبرئ الأكمه ﴾ آل عمران : ٤٩ .

- إبراء الأبرص بإذن الله : ﴿ وأبرئ الأكمه والأبرص ﴾ آل عمران : ٤٩ .

- النفخ في تراب حتى يصير طيرًا ﴿ فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله ﴾ آل عمران : ٤٩ .

- الإخبار بما أكله الناس وما ادخروه في بيوتهم : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾ آل عمران : ٤٩ .

- عزم بني إسرائيل على قتله ، وحفظ الله تعالى له : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ آل عمران : ٥٤ .

- رفع الله تعالى له إلى السماء حيا : ﴿ إني متوفيك ورافعك إليّ ﴾ آل عمران : ٥٥ .

- نزوله عليه السلام من السماء إلى الدنيا ثانيًا في قرب من يوم القيامة .

حليته عليه السلام وقت نزوله

- يلبس ثوبين أصفرين .
- على رأسه قلنسوة طويلة .
- يلبس درعاً .

بعض أحواله عليه السلام وقت نزوله

- ينزل واضعًا يديه على أجنحة ملكين .
- في يده حربة يقتل بها الدجال .
- لا يجد كافر ريح نفسه إلا ويموت .
- يبلغ نفسه إلى ما يبلغ طرفه .

محل نزوله عليه السلام ووقت نزوله

- ينزل في الشام .
- ينزل في الجانب الشرْقي من دمشق .
- ينزل عند المنارة البيضاء .
- وقت نزوله : عند صلاة الفجر .

أحوال الحاضرين في المسجد وقت نزوله عليه السلام

- جماعة من المسلمين يقودهم المهدي يجتمعون لقتال الدجال .
- يؤمهم الإمام المهدي .

بعض أحواله بعد نزوله عليه السلام

- يدعوه الإمام المهدي لإمامة الصلاة بالناس فيأبى .

ـ حينما يريد الإمام المهدي أن يتخلف يضع عيسى عليه السلام يده على ظهره ولا يرضى إلا أن يكون المهدي إمامًا .

ـ ثم يتقدم الإمام المهدي ويصلي بهم .

ـ إقامته في الدنيا بعد نزوله أربعين سنة .

ـ نكاحه بعد النزول وأولاده : يتزوج عيسى عليه السلام بعد النزول .

ـ يتزوج عيسى بامرأة من قوم شعيب عليهما السلام .

ـ يولد له بعد نزوله أولاد .

المشروعات التي يقوم بها بعد نزوله عليه السلام

ـ يكسر الصليب ويستأصل عبادته ولا يُبْقِي في الدنيا من النصرانية شيئًا .

ـ يقتل الخنازير .

ـ يفتح باب المسجد بعد الفراغ من الصلاة فيرى وراءه الدجال وقومًا من اليهود .

ـ يقاتل عليه السلام الدجال وأعوانه من اليهود .

ـ يقتل الدجال .

ـ يقتل عليه السلام الدجال في أرض فلسطين عند باب لد .

ـ ثم يقتل عليه السلام مابقي من اليهود .

ـ ولا يجد يهودي ملجأ .

ـ حتى تشهد الحجارة والأشجار على أن وراءها يهوديًا .

ـ ومن أجل ذلك لا يبقى حكم الجزية .

ـ ويعم عليه السلام الناس بالمال حتى لا يبقى من يقبل الصدقات .

- ويؤم عليه السلام الناس بعد صلاة الفجر الأولى التي صلاها مقتديًا بالإمام المهدي .
- يسافر إلى موضع فج الروحاء .
- يحج أو يعتمر أو يؤدي كلا النسكين .
- يسافر إلى روضة سيد الأنبياء ﷺ .
- ويرد على سلامه سيّد الأنبياء ﷺ .
- مذهبه الذي يدعو إليه الناس : يعمل بالقرآن والسنة ويحث الناس عليه .

البركات الظاهرة والباطنة في زمنه عليه السلام

- تنزل في زمنه بركات دينية ودنيوية من كل نوع .
- ويخرج الحقد والضغينة من أفئدة الناس .
- يكون الرمان في زمانه كبيرًا حتى تكفي الرمانة الواحدة لجماعة من الناس .
- ويكفي لبن ناقة واحدة لجماعة من الناس .
- ويكفي لبن شاة واحدة لقبيلة واحدة .
- وتنزع الحمة من كل ذيّ حمة حتى يدخل الوليد يده في فم الحية فلا تضره .
- وتكشف الوليدة عن أسنان الأسد فلا يضرها .
- ويكون الذئب مع الغنم كأنه كلبها .
- وتمتلئ الأرض من السلم كما يمتلئ الإناء من الماء .
- ولا يوجد فقير وتترك الصدقة .

أحوال العرب في ذلك الزمان

- العرب يومئذ قليل وأكثرهم ببيت المقدس .

ـ يجتمع المسلمون بجبل أفيق حذرًا من الدجال .

ـ ويصيب المسلمين بؤس ومجاعة شديدة حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه ويأكله .

ـ ثم ينادي مناد : ياأيها الناس أتاكم الغوث .

ـ فيتعجب منه الناس ويقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجل شبعان .

وفاته عليه السلام وبعض الأحوال قبل وفاته

ـ ويأمر المسيح عليه السلام بأن يستخلفوا بعده رجلاً من بني تميم اسمه : المقعد .

ـ ثم يتوفاه الله تعالى .

ـ قبره عليه السلام : ويدفن في روضة النبي ﷺ بجنب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

أحوال المسلمين بعد وفاته عليه السلام

ـ ويستخلف الناس (المقعد) كما أمرهم المسيح عليه السلام .

اهـ من (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

* * *

الفقرة الحادية والعشرون

في :

يأجوج ومأجوج

مقدمة

ـ ذكر الله عز وجل يأجوج ومأجوج في موضعين من كتابه ، مرة في سياق بناء السد الذي بناه ذو القرنين ليحمي به أقوامًا من إفسادهم : ﴿ قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا * قال مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا * آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارًا قال آتوني أفرغ عليه قطرًا * فما اسطاعوا أن يظهروه وماستطاعوا له نقبًا ... ﴾ [1] .

وذكرهم القرآن مرة أخرى في سورة الأنبياء [2] :

﴿ حتّى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كلّ حدب ينسلون * واقترب الوعد الحقّ ﴾ .

وقد أخذ الكلام عن يأجوج ومأجوج وعن ذي القرنين وعن السدّ الذي بناه كلّ مأخذ وتَشَتَّتَتْ بالمفسّرين المذاهب والافتراضات والحدّ الذي لا خلاف عليه هو أنّ مجيء يأجوج ومأجوج إلى بلاد الشام زمن عيسى ابن مريم ومايحدث لهم هو من اشراط الساعة الكبرى .

ـ ونقطة البداية الصحيحة في البحث هو أنّ الذي توجّه بالسؤال عن ذي القرنين هم اليهود أو قريش بإيحاء من اليهود وكان السؤال امتحانًا لنبوّة رسول الله ﷺ فيكون الجواب الصحيح من أعلام النبّوة ومعجزاتها ، وهذا لا يتحقّق إلا إذا كان الجواب معروفًا عند السائلين أو الدافعين للسؤال ، وبالجواب الصحيح تقوم الحجّة عليهم وتثبت بذلك الحجيّة برسالة محمد ﷺ على أهل السؤال وغيرهم ، وقد انطلق من هذا العلامّة الهندي الكبير أبو الكلام

---

(١) الكهف : ٩٤ ـ ٩٧ .

(٢) الآيتان ٩٦ ، ٩٧ .

أزاد في بحثه الذي نشر تحت عنوان (يسألونك عن ذي القرنين) فأتى به بما يثبت المعجزة ويقيم الحجّة ، وقد استغرق البحث مائة وثلاث صفحات تحدّث فيه عن شخصيّة ذي القرنين كما ذكرها القرآن ثمّ تحدّث فيه عن حيرة المفسّرين في تعيين شخصه ثمّ وصل إلى أنّ المفروض أن تكون نقطة البداية في البحث هي في كتب العهد القديم على اعتبار أنّ السائلين أو الدافعين للسؤال هم اليهود فعثر على نقطة البداية في سفر دانيال وهذه هي :

« في السنة الثالثة لجلوس بيلش فر الملك كنت بمدينة سوس هيرا من أعمال عيلام على شاطىء النهر أولائي ، فرأيت الرؤيا للمرة الثانية ، رأيت كبشًا واقفًا على شاطىء النهر له قرنان عاليان . وكان الواحد منهما منحرفًا إلى ظهره ، ورأيت الكبش ينطح بقرنيه غربًا وشرقًا وجنوبًا لا قبل لحيوان بالوقوف أمامه فهو يفعل ما يشاء وصار هو كبيرًا جدًا وبينما أنا أفكر في هذه الظاهرة إذ رأيت تيسا أقبل من جهة الغرب وغشي وجه الأرض كلها ، وكان بارزا بين عَيْنَي التيس قرن عجيب . ثم إن التيس اقترب من الكبش ذي القرنين ونفر منه مغضبًا ثم عمد إليه فكسر قرنيه وصرعه وداسه فأصبح الكبش ذو القرنين عاجزاً عن مقاومته ، محرومًا من ناصر ينصره عليه ـ « سفر دانيال ٨ : ١ » .

ثم ذكر الكتاب على لسان دانيال أن الملك جبريل ظهر له وشرح رؤياه قائلاً : إن الكبش ذا القرنين يمثل اتحاد المملكتين ، مادا وفارس، فيملكهما ملك قوي لا تقدر دولة على مواجهته . أما التيس ذو القرن الواحد الذي رآه بعد الكبش ، فالمراد منه ملك اليونان ، والقرن البارز بين عَيْنَي التيس ، يدل على أول ملك من اليونان (٨ : ١٥) . اهـ رسالة (ويسألونك عن ذي القرنين) .

ومظهر هذه النبوءة المتفق عليه هو الملك (قورش) أو (غورش) والذي يسميه اليونان (سائرس) واليهود (خورس) وهو الذي وحد مملكتي مادا وفارس واستولى على بابل وكانت له ثلاثة توجهات في حروبه : توجُّهٌ نحو الغرب حارب فيه اليونان وقهرهم ، وتوجه نحو الشرق حارب فيه قبائل رحلا ، وتوجه نحو الشمال سيطر فيه على القبائل الجبلية ، وكان من صفاته الرحمة والعدل والحرص على الرعيّة ، وكان على الدين الصحيح لزرادشت الذي قام دينه على التوحيد ثمّ حرّفته الديانة المجوسيّة التي كانت سابقة على دين

زرادشت ، ويرجّح أبو الكلام أنّ (قورش) كان معاصرًا لزرادشت ، وأنّ هذه المملكة التي أقامها قورش أنهاها بعد فترة الإسكندر المقدوني وهو الذي ذكرته رؤيا دانيال بأنّه ذو القرن ، ومن نبوات أشعيا في (قورش) مايلي :

« وإني أقول في حق خورس (غورش) بأنه راع لي وهو يتم مرضاتي كلها ... يقول الرب في شأن مسيحه خورس ، أنا أخذت بيده اليمنى لأجعل الأمم في حوزته وأنزع القوة من سواعد الملوك وأفتح له الأبواب تلو الأبواب . أجل ، إني أمشي بين يديك وأقوّم ما اعوج من سبلك ، وأكسر الأبواب النحاسية ، وأمنحك الخزائن المدفونة والكنوز التي في البيوت المغيبة . أفعل كل ذلك لتعلم أنني أنا الرب ، إله إسرائيل الذي ناداك باسمك صراحة لأجل إسرائيل ، شعبه المختار » (٤٥ : ١) .

وشبه غورش بعقاب الشرق في مكان آخر من الكتاب فقال : « ها ! انظروا ، إني أدعو عقابًا من الشرق أدعو ذلك الرجل الذي يأتي من أرض بعيدة ويتم سائر مرضاتي » (٤٦ : ١١) ا . هـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

فسفر أشعيا يشبه قورش بالعقاب ، وسفر دانيال يصفه أنّه ذو القرنين ، وقد عثر على تمثال لقورش يعتبر من أعظم الآثار الفارسيّة القديمة لقورش فيه جناحا عقاب وقرنان ، ومن المعروف أنّ قورش هو الذي أنقذ اليهود من أسر بابل ، ولذلك فإنّ له مقامًا كبيرًا عندهم .

كان ظهور أمر قورش في سنة (٥٥٩) ق . م . في ظروف لم تكن مقدّماتها لتؤهل إلى أن يصل قورش إلى الملك ولم يكد يستقرّ له الملك حتّى دانت له مادا وفارس تلقائيًا ثمّ خضعت له ولايات ومهّد لخضوع ولايات لخلفائه فكانت مجموع الولايات التي خضعت له ولخلفائه ثمانية وعشرين ولاية حتّى انتهى هذا الوضع للإسكندر المقدوني ، وكانت حملته الأولى نحو الغرب إلى بلاد الأناضول التي كانت يونانيّة وقتذاك وهي التي بدأت الحرب فانتصر عليها وعاملها برحمة ووصل بحربه هذه إلى شاطئ البحر وكان هجومه الثاني نحو الشرق ففتح مايسمّى الآن بمكران وبلوخستان وبلخ ، والغالب أنّه فتح بلاد السند في حملته هذه .

وكانت في هذه المناطق قبائل همجيّة يغلب على معظمها الترحّل ، ثم فتح بعد ذلك بابل وأنقذ اليهود من الأسر ، ثم كان هجومه الثالث نحو الشمال أي نحو البلاد التي سمّيت فيما بعد بالقوقاز ، وقد وصل غورش في حربه هذه إلى نهر أطلق عليه ولا يزال يطلق عليه اسم (نهر سائرس) أي نهر غوروش ، وهناك بنى سدًّا حديديًّا في الممر الجبلي الوحيد الذي يمكن أن يعبر منه سكّان شرقي تلك البلاد إلى أرض القوقاز وكانت وفاته سنة (٥٢٩) قبل الميلاد ومن المجمع عليه عند كلّ من كتب عنه من صديق وعدوّ أنّه كان عادلاً رحيمًا حكيمًا ، وأسفار العهد القديم تصفه بالتوحيد والعبوديّة الخالصة لله عز وجل ، وتعليل ذلك أنّه كان من أتباع زرادشت نبيّ الفرس على القول الراجح وذلك قبل أن يحرّف دين زرادشت .

ـ وبعد أن يعرض أبو الكلام أزاد هذا العرض يأتي بالنص القرآني الوارد في حق ذي القرنين ويبرهن على أنه ينطبق على قورش ، وبالنسبة للعين الحمئة التي وقف عندها ذو القرنين يقول أبو الكلام :

« لنضع خريطة الساحل الغربي لآسيا الصغرى أمامنا . نرى فيها معظم الساحل قد تقطع في خلج صغيرة ، لا سيا على مقربة من أزمير ، حيث اتخذ الخليج صورة عين . كانت ساردیز على مقربة الساحل الغربي ، ولا تبعد كثيراً عن أزمير الحاضرة . فلنا أن نقول إن غوروش لما تقدم بعد استيلائه على سارديز ، وصل من ساحل بحر أيجة إلى مكان قريب من أزمير ، ورأى الساحل قد اتخذ صورة تشبه العين ، وكان الماء قد انكدر من وحل الساحل ، فرأى الشمس تغرب مساء في هذه العين ، هذا هو ماعبر عنه القرآن بقوله ﴿ **وجدها تغرب في عين حمئة** ﴾ [١] . أي أنه تراءى له كأن الشمس تغرب في بقعة كدرة من الماء .

ومن المعلوم أن الشمس لا تغرب في مكان ما ، ولكنك إن وقفت على ساحل بحري ، رأيت الشمس كأنها تغرب رويدًا رويدًا في البحر » . ا.هـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

ثم يتحدث أبو الكلام أزاد عن المهمة الشرقية ويذكر أن كُلًّا من المؤرخين اليونانيين

---

(١) الكهف : ٨٦ .

هيرودوتس وني سياز يذكرانها ويقولان :

« إن طغيان بعض القبائل الهمجية الصحراوية حمله على القيام بهذه المهمة » .

يقول أبو الكلام : (وهذا يطابق ماقاله القرآن : ﴿ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا ﴾ [١] . أي أنه لما وصل إلى نهاية الشرق ، رأى الشمس تطلع على قوم ليس لديهم مايستترون به عن قيظها ، يعني أنهم كانوا من القبائل الرحالة التي لا تسكن المدن ولاتبني لها البيوت) ا . هـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

ثم يتحدث أبو الكلام عن المهمة الشمالية وسد يأجوج ومأجوج . قال أبو الكلام :

كانت هذه مهمته الثالثة ، وصل بها ، تاركاً على يمينه بحر الخزر ، إلى جبال القوقاز Caueasus حيث وجد مضيقًا بين جبلين منها .

ذكر القرآن هذا الخبر قائلا : ﴿ حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا ﴾ [٢] . أي أنهم كانوا جبليين متوحشين ، حرموا من المدنية والعقل والفهم .

والمقصود بسدين ، مضيق في جبال القوقاز . وإنك تجد على يمين القوقاز ، بحر الخزر الذي يسد طريق الحافة الشرقية منها ، وعلى اليسار البحر الأسود الذي يسد طريق الحافة الغربية ، وترى في الوسط سلسلة جبالها الشاهقة التي صارت جداراً طبيعياً ، فلم يكن هنالك منفذ للمهاجين من الشمال إلا مضيق وسطى في هذه الجبال ، يجتازه المهاجون ويشنون الغارات على البلاد الواقعة وراءه . فبنى غوروش في هذا المضيق سداً حديديًا ، أخذ به الطريق على المغيرين . ولم يأمن أهل سهول قوقاز وحدهم بهذا السد بل أصبح السد بابًا مقفلاً منيعًا لسلامة سائر بلاد آسيا الغربية فأمنت جميع الشعوب القاطبة في آسيا الغربية وفي مصر من جهة الشمال . اهـ .

(١) الكهف : ٩٠ .

(٢) الكهف : ٩٣ .

وقال أبو الكلام :

« أما القوم الذين وجدهم ذو القرنين هنالك ، وكانوا خلوًا من العقل ، فيحتمل أن يكونوا القوم الذين ذكرهم اليونان باسم « كولشي » وذكروا في لوحة دارايوش باسم « كوشيا » . هؤلاء الذين شكوا إلى غوروش هجمات يأجوج ومأجوج ، ولما كانوا مجردين من الحضارة ، وصفهم القرآن بقوله : ﴿ لا يكادون يفقهون قولا ﴾[1] . أي لا يفهمون الكلام » . اهـ .

وبعد أن يبرهن أبو الكلام على أن كل ماوصف به القرآن ذا القرنين ينطبق على قورش ينقل عن مؤرخين يونانيين هما في الأصل من أمة معادية للفرس ماقالاه في قورش :

ويقول هيرودوتس : « كان (غوروش) ملكا كريما ، جوادا سمحا للغاية ، لم يكن حريصًا على جمع المال كغيره من الملوك ، بل كان حرصه على الكرم والعطاء . يبذل العدل للمظلومين ، ويحب كل مافيه خير البشر » .

ويقول زينوفن : « كان ملكاً عاقلاً رحيمًا ، اجتمعت فيه مع نبل الملوك فضائلُ الحكماء ، همته تفوق عظمته ، وجوده يغلب جلالته ، خدمة الإنسانية شعاره ، وبذل العدل للمظلومين ديدنه . حل فيه ـ مكان الكبر والعجب ـ التواضع والسماحة » . اهـ .

وبعد كلام طويل ينتقل إلى الحديث عن سد يأجوج ومأجوج . فيقول أبو الكلام :

(علينا أن نتذكر في معالجة هذا البحث أن القرآن ذكر أمرين عن السد بخصوصية ، وهما أنه ، أي السد ، بُنِيَ في مكانٍ ارتفعت الجبال كجدارين على جانبيه ، أي كان المكان مضيقًا جبليًا ، وأن السد الذي أقيم به ، استُخدمت فيه زبرُ الحديد ، وأفرغ عليها النحاس المذاب ، وعلى ذلك يجب أن نجد السد في مضيق جبلي ، ويجب أن يكون هو جدارا حديديًا ، لا جدارا من الحجر والآجر ، ويكون قد سد طريق المضيق الجبلي) . اهـ .

---

(١) الكهف : ٩٣ .

ثم يتحدث عن يأجوج ومأجوج فيقول :

(إن كلمتي « يأجوج » و « مأجوج » تبدوان كأنها عبريتان ، ولكنهما في أصلها قد لا تكونان عبريتين . إنها كلمتان أجنبيتان اتخذتا الصورة العبرية ، فهما تنطقان باليونانية « غاغ » (Gog) و « ماغاغ » (Magog) وقد ذكرتا بهذا الشكل في الترجمة السبعينية للتوراة ، وراجتا بالشكل نفسه في سائر اللغات الأوربية .

وقد ورد هذا الاسم لأول مرة في التوراة في كتاب الخلق عند ذكره خروج أمم العالم من ذرية نوح ، فقال : « ولد ليافث بن نوح ، جمر ، ومأجوج ، ومادي ، ويونان ، وتوبال ، ومسك ، وتيراس » (١٠ : ٣) ثم تكرر ذكرهم في الصحف الأخرى ، وقد ذكروا بصراحة وتعيين واضحين في صحيفة حزقيال كما ستراه . وكذلك جاءت نبوءة بظهورهم في مكاشفات يوحنا من العهد الجديد .

فمن كان هؤلاء القوم ياترى ؟ لقد تضافرت الشواهد التاريخية على أنهم لم يكونوا إلا قبائل همجية بدوية من السهول الشمالية الشرقية ، تدفقت سيولها من قبل العصر التاريخي إلى القرن التاسع الميلادي نحو البلاد الغربية والجنوبية . وقد سميت هي بأسماء مختلفة في عصور مختلفة ، وعرف قسم منها في الزمن المتأخر باسم « ميغر » في أوربا ، وباسم التتار في آسيا . ولا شك أن فرعا لهؤلاء القوم ، كان قد انتشر على سواحل البحر الأسود في سنة ٦٠٠ ق . م . وأغار على آسيا الغربية نازلا من جبال القوقاز . وقد سماه اليونان باسم « سي تهين » (Sythians) وذكر بنفس هذا الاسم في كتابة دارايوش باستخر . ولنا أن نجزم بأن هؤلاء هم الذين شكت غاراتِهم الشعوبُ الجبليةُ إلى غوروش ، فبنى السد الحديدي لمنعها .

القبائل المنغولية واليواشية :

تسمى هذه البقعة الشمالية الشرقية من الأرض « منغوليا » وقبائلها الرحالة « منغول » وتقول لنا المصادر الصينية إن أصل كلمة منغول ، هو « منكوك (بالكاف الفارسية بعد النون) أو « منجوك » (بالجيم الفارسية) وفي الحالتين تقرب الكلمة من النطق العبري « ماكوك » (بالكافين الفارسيتين) والنطق اليوناني « ميكاك » (بالكافين الفارسيتين) .

ويخبرنا تاريخ الصين عن قبيلة أخرى من هذه البقعة ، كانت تعرف باسم « يواشي » والظاهر أن هذه الكلمة مازالت تحرف عند الأمم حتى أصبحت « يأجوج » في العبرية .

منغوليا ، مهد الشعوب القديمة :

إن الجزء المرتفع من الكرة الأرضية الواقع في الشمال الشرقي الذي يسمى الآن بمنغوليا وتركستان الصينية ، كان مهداً لشعوب قديمة لا تحصى . إنه كان معينًا بشريا ، تتدفق مياهه وتتجمع ، حتى إذا بلغت النهاية طغت وانصبت إلى الغرب والجنوب ، وجدت الصين في الشرق منه ، وآسيا الغربية والجنوبية في غربه وجنوبه ، وأوربا في الشمال الغربي منه ، فما زالت سيول القبائل والشعوب تتدفق ، فيستوطن بعض القبائل آسيا الوسطى والبعض الآخر يتقدم فيصل إلى أوربا ، أو ينزل بآسيا الغربية والجنوبية . وكانت هذه القبائل بعد خروجها من مسقط رأسها ، وحط رحالها في البلاد الجديدة ، تفقد خصائصها الأولى وتصطبغ بصبغة أوطانها الجديدة ، فتصير على مرور الأيام شعوبًا بنفسها . ولما كان موطنها القديم لا تتغير أحواله ، لم تزل تنشأ فيه قبائل جديدة ، وتتدفق في دورها إلى الخارج كأخواتها السابقة ، دون أن تتغير هذه البقعة بل تظل على همجيتها القديمة ، ولكن الذين كانوا ينسحبون منها ويسكنون البلاد الأخرى ، كانوا يتحضرون مع مر الزمن ، فتختلف حالتهم الجديدة عن الحالة القديمة ، فبينما المدنية تهذبهم وتزيل بربريتهم ، فيشتغلون بالزراعة والصناعات ، ويعيشون عيشة سهلة هنية ، يبقى إخوانهم في مسقط رأسهم على حالتهم الأولى من الهمجية والخشونة والقسوة ، ولذلك يظلون شبحا مخيفًا للمتحضرين) . اهـ .

ثمّ يتحدّث أبو الكلام عمّا عرف تاريخيًا من موجات متعاقبة لخروج يأجوج ومأجوج ، فموجة كانت نحو آسيا الوسطى ، وموجة نحو آسيا الغربية ، وموجة أخرى نحو آسيا الغربية التي أوقفها (قورش) وموجة نحو الصين اقتضت من إمبراطور الصين (شين هوانغ تي) أن يبني جدار الصين العظيم ، وموجة نحو أوروبّا بقيادة أتيلا أنهت الإمبراطوريّة الرومانيّة ، وموجة نحو الشرق العربي بقيادة جنكيز خان كان من آثارها تدمير أكثر البلدان الإسلاميّة ومنها بغداد (أقول : ولعلّها المشار إليها بالحديث : « ويل للعرب من شرّ قد اقترب ، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج كذا » . وحلّق الرسول ﷺ بين أصبعيه) .

« ويذكر أبو الكلام نبوءة لحزقيال عن يأجوج ومأجوج تذكر جوج بأنّه رئيس منسك وتوبال فيقول ليس منسك إلا مانسميه الآن موسكو ، أمّا توبال فهي بلاد البحر الأسود المرتفعة » ، ومن كلام أبي الكلام نفهم أنّ يأجوج ومأجوج يشكّلون الشعوب التي تعتبر وراء جبال القوقاز كا يشكّلون بالموجات التي انساحوا فيها في البلاد شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا وسيطروا عليها وامتزجوا بها بشعوب أخرى ، إنّهم يشكّلون أكثريّة سكّان هذا العالم ، وهذا الذي يشير إليه الحديث الصحيح الذي يذكر أنّ الله يأمر آدم يوم القيامة أن يخرج بعث النار من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، وأنّ سبب كثرة بعث النار وجود أمّتين يأجوج ومأجوج ماكانتا في شيء إلا كثّرتاه ، فسكّان أوربا وآسيا الشرقيّة بما في ذلك الصين وسيبيريا ومنغوليا وحتّى الجنس الآري كلّه مظنّة أن يكون لهم صلة بيأجوج ومأجوج ، أمّا من هم الذين انصبت عليهم النصوص بأنّ خروجهم ومجيئهم إلى بلاد الشام قبيل يوم القيامة ، فأمر غيبي يعرف ساعة وقوعه ولنعد إلى كلام أبي الكلام أزاد : يخصّص أبو الكلام آخر بحثه عن سدّ يأجوج ومأجوج ومن كلامه :

(توجد في البقعة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود سلسلة جبال قوقاز كأنها جدار طبيعي ، وقد سد هذا الجدار الجبلي الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب ، إلا طريقًا واحداً بقي مفتوحًا ، وهو مضيق في وسط سلسلة الجبال ، يوصل بين الشمال والجنوب ، ويسمى هذا المضيق في أيامنا هذه بمضيق داريال ، ويشار إلى موضعه في الأطالس الحاضرة بين ولادي كيوكز Vladi Koukas وطفليس ، حيث يوجد إلى الآن جدار حديدي من قديم الأزمان ، ولا ريب أن هذا هو الجدار الذي بناه غوروش إذ تنطبق عليه الأوصاف التي وصف بها القرآن سد ذي القرنين قائلاً إنه استخدمت في بنائه زبر الحديد وأفرغ عليه النحاس بعد أن أذابوه لتتصل مفاصله ، فلا يبقي به خلل ، وقال إنه بني بين جدارين جبليين . وهذا هو مانراه في مضيق داريال جدارين جبليين شاهقين أقيم بينهما هذا السد الحديدي الذي قفل باتصاله بالجدارين الطريق الذي كان مفتوحًا بينهما .

وإن الكتابات الأرمنية لها أهمية كبيرة في المسألة ، لأنها لقرب المكان أصبحت بمنزلة الشهادة المحلية ، قد سمي هذا السد أو الجدار الحديدي في اللغة الأرمنية من الدهور السالفة

بـ « بهاك غورائي » و « كابـان غورائي » ومعنى الكلمتين واحـد وهو « مضيق غوروش » أو « ممر غوروش » . ولا يخفى أن « غور » جزء لاسم غوروش بلا ريب . أفلا يثبت هـذا أن غوروش هو الذي بنى الجدار وإليه نسبوه من قديم الزمان ؟

وهناك شهادة أخرى لا تقل في أهميتها عن الأولى ، وهي شهادة لغـة بلاد جورجيـا التي هي القوقاز بعينها ، فقد سمي هـذا المضيق بـاللغـة الجورجيـة من الـدهور الغـابرة « البـاب الحديدي » وترجمه الأتراك إلى لغتهم « دامركبو » وهو مشهور إلى الآن عندهم .

ألف الكاتب التركي وأستـاذ التركيـة والفـارسيـة في سنت بتربـورغ ، كاظم بـك في سنـة ١٨٤٥ تاريخًا لهذه الجهات باسم « دربند نامه » وترجم الكتـاب إلى الإنكليزيـة بـاسم تـاريخ دربند ، فراجعه ، ص ٢١ .

أمـا المؤرخون القـدمـاء ، فـأول من ذكره منهم ، هو الرحـالـة اليهودي الشهير ، يوسف الذي كان عائشا في القرن الأول الميلادي ثم ذكره بعـد أن عـاينـه بنفسـه المؤرخ بروكوبيس Procopius في القرن السادس الميلادي ، وذلك أن القائد الروماني ، بلي ساريس Bolisarius لما أغار على هذه الجهة في سنة ٥٢٨ م كان الرجل معه فشاهد الأرض وماعليها .

سبق لنـا أن أشرنـا إلى « نهر سـائرس » الـذي يثبت وصول غوروش إلى هـذه البقعـة ، فهنالك في القوقاز أنهار ، ينبع كلها من هذه الجبال . وقد سمي واحد منها بنهر سـائرس أي غوروش . وقد وثقت المصادر الأرمنية والكرجية هذا الاسم . وذكره كـذلـك بعض السيـاح الأوربيين من القرن السـادس عشر ، فهـذا أنتـوني جن كنسن Anthonie Jenkinson الـذي أرسلته شركة تجارية في لندرة إلى إيران من طريق روسيا سنـة ١٥٥٧ م ، يـذكر هـذا النهر في رحلته قائلاً بأنه يسمى بنهر سائرس ، ثم إن جميع الخرائـط التي وضعت لهـذه الجهـات في القرن الثامن عشر ، ذكرت « نهر سائرس » هذا بصراحة تامة) . اهـ .

ثمّ يتحدّث أبو الكلام عن خطأ شائع سبّبه وجود سـد آخر على سـاحل بحر الخزر تسمّى دربند وسمّاها العرب باب الأبواب فاختلط على بعضهم الأمر فظنوا أنّ سـد دربنـد هو سـدّ ذي القرنين مع أنّ هذا السدّ بني بالحجارة ولا يوجد بين جبلين ، فيؤكّد أنّ سدّ ذي القرنين

هو الأوّل ويرجّح أنّ هذا السدّ بني متأخّرا وأنّ الذي بناه هو كسرى أنوشروان لضرورات دفاعيّة ، ومن كلام أبي الكلام عن سد دربند :

« توجد على ساحل بحر الخزر الغربي بلدة ، اشتهرت من العصر الساساني باسم « دربند » وسمتها العرب « باب الأبواب » وهي واقعة في نفس المكان الذي انتهت إليه سلسلة جبال القوقاز واتصلت بساحل بحر الخزر . وقد وجد هاهنا جدار حجري من الزمن القديم ، يبتدئ من ساحل البحر ويرتفع على منحدرات الجبل صاعدًا إلى مرتفعاته ، حتى يبلغ طوله نحو ثلاثين ميلاً .

وتفصيل ذلك أنك تجد قبل وصولك بلدة دربند ، جداراً يسد الطريق كله من الساحل إلى مرتفعات الجبل ، فلا يمكنك الدخول في البلدة إلا من باب في الجدار نفسه ، وكذلك إذا خرجت من البلدة ، وجدت جداراً آخر مثل الأول يسد الطريق ، إلا أن به كذلك باباً يمكنك من التقدم . ويمتد الجداران جنبًا لجنب إلى مرتفعات الجبل ، وينقص الفصل بينهما كلما تقدما ، حتى يصبح عند الساحل خمسائة ياردة . وفي هذا الفصل تقع البلدة ثم ينقص الفصل بعد ميلين كذلك ، فلا يجاوز مائة ياردة . وهنا تنتهي سلسلة الجدارين ، فيصيران جدارا واحداً . ويمتد هذا الجدار إلى ثمانية وعشرين ميلاً ، وينتهي على المرتفعات العالية من الجبل . وكانت قد اشتهرت سلسلة الجدارين عند الفرس باسم « دوبارة » والمكان الذي انتهت إليه هذه السلسلة أقيمت فيه قلعة .

وقد سدت هذه السلسلة جميع الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب سداً محكمًا ، لأنها توغلت إلى داخل البحر ، فسدت طريق الساحل كلية ، ثم امتدت فوق الجبل إلى ثلاثين ميلاً ، فسدت سائر الطرق التي وجدت في منحدرات الجبل سداً تامًا ، وليس لأحد أن يخترق من الشمال إلى الجنوب إلا بطريق واحد وهو الطريق الذي يفتحه البابان في سلسلة الجدار نفسه .

ومن المحقق أن هذا الجدار العظيم وجد قبل الإسلام وسمي المكان في العصر الساساني « دربند » لوجود الجدار به أي باب المملكة المقفل . وقد ذكر الإصطخري ، والمسعودي ، والمقدسي ، وياقوت الحموي ، والقزويني وغيرهم من المؤرخين والجغرافيين العرب هذا المكان

باسم « دربند » قائلين إنه كان يعد أهم مكان في العصر الساساني . لأن المغيرين ما كانوا يستطيعون مهاجمة إيران الشمالية إلا من هذا الطريق ، فكان المكان مفتوحًا للمملكة الإيرانية ، يملكها من يملكه .

ولما فتح العرب هذه الجهات في القرن الأول من الهجرة ، أدركوا أهمية المكان كالساسانيين ، فدعوه « باب الأبواب » عوضًا من « دربند » وسماه البعض « باب الخزر » أو « باب الترك » لأنه كان الطريق لغارات هذه الشعوب . والاسم ترجمة حرفية لاسمه الرومي « كاسبين بورتا » أي باب الخزر » . اهـ .

ويختم أبو الكلام حديثه بقوله :

« لقد كان في عصر غوروش أكبر خطر على آسيا الغربية من جهة قبائل سي تهين ، وكان طريق غاراتهم من مضيق داريال ، ولكن الوضع الجغرافي تغير بعد ألف عام ، فلم يبق خطر من قبل سي تهين ، ولكن حلت محله أخطار أخرى ، كان أكبرها من جهة الإمبراطورية الرومانية الشرقية في بيزنطة التي كانت تنافس الإمبراطورية الفارسية ، وتحاول القضاء عليها . وهي لم تكتف بطرق آسيا الصغرى المطروقة في حروبها ، بل كانت تطرق هذا الطريق كذلك . ثم كانت هناك القبائل التركية في سهول بحيرة يورال وبحر الخزر التي انتشرت جماهيرها في الشمال ، وكانت هي تهاجم الجهات الشمالية من الإمبراطورية الفارسية ، فكان لزاما أن يحصن هذا المكان باهتمام كبير ، وعلى ذلك شيد أنوشروان جدار دربند وسد به هذا الطريق في وجه المهاجمين » . اهـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

أقول :

إنّ هذا التوجّه الذي اتّجه إليه أبو الكلام هو الذي يناسب سبب النزول وهو الذي تقوم به الحجّة ، وهو الذي تتحقّق به المعجزة فيكون ذلك علمًا من أعلام نبوّة رسولنا عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي ينسجم مع الواقع الحالي للمعرفة البشريّة ، كما أنّه ينسجم مع حديث : « ويل للعرب من شرّ قد اقترب » . وينسجم مع حديث : « أخرج بعث النار .... » . ولا يتعارض مع نصّ قرآني إذ يمكن أن تفهم النصوص على ضوئه فقوله

تعالى على لسان ذي القرنين : ﴿ فإذا جاء وعد ربّي جعله دكّاءَ وكان وعد ربّي حقًّا ﴾ [(١)] لا يشترط في فهمه أن يكون الوعد هو يوم القيامة بل هو اليوم الموعود لخرابه ، وقوله تعالى : ﴿ حتّى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ [(٢)] . لا يشترط أن يكون خروجهم بين يدي الساعة منوطًا بوجود السدّ بل المراد خروجهم من مواطنهم غازين هذا العالم ومنه بلاد الشام ، ويحتمل أن يكونوا هم شيوعيّي هذا العالم - إن بقوا - ، ويحتمل أن يكونوا شعوب الاتحاد السوفياتي خاصّة ، ويحتمل أن يكونوا الصينيين خاصّة ، ويحتمل أن يكونوا غيرهم ولا يتحدّدون إلا بظهورهم بين يدي الساعة .

- إنّ تحقيقات العلماء كلّها منصبّة على أنّ يأجوج ومأجوج من ذريّة آدم من ولد يافث ابن نوح ويدخل في ذريّة يافث الروم والترك والجنس الآري والجنس الصيني ، وعلى ذلك فسكّان الهند والصين وشعوب شرقي آسيا وشعوب أوربّا أكثريتهم من ولد يافث بن نوح ، فمن هم الذين يعتبر خروجهم ومجيئهم بكثرتهم الكاثرة إلى بلاد الشام ؟ هم يأجوج ومأجوج الذين يعتبر خروجهم من أشراط الساعة ؟ الاحتمالات متعددة ، والظاهر أنهم يأتون من الشرق .

- لقد غزا في عصرنا الاتحاد السوفياتي أفغانستان وأصبح بينه وبين بلدان الخليج أقلّ من أربعمائة كليو متر وهذا نموذج على ما يمكن أن يفعله شيوعيّو الاتحاد السوفياتي - إن بقوا - في يوم ما تجاه منطقتنا ، والصينيّون يبلغون اليوم ملياراً ، ولا يبعد أن يجتاحوا آسيا في يوم من الأيّام وهذا نموذج على ما يمكن أن يحدث .

وقد وجدت روايات كاذبة حول السدّ ويأجوج ومأجوج ، ووجدت روايات ضعيفة ، فإذا ما وجد تحقيق قويّ يمكن أن تفهم على ضوئه النصوص القرآنيّة والنصوص الحديثيّة الصحيحة والحسنة فإنّه يكون مقدّمًا حتّى يأتي تحقيق آخر أقوى منه .

- ومع ذلك كلّه فالأسلم التسليم والتفويض .

- وقد مرّت معنا بمناسبة الكلام عن عيسى ابن مريم وفي أحاديث الدجّال أحاديث كثيرة لها علاقة بيأجوج ومأجوج ومع ذلك أفردنا لها هذه الفقرة .

---

(١) الكهف : ٩٨ . (٢) الأنبياء : ٩٦ .

نصوص

١٠٨٩ - * روى أحمد عن ابنِ حَرْمَلَةَ وهو خَالدُ بنُ عبدِ اللهِ بن حرملةَ عن خالتِه قال خطبَ رسول الله ﷺ وهو عاصبٌ رأسَهُ من لَدْغَةِ عَقْربٍ فقال : « إنكم تقولون لا عدو وإنكم لن تزالوا تقاتلون حتى يأتيَ يأجوجُ ومأجوجُ عِراضُ الوجوهِ صِغارُ العيونِ صُهْبُ الشِّعاف ومن كل حَدَبٍ ينسلون كأن وجوههم المجانُّ المُطْرَقَةُ » .

١٠٩٠ - * روى البخاري ومسلم عن زينبَ بنت جَحْشٍ رَضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْها فَزِعًا يقول : « لا إله إلا الله ، وَيلٌ لِلْعَرَبِ من شَرٍّ قد اقْتَرَب ، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يَأْجوج ومأْجوجَ مثلُ هذه - وَحلّقَ بأصْبَعِه : الإبهامِ والتي تَليها - » فقالت زينبُ بنتُ جَحْشٍ : فقلتُ : يارسولَ الله أنهلكُ وفينا الصالحون ؟ قال :« نعم ، إذا كَثُرَ الْخَبث » .

هذه رواية البخاري ومسلم .

وفي رواية الترمذي [1] قالت : اسْتَيْقَظَ رسول الله ﷺ مِنَ النَّومِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ ، يقول : « لا إله إلا الله ... » وذكر نحوه . وفيه : وَعَقَدَ عَشْرًا .

قوله : « ويل للعرب » إنما خص الويل بهم ، لأن معظم مفسدتهم راجع إليهم ، وقد وقع بعض ماأخبر به ﷺ حيث قال : « إن يأجوج ومأجوج هم الترك » وقد أهلكوا الخليفة المستعصم ، وجرى ماجرى ببغداد ، قاله الكرماني .

قال النووي : « الخبث » هو بفتح الخاء والباء . وفسره الجمهور : بالفسوق والفجور . وقيل : المراد به : الزنا خاصة . وقيل أولاد الزنا . والظاهر : أنه المعاصي مطلقًا .

١٠٨٩ - أحمد (٥ / ٢٧١) .

مجمع الزوائد (٨ / ٦) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح .

(صُهْبُ الشّعاف) : صهب الشعور ، والصهبة : الشقرة .

١٠٩٠ - البخاري (١٣ / ١٠٦) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٨ - باب يأجوج ومأجوج .

مسلم (٤ / ٢٢٠٨) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١ - باب اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج .

(١) الترمذي (٤ / ٤٨٠) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢٣ - باب ما جاء في خروج يأجوج مأجوج .

« ونهلك » بكسر اللام ، على اللغة الفصيحة المشهورة ، وحكي فتحها ، وهو ضعيف أو فاسد . ومعنى الحديث : أن الخبث إذا كثر ، فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون .

١٠٩١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثْلُ هذه ، وعقد بيده تسعين » .

قال النووي : « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » وعقد سفيان بيده عشرة ، هكذا وقع في رواية سفيان عن الزهري . ووقع بعده في رواية يونس « وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها » .

وفي حديث أبي هريرة بعده « وعقد وهب بيده تسعين » فأما روايتا سفيان ويوسف ، فتفقتان في المعنى ، وأما رواية أبي هريرة فمخالفة لهما ؛ لأن عقد التسعين أضيق من العشرة . قال القاضي : لعل حديث أبي هريرة متقدم ، فزاد قدر الفتح بعد هذا القدر ، قال : أو يكون المراد : التقريب للتمثيل ، لا حقيقة التحديد ، و « يأجوج ومأجوج » غير مهموزين ومهموزان ، قرئ في السبع بالوجهين ، والجمهور بترك الهمزة » .

١٠٩١ ـ البخاري (١٣ / ١٠٦) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٨ ـ باب يأجوج ومأجوج .

مسلم (٤ / ٢٢٠٨) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١ ـ باب اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج .

(رَدْم) : ردمتُ الثّلمة ردمًا: إذا سددتها ، والاسم والمصدر سواء : الردم .

(حلّق وعقَد عشراً) : حلّق : أي جعل أصبعه كالحلقة ، وعقد عشرًا : هي من مُواضعاتِ الحساب ، وهو أن تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط أصبعك الإبهام من باطنها شبه الحلقة ، وعقد التسعين مثلها ، إلا أنها أضيق منها حتى لا يبين في الحلقة إلا خللٌ يسيرٌ .

مسائل وفوائد

(١)

قد مرّ معنا من قبل حديث النواس بن سمعان وفيه :

« فبينما هو كذلك (أي عيسى عليه السلام) إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إنّي قد أخرجت عبادًا لي لا يَدَانِ لأحدٍ بقتالهم فَحَرِّزْ عبادي إلى الطور . ويبعثُ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ وهم من كل حَدَبٍ يَنْسِلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويُحْصَرُ نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله عليهم النَّغَف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة . ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبيُّ الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناقِ البُخْتِ فتَحْمِلُهم فتطرَحُهم حيث شاء الله . ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مَدَر ولا وَبَر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ... » [١] .

(لايَدَان) : أي لا قدرة ولا طاقة لأحد بقاتلتهم .

(فحَرِّزْ عبادي إلى الطور) : أي ضُمّهم إلى الطور واجعله لهم حرزًا . والطور هو الجبل الذي ناجى عليه سيدنا موسى عليه السلام ربه ، وهو بالقرب من مصر عند موضع يسمّى مدين كما قاله ياقوت في معجم البلدان .

(الحَدَب) : المرتفع من الأرض .

(ينسلون) : يسرعون .

(يُحْصَرُ نبي الله عيسى وأصحابه) : أي يُحاصَرون ويُحْبَسون في جبل الطور .

(فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلىالله) : أي يدعون الله ويرغبون إليه في إهلاكهم .

(النغف) : دود يكون في أنوف الإبل والغنم .

(فرسى) : أي موتى .

(يهبط نبي الله عيسى وأصحابه) : أي ينزلون من جبل الطور .

(نتنهم) : رائحتهم الكريهة .

(البخت) : الإبل ذات الأعناق الطويلة القوية .

(لايَكُنُّ) : أي لا يحفظ منه بيت تراب أو حجر أو صوف أو شعر .

(كالزلفة) : أي كالمرآة في صفائها ونظافتها .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٠) ٥٢ _ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٠ _ باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

(٢)

قال ابن كثير في النهاية :

« يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك من ذرية آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيح ، يقول الله تعالى يوم القيامة :

« يَاآدمُ فيقولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادِي بصوت : ابْعَثْ بَعثَ النارِ فيقول كم ؟ فيقول من كُلِّ أَلفٍ تِسْعُمائةٍ وتِسْعٌ وتِسعُون إلى النار وواحدٌ إلى الجنةِ ، فيومئذ يشيب الصغير وتَضَعُ كُل ذَاتِ حَمْل حَمْلَهَا ؛ فَيقالُ : أَبْشِروا ؛ فإن في يأجوجَ ومأجُوجَ لكم فداء ؛ وفي رواية فيقال : إن فيكمْ أُمَّتَيْن مَاكَانتا في شيءٍ إلا كَثَّرتَاهُ ، يأجوجَ ومأجوجَ » .

« وهم يشبهون الناس كأبناء جنسهم من الأتراك المخرومة عيونهم الزلف أنوفهم الصهب شعورهم على أشكالهم وألونهم ، ومن زعم أن منهم الطويل الذي كالنخلة السحوق أو أطول ، ومنهم القصير الذي هو كالشيء الحقير ، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطى بالأخرى ، فقد تكلف ما لا علم له به ، وقال مالا دليل عليه » . اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

أقول : تطلق كلمة الأتراك على الأقوام القاطنة وراء جبال تركستان ، فلا ينبغي أن ترتبط كلمة الترك بما هو مشهور ومعروف الآن : أن الأتراك هم سكان آسيا الصغرى في شمال بلاد الشام ، فهناك أتراك مسلمون كانت لهم أدوار كبيرة في خدمة الإسلام والمسلمين، فهؤلاء من الأمة الإسلامية ولا يدخلون فيما ورد من كلام للعلماء في كفار الترك .

(٣)

قال الشيخ عبد الفتاح :

« ويأجوجَ ومأجوجَ كلٌ واحدٍ من هذين اللفظين : اسمٌ لقَبيلٍ وأُمَّةٍ من الناس ، مَسكنُهم في أقصى الشرق ، ومايُقالُ في خلْقَتِهم وصِفاتِهم مما يُخَيِّلُ إلى سامعه أنهم ليسوا من طبيعة البَشَر ولا على خِلقةِ الناس فكذبٌ لا أصل له . قال الحافظُ ابنُ كثير في « تفسيره » في تفسير سورة الكهف ٢ : ١٠٣ ـ ١٠٤ : « هُمْ من سُلالة آدم عليه السلام ، كما ثبت في « الصحيحين » : أنّ الله تعالى يقول ـ أي يوم القيامة ـ ياآدمُ فيقول : لبّيْك وسَعْدَيْك ،

فيقول : ابْعَثْ بَعْثَ النـار ـ أي مَيِّزْ أهلَ النـارِ مِن غيرِهم ـ فيقولُ : ومـابَعْثُ النـار ؟ ـ أي ومامِقدارُهم ؟ ـ فيقول : مِن كل ألفٍ تسعُمائةٍ وتسعةٌ وتسعون إلى النار ، وواحدٌ إلى الجنّـة ، فحينئـذٍ يَشيبُ الصغير ! وتَضَع كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها ! فقـال ـ أي رسولُ الله ﷺ ـ : إنَّ فيكم أُمّتَيْنِ ماكانتا في شيءٍ إلا كثَّرتاه : يأجوج ومأجوج » . انتهى .

قـال العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعـالى في تفسيره « محـاسن التـأويل » عنـد ذكرهم في سورة الكهف ١١ : ٤١١٦ : « قـال بعض المحققين : كان يوجـد من وراء جبل من جبال القوقاز المعروف عند العرب بجبل قاف في إقليم داغستان : قبيلتان ، تسمى إحداهمـا : (آقوق) ، والثـانيـة : (مـاقوق) ، فعربها العرب بـاسم (يـأجوج) و (مـأجوج) ، وهمـا معروفان عنـد كثير من الأمم ، وورد ذكرهمـا في كتب أهل الكتـاب ، ومنهما تنـاسل كثير من أمم الشمال والشرق في روسيا وآسيا » .

ثم قال الحـافظُ ابنُ كثير : « ومايُذكَر في الأثرِ عن وَهْب بـن مُنَبِّه في أشكالِهم وصفاتِهم وآذانِهم وطُـولِهم وقِصَرِ بعضِهم ففيـه غرابةٌ ونكارة . ورَوَى ابن أبي حـاتم عن أبيـه في ذلـك أحاديثَ غريبةً لا تَصِحُّ أسانيدُها » . انتهى . وقال الشيخ أبو حيّـان الأنـدلسيُّ في تفسيره : « البحر » ٦ : ١٦٣ « وقـد اختُلِفَ في عَـددِهم وصِفـاتِهم ، ولم يصحَّ في ذلـك شيء » . ونقلَـهُ عنه العلاّمة الألوسيُّ في تفسيره « رُوح المَعَاني » ٥ : ١٤٢ مُرتضيًـا لـه . ويعني أبو حيـان أنَّ الأخبار التي تُروَى في ذلك ضعيفةٌ لا تَثْبُتُ على مِحَكِّ النَّقْد .

وقد اتفقتْ كلمةُ القُرآنِ الكريم والحديث الشريف على كثرةِ يـأجوجَ ومـأجوج ، وشِـدَّةِ إفسـادهم كما هو صريحٌ في ... [حـديث النـواس بن سمعـان] ، وكما هـو صريـحٌ في حـديث « الصحيحين » الذي نقلنـاه عن الحـافـظ ابن كثير ... ، وكما جـاء ذلـك في أحـاديث كثيرةٍ لا تُحصى .

وقـد أفصـح القرآن الكريم عن هـذا أيضًـا فقـال تعـالى في سـورة الكهف مُخبرًا عن ذي القَرْنَيْنِ وعنهم : ﴿ حتى إذا بَلَـغ بَيْنَ السَّدَّينِ وجَـدَ من دُونِها قـومًـا لا يكادون يَفقهـون قولاً * قالوا ياذا القَرْنَينِ إنَّ يأجوجَ ومـأجوجَ مُفسِـدُون في الأرض فهل نَجْعلُ لـك خَرْجًـا

على أن تَجعلَ بيننا وبينهم سَدا ﴾ [١] ؟ ثم قال سبحانه : ﴿ وتركْنَا بعضَهم يومئذٍ يَموجُ في بعض ﴾ [٢] .

وقال الحافظ ابنُ كثير في « تفسيره » ٣ : ١٠٥ « وقال السُّدّيُّ في قوله تعالى : ﴿ وتَرَكْنَا بعضهم يومئذٍ يموجُ في بعض ﴾ [٣] قال : ذاك حين يَخرجون على الناس . وهذا كلُّه قَبْلَ يوم القيامة وبَعْدَ الدجّال ، كما سيأتي بيانُه عند قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ حتى إذا فُتِحت يأجوجُ ومأجوجُ وهُمْ مِن كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون * واقتربَ الوَعْدُ الحقُّ ﴾ [٤] . وقال عند هذه الآية في سورة الأنبياء ٣ : ١٩٥ : « وهذه صِفَتُهم في حال خروجهم » . اهـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

* * *

---

(١) الكهف : ٩٣ ـ ٩٤ .

(٢) الكهف : ٩٩ .

(٣) الكهف : ٩٩ .

(٤) الأنبياء ٩٦ ـ ٩٧ .

الفقرة الثانية والعشرون

في :

لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق

مقدمة

بعد وفاة المسيح عليه السلام بفترة مايرسل الله ريحًا تقبض روح كل مؤمن كما مرّ معنا من قبل ، وأصل هذا الموضوع وهو أن ريحًا تكون بعد المسيح عليه السلام بزمن ما تقبض روح كل مؤمن فلا يبقى إلا شرار الخلق عليهم تقوم الساعة ، هذا القدر فيه نصوص كثيرة منها حديث عبد الله بن عمرو الذي ذكرناه من قبل وناقشنا بعض أجزائه ، والذي فيه[1] :

« ... ثم يرسل الله ريحًا فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان » .

وفي رواية لأحمد ومسلم وغيرهما [2] « ... فبينما هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً . فتأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ . فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ » .

(يتهارجون تهارج الحمر) : قال الشيخ عبد الفتاح :

« أي يتسافدون في الأرض تسافُدَ الحمير ، أي يجامع الرجالُ علانيةً النساءَ بحضرة الناس كما يفعل الحمير ، ولا يكترثون لذلك . والهَرْج : الجماع . وهذا نموذجٌ لشيوع الفساد والفواحش حينذاك » اهـ (التصريح) .

---

(١) انظر الحديث وتخريجه ص ١٠٩٨ .

(٢) انظر الحديث وتخريجه ص ١٠٢٨ ، ١٠٣١ .

وهذه نصوص أخرى تؤكد هذا الشأن :

١٠٩٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « إن اللهَ يَبعثُ ريحًا من اليمن ، أَلْيَنَ من الحرير ، فلا تَدَعُ أحداً في قلبه مِثقالُ حَبَّةٍ من إيمان إلا قَبَضَتْهُ » .

وفي رواية [١] : « مِثقالُ ذَرَّةٍ » .

١٠٩٣ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ إلا على شِرارِ الناسِ » .

١٠٩٤ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ على أحدٍ يقول : الله الله » .

وفي رواية [٢] « حتى لا يُقال في الأرض : الله الله » .

١٠٩٥ - * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بن عمرو قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى يأخُذَ الله شَريطَتَه من أهل الأرض فيبقى فيها عَجاج لا يعرفون معروفًا ولا ينكِرون مُنْكرًا » .

١٠٩٢ - مسلم (١ / ١٠٩) ١ - كتاب الإيمان ، ٥٠ - باب في الريح التي تكون قرب القيامة تقبض من في قلبه شيء من الإيمان .

(١) مسلم : الموضع نفسه .

١٠٩٣ - مسلم (٤ / ٢٢٦٨) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٧ - باب قرب الساعة .

١٠٩٤ - مسلم (١ / ١٣٠) ١ - كتاب الإيمان ، ٦٦ - باب ذهاب الإيمان آخر الزمان .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

والترمذي (٤ / ٤٩٢) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٥ - باب حدثنا محمد بن بشار .

وقال الترمذي : وروي عنه غير مرفوع ، وهو أصح .

١٠٩٥ - أحمد (٢ / ٢١٠) .

مجمع الزوائد (٨ / ١٣) ، وقال الهيثمي : رواه أحمد مرفوعًا وموقوفًا ، ورجالهما رجال الصحيح .

(العَجاج) : الغوغاء والأراذل ومن لا خير فيه .

١٠٩٦ ـ * روى أحمد عن أنسٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى لا يُقال في الأرض لا إله إلا الله » .

١٠٩٧ ـ * روى أحمد عن عِلْباءِ السُّلَمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تقوم الساعة إلا على حُثَالةٍ من الناس » .

١٠٩٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعةُ حتى تضطربَ أَلَيَاتُ نساءِ دَوْسٍ على ذي الخَلَصَةِ » وذو الخَلَصة : طاغيةُ دَوسٍ التي كانوا يَعْبُدون في الجاهلية .

وفي رواية : [1] وذو الخلصة : صنم كان يعبده دَوْس في الجاهلية بتَبَالَةَ .

١٠٩٩ ـ * روى مسلم عن عائشةَ رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا يَذْهَبُ الليلُ والنهار ، حتى تُعْبَدَ اللاَّتُ والعُزَّى » قلت : يارسولَ الله ، إن كنتُ لأظُنُّ حينَ أنزل الله تعالى : ﴿ هو الذي أَرْسَلَ رَسُولَه بالْهُدَى ودِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كلِّه وَلَوْ كَرِهَ المشركون ﴾ الصف : ٩ . أن ذلك تام ، قال : « إنهُ سَيَكونُ من ذلك ما شاء الله ، ثم يَبْعَثُ الله ريحًا طَيِّبَة ، فَتَتَوفَّى كُلَّ من كان في قلبه مِثْقالُ

١٠٩٦ ـ أحمد (٣ / ١٠٧) .

مجمع الزوائد (٨ / ١٢) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٠٩٧ ـ أحمد (٣ / ٤٩٩) .

والمعجم الكبير (١٨ / ٨٤) .

مجمع الزوائد (٨ / ١٣) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ؛ ورجاله ثقات .

١٠٩٨ ـ البخاري (١٣ / ٧٦) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٣ ـ باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان .

مسلم (٤ / ٢٢٣٠) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ١٧ ـ لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(أليات نساء دوس على ذي الخلصة) : ذو الخلصة : بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبَجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب ، وقيل : هو صنم ، وكان عمرو بن لحيّ نَصبَه بأسفل مكة ، حين نصب الأصنام في مواضع شتى ، فكانوا يُلبسونه القلائد ، ويعلّقون عليه بَيض النعام ، ويذبحون عنده ، فكان معناهم في تسميتهم بذلك : أن عِبَادَتهُ خَلَصة ، وقيل : هو الكعبة اليمانية ، والمعنى : أنهم يرتدون ويرجعون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان ، فترمل نساء دوس طائفاتٍ حوله فترتَجُّ أردافهنَّ .

١٠٩٩ ـ مسلم (٤ / ٢٢٣٠) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٧ ـ باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة .

حَبَّةٍ من خَرْدلٍ من إيمان ، فيبقى من لا خيرَ فيه ، فَيَرْجِعونَ إلى دينِ آبائهم » .

١١٠٠ - * روى مسلم عن عبد الرحمن بن شِمَاسَة رحمه الله ، قال : كنتُ عندَ مَسْلَمةَ ابنِ مُخَلَّد وعنده عبدُ اللهِ بنُ عمرو بنِ العاص ، فقال عبدُ الله ، لا تقومُ الساعةُ إلا على شِرارِ الخلق ، هم شرٌّ من أهل الجاهلية ، لا يَدْعُون الله بشيءٍ إلا ردَّه عليهم ، فبينما هم على ذلك أَقْبَلَ عُقْبَةُ بن عامر ، فقال لهُ مَسْلَمَةُ : ياعُقبةُ ، اسمع مايقولُ عبدُ الله ، فقال عقبةُ : هو أعلم ، وأما أنا ، فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تَزالُ عِصابةٌ من أُمتي يقاتلون على أمر الله ، قاهرين لعدوِّهم ، لا يضُرُّهم مَنْ خالَفَهم حتى تأتِيَهم الساعةُ وهم على ذَلك » ، قال عبدُ الله : أجل ، « ثم يَبْعثُ الله رِيحًا كريحِ المِسكِ ، مَسُّها مَسُّ الحريرِ ، فلا تترُكُ نَفْسًا في قلبهِ مِثقالُ حَبَّةٍ من إيمانٍ إلا قَبَضَتْهُ ، ثم يبقى شرارُ الناسِ ، عليهم تقومُ الساعةُ » .

* * *

١١٠٠ - مسلم (٣ / ١٥٢٤) ٣٣ - كتاب الإمارة ، ٥٣ - باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ... إلخ .

الفقرة الثالثة والعشرون

في :

نار عدن

مقدمة

إن آخر الآيات التي تكون بين يدي الساعة هي خروج نار من قعر عدن تسوق النـاس إلى أرض المحشر ، وقد حاول بعض العلماء أن يحمل الأحـاديث الواردة في ذلـك على مـاظهر في أرض العرب من بترول استُعمل في السيارات وغيرهـا بحيث يستطيع الإنسـان أن يسـافر من اليمن إلى الشام على راحته فيطفئ محرك السيارة حيث شاء ويمشي حيث شاء وذلك فهم خاطئ للنصوص ، فالنار الواردة في النصوص حادثة خارقة تكون بين يـدي السـاعـة تحشر النـاس بشكل خـارق حتى تلحقهم إلى الشـام مركـز الحشر ثم تقـوم السـاعـة على النـاس ، ولا تقوم الساعة إلا على كافر كما رأينا في الفقرة السابقة .

وهذه بعض النصوص الواردة في هذا الشأن وقد مر معنا بعضها من قبل :

النصوص

١١٠١ - * روى مسلم عن حُذَيْفَةَ بنِ أَسيدٍ الغفاريّ رفعه : « إنها لن تقومَ الساعةُ حتى تروا قبلَها عشرَ آياتٍ ، فذكر الدخانَ والدجالَ والدابةَ ، وطلوع الشمس مِن مغربها ، ونزولَ عيسى ويأجوجَ ومأجوجَ ، وثلاثةَ خسوف ، خَسْفٌ بالمشرق وخسف بالمغَرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نارٌ تَطْرُدُ الناسَ إلى محشرهم » .

وفي رواية (١) : « وريحٌ تُلقي الناسَ في البحر » .

وفي أخرى (٢) : « ونار تخرج من قعر عدن تسوقُ الناسَ فتبيتُ معهم حيث باتوا ، وتقيلُ معهم حيث قالوا » .

١١٠٢ - * روى الطبراني عن عبدِ الله بنِ عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « تُبْعَثُ نارٌ على أهل المشرقِ فتحشُرُهم إلى المغربِ تَبيتُ معهم حيثُ باتوا وتَقِيلُ معهم حيث قَالوا يكونُ لها ماسَقَطَ منهم وتَخلَّفَ وتَسوقُهم سَوْقَ الجملِ الكَسير» .

١١٠٣ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عُمَر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ستخرجُ نارٌ من حَضْرموت - أو من بحر حضرموت - قبلَ القيامةِ تَحشُرُ الناسَ » قالوا : يارسولَ الله ، فما تأمُرُنا ؟ قال : « عليكم بالشام » .

١١٠١ - مسلم (٤ / ٢٢٢٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٣ - باب في الآيات التي تكون قبل الساعة .

وأبو داود (٤ / ١١٤) كتاب الملاحم ، باب أمارات الساعة .

والترمذي (٤ /٤٧٧) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢١ - باب ما جاء في الخسف . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٢٦) : الموضع السابق .

(٢) الترمذي : الموضع السابق .

١١٠٢ - مجمع الزوائد (٨ / ١٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات .

١١٠٣ - الترمذي (٤ / ٤٩٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٤٢ - باب ماجاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قِبَلِ الحجاز .

وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح .

١١٠٤ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن عبد الله بنِ سلامٍ عن النبي ﷺ أنهُ سئلَ عن أول أشراطِ الساعةِ فقال النبي ﷺ : « إن أولَ أشراطِ الساعةِ نارٌ تَخْرُجُ من المشرق وتحشُرهم إلى المغرب » .

١١٠٥ ـ * روى البخاري عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أولُ أشراط الساعة : نار تحشُرُ الناس من المشرق إلى المغرب » .

(قال الحافظ في « الفتح » : وصله المصنف في باب الهجرة في قصة إسلام عبد الله بن سلام موصولاً من طريق حميد عن أنس بلفظ : « وأما أول أشراط الساعة ، فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب » ووصله أيضًا في الأنبياء من وجه آخر عن حميد بلفظ : « نار تحشر الناس ... ») .

أقول : الأولية هنا نسبية فهي آخر الأشراط من ناحية وهي الأولى بالنسبة لما بعدها من ناحية أخرى .

١١٠٦ ـ * روى أحمد عن رافعِ بنِ بشيرٍ السُّلَمي عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « يُوشِكُ أنْ تَخْرُجَ نارٌ مِن حبسِ سيلٍ تسير بسيرِ بطيئةِ الإبلِ تسيرُ النهارَ وتقيمُ الليل تغدو وتروحُ يُقالُ : غدتِ النار أيها الناسُ فاغدوا ، قالت النارُ أيها الناسُ قيلوا ، راحتِ النار أيها الناس روحوا ، من أدركتْه أكَلَتْه » .

١١٠٤ ـ مجمع الزوائد (٨ / ١٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٠٥ ـ البخاري (١٣ / ٧٨) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٤ ـ باب خروج النار . وقد رواه تعليقًا .

١١٠٦ ـ أحمد (٣ / ٤٤٣) .

والمعجم الكبير (٢ / ٤٢) .

مجمع الزوائد (٨ / ١٢) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة .

مسائل وفوائد

(١)

قال ابن كثير بمناسبة الكلام عن نار عدن :

« فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا ، من أقطار [إلى] محلة الحشر ، وهي أرض الشام ، ... ، وهي [أي : هذه النار] التي تخرج من قعر عدن ، فتحيط بالناس ، من ورائهم ، تسوقهم من كل جانب ، إلى أرض المحشر ، ومن تخلف منهم أكلته النار ، وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الدنيا ، ... ، وحيث يهلك المتخلفون منهم بالنار ، ولو كان هذا بعد نفخة البعث ، لم يبق موت ... ولا أكل ولا شرب ، ولا لبس في العرصات » . اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

(٢)

علق الشيخ عبد الفتاح حفظه الله على الأحاديث التي تذكر أن النار تخرج من عدن أو من المشرق بما يلي :

(قال الحافظ ابن حجر : ووجهُ الجمع بين هذه الأخبار أنَّ كون النار تَخرجُ مِن قَعْر عَدَن لا ينافي حَشْرَها من المشرق إلى المغرب ، وذلك أن ابتداء خروجها من قَعْر عَدَن ، فإذا خرجت انتشرَتْ في الأرض كلها . والمقصودُ بقوله ﷺ : « تحشُرُ النـاسَ من المشرق إلى المغرب » : إرادَةُ تعميم الحشر ، لا خُصوصُ المشرق والمغرب، وأما جعلُ الغاية إلى المغرب فلأنَّ الشام بالنسبة إلى المشرق : مغرب » . انتهى بزيادة وتصرف .

وقد تضمَّنَتْ هذه الأحاديثُ بيانَ مكانِ خروج النار ، وبيانَ وَقْتِ خروجها ، وكيفية سوقها للناس ، ومنتهاها بهم . وجاء في حديثٍ آخر بيانُ حال الناس حين يُساقُون إلى المحشر في الشام :

روى البخاري في « صحيحه » ١١ : ٣٢٦ ومسلم في « صحيحه » أيضًا ١٧ : ١٩٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يُحشَرُ الناسُ ـ أي إلى الشام قبل قيام الساعة

وهم أحياء ـ على ثلاثِ طرائق ـ أي على ثلاثِ أحوال ـ راغبين وراهبين ، واثنانِ على بعير ـ هذا معطوف على محذوف تقـديره : واحـد على بعير ، واثنـان على بعير ـ وثلاثـةٌ على بعير ، وأربعـةٌ على بعير ، وعشَرةٌ على بعير ـ أي أنهم يَتعـاقبون على ركوب البعير الواحـد ، فيركَب بعضُهم ويمشي بعضُهم ـ ، وتَحشُرُ بقيَّتَهم النـارُ ، تقِيـلُ معهم حيث قـالـوا ، وتَبيتُ معهم حيث بـاتـوا ، وتُصبـحُ معهم حيث أصبحـوا ، وتُمسي معهم حيثُ أمْسَـوْا » أي تُـلازمُهم كلَّ الملازمة إلى أن يصلُوا إلى مكان الحشر ، نسألُ الله السلامة والعون) . اهـ (التصريح) .

* * *



الوصل الثاني

في :

الموت والحياة البرزخية

وفيه :

مقدمة ونصوص ومسائل وفوائد



المقدمة

في الموت جانب محسوس وهو محل الرؤية والتعليل الطبي ، وفي الموت جانب غيبي ، فقد أخبرنا الكتاب والسنة عن مفارقة الروح للجسد ، وعن قبض الروح بواسطة ملك الموت وأعوانه فهذا القدر داخل في الاعتقاد :

﴿ الله يتوفّى الأنفس حين موتها ﴾ (١) .

﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكّل بكم ﴾ (٢) .

﴿ حتى إذا جاء أحدَكم الموتُ توفته رسلنا وهم لا يفرّطون ﴾ (٣) .

وتحدث عند الموت معانٍ كانكشاف شيء غيبي للإنسان ، ويرافق الموت معانٍ ، ويحدث للروح بعد الموت معانٍ ، وهناك نوع تعلق للروح في جسدها بعد الوفاة ، ومن ههنا يأتي نعيم القبر وعذابه وهي قضايا غيبية ، ثم إن لروح المؤمن والشهيد أوضاعًا خاصة في عالم البرزخ ولروح الكافر أوضاع أخرى ، فهناك حياة برزخية فيا بعد وفاة الإنسان حتى النفخة الأولى إذ تقوم القيامة الكبرى فعندئذ تبدأ مرحلة جديدة في رحلة الإنسان ، وكل هذه قضايا غيبية يجب الإيمان بها وهي مرتبطة بالإيمان باليوم الآخر فالموت هو القيامة الصغرى وبالنفخة الأولى تقوم القيامة الكبرى .

* * *

ويتوضع حول الموت أكثر من موضوع فهناك أدب التعامل مع الموت وهناك الصلاة على الميت وهناك الجانب الغيبي في الموت ، فأما أدب التعامل مع الموت فسنذكره في القسم الرابع في (الأخلاقيات وأحكام الحياتيات والعاديات) ، والجانب الغيبي محله هنا في قسم (العقائد) وهو محل بحثنا هنا ، والقرآن فيه تفصيل كل شيء ومن جملة ذلك الجانب الغيبي في أمر الحياة والموت :

﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا ﴾ (٤) .

---

(١) الزمر : ٤٢ .
(٢) السجدة : ١١ .
(٣) الأنعام : ٦١ .
(٤) تبارك : ٢ .

﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ [١] .

﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [٢] .

﴿ النار يعُرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أُدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ﴾ [٣] .

﴿ ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [٤] .

﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّحُ لهم أبوابُ السماء ولا يدخلون الجنة حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياط ﴾ [٥] .

﴿ ياأيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ [٦] .

ونصوص السنة توضح وتبين وتزيد التفصيل تفصيلًا .

* * *

والملحدون والماديون وبعض أهل الفلسفة ينكرون الروح وذلك كفر ، كيف والروح تعبر عن نفسها بحركة الجنين بعد أن يمر عليه أربعة أشهر ونيف وتدل على ذاتها بالنوم وبالتنويم المغناطيسي وتعبر عن نفسها وتطلعاتها الأصيلة أو الملابسة بأنواع التطلعات .

وبعض الماديين ينكرون ماورد في بعض النصوص من ذكر أن عذاب القبر يحس به ماسوى الإنس والجن مع أن ذلك مشاهد عند بعض الحيوان فكثيرًا ماتصغي الخيل إذا مرت بالقبور ، ثم إنه من الثابت أن أذن الإنسان إنما تسمع الأصوات التي تكون ذبذباتها ضمن حد معين بينما المخلوقات الأخرى لها عتبات أخرى ، وإنما نذكر هذا من باب التقريب ، وإلا فحيث ثبت النص فواجبنا التسليم :

---

(١) الأنعام : ٦١ .
(٢) إبراهيم : ٢٧ .
(٣) غافر : ٤٦ .
(٤) آل عمران . ١٦٩ .
(٥) الأعراف : ٤٠ .
(٦) الفجر : ٢٧ ـ ٣٠ .

﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [١] .

* * *

لقد أعطانا الله صورة مصغرة عن الموت بالنوم ولذلك ورد في حديث صحيح : « النوم أخو الموت » وفي الآية ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ [٢] . وكما أن النائم يفرح ويتألم ويتلذذ ويتعذب ولا يحس بما يحدث له من يراقبه فكذلك شأن الميت مع الفارق بين الحالين .

وهاك عرضًا إجماليا لموضوع الموت والحياة البرزخية :

ـ الأمم لها آجال والحيوانات لها آجال وأفراد الإنس والجن لهم آجال فلا يموت أحد حتى يستوفي أجله الذي قدره الله له ، قال تعالى :

﴿ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [٣] .

﴿ ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ [٤] .

﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ [٥] .

﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ [٦] .

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ [٧] .

﴿ ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها ﴾ [٨] .

﴿ ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون ﴾ [٩] .

---

(١) الكهف : ٢٩ .
(٢) الزمر : ٤٢ .
(٣) الأعراف : ٣٤ .
(٤) الأنعام : ٣٨ .
(٥) آل عمران : ١٥٤ .
(٦) الزمر : ٣٠ .
(٧) آل عمران : ١٨٥ .
(٨) المنافقون : ١١ .
(٩) آل عمران : ١٥٨ .

﴿ كل من عليها فانٍ * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [١] .

ـ وإذا كان الموت قادمًا بالنسبة للإنسان فعليه أن يستعد له ، قال تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ [٢] .

﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [٣] .

ـ وإنما يتم الموت بقبض روح الإنسان من قِبل الملك الموكل بذلك وأعوانه ﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرّطون ﴾ [٤] .

والملائكة تبشر أهل الاستقامة عند قبض أرواحهم وتبكّت الكافرين :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون ﴾ [٥] .

﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ [٦] .

ـ وعند الموت وبعده تنكشف للإنسان الكثير من الغيوب فيستبشر المؤمن ويتحسر الكافر ويتمنى الرجوع ويندم ولات حين مندم :

﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد ﴾ [٧] .

﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ [٨] .

---

(١) الرحمن : ٢٦ ـ ٢٧ .
(٢) الحشر : ١٨ .
(٣) البقرة : ١٩٧ .
(٤) الأنعام : ٦١ .
(٥) فصلت : ٣٠ ـ ٣١ .
(٦) الأنعام : ٩٣ .
(٧) ق : ١٩ .
(٨) المؤمنون : ٩٩ ـ ١٠٠ .

ـ ومن قوله تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ [1] سُمي العالم الـذي ينتقل إليه الإنسان بعالم البرزخ فالبرزخ هو الواقع بين الشيئين فالبرزخ هو العالم الذي ينتقل إليـه الإنسان بعد الموت ويبقى فيه إلى يوم البعث فجميع الأموات يصيرون إلى عالم البرزخ قبروا أو لم يقبروا .

ـ فإذا قبضت روح الإنسان ذهب بها إلى السماء فـإن كان صـاحبهـا مؤمنًـا دخلت السماء لتلقى ربها راضية مرضية على الوجه الذي يشاؤه ربنا ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ [2] ثم ترجع إلى الأرض ليكون لها نوع لقاء بجسمهـا سواء كان مقبوراً أو مـذرورًا فتكون ضمـة قبر وسؤال ونعيم برزخي وإن كان صاحبها كافرًا أو منـافقًـا لا تفتح لهـا أبواب السماء وترد نوع رد إلى جسمها لتسأل وتعذب :

﴿ إن الـذين كـذبوا بـآيـاتنـا واستكبروا عنهـا لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يـدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ﴾ [3] .

ـ وأرواح الأنبياء والشهداء وبعض المؤمنين لها نفحاتها الخاصة في الجنة :

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [4] .

ـ ولعـالم الروح في البرزخ أحـوال على حسب وضـع صـاحبهـا ، ولـلأرواح لقـاءات وزيارات وصلات فعالم البرزخ أوسع بما لا يقاس من عالم الدنيا بل هو بالنسبة لعالم الـدنيـا كعالم الدنيا بالنسبة لعالم البطن .

ومن المتفق عليه بين أهل السنة والجماعـة : أن الميت منعَّم أو معـذَّب على حسب وضعـه وحاله ، ولكن هل هذا النعيم أو العذاب للروح فقط أو للجسد صلة بشكل مـا مع الروح في النعيم والعذاب ؟ الذي عليه جماهير أهل السنة والجمـاعـة : أن هـذا النعيم أو العـذاب للروح وللجسد بكيفية علمها عند الله ؛ قال تعالى :

﴿ فـأمـا إن كان من المقربين * فروح وريحـان وجنـة نعيم * وأمـا إن كان من أصحـاب

(١) المؤمنون : ١٠٠ .
(٢) الأحزاب : ٤٤ .
(٣) الأعراف : ٤٠ .
(٤) آل عمران : ١٦٩ .

اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم ﴾ [١] .

﴿ ياأيتها النفس المطمئنة * أرجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ [٢] .

﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوا وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [٣] .

ـ والأموات ينتفعون بدعاء الأحياء لهم وبما يعتبر استمرارًا لخير قدموه قال تعالى :

﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾ [٤] .

﴿ ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ [٥] .

ـ وقد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة حول الموت والحياة البرزخية وألفت في ذلك الكتب الكثيرة ، ولو أردنا أن نتعرض لكل ماورد لطال بنا المقام ولذلك فإننا سنقتصر على ذكر بعض نصوص السنة النبوية هنا ، وهناك نصوص تأتي في سياقات أخرى كالكلام عن الشهداء وكالكلام عن أدب التعامل مع الموت وكالكلام عن صلاة الجنازة .

ـ ومن العناوين التي ذكرها الشيخ عبد الله سراج الدين في كتابه (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها) نعرف سعة هذا الموضوع فقد ذكر العناوين الآتية :

الموت وحقيقته ـ كلمات حول الروح الإنساني ـ بشارة الملائكة عليهم السلام عند الموت ـ إنذار الملائكة عليهم السلام للكافر عند موته بالعذاب ـ حسرات الكافرين والعصاة حين ينزل بهم الموت وتمنيهم العودة إلى الدنيا ـ عالم البرزخ ـ الناس على مراتب في لقاء

---

(١) الواقعة : ٨٨ ـ ٩٤ .
(٢) الفجر : ٢٧ ـ ٣٠ .
(٣) غافر : ٤٥ ـ ٤٦ .
(٤) الحشر : ١٠ .
(٥) يس : ١٢ .

ربهم ـ السؤال في البرزخ ـ نعيم القبر وعذابه ـ تعوذه ﷺ من عذاب القبر وأمره بذلك ـ أسباب عذاب القبر ـ نعيم القبر على مراتب متعددة ـ تكليم الله سبحانه وتعالى أولياءه ونظرهم إليه سبحانه في عالم البرزخ ـ اطلاع أهل البزرخ وسماعهم ـ انتفاع الأموات بالأعمال الصالحة والأقوال الطيبة التي يهديها إليهم الاحياء ـ عرض الأعمال على سيدنا محمد ﷺ ـ عرض الأعمال على الأقارب والعشيرة في البرزخ ـ حال أهل البرزخ من حيث الأعمال التعبدية ـ تلاقي الأموات في عالم البرزخ وتساؤلهم وتزاورهم ـ التقاء أهل الدنيا بأهل البرزخ واتصالهم بهم .

فالموضوع واسع ومالايدرك كله لا يترك جله . وسنذكر هنا من النصوص ماهو الألصق بموضوعنا :

بعض النصوص القرآنية
التي تتحدث عن الموت والحياة البرزخية

﴿ كلا إذَا بلغَتِ التَّرَاقيَ * وقيلَ مَنْ راقٍ * وظَنَّ أنَّه الفراقُ * والتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاق * إلى ربِّكَ يومئـذٍ المَسـاقُ * فلا صـدَّق ولا صلَّى * ولكنْ كَذَّب وَتولَّى * ثم ذهب إلى أهلـه يَتَمطَّى ﴾ [1] .

قولـه تعـالى : ﴿ كلا إذا بلغت التراقي ﴾ : أي إذا بلغت الروح أعـالي الصـدر ، فـالتراقي جمع ترقوة ، وللإنسـان ترقوتـان ، وهمـا أعلى عظمين في الصـدر يكتنفـان العنـق من جهـة الأمام .

وقوله تعالى : ﴿ من راق ﴾ من الرقية ، أي من يرقيه ليشفيه ، والرقيـة : تكون بتلاوة قرآن أو دعـاء . وفسرهـا بعضهم بـأن المراد بـذلـك : من يرقى بروحـه : ملائكـة الرحمـة أو ملائكة العذاب .

وقوله تعالى : ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ : قد يراد بها التصـاق السـاقين وقـد يراد بهـا اجتماع الشدة بالشدة ، فقد اجتمعت عليه شدة النزع في الدنيا وشـدة مـاسيلقى بعـد الموت . وقال السدي : المراد بذلك : لف الساقين بالكفن .

وقوله تعالى : ﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾ : أي المرجع والمآب ، وذلـك أن الروح بعـد الموت يصعد بهـا إلى السماء ، فـإن كانت مؤمنـة فتحت لهـا أبواب السماء ثم ردت إلى الأرض مكرمـة ، وإن كانت غير مؤمنـة لا تفتـح لهـا أبـواب السماء ، وردت إلى الأرض مسخـوطـاً عليها .

﴿ كلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الموتِ وإنما تُوَفَّوْنَ أجورَكم يوم القيامة فمن زُحْزِحَ عن النارِ وأُدخِلَ الجنَّةَ فقد فازَ ﴾ [2] .

﴿ إن الذين قالوا ربُّنـا اللهُ ثم استقـاموا تَتَنزَّلُ عليهم الملائكـة ألا تخافوا ولا تَحْزَنوا

---

(1) القيامة : ٢٦ ـ ٣٢ .
(2) آل عمران : ١٨٥ .

وأبْشِرُوا بالجنَّةِ التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون * نُزُلاً من غفورٍ رحيم ﴾ [1] .

قوله تعالى : ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ : أي عند الموت قائلين : ﴿ ألا تخافوا ﴾ : أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ ولا تحزنوا ﴾ : على ماخلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال ودين ، فإنا نخلفكم فيه .

ورجح ابن كثير : أن المراد بتنزل الملائكة : تنزلهم عند الموت وفي القبر وحين البعث .

﴿ فَلَوْلا إذا بَلغَتِ الحُلقوم * وأنتم حينئذٍ تَنظُرون * ونحن أقرَبُ إليه منكم ولكن لا تُبْصِرُون * فلولا إن كنتم غيرَ مَدينين * تَرْجِعُونَها إن كنتم صادقين * فأمّا إن كان من المقرَّبين * فروْحٌ وَرَيحانٌ وجنةُ نعيم * وأمّا إن كانَ من أصحابِ اليَمينِ * فَسلامٌ لكَ من أصْحَابِ اليَمينِ * وأمّا إن كانَ من المكذّبين الضّالينَ * فنُزُلٌ من حميم * وتصليةُ جَحيمٍ ﴾ [2] .

قوله تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت ﴾ : أي الروح ، ﴿ الحلقوم ﴾ : أي الحلق .

وقوله تعالى : ﴿ وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ : أي إلى المُحْتَضَر ومايكابده دون أن تستطيعوا أن تفعلوا له شيئًا .

وقوله تعالى : ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴾ : أي مقهورين بالموت ومجزيين على أعمالكم . ﴿ ترجعونها ﴾ : أي فارجعوا هذه الروح إلى جسدها وامنعوا عنها الموت .

وقوله تعالى : ﴿ فأما إن كان ﴾ : أي المحتضر حاله واحدًا من أحوال ثلاثة ، فلكل حالة جزاؤها بعد الموت ، فالمقرب وصاحب اليمين : مبشران ، والآخر : فإنه مؤنب معذب . الرَّوْحُ : الرحمة . « الرَّيْحان » : الرزق . و« النزل » : الضيافة .

﴿ يابَنِي آدمَ إمّا يأتينّكم رسُل منكم يقصّون عليكم آياتي فمن اتّقى وأصلحَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون * والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحابُ النار هُمْ

---

(١) فصلت : ٣٠ ـ ٣٢ .

(٢) الواقعة : ٨٣ ـ ٩٤ .

فيها خالدون * فمنْ أظلمُ ممّن افترى على الله كذبًا أو كذّب بآياته أُولئك ينالهم نصيبُهم من الكتاب حتّى إذا جاءتْهم رسُلُنا يَتَوَفَّونهم قالوا أين ما كنتم تَدْعون من دون اللهِ قالوا ضلوا عنا وشهِدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ [١] .

قوله تعالى : ﴿ ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ : أي ينالهم ما كتب عليهم جزاء على أعمالهم ، وفي الآية دليل على أن الملائكة تقرِّعُ الكافر عند نزع روحه ، وأن الكافر يعرف حقيقة ما كان عليه من الضلال عند نزع الروح .

---

(١) الأعراف : ٣٥ ـ ٣٧ .

النصوص الحديثية

١١٠٧ ـ * روى الترمذي عن أبي عَزَّةَ ، يَسارِ بنِ عبدٍ ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قضى اللهُ لعبدٍ أن يموتَ بأرضٍ جَعَلَ له إليها حاجةً ، [أو بها حاجة] » .

١١٠٨ ـ * روى النسائي عن عبد الله بن عمرو : ماتَ رجلٌ بالمدينة ممن وُلِدَ بها فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال : « ياليته ماتَ بغيرِ مولدِه » قالوا ولِمَ ذاك يارسول الله ؟ قال : « إن الرجلَ إذا مات بغيرِ مولدِهِ قِيسَ من مولده إلى مُنقَطَعِ أثرِهِ في الجنةِ » .

١١٠٩ ـ * روى رزين عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رَوعي أنه لن تَمُوتَ نفسٌ حتى تستكمِلَ رزْقها وأجَلَها » .

١١١٠ ـ * روى أبو يعلى عن يحيى بنِ طلحةَ قال : رأى عُمَرُ طلحةَ بنَ عبيدِ الله حزينًا فقال مالك ؟ قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني لأعلَم كلماتٍ لا يقولُهنَّ عبدٌ عند الموتِ إلا نفَّسَ اللهُ عنه وأشرقَ له لونُه مايَسُرُّه » ، قال فما يمنعني أن أسأله

١١٠٧ ـ الترمذي (٤ / ٤٥٣) ٣٢ ـ كتاب القدر ، ١١ ـ باب ماجاء أن النفس تموت حيث ماكُتِبَ لها .
وقال : هذاحديث صحيح .

١١٠٨ ـ النسائي (٤ / ٧) كتاب الجنائز ، ٨ ـ باب الموت بغير مولده . وإسناده حسن .
وابن ماجه (١ / ٥١٥) ٦ ـ كتاب الجنائز ، ٦١ ـ باب ماجاء فيمن مات غريبًا .

١١٠٩ ـ أخرجه رزين ، كما في الجامع . وقد رواه أبو نعيم في « الحلية » من حديث أبي أمامة ، وابن حبان والحاكم وابن ماجه من حديث جابر ، والحاكم من حديث ابن مسعود ، والبزار من حديث حذيفة ، وابن حبان والبزار والطبراني عن أبي الدرداء ، وأبو يعلى عن أبي هريرة ، وابن ماجه عن أبي حميد الساعدي مطولاً ومختصرًا ، وهو حديث صحيح ، وانظر فيض القدير (٢ / ٤٠٥) .
(روح القدس) : القدس : الطهارة ، وروح القدس : اسم جبريل عليه السلام أي : الروح المقدسة الطاهرة .
(نفث في روعي) : النَّفْثُ : النفخ بالفم ، والرُّوع : النفس ، يقول : نفث في روعي ، أي : ألقى في قلبي ، وأوقع في نفسي ، وألهمني .

١١١٠ ـ مجمع الزوائد (٢ / ٣٢٤) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

عنها إلا القدرةَ عليها ، فقال عمر : إني لأعلمُ ماهي ، قال طلحة : ماهي ؟ قال : هل تعلمُ كلمةً هي أفضلُ من كلمةٍ دعا إليها رسولُ الله ﷺ عَمَّه عند الموتِ ؟ قال طلحة : هي والله هي : لا إله إلا الله .

١١١١ - * روى ابن ماجه عن عائشةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا حَمِيمٌ لَهَا يَخْنُقُهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَابِهَا قَالَ لَهَا : « لا تَبْتَئِسِيْ عَلَى حَمِيمِكِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حَسَنَاتِه » .

١١١٢ - * روى الطبراني عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رفعه قال : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنَّ نَفْسَ المؤمنِ تخرجُ رَشْحًا ونَفْسَ الكافرِ تَخْرُجُ من شِدْقِه كما تخرج نَفْسُ الحمارِ » .

١١١٣ - * روى البزّار عن أبي هريرَةَ أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله تبارك وتعالى للنَّفْسِ اخرجي قالتْ لا أخرُجِ إلا كارهةً قال اخرجي وإن كَرِهْتِ » .

١١١٤ - * روى الطبراني عن سودة زوجِ النبي ﷺ قالتْ : قلت : يارسولَ الله إذا أُمتْنا صلى لنا عثمانُ بنُ مظعونٍ حتى تأْتِيَنا فقال لها رسول الله ﷺ : « لو تعلمين ما أَعْلَم عن الموتِ يابنتَ زمعةَ علمتِ أنه أشدُّ مما تقدِّرين » .

١١١١ - ابن ماجه (١ / ٤٦٧) ٦ - كتاب الجنائز ، ٥ - باب ماجاء في المؤمن يؤجر في النزع .

وفي الزوائد : هذا إسناد صحيح ، ورجاله ثقات .

(حميم) : قريب ، عزيز .

١١١٢ - المعجم الكبير (١٠ / ٢٣٣) .

مجمع الزوائد (٢ / ٣٢٣) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن .

١١١٣ - كشف الأستار (١ / ٣٧١) .

مجمع الزوائد (٢ / ٣٢٥) وقال : رواه البزّار ، ورجاله ثقات .

١١١٤ - المعجم الكبير (٢٤ / ٣٤) .

مجمع الزوائد (٢ / ٣١٩) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

أقول : لقد مات عثمان بن مظعون مبكرًا بالنسبة لسودة ولذلك قالت هذا الكلام .

١١١٥ - * روى أحمد عن أنسٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يلقَ ابْنُ آدمَ شيئًا قطُّ منذُ خَلَقَه اللهُ أشَدَّ عليه من الموتِ » قال : « ثم إن الموتَ لأهونُ مما بعدَه » .

١١١٦ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مامِنْ مُسْلِمٍ يموتُ يومَ الْجُمعَةِ ، أو لَيْلَةَ الْجُمعَةِ إلا وقاهُ اللهُ فِتْنَةَ القَبْرِ » .

١١١٧ - * روى الترمذي عن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المؤمنُ يموتُ بعَرَق الجبين » .

وفي أخرى [١] للنسائي : « موتُ المؤمِن بِعَرَقِ الجبينِ » .

١١١٨ - * روى رزين عن عُبيد بن خالد السُّلَمي - رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال : « موتُ الفَجَاءةِ : أَخْذَةُ أَسَفٍ للكافر ورحمةٌ للمؤمن » .

وفي رواية [٢] عن عبيد قال مرة : عن النبي ﷺ ، وقال مرة : عن عبيد « مَوت

١١١٥ - أحمد (٣ / ١٥٤) .

مجمع الزوائد (٢ / ٣١٩) وقال : رواه أحمد ورجاله موثقون .

١١١٦ - الترمذي (٣ / ٣٨٦) ٨ - كتاب الجنائز ، ٧٢ - باب ماجاء فيمن مات يوم الجمعة . وقال : هذا حديث غريب .

وأحمد (٢ / ١٦٩) .

١١١٧ - الترمذي (٣ / ٣١٠) ٨ - كتاب الجنائز ، ١٠ - ماجاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين . وقال : هذا حديث حسن . وهو كما قال .

والنسائي (٤ / ٥) ٢١ - كتاب الجنائز ، ٥ - باب علامة موت المؤمن .

(١) النسائي (٤ / ٦) الموضع السابق .

وأحمد (٥ / ٣٥٧) .

وابن ماجه (١ / ٤٦٧) ٦ - كتاب الجنائز ، ٥ - باب ماجاء في المؤمن يؤجر في النزع .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٥ / ٦) .

والحاكم (١ / ٣٦١) وقال حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

١١١٨ - رواه رزين : انظر جامع الأصول بتحقيق محمد حامد الفقي (١١ / ٣٩٧ ، ٣٩٨) .

وأحمد نحوه في المسند (٦ / ١٣٦) عن عائشة وإسنادها ضعيف .

ورواه أيضًا البيهقي في سننه . وذكره الحافظ في الفتح ونسبه لابن أبي شيبة في مصنفه من حديث عائشة وابن مسعود ، فالمرجو أن ترتقي إلى رتبة الحسن عند ابن حجر إن شاء الله .

(٢) أحمد (٣ / ٤٢٤) .

الفَجَاءة : أخذةُ أسفٍ » .

١١١٩ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قالَ : « إنَّ أحدَكم إذا ماتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُه بالغَداة والعَشِي ، إنْ كان من أهل الجنةِ فمن أهلِ الجنةِ ، وإن كان منْ أهلِ النارِ فمن أهلِ النارِ ، فيقال : هذا مقعدُك حتى يبعثَكَ الله يومَ القيامةِ » .

١١٢٠ - * روى البخاري ومسلم عن عُبادَة بنِ الصامتِ رضي الله عنه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءَهُ ، ومن كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ الله لقاءَهُ » زاد البخاري في رواية [1] من طريق همام عن قَتادةَ : فقالتْ عائشة - أو بعضُ أزواجِهِ - : إنّا لنكرهُ الموتَ ، قال : « ليس ذلكِ ، ولكنَّ المؤمنَ إذا حضَرَهُ الموتُ بُشِّرَ برضوان الله وكرامَتِهِ ، فليس شيءٌ أحبَّ إليه مما أمامه ، فأحبَّ لقاءَ الله ، فأحبَّ اللهُ لقاءَهُ ، وإن الكافر إذا حُضِر بُشِّر بعذاب الله وعُقوبته ، فليس شيءٌ أكْرَهَ إليه مما أمامه ، كَرِهَ لِقَاء الله ، وَكَرِهَ الله لقاءَهُ » .

= وأبو داود (٣ / ١٨٨) كتاب الجنائز ، باب موت الفجأة . وإسنادها صحيح .
(أسفًا) : الأسِف : الغضبان .

١١١٩ - البخاري (٣ / ٢٤٣) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٩ - باب الميت يعرض على مقعده بالغداة والعشي .
مسلم (٤ / ٢١٩٩) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .
والنسائي (٤ / ١٠٧) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٦ - باب وضع الجريدة على القبر .
وابن ماجه (٢ / ١٤٢٧) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٢ - باب ذكر القبر والبلى .

١١٢٠ - البخاري (١١ / ٣٥٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤١ - باب من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه .
مسلم (٤ / ٢٠٦٥) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٥ - باب من أحبّ لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن ... إلخ .
والترمذي (٣ / ٣٧٩) ٨ - كتاب الجنائز ، ٦٧ - باب ماجاء فيمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .
وقال : حديث حسن صحيح .
والنسائي (٤ / ١٠) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١٠ - باب فيمن أحب لقاء الله .

(١) البخاري (١١ / ٣٥٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤١ - باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .
(حُضِرَ) : الإنسان ، واحتُضِر : إذا نزل به الموت .

١١٢١ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَهُ ، ومن كَرِهَ لقاءَ الله ، كَرِهَ الله لقاءَهُ » فقلتُ : يانبيَّ الله ، أكَرَاهِيَةُ الموت ، فكلُّنا نكرهُ الموت ؟ قال : « ليس كذلكِ ، ولكنَّ المؤمنَ إذا بُشِّرَ برحمةِ الله ورضوانهِ وجنَّتِهِ : أحبَّ لقاءَ الله ، فأحبَّ اللهُ لقاءَهُ ، وإن الكافِرَ إذا بُشِّرَ بعذاب الله وسَخَطِهِ ، كَرِهَ لقاءَ الله ، فكره اللهُ لقاءَهُ » .

ولمسلم [١] قالتْ : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ اللهُ لقاءَهُ ، والموتُ قبلَ لقاءِ الله » .

وفي رواية [٢] : قال شُرَيح بن هانئ : قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَهُ ، ومن كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ اللهُ لقاءه » قال شُريح : فأتيتُ عائشةَ ، فقلتُ : ياأمَّ المؤمنين ، سَمِعتُ أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا ، إن كان كذلك ، فقد هَلَكْنَا ، فقالت : إن الهالكَ مَنْ هلك بقول رسول الله ﷺ ، وماذاك ؟ قلتُ : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءه ، ومن كَرِهَ لقاءَ اللهِ كَرِه اللهُ لقاءه » وليس منا أحدٌ إلا وهو يكرهُ الموت ، فقالت : قد قاله رسول الله ﷺ ، وليس الذي تذهبُ إليه ، ولكن إذا شَخَصَ البَصَرُ ، وحَشْرَجَ الصَّدْرُ ، واقْشَعَرَّ الجلدُ ، وتَشَنَّجتِ الأصابعُ ، فعند ذلك مَنْ أحب لقاء الله أحبَّ اللهُ لقاءه ، ومن كَرِهَ لقاءَ الله كره الله لقاءَهُ .

١١٢٢ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَمْ

١١٢١ - البخاري (١١ / ٣٥٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤١ - باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

مسلم (٤ / ٢٠٦٥) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٥ - باب من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن ... إلخ .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

(شخص) : شخوص البصر : امتداده إلى السماء ، والميت إذا أشرف على مفارقة الدنيا شَخص بصره إلى السماء .

(حشْرَجَ) : الحشرَجةُ : الفرغرةُ عند الموت وتردُّد النَّفَس .

(تشنَّجت) : تَشَنُّج الأصابع : اجتماعها وانقباضها متقلِّصةً .

١١٢٢ - مسلم (٢ / ٦٣٥) ١١ - كتاب الجنائز ، ٥ - باب في شخوص بصر الميت يتبع نفسه .

تَرَوْا إلى الإنسان : إذا مات شَخَصَ بَصَرُه » ؟ قالوا : بلى ، قال : « فذلك حين يَتْبَع بصرُهُ نَفْسَهُ » .

١١٢٣ ـ * روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : دَخَلَ رسول الله ﷺ على أبي سلمةَ ـ وقد شَقَّ بَصرُه ـ فأغمَضَه ، ثم قالَ : « إنَّ الرُّوحَ إذا قُبِض تَبِعَه البصرُ » فَضَجَّ ناسٌ من أهله ، فقال : « لا تَدْعُوا على أنفسِكم إلا بخيرٍ ، فإنَّ الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون » ثم قال : « اللهم اغفِرْ لأبي سلمةَ ، وارفع درجتَهُ في المهديِّين ، واخلُفْه في عَقِبِهِ في الغابرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافْسَحْ له في قبره ، ونَوِّر له فيه » .

وفي رواية (١) « واخْلُفْه في تَرِكَتِهِ » وقال : « اللهم أَوْسِعْ له في قبرِه » ودعوةً أخرى سابعةً نسيتُها .

وفي أخرى (٢) قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا حَضَرْتُم المريض ـ أو الميتَ ـ فقولوا خيرًا ، فإن الملائكةَ يُؤمِّنون على ماتقولون » قالت : فلما مات أبو سلمةَ ، أتيتُ النبيَّ ﷺ ، فقلتُ : يارسول الله ، إنَّ أبا سلمة قد مات ، قال : « قُولِي : اللهم اغفِر لي وله ، وأعقبني منه عُقبى حَسَنَةً » قالت : فقلتُ ، فأعقبني الله مَنْ هو خيرٌ لي منه : محمد ﷺ .

١١٢٤ ـ * روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال : « إذا حُضِرَ المؤمنُ ، أَتَتْ ملائكةُ الرحمة بحريرةٍ بيضاءَ ، فيقولون : اخرُجي راضيةً مَرضيًا عَنْكِ إلى رَوْحٍ من الله ورَيْحان ، وربٍّ غَيْرِ غضبان ، فتخرجُ كأطيب ريح المِسكِ . حتى إنَّه ليناولُه بعضهم بعضًا ، حتى يأتوا به أبواب السماء ، فيقولون : ماأَطيَبَ هذه الريحَ التي جاءَتْكم من الأرض ، فيأتون به أرواحَ

١١٢٣ ـ مسلم (٢ / ٦٣٤) ١١ ـ كتاب الجنائز ، ٤ ـ باب في إغماض الميت والدعاء له ، إذا حُضِر .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم (٢ / ٦٣٣) الموضع السابق .

١١٢٤ ـ النسائي (٤ / ٨) ٢١ ـ كتاب الجنائز ، ٩ ـ باب مايلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه .

المؤمنينَ ، فَلَهم أشدُّ فَرَحًا من أحدِكم بغائبِه يقدمُ عليه ، فيسألونه : ماذا فَعَل فلانٌ ؟ ماذا فعل فلان ؟ فيقولون : دَعُوه ، فإنَّه كان في غَمِّ الدنيا ، فيقول : قد مات ، أما أتاكم ؟ قالوا : ذُهِبَ به إلى أمِّهِ الهاوِيةِ ، وإن الكافر إذا حُضِرَ أتَتْهُ ملائكة العذاب بِمِسْحٍ ، فيقولون : اخرجي ساخطةً مَسْخوطًا عليك إلى عذاب الله عز وجل ، فتخرجُ كأنْتَنِ ريحِ جيفةٍ ، حتى يأتون به باب الأرض فيقولون : ماأنتنَ هذه الريحَ ، حتى يأتون به أرواحَ الكفار » .

١١٢٥ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا خَرَجَتْ رُوحُ المؤمن تلقّاها ملَكان يُصْعِدَانِها » قال حمادٌ في روايته : فَذَكَرَ من طِيْبِ ريحِها ، وذكَرَ المِسكَ ـ قال : « فيقولُ أهلُ السماء : رُوحٌ طَيِّبةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأرضِ ، صلَّى اللهُ عليكِ وعلى جسدٍ كنتِ تَعْمُرِينه ، فَيُنْطَلَقُ به إلى ربِّه ، ثم يقولُ : انْطَلِقوا به إلى آخر الأَجَل » قال : « وإنَّ الكافرَ إذا خرجتْ رُوحُه » قال حماد : وذَكَر مِنْ نَتْنِها ـ فرد رسول الله ﷺ رَيْطةً كانت عليه على أنفه ـ هكذا ـ وذكر لَعْناً « ويقول أهلُ السماء : رُوح خبيثةٌ جاءَتْ مِن قِبَلِ الأرض ، فيقال : انطَلِقوا به إلى آخرِ الأجل » .

١١٢٦ ـ * روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الميت تَحْضُرُه الْمَلائِكَةُ . فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا ، قَالوا : اخْرُجِي أيتُها النَّفْسُ الطَّيِّبة ! كَانَتْ فِي الْجسَدِ الطَّيِّبِ اخْرُجِي حَمِيدَةً ، وَأَبْشِري بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ . فَلا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ، حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاء . فَيُفْتَحُ لَهَا . فَيُقَالُ : مَنْ هذَا ؟ فَيَقُولُونَ فُلانٌ . فَيقالُ : مَرْحَبًا بِالنَّفسِ الطَّيِّبَةِ ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ . ادْخُلِي حَمِيدَةً ، وَأَبْشري بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ فَلا يَزَالُ يُقَالُ لَها ذلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ قَالَ : اخْرُجِي أَيَّتُها النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ! كَانَتْ فِي

١١٢٥ ـ مسلم (٤ / ٢٢٠٢) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار...إلخ.

(الرَّيطة) : كل ملاءة لا تكونُ لِفْقَين .

١١٢٦ ـ ابن ماجه (٢ / ١٤٢٣) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٣١ ـ باب ذكر الموت والاستعداد له . وإسناده صحيح .

الجسَـدِ الخبيثِ . اخرُجي ذَميمَـةً ، وَأَبْشِري بحَميمٍ وَغسَّـاقٍ . وآخَرَ مَنْ شَكْلِـهِ أَزْوَاجٍ . فَلا يَزَالُ يُقَـالُ لَهَـا ذَلِـكَ حَتَّى تَخْرُجَ . ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَـا إلَى السَّمَـاءِ . فَلاَ يُفْتَـحُ لَهَـا . فَيُقَـالُ : مَنْ هـذَا ؟ فَيُقَـالُ : فُـلان . فَيُقَـالُ : لا مَرْحَبًـا بِـالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ ، كَانَتْ فِي الْجَسَـدِ الْخَبيثِ ارْجِعي ذَمِيمَـةً . فَـإِنَّهَـا لا تُفْتَحُ لَـكِ أَبْوابُ السَّمَاءِ . فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ » .

١١٢٧ ـ * روى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قـال : كان رسول الله ﷺ إذا فَرَغَ من دفنِ الميتِ وقَفَ عليه ، وقـال : « استغفروا لأخيكم واسـألوا لـه التثبيت ، فإنه الآنَ يُسأَلُ » .

١١٢٨ ـ * روى النسائي عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قـال : « هذا [يعني سعدَ بنَ معـاذٍ رضي الله عنـه] الـذي تَحَرَّكَ لـه العرشُ ، وفُتِحَتْ أبوابُ السماء ، وشَهِدَه سبعون ألفًا من الملائكة ، لقد ضُمَّ ضَمَّةً ، ثم فُرِجَ عنه » .

١١٢٩ ـ * روى الطبراني عن أبي أيـوبَ أن صبيًـا دُفِنَ فقـالَ رسـول الله ﷺ : « لـو أُفْلِتَ أحد من ضمة القبر لأفْلِتَ هذا الصبيُّ » .

١١٣٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بن مالـكٍ رضي الله عنـه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ العبدَ إذا وُضع في قبره ، وتولى عنه أصحابُه ، إنَّـه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَـالهم ، إذا انصرفـوا : أتـاه الملكان ، فيُقعـدَانـه ، فيقـولان لـه : مـا كنت تقـولُ في هـذا الرجل ، محمد ؟ فأمَّا المؤمن ، فيقول : أشهدُ أنَّه عبـدُ الله ورسولُـه ، فيقـالُ لـه : انظُر إلى مقعدِك من النـارِ ، أبْـدَلَـكَ الله بـه مقعـدًا من الجنـة » قـال النبي ﷺ : « فيراهما جميعًا » قال قتادةُ : وذُكِرَ لنا أنَّه يُفْسَحُ لـه في قبره ـ ثم رجع إلى حـديث أنس : « وأما الكافرُ ـ أو ـ المنافقُ » وفي رواية « وأما الكافرُ والمنافقُ ـ فيقول : لا أدري ، كنتُ

١١٢٧ ـ أبو داود (٣ / ٢١٥) كتاب الجنائز ، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف . وإسناده حسن .

١١٢٨ ـ النسائي (٤ / ١٠٠) ٢١ ـ كتاب الجنائز ، ١١٣ ـ باب ضمة القبر وضغطته .

١١٢٩ ـ مجمع الزوائد (٣ / ٤٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٠ ـ البخاري (٣ / ٢٣٢) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٦ ـ باب ماجاء في عذاب القبر ، ... إلخ .

مسلم (٤ / ٢٢٠٠) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ ـ باب عرض مقعد الميت ... إلخ .

أقول ما يقولُ الناسُ فيه ـ فيُقالُ لا دَرَيتَ ، ولا تَلَيتَ ، ثم يُضْرَبُ بمِطْرَقة من حديدٍ ضَرْبة بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها مَنْ يَليه إلا الثقلين » .

ولمسلم [١] أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إنَّ العبدَ إذا وُضع في قبره » ثم ذكر نحو ماتقدَّم إلى قوله : وذكر لنا أنه « يُفسَحُ له في قبره سبعون ذراعًا ، ويُملأُ عليه خَضِرًا إلى يوم يبعثون » لم يزد على هذا .

وفي رواية أبي داود [٢] : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ المؤمن إذا وُضِع في قبره أتاه مَلَك ، فيقول له : ماكنتَ تَعبُدُ ؟ فإنِ اللهُ هداه ، قال : كنت أعبُدُ الله ، فيقول : ماكنت تقولُ في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبدُ اللهِ ورسولُه ، فما يُسأل عن شيء بعدَها ، فَيُنْطَلَقُ به إلى بيتٍ كان له في النار ، فيُقالُ له : هذا كان لك ، ولكنَّ الله عَصَمَكَ ، فأبْدَلَك به بيتًا في الجنة ، فيراه ، فيقول : دَعُوني حتى أذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أهلي ، فيقال له : اسْكُن » .

قال : « وإنَّ الكافر ، أو المنافق إذا وضع في قبره : أتاه مَلَك فيُنْهِضُه ، فيقول له : ماكنتَ تعبدُ ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال له : لا دَرَيتَ ولا تلَيْتَ ، فيُقالُ له : ماكنتَ تقولُ في هذا الرجل ؟ فيقولُ : كنتُ أقولُ مايقولُ الناس ، فيضربه بمطراق بين أذنيه ، فيَصيحُ صَيحةً يسمعُها الخلقُ غيرُ الثَّقلين » .

وفي رواية أبي داود [٣] أنَّ نبيَّ الله ﷺ دخل نخلاً لبني النجار فسمع صوتًا ، فَفَزِعَ ، فقال : « مَنْ أصحاب هذه » ؟ قالوا : يارسول الله ، ناسٌ ماتوا في الجاهلية ، قال : « تعوَّذوا بالله من عذاب القبر ، ومن فتنة الدجال » قالوا : ومِمَّ ذاك يارسول الله » قال : « إنَّ

---

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) أبو داود (٤ / ٢٢٨) كتاب السنة ، باب في المسألة في القبر ، وعذاب القبر .

(ولا تليت) : يقال : لا دريتَ ولا تليتَ ، أي : لا تَبِعتَ الناس بأن تقول شيئًا يقولونه ، وقيل : هو من قولهم : تلا فلان تِلْو غَير عاقل : إذا عَمِلَ عَمَلَ الجهال ، يعني : هلكتَ فخرجت من القبيلتين ، وقيل : معناه : ولا قرأتَ ، وقلبت الواو ياءً للازدواج .

(٣) أبو داود : الموضع السابق .

المؤمن إذا وُضِع في قبره ....» وذكر نحو ما تقدَّم أولاً .

١١٣١ - * روى أحمدُ عن أمِّ مبشِّرٍ قالتْ : دخلَ عليَّ رسول الله ﷺ وأنا في حائطٍ من حَوائطِ بني النجار فيه قبورٌ منهم قد ماتوا في الجاهليةِ ، فسمِعَهم يُعذَّبون فخرجَ وهو يقولُ : « استعيذوا باللهِ مِنْ عذابِ القبرِ» قالتْ : قلتُ : يارسولَ الله وإنهم ليُعذَّبون في قبورهم ؟ قال :« نعم عَذابًا تسمعُه البهائم » .

١١٣٢ - * روى أحمد عن أنسٍ رضي اللهُ عنه قال : أخبرَني من لا أتَّهِم من أصحاب النبي ﷺ قال : بينما رسول الله ﷺ وبلال يمشيان بالبقيع إذ قال رسول الله ﷺ : « يابلالُ هل تسمع ما أسمع » ؟ قال : والله يا رسول الله ما أسمعه ، قال : « ألا تسمع أهل هذه القبور يعذبون » يعني قبور أهل الجاهلية .

١١٣٣ - * روى أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ في نخلٍ لأبي طلحةَ يبرز لحاجته قال وبلالٌ يمشي وراءهُ يكرمُ نبي الله ﷺ أن يمشيَ إلى جنبه ، فمر نبيُّ الله ﷺ بقبرٍ فقام حتى تم إليه بلالٌ فقال : « ويحك يا بلالُ هل تسمع ما أسمع » ؟ قال : ماأسمع شيئًا ؛ قال : « صاحب القبر يعذب » فسأل عنه فوجده يهوديًا .

١١٣٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ رضي الله عنه ، قال : خرج رسول الله ﷺ بعد ما غَرَبت الشمس ، فسمِع صوتًا ، فقال : « يهودُ تُعَذَّبُ في قُبورها » .

١١٣١ - أحمد (٦ / ٣٦٢) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٦) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٢ - أحمد (٣ / ٢٥٩) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٦) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٣ - أحمد (٣ / ١٥١) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٦) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٤ - البخاري (٣ / ٢٤١) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٧ - باب التعوذ من عذاب القبر .

مسلم (٤ / ٢٢٠٠) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .

والنسائي (٤ / ١٠٢) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٤ - باب عذاب القبر .

١١٣٥ - * روى مسلم عن زيد بنِ ثابتٍ رضي الله عنه ، قال : بينا رسول الله ﷺ في حائط لبني النَّجار على بَغْلَةٍ له ، ونحن معه ، إذ حادَتْ به ، فكادت تُلْقِيه ، وإذا أقْبُرٌ ستة ، أو خمسة ، فقال : « مَنْ يعرفُ أصحابَ هذه الأقبر » ؟ قال رجل : أنا ، قال : « فمتى ماتوا » ؟ قال : في الشِّرْك ، فقال : « إنَّ هذه الأمة تُبْتَلى في قبورها ، فلولا أنْ لا تَدَافَنُوا لدعوتُ الله أنْ يُسْمِعَكم من عذابِ القبر الذي أسمعُ منه » ثم أقبلَ علينا بوجهه ، فقال : « تعوَّذوا بالله من عذاب القبر » قالوا : نعوذُ بالله من عذاب القبر ، قال : « تعوذوا بالله من عذاب النار » قالوا : نعوذُ بالله من عذابِ النارِ ، قال : « تعوذُوا بالله من الفِتَن ماظَهَر منها ومابَطَنَ » قالوا : نعوذ بالله من الفتن ماظهر منها ومابطن قال : « تعوذوا بالله من فِتْنَةِ الدَجالِ » قالوا : نعوذُ بالله من فتنة الدجال .

أقول :

لقد مَّر معنا من قبل أن أهل الجاهلية إذا بلغهم شيء من الدين الحق عن طريق صحيح كأن بلغهم شيء من دين إبراهيم عن طريق صحيح فإن الحجة قائمة عليهم ويستأهلون العذاب ، واليهود مكلفون بالشريعة الحقة ، ومكلفون بالإيمان بعيسى عليه السلام ثم بمحمد عليه الصلاة والسلام بعد بلوغهم بعثته فإذا لم يؤمنوا استحقوا العذاب ، وهذا وهذا في فهمنا هو السر الذي استحق به العذاب مَنْ ذكرهم رسول الله ﷺ في الروايات الآنفة الذكر ، وهذا التخريج يمشي على مذهب الأشاعرة الذين يرون أنه لا تكليف بأصول وفروع إلا بعد التبليغ من رسول مرسل ، أما على قول الماتريدية الذين هم من أهل السنة والجماعة الذين يرون أن الإنس والجن مكلفون بمعرفة الله بمحض العقل وعلى قدر استطاعتهم فإن كل إنسان لم يعرف وجود الله وصفاته التي يتوصل إليها بمحض العقل فإنه معذب ولو لم تبلغه دعوة رسول ، وعلى هذا فلا إشكال في تعذيب بعض أهل الجاهلية ، ويشهد لاتجاه الماتريدية الحديث الصحيح الذي يخبر فيه رسول الله ﷺ أنَّ « الله تعالى يقول لآدم : أَخْرِجْ

١١٣٥ - مسلم (٤ / ٢١٩٩) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .

(حادَت) : حاد عن الطريق : إذا مال عنه ، حادت به : أي مالت به .

بعثَ النار . فيُخْرِجُ من كل ألفٍ تسعَمائةٍ وتسعة وتسعين » .

١١٣٦ - * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إذا قُبِرَ الميتُ » أو قال : « أحدُكم أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما : المُنْكَرُ ، وللآخر : النَّكيرُ ، فيقولان : ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ ؟ فيقول : ما كان يقولُ ، هو عبدُ اللهِ ورسولُه ، أشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، فيقولان : قد كُنَّا نعلَم أنَّك تقولُ هذا ، ثم يُفْسَحُ له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ، ثم يُنَوَّرُ له فيه ، ثم يقال له : نَمْ . فيقول : أرجعُ إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نَمْ كنومةِ العروسِ الذي لا يوقِظه إلا أحبُّ أهله إليه ، حتى يبعثَه الله من مضْجَعِه ذلك ، وإن كان منافقًا قال : سمعتُ الناسَ يقولون قولاً ، فقلتُ مثلَه ، لا أدري ، فيقولان : قد كُنَّا نعلم أنَّكَ تقول ذلك ، فيقال للأرض : التَئِمي عليه ، فتلتئمُ عليه ، فتختلفُ أضلاعُهُ ، فلا يزالُ فيها معذَّبا حتى يبعثَه اللهُ من مَضْجَعِه ذلك » .

١١٣٧ - * روى الترمذي عن مولى عثمانَ بنِ عفان قال : كان عثمانُ رضي اللهُ عنه إذا وقفَ على قبرٍ بكى ، حتى يَبُلَّ لِحْيَتَه ، فقيل له : تذكُرُ الجنةَ والنارَ فلا تبكي ، وتذكر القبرَ فتبكي ؟ فقال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « القبرُ أولُ منزلٍ من منازل الآخرةِ ، فإن نجا منه فما بعدَه أيسرُ منه ، وإن لم ينجُ منه فما بَعدَه أشَدُّ منه » قال : وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما رأيت مَنْظَرًا قطّ إلا القبرُ أفظعُ منه » .

١١٣٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال : مرّ

١١٣٦ - الترمذي (٣ / ٣٨٣) ٨ - كتاب الجنائز ، ٧٠ - باب ماجاء في عذاب القبر .

وقال : حسن غريب . وهو كا قال .

١١٣٧ - الترمذي (٤ / ٥٥٣) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٥ - باب حدثنا هنّاد وحدثنا يحيى بن معين .

وقال : حديث حسن غريب ، وإسناده حسن .

(أفظع) : الفظيع الشديد الشنيع .

١١٣٨ - البخاري (١ / ٣٢٢) ٤ - كتاب الوضوء ، ٥٦ - باب جاء في غسل البول .

مسلم (١ / ٢٤٠) ٢ - كتاب الطهارة ، ٣٤ - باب الدليل على نجاسة البول ، ووجوب الاستبراء منه .

=

رسول الله ﷺ على قبرين ، فقال : « أمَّا إنَّهما ليعـذَّبـان ، ومـا يعـذَّبـان في كبيرٍ » ثم قال : « بلى ، أمَّا أحدُهما : فكان يمشي بـالنميـةِ ، وأمـا الآخَرُ : فكان لا يَسْتَتِرُ من بوله » قال : فدعـا بعَسِيبٍ رَطْبٍ ، فشقَّـه بـاثنين ، ثم غرس على هـذا واحدًا ، وعلى هـذا واحدًا ، ثم قال : « لعله أن يُخفَّفَ عنهما ما لم يَيْبَسَا » .

وفي رواية (١) « لا يستبرئ من البول » .

وفي أخرى (٢) « لا يَسْتَنْزِهُ عن البول » .

أقول : في الحديث إشارة إلى أهمية وجود النبات على القبر ومن ذلك نأخذ أن من آداب المسلمين مع المقابر أن يجعلوها خضرة بل لو جعلوها كالحدائق لكان لذلك وجه .

١١٣٩ ـ * روى أحمد عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه قـال : مَرَّ رسـول الله ﷺ على قبرٍ فقـال : « ائتوني بجريـدتين » فجعلَ إحـداهـا عنـد رأسـه والأخرى عنـد رجليـه فقيـل : يارسول الله أينفعَه ذلك ؟ قال « لنْ يزالَ يُخفَّفُ عنه بعضُ عـذابِ القبرِ مـادام فيهما نُدُوٌّ » .

١١٤٠ ـ * روى النسائي عن عبدِ الله بن دينارٍ ، قال : كنتُ جالسًا وسليمـانُ بنُ صُرَدٍ وخالدُ بْن عُرْفُطةَ ، فذكروا أنَّ رجلاً تُوُفِّيَ ، مات ببطنـه ، فـإذا هـما يشتهيـان أن يكونـا شَهِدا جنـازَتَـه ، فقـال أحـدُهمـا للآخر : ألم يَقُلْ رسول الله ﷺ : « مَن يَقْتُلْـه بَطْنُـهُ لم

= (ومـا يعـذبـان في كبيرٍ) : أي : لم يعـذَّبـا في أمرٍ كانَ يكبر عليهما ، أو يشق عليهما فِعلُه لو أرادا أن يفعلاه ، وهو التنزُّه عن البول وترك النمية ، ولم يُرِدْ أن المعصية في هاتين الخصلتين ليست بكبيرة .

(بعسيب) : العسيب من سَعَف النخل : مابين الكرب ومنبت الخوص وماعليـه الخوص ، فهو سَعَف ، والجريـد : السّعَف أيضًا .

(١) النسـائي (٤ / ١٠٦) ٢١ ـ كتاب الجنائز ، ١٦٦ ـ باب وضع الجريدة على القبر .

(٢) مسلم (١ / ٢٤٠) ٢ ـ كتاب الطهارة ، ٣٤ ـ باب الدليل على نجاسة البول ... إلخ .

١١٣٩ ـ أحمد (٢ / ٤٤١) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٧) وقال : رواه احمد ، ورجاله رجال الصحيح .

(ندُوٌّ) : يريد نداوُه .

١١٤٠ ـ النسـائي (٤ / ٩٨) ٢١ ـ كتاب الجنائز ، ١١١ ـ كتاب من قتله بطنه . =

يعذَّب في قبره ؟ » فقال الآخر : بلى .

واختصره الترمذي (١) : أنَّ سليمانَ بنَ صُرَدٍ قال لخالد بن عرفطة ـ أو خالد لسليمان ـ أما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قتله بَطنُهُ لم يعذَّبْ في قبره » ؟ فقال أحدُهما لصاحبه : نعم .

١١٤١ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « نفسُ المؤمن مُعَلَّقةٌ بِدَيْنه حتى يُقْضَى عنه » .

١١٤٢ ـ * روى البزار عن عائشةَ رضي الله عنها قالتْ : قلتُ يارسولَ الله تُبْتَلى هذه الأمةُ في قبورها فكيفَ بي وأنا امرأةٌ ضعيفةٌ ؟ قال :﴿ يثبت اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ .

١١٤٣ ـ * روى الطبراني عن عبدِ الله قالَ إذا حَدَّثْتكم بحديثٍ أُنبِئكُم بتصديقِ ذلك : إن المؤمن إذا ماتَ جلِسَ في قبره فيُقالُ : من ربُّك مادينُك من نبيُّك فيقولُ ربيَ اللهُ وديني الإسلامُ ونبيِّي محمدٌ ﷺ فيُوَسَّعُ له في قبره ويُفْرَجُ له فيه ، ثم قرأ عبد الله ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ﴾ .

١١٤٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن البَراء بنِ عازبٍ رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) الترمذي (٣ / ٣٧٧) ٨ ـ كتاب الجنائز ، ٦٥ ـ باب ماجاء في الشهداء من هم .
وقال : حديث حسن . غريب . وهو حديث صحيح .

١١٤١ ـ الترمذي (٣ / ٣٨٩) ٨ ـ كتاب الجنائز ، ٧٦ ـ باب ماجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « نفس المؤمن ... » .
وقال : هذا حديث حسن . وإسناده حسن .

١١٤٢ ـ كشف الأستار (١ / ٤١٠) .
مجمع الزوائد (٣ / ٥٢) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

١١٤٣ ـ المعجم الكبير (٩ / ٢٦٦) .
مجمع الزوائد : (٣ / ٥٤) وقال : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن .

١١٤٤ ـ البخاري (٣ / ٢٣٢) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٦ ـ باب ماجاء في عذاب القبر ... إلخ
مسلم (٤ / ٢٢٠١) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .
وأبو داود (٤ / ٢٣٨) كتاب السنة ، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر .

=

قرأ : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثَّابتِ ﴾ [١] قال : « نزلَتْ في عذاب القبر » .

وفي رواية [٢] : أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « المسلمُ إذا سُئِل في القبر يشهد أنْ لا إلـه إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابتِ ﴾ » .

وفي أخرى [٣] قال : « ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقولِ الثابتِ ﴾ . » نزلت في عذاب القبر ، يقال له : مَنْ ربك ؟ فيقول : ربيَّ الله ، ونبيِّي محمدٌ ﷺ » .

١١٤٥ ـ * روى البخاري عن أم خالد بنت سعيد بن العاص رضي الله عنها : أنها سَمِعَتْ رسول الله ﷺ : يتعوّذُ من عذابِ القبرِ .

١١٤٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ، أنّ يهوديَّةً دخلَتْ عليها ، فذكَرَتْ عذابَ القبر ، فقالت لها : أعاذَكِ الله من عذاب القبر ، قالت عائشةُ : فسألتُ رسول الله ﷺ عن عذاب القبر ؟ فقال : « نعمْ ، عذابُ القبر حقٌّ » ، قالتْ : فما رأيتُ رسول الله ﷺ بعدُ صلَّى صلاةً إلا تعوّذَ من عذابِ القبرِ .

وفي رواية [٤] لها قالت : دخلت عليَّ عجوزان من عُجُزِ يهودِ المدينة ، فقالتا : إنَّ أهلَ القبور يعذَّبون في قبورهم ، قالت : فكذَّبْتُهما ، ولم أُنْعِمْ أن أصدِّقَهما ، فخرجتا ، ودخل عليَّ رسول اللهْ ﷺ ، فقلت له : يارسولَ الله إن عجوزين من عُجُزِ يهودِ المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهلَ القبور يُعذَّبون في قبورهِم ، فقالَ : « صدقَتَا ، إنهم يُعَذَّبون عذابًا تَسْمَعُهُ

= والترمذي (٥ / ٢٩٥) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ، ١٥ ـ باب ومن سورة إبراهيم عليه السلام .
وقال : حديث حسن .

(١) إبراهيم : ٢٧ .

(٢) البخاري : الموضع السابق .

(٣) مسلم : الموضع السابق .

١١٤٥ ـ البخاري (٣ / ٢٤١) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٧ ـ باب التعوذ من عذاب القبر .

١١٤٦ ـ البخاري (٣ / ٢٣٢) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٦ ـ باب ما جاء في عذاب القبر ... إلخ .
مسلم (١ / ٤١٠) ٥ ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ٢٤ ـ باب استحباب التعوذ من عذاب القبر .

(٤) مسلم : الموضع السابق .

البهائمُ » ، ثم مارأيتُه بعدُ في صلاته إلا يتعوَّذُ من عذاب القبر .

وفي روايـة النسـائي [١] : أنها سـألتْ رسول الله ﷺ عن عـذاب القبر فقـال : « نعم ، عذابُ القبر حقٌّ » ، قالت عـائشـةُ : فما رأيتُ رسول الله ﷺ يصلِّي صلاةً بعـدُ إلا تعوَّذ من عذاب القبر .

وفي أخرى [٢] لـه قـالت : دَخَلَت عليَّ امرأةٌ من اليهـودِ ، فقـالت : إن عـذابَ القبرِ من البولِ ، فقلت : كَذَبْتِ ، فقالتْ : بلى ، إنـا لنَقْرِضُ منـه الجلـدَ والثوبَ ، فخرجَ رسول الله ﷺ إلى الصلاة وقـد ارتفعتْ أصواتُنـا ، فقـال : مـاهـذا ؟ فـأخبرْتُـهُ بمـا قـالت ، فقـال : « صَـدَقَتْ » ، قـالت : فمـا صلَّى بعـدُ يـومئـذٍ إلا قـال في دبر الصلاة : « رَبَّ جبريـلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ، أعِذْني من حَرِّ النار ، وعذابِ القبر» .

وفي أخرى [٣] قالت : دخلت يهوديَّةٌ عليها ، فاسْتَوْهَبَتْهَا شيئـًا ، فوهبت لهـا عـائشـةُ ، فقالت : أجارَكِ الله من عذاب القبر ، قالت عائشـةُ : فوقع في نفسي من ذلـك ، حتى جـاء رسول الله ﷺ ، فـذكرتُ ذلـك لـه فقـال : « إنهم ليعـذَّبون في قبورهم عـذابًـا تسمعـه البهائمُ » .

١١٤٧ ـ * روى البخاري عن أسماء بنت أبي بكرٍ رضي الله عنهما قالت : قـام رسول الله ﷺ خطيبًا ، فذكر فِتنةَ القبرِ التي يُفْتَنُ فيها المرءُ ، فلما ذكر ذلك ضَجَّ المسلمون ضَجَّـةً .

وزاد النسـائي [٤] : حـالتْ بيني وبين أن أفهم كـلامَ رسـول الله ﷺ ، فلمـا سكَنَتْ ضَجَّتهمُ ، قلتُ لرجلٍ قريبٍ مني : أيْ بـارَكَ اللهُ لـك ، مـاذا قـال رسـول الله ﷺ آخرَ قوله ؟ قال : « قد أُوحِيَ إليَّ ، أنَّكم تُفْتَنون في القبورِ قريبًا من فِتنةِ الدجال » .

---

(١) النسـائي (٣ / ٥٦) ١٣ ـ كتاب السهو ، ٦٣ ـ باب التعوذ في الصلاة .

(٢) النسائي (٣ / ٧٢) ١٣ ـ كتاب السهو ، ٨٨ ـ باب نوع آخر من الذكر والدعاء بعد التسليم .

(٣) النسـائي (٤ / ١٠٥) ٢١ ـ كتاب الجنائز ، ١١٥ ـ باب التعوذ من عذاب القبر .

١١٤٧ ـ البخاري (٣ / ٢٣٢) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٦ ـ باب ما جاء في عذاب القبر ... إلخ .

(٤) النسائي (٤ / ١٠٣) ٢١ ـ كتاب الجنائز ، ١١٥ ـ باب التعوذ من عذاب القبر .

١١٤٨ - * روى ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ . فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ ، غَيْرَ فَزِعٍ وَلاَ مَشْعُوفٍ . ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ : فَيَقُولُ : كُنْتُ فِي الإِسْلاَمِ . فَيُقَالُ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَصَدَّقْنَاهُ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَ اللهَ ؟ فَيَقُولُ : مَايَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللهَ ؛ فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ . فَيَنظُرُ إِلَيها يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا . فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَاوَقَاكَ اللهُ . ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ . فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا . فَيُقَالُ لَهُ : هذَا مَقْعَدُكَ . وَيُقَالُ لَهُ : عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ . وَعَلَيْهِ مُتَّ ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ . وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا مَشْعُوفًا . فَيُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ ؟ فَيَقُولُ : لاَ أَدْرِي . فَيُقَالُ لَهُ : مَاهذَا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلاً فَقُلْتُهُ . فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ . فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِها وَمَا فِيهَا ، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَاصَرَفَ اللهُ عَنْكَ . ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ . فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا . يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا . فَيُقَالُ لَهُ : هذَا مَقْعَدُكَ . عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ . وَعَلَيْهِ مُتَّ ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى » .

١١٤٩ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال شهدت مع رسول الله ﷺ جنازةً فقال

١١٤٨ - ابن ماجه (٢ / ١٤٢٦) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٢ - باب ذكر القبر والبلى . وفي الزوائد : إسناده صحيح .

(ولا مشعوف) : الشعف شدة الفزع حتى يذهب بالقلب .

(فيم كنت) : أي في أي دين .

(ماهذا الرجل) : أي الرجل المشهور بين أظهركم . ولا يلزم منه الحضور . وترك مايشعر بالتعظيم لئلا يصير تلقينا . وهو لا يناسب موضع الاختبار .

(يحطم بعضها بعضًا) : من شدة المزاحمة .

(على اليقين كنت) : يدل على أن من كان على اليقين في الدنيا ، يموت عليه عادة وكذا في جانب الشك .

(إن شاء الله) : للتبرك لا للشك .

(سمعت الناس) : يريد أنه كان مقلدًا في دينه للناس ، ولم يكن منفردًا عنهم بمذهب .

(على الشك) : أي خلاف اليقين اللائق بالإنسان .

١١٤٩ - أحمد (٣ / ٣) .

وكشف الأستار (١ / ٤١٢) . =

رسول الله ﷺ : « ياأيها الناسُ إن هذه الأمةَ تُبْتَلَى في قبورِها فإذا الإنسانُ دُفِنَ فتفرَّق عنه أصحابُهُ جَاءَهُ ملَكٌ في يده مِطراقٌ فأقعَدَهُ قال : ماتقولُ في هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمنًا قال أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبدُه ورسولُه . فيقول له : صَدقْتَ ثم يُفتَحُ له بابٌ إلى النارِ فَيَقولُ هذا كان مَنزِلُك لو كفرتَ بربِّك فأما إذ آمنتَ بربك فهذا منزلك فيُفتَح له بابٌ إلى الجنة فيريد أن ينهضَ إليه فيقول له اسكُنْ ويُفسَحُ له في قبره . وإنْ كان كافراً أو منافقًا يقولُ له ماتقولُ في هذا الرجل ؟ فيقولُ : لا أدري سمعتُ الناسَ يقولون شيئًا . فيقولُ : لا دَرَيتَ ولاَ تَليْتَ ولا اهتديتَ ثُمَّ يُفتَحُ له باب إلى الجنةِ فيقولُ : هذا منزلُك لو آمنت بربك فأما إذ كفرت بربك فإن الله عز وجل أَبْدَلَكَ هذا ويُفتَحُ له بابٌ إلى النارِ ثم يَقْمَعُهُ مَقْمَعَةً بالمِطراقِ يسمعُها خلق الله كلُّهم غيرَ الثقلين » فقال بعضُ القوم : يارسولَ الله ما أحدٌ يقوم عليه مَلَكٌ في يدهِ مِطراقٌ إلا هِيلَ عندَ ذلك . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ » وزاد البزار : « ﴿ **في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾ » .

١١٥٠ - * روى الطبراني عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ قال : « إن الموتى لَيُعَذَّبون في قبورِهم حتى إن البهائمَ تسمعُ أصواتَهم » .

١١٥١ - * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ فَتّانَ القبر فقال عمر أَتُرَدُّ عقولُنا يارسولَ الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم كهيئتِكم اليوم » فقال عمرُ : بفيه الحجرُ .

١١٥٢ - * روى أبو داود عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه ، قال : خرجنا مع رسول الله

= مجمع الزوائد (٣ / ٤٧) . وقال : رواه أحمد والبزار ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٥٠ - للمعجم الكبير (١٠ / ٢٤٧) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٦) وقال : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن .

١١٥١ - أحمد (٢ / ١٧٢) .

مجمع الزوائد (٣ / ٤٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

١١٥٢ - أبو داود (٤ / ٢٣٩) كتاب الجنائز ، باب في المسألة في القبر ، وعذاب القبر . وإسناده حسن .

ﷺ في جَنَازَةِ رَجُلٍ من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يُلْحَدْ بعدُ ، فجلس رسول الله ﷺ وجلَسْنا حولَه كأنما على رؤوسِنا الطَّيْرُ ، وبيده عُودٌ يَنْكُتُ به في الأرضِ ، فرفَعَ رأسَهُ فقالَ : « تَعَوَّذوا بالله من عذابِ القبرِ » مرتين ، أو ثلاثًا .

زاد في رواية [١] : وقال : « إن الميتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نعالهم إذا وَلَّوْا مدبرين حين يقال له : ياهذا ، مَنْ ربُّك ؟ ومادِينُك ؟ ومن نَبيُّكَ ؟ » .

وفي رواية [٢] : « ويأتيه مَلَكان ، فيُجْلِسانه ، فيقولان له : مَنْ ربُّكَ ؟ فيقول : ربيَ الله ، فيقولان له : مادِينُك ؟ فيقول : ديني الإسلامُ ، فيقولان له : ماهذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول : هو رسولُ الله ، فيقولان له : ومايُدريك ؟ فيقول : قرأتُ كتابَ الله ، وآمنتُ به ، وصدَّقتُ » .

زاد في رواية [٣] « فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابتِ في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ ثم اتفقا : « فينادي منادٍ من السماء : أن صَدَق عبدي ، فأفْرِشُوه من الجنةِ ، وألْبِسُوه من الجنةِ ، وافْتَحُوا له بابًا إلى الجنةِ ، فيأتيه من رَوْحِها وطِيبِها ، ويُفْسَحُ له في قبره مَدَّ بَصَرِهِ ، وإن الكافرَ ... » فذكر موتَه ، قال : « فتُعادُ روحُه في جَسدِه ، ويأتيه مَلَكان ، فيجلِسانه ، فيقولان له : مَنْ ربُّك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فيقولان : مادِينُك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري فيقولان له : ماهذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء : أنْ كَذَبَ ، فأفرِشوه من النار ، وألبسوه من النار ، وافتحوا له بابًا إلى النار ، فيأتيه من حَرِّها وسَمومِها ، ويضَيَّقُ عليه قَبْرُه حتى تَختلِفَ فيه أضلاعُهُ » .

= (ينكتُ) : نكت في الأرض بيده وبقضيب : إذا أثر فيها بذلك .

(١) أبو داود : الموضع السابق .

(٢) أبو داود : الموضع السابق .

(٣) أبو داود : الموضع السابق .

(هاه هاه) : من عادة المشدوه الحائر إذا خوطب أن يقول : هاه هاه ، كأنه يستفهم عما يسأل عنه .

زاد في رواية[١] : « ثم يُقيَّضُ له أعمى أبْكَمُ ، معه مِرْزَبَةٌ من حديدٍ لو ضُرِبَ بها جَبَلٌ لصار ترابا ، فَيَضْرِبهُ بها ضَربةً يسمعُها مَنْ بين المشرق والمغرب ، إلا الثقلين ، فَيصيرُ ترابًا ، ثم تعاد فيه الروحُ » .

١١٥٣ - * روى أحمد عن البراء بنِ عازبٍ رضي الله عنه ، قالَ : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازةِ رجلٍ من الأنصار فانتهينا إلى القبرِ ولما يُلْحَدْ فجلسَ رسول الله ﷺ وَجَلَسْنا حوله وكأنّ على رؤوسِنا الطيرَ وفي يده عودٌ يَنْكُتُ به في الأرضِ فرفعَ رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثًا ، ثم قال : « إنّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرةِ نزَّلَ الله ملائكةً من السماء بيضَ الوجوه كأنّ وجوهَهم الشمسُ معهم كَفَنٌ من أكفانِ الجنةِ وحَنوطٌ من حَنوطِ الجنة حتى يجلسوا منه مَدَّ البَصرِ ويجيءُ مَلَكُ الموتِ عليه السلام حتى يجلسَ عند رأسه فيقولَ أيتها النفْس الطيبةُ اخْرُجي إلى مَغْفِرَةٍ من الله ورضوان قال : فَتَخْرُجُ فيقولَ أيتها النفس الطيبةُ اخْرُجي إلى مَغْفِرَةٍ من الله ورضوانٍ » قال : « فَتَخْرُجُ عَيْنٍ حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكَفَنِ وفي ذلك الحَنوطِ ويخرجُ منها كأطيبِ نفحةِ مِسكٍ وُجِدَتْ على وجه الأرضِ » قال « فيَصْعَدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروحُ الطيبُ ؟ فيقولون : فلانُ بنُ فلانٍ بأحسن أسمائه التي كانوا يُسمونه بها في الدنيا حتى يَنْتَهوا بها إلى السماء الدنيا فيَسْتَفْتِحون لهم فَيُشَيِّعُهُم من كل سماء مُقَرَّبوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهَى بها إلى السماء السابعةِ فيقولُ اللهُ عز وجل : اكتبوا كتابَ عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض في جَسَدِه فيأتيه مَلكان فَيُجْلِسانه فيقولان : من ربُّك ؟ فيقول ربِّي الله فيقولان : مادينُكَ ؟ فيقول : ديني الإسلامُ . فيقولان له : ماهذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقولُ : رسولُ الله . فيقولان له : ماعَمَلُكَ ؟ فيقولُ :

---

(١) أبو داود : الموضع السابق .

(أبكم) : الأبكم : الذي خلق أخرسَ .

١١٥٣ - أحمد (٤ / ٢٨٧) .

مجمع الزوائد (٣ / ٤٩) وقال : هو في الصحيح وغيره باختصار ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . =

قرأتُ كتابَ اللهِ وآمنتُ به وصدقتُه فينادي منادٍ من السماء : أن صَدَقَ عبدي فافْرِشوا له من الجنةِ وألبِسُوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة قال : « فيأتيه من رَوْحِها وطيبها ويُفْسَحُ له في قبرِه مَدَّ بصرِه » قال : « ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوجه حسنُ الثيابِ طيب الريحِ فيقول أبشِرْ بالذي يَسُرّك هذا يومُك الذي كنتَ توعدُ فيقولُ : من أنت فوجهُك الوجهُ يجيءُ بالخيرِ فيقولُ : أنا عملُكَ الصالح فيقولُ : رب أقِمِ الساعةَ حتى أرْجِعَ إلى أهلي ومالي . وإن العبدَ الكافر إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل ملائكة سودُ الوجوه معهم المُسوحُ فيجلسون منه مَدَّ البصر ثم يجيءُ مَلَكُ الموتِ حتى يجلِسَ عند رأسِه فيقولُ : أيتها النفس الخبيثةُ اخْرُجي إلى سَخَطٍ من اللهِ وغَضَبٍ فتَفَرَّقُ في جَسَده فيَنْتزِعُها كما يُنزَعُ السَّفُودُ من الصوف المبلول فيأخذُها فإذا أخذَها لم يَدَعوها في يدهِ طرفةَ عينٍ حتى يجعلوها في تلك المسوحِ ويَخْرُجُ منها كأنتن جيفةٍ وُجِدَتْ على وجه الأرض فَيَصعدون بها فلا يَمرون بها على مَلأ من الملائكةِ إلا قالوا : ما هذه الريحُ الخبيثةُ فيقولون : فلانُ بنُ فلانٍ بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا حتى يُنْتهَى بها إلى السماء الدنيا فيستفتحُ له فلا يُفْتَحُ » ثم قرأ رسول الله ﷺ : « ﴿ **لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط** ﴾ فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابَه في سِجينٍ في الأرضِ السُّفْلى ثم تُطرحُ رُوحُه طرحًا » ثم تلا : « ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق** ﴾ فيُعادُ رُوحُه في جَسدِه ويأتيه ملكان فيُجلِسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء : أن كَذَبَ فأفرشوه من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حَرِّها وسَمومها ويُضَيَّقُ عليه قبْرُه حتى تَختلفَ فيه أضلاعُهُ ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه قبيحُ الثيابِ مُنْتِنُ الريحِ فيقول أبشر بالذي يَسوؤكَ هذا يومُك الذي كنتَ تُوعَدُ فيقول : من أنت ؟ فوجهُك الذي يأتي بالشَّرِّ فيقول : أنا عملك الخبيثُ فيقول : ربِّ لا تقم الساعة » .

= (السَّفُودُ) : الحديدة التي يشوى بها اللحم .

وفي رواية عنه (١) أيضًا نحو هذا وزاد فيه « فيأتيه آتٍ قبيحُ الوجهِ قبيحُ الثياب منتنُ الريحِ فيقولُ : أبشر بهوانٍ من الله وعذابٍ مقيم فيقول : فَبَشَّرَكَ اللهُ بالشر من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الخبيثُ كنتَ بطيئًا عن طاعةِ الله سريعًا في معصيتِه فجزاكَ اللهُ شرا ثم يُقَيَّضُ له أعمى أصم أبكَم في يدِه مِرْزَبَةٌ لو ضُرِبَ بها جبلٌ كان تُرابًا فيضربه ضَرْبَةً فيصيرُ ترابًا ثم يُعيدُه اللهُ كما كان فيضربُهُ ضَرْبَةً أخرى فيصيحُ صيحةً يَسْمَعُه كلُّ شيءٍ إلا الثقلين » . قال البراءُ ثمَّ يُفْتَحُ له بابٌ إلى النار ويُمَهَّدُ له من فرش النار .

١١٥٤ ـ * روى أحمد عن أسماءَ ، أنها كانتْ تُحدِّثُ عن النبيِّ ﷺ قالَتْ : « إذا دخلَ الإنسانُ قبرَهُ فإن كان مؤمنًا أحف به عملُه الصلاةُ والصيامُ » قال : « فيأتيه الملَكُ من نحو الصلاةِ فيردُّه ومن نحو الصيامِ فيردُّه فيناديه اجْلِس » قال : « فيجلِسُ فيقولُ له : ماتقولُ في هذا الرجل » ؟ يعني النبي ﷺ « قال من ؟ قال : محمد ، قال : أشهد أنه رسول الله » قال : «يقول : على ذلك عشت وعليه مُتَّ وعليه تُبْعَثُ » . قال : « وإن كان فاجراً أو كافراً » قال : « جاءه مَلَكٌ ليس بينه وبينه شيءٌ يَرُدُّهُ » . قال : « فأجْلَسَهُ قال : اجلسْ ماذا تقول في هذا الرجل ؟ قال أيُّ رجلٍ ؟ قال : محمدٌ ، يقول : ماأدري والله سمعتُ الناسَ يقولون شيئًا فقلتُه . قالَ له الملَكُ : على ذلك عِشْتَ وعليه مُتَّ وعليه تُبْعَثُ وتُسلَّطُ عَليه دابةٌ في قبرِه معها سوط ثَمَرَتُهُ جَمْرَةٌ مثلُ البعيرِ تَضْرِبُهُ ماشاء اللهُ صَمَّاءُ لا تَسْمَعُ صَوتَه فَتَرْحَمُهُ » .

١١٥٥ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إنه ليسمع خفق نِعالهم حين يولون عنه فإذا كان مؤمنًا

(١) أحمد : الموضع السابق .

مجمع الزوائد (٣ / ٤٩) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٥٤ ـ أحمد (٦ / ٣٥٢) .

والمعجم الكبير (٢٤ / ١٠٥) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥١) وقال : رواه أحمد وروى الطبراني منه طرفًا في الكبير ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

١١٥٥ ـ مجمع الزوائد (٣ / ٥١) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن ، ولأبي هريرة في الأوسط أيضًا رفعه =

كانتِ الصلاة عنـد رأسِـه ، والزكاةُ عن يمينـه ، والصـومُ عن شمالـه وفعـل الخيرات والمعروف والإحسـان إلى النـاس من قبل رجليـه ، فيُؤتى من قِبلِ رأسِـه ، فتقول الصلاة : ليس قِبلي مَدْخَلٌ ، فيُؤتى عن يمينه ، فتقول الزكاة : ليس قِبلي مدخلٌ ، ويؤتى من قبل شماله فيقول الصومُ : ليس قِبلي مَـدْخَلٌ ثم يؤتى من قبل رجليـه : فيقول فِعْلُ الخيراتِ إلى الناس : ليس من قبلي مـدخلٌ فيقـال لـه اجلِس فيجلِسُ وقد مُثِّلَتْ له الشمسُ للغروب فيقال له : ماتقول في هذا الرجلِ الـذي كانَ قبلَكم يعني النبي ﷺ فقال : أشْهدُ أنـه رسول الله ﷺ جاءنـا بـالبينـات من عنـد ربنـا فصدقناه واتبعناه ، فيُقالُ له : صَـدَقْتَ وعلى هـذا حييت وعلى هـذا مُتَّ وعليـه تُبعثُ إن شاءَ اللهُ ويفسَحُ له قَبْرُهُ مدٌّ بصرِه فـذلـك قول الله عز وجل : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ ويقال : افتحوا لـه بـابًـا إلى النار فيقال : هذا كان منزِلك لو عصيتَ الله عز وجل فيزدادُ غِبطَةً وسرورًا . ويقال : افتحوا له بابًا إلى الجنة فيُفتحُ له فيُقالُ : هذا منزِلُكَ ومـاأعـدَّه الله لـك فيزدادُ غِبطةً وسرورًا ، فيعادُ الجلدُ إلى مـابـدا منـه ، ويُجعلُ روحُـه في نسم طير يَعْلَقَ في شجر الجنة ، وأما الكافرُ فيُؤتى من قِبلِ رأسه فلا يوجد شيء ، فيؤتى من قبل رجليه فلا يوجد شيء ، فيجلِسُ خائفًا مرعوبًا فيُقالُ لـه : مـاتقول في هـذا الرجلِ كان فيكم وما تشهـد بـه ؟ فلا يهتـدي لاسمـه فيقـالُ : محمدٌ ﷺ فيقول : سمعت الناسَ يقولون شيئًا فقلت كما قـالوا فيقـال لـه : صـدقت على هـذا حييت وعليه مُتَّ وعليه تُبعثُ إن شاء الله ويُضَيَّقُ عليه قبرُهُ حتى تختلفَ أضلاعُه فذلك قول الله عز وجل ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا** ﴾ فيقال : افتحوا له بابًا إلى الجنة فيقـال لـه : هـذا كان منزلَـك ومـا أعـدَّ الله لـك لو أطعتَـه ، فيزاد حسَرةً وثبورًا ثم يقالُ : افتحوا لـه بـابًـا إلى النـار فيُفْتَحُ لـه إليهـا فيقـالُ : هـذا

= قال : يؤتى الرجل في قبره فإذا أُتِيَ من قِبل رأسِه دفعتْه تلاوةُ القرآن وإذا أُتي من قِبل يديه دفعته الصدقةُ وإذا أُتي من قبل رجليه دفعه مشيُه إلى المساجد والصبرُ حَجَزَهُ فقال : أما إني لو رأيت خليلاً كنتُ صاحِبَهُ .

وروى البزار طرفًا منه . (كشف الأستار ١ / ٤١٣) .

(ويجعل روحه) : الروح تذكر وتؤنث .

منزِلُكَ وما أعَدَّ الله لـك فيزدادُ حَسرةً وثبورًا » . قـال أبو عمر يعني الضرير قلت لحماد ابن سَلَمَةَ كان هذا من أهل القبلة ؟ قال : نعم : قال أبو عمر كأنه يشهد بهذه الشهادةِ على غيرِ يقينٍ يَرجِعُ إلى قلبه كأن يسمَع الناسَ يقولون شيئًا فيقوله .

١١٥٦ - * روى ابن ماجه عن سالم عن أبيهِ ، قَـالَ جَاءَ أعْرَابِيٌّ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَارَسُولَ اللهِ : إنَّ أبِي كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ وَكَانَ وَكَانَ ، فَأيْنَ هُوَ ؟ قَـالَ : « فِي النـارِ » قَال فكأنه وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ : يَـارَسُولَ اللهِ فَـأيْنَ أبُوكَ ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ « حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْه بِالنَّارِ » قَالَ فَأَسْلَمَ الأعْرَابِيُّ بعد وقال : لَقَدْ كَلَّفَنِي رسول الله ﷺ تَعَبًا مَامَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ إلا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ .

١١٥٧ - * روى الطبراني عن قتادةَ أن أنسًا دَفَنَ ابنًا له فقـال : اللهم جافِ الأرضَ عن جنبيه وافتَحْ أبوابَ السماء لروحِهِ وأبْدِلْه دارًا خيرًا من داره .

١١٥٨ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يـأكل الترابُ كلَّ الإنسان إلا عَجْبَ ذَنَبِهِ » قيلَ : ومـا مَثَلُهُ يـارسول الله ؟ قـال : « مثلُ حبةِ خَرْدَلٍ منه تَنْبُتُون » .

١١٥٩ - * روى مسلم عن أبي هريرة رَضِي الله عنـه ، أنَّ رسـول الله ﷺ قَـالَ : « إذا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عملُه إلا مِن ثَلاثَةٍ : صَدَقَـةٍ جَارِيَـةٍ ، أوْ علمٍ يُنْتَفَعُ بـه ، أو ولدٍ صالح يَدْعُو لَهُ » .

١١٥٦ - ابن ماجه (١ / ٥٠١) ٦ - كتاب الجنائز ، ٤٨ - باب ماجاء في زيارة قبور المشركين .
وقال في الزوائد : إسناد هذا الحديث صحيح .

١١٥٧ - المعجم الكبير (١ / ٢٤٤)
مجمع الزوائد (٣ / ٤٤) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله ثقات .

١١٥٨ - أحمد (٣ / ٢٨) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٢) وقال رواه أحمد ، وإسناده حسن .

١١٥٩ - مسلم (٣ / ١٢٥٥) ٢٥ - كتاب الوصية ، ٣ - باب مايلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته .
وأبو داود (٣ / ١١٧) كتاب الصيد ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت .
والترمذي (٣ / ٦٦٠) ١٣ - كتاب الأحكام ، ٣٦ - باب في الوقف . وقال : هذا حديث حسن صحيح .
والنسائي (٦ / ٢٥١) ٣٠ - كتاب الوصايا ، ٨ - فضل الصدقة عن الميت .
(صدقة جارية) : الصدقة الجارية : هي الدَّارَّة المتصلة ، كالوقف ومايجري مجراه .

١١٦٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بن مَالكٍ رضي اللهُ عنهُ ، قَالَ : قالَ رسول الله ﷺ « يَتْبَعُ الميِّتَ ثلاثٌ : أهلُه ، ومالُه ، وَعَمَلُه ، فيرْجِعُ اثنان ، ويبقى واحدٌ ، يرجع أهلُه ومالُه ، ويبقى عَمَلُه » .

١١٦١ ـ * روى الطبراني عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، عن كعب ، قال : لما حَضَرَته الوفاة أتته أمُّ مبشِّر فقالت اقرأ على النبي السلامَ . فقال لها : أو ماسمعتِ رسول الله ﷺ يقولُ : « روحُ المؤمنِ طائرٌ يَعْلَق في شجَرِ الجنةِ حتى يُبْعَثَ يومَ القيامةِ » قالتْ : بلى ولكن ذُهِلْتُ .

١١٦٢ ـ * روى مالك عن كعب بن مالكٍ رضي الله عنه ، كان يُحَدِّثُ أن النبيَّ ﷺ قال : « إنما نَسَمَةُ المؤمن طيرٌ يَعْلَقُ في شجر الجنة حتى يرجعه الله في جَسَدِهِ يوم يَبْعَثُهُ » .

أقول : الظاهر أن هذا ليس عامًّا في كل مؤمن بل هو خاص بالشهداء وبمن يكرمه الله عز وجل من أهل خاصّته .

١١٦٣ ـ * روى مسلم عن مَسْرُوق رحمه الله قال : سَأَلْنَا عبدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ عَن هذه الآية ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُوا في سَبيل اللهِ أمواتًا بل أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون ﴾ [1] فَقَالَ : أمَا إنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذلك رسولَ الله ﷺ ؟ فَقَال : « أرْوَاحُهم في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، لهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْش ، تَسْرَحُ مِن الجنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إلى

١١٦٠ ـ البخاري (١١ / ٣٦٢) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤٢ ـ باب سكرات الموت .
مسلم (٤ / ٢٢٧٣) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ، حديث (٥) .
والترمذي (٤ / ٥٨٩) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٤٦ ـ باب ماجاء مثل ابن آدم وأهله وولده وماله وعمله .
وقال : حديث حسن صحيح .

١١٦١ـ مجمع الزوائد (٢ / ٣٢٩) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٦٢ـ الموطأ (١ / ٢٤٠) ١٦ ـ كتاب الجنائز ، ١٦ ـ باب جامع الجنائز .
والنسائي (٤ / ١٠٨) ٢١ ـ كتاب الجنائز ، ١١٧ ـ باب أرواح المؤمنين .
(النَّسَمة) : الرُّوح والنَّفْس ، و « يَعْلَقُ » أي يأكل .

١١٦٣ ـ مسلم (٣ / ١٥٠٢) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ، ٣٣ ـ باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

(١) آل عمران : ١٦٩ .

تلْكَ القَنَادِيْلِ ، فاطَّلَعَ إليهم رَبُّهم اطلاعَةً ، فقال : هَلْ تَشْتَهُونَ شيئًا ؟ قالوا : أيَّ شيءٍ نَشْتَهي ونحن نَسْرح من الجنة حيث شِئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مراتٍ ، فلمّا رَأَوْا أنَّهم لم يُترَكُوا من أن يُسأَلُوا ، قالوا : يارب ، نُريدُ أن تَرُدَّ علينا أرواحَنا في أجسادنا حتى نُقْتَلَ في سبيلكَ مرةً أُخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجةٌ تُرِكُوا » .

وفي رواية الترمذي [١] : أنه سُئل عن قوله : ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيلِ الله أمواتًا بل أَحْيَاءٌ عند ربهم ﴾ فقال : أما إنَّا قد سَأَلْنَا عن ذلك ؟ فأُخْبِرْنا أنَّ : « أروَاحهُم في طير خُضْر ، تَسْرَحُ في الجنة حيث شاءَتْ ، وتأوي إلى قَناديلَ مُعَلَّقةٍ بالعرش ، فاطَّلع ربك اطِّلاعةً ، فقال : هل تَسْتَزِيدون شَيْئًا ، فَأَزيدكم ؟ قالوا : ربنا ، وما نَسْتَزيد ونحن في الجنة نَسْرح حيث شِئْنَا ؟ ! ثم اطَّلع إليهم الثانيةَ ، فقال : هل تَسْتَزِيدُون شيئًا ، فأزيدكم ؟ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهم لا يُتَرَكُون ، قالوا : تُعيدُ أرواحَنا في أجسادنا حتى نرجعَ إلى الدُّنْيا فَنُقْتَلَ في سبيلك مرة أُخرى » .

وللترمذي [٢] في رواية أخرى - مثله - وزاد : « وتُقْرِئ نَبينا السلام ، وتُخْبِرُه أنْ قد رَضِينا ، وَرَضِيَ عنا » .

١١٦٤ - * روى أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » .

---

(١) الترمذي (٥ / ٢٣١) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٤ - باب ومن سورة آل عمران . وقال : حديث حسن صحيح .
(تَسْرَحَ) : الماشية : إذا ذهبت للرعي ، فاستعاره للطير .

(٢) الترمذي للوضع السابق . وقال : حديث حسن .

١١٦٤ - أحمد (١ / ٢٦٦) .

والمعجم الكبير (١٠ / ٤٠٥) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٩٤) وقال : رواه أحمد وإسناده رجاله ثقات ، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط .

١١٦٥ - * روى أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على باب بارق نهر بباب الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » .

* * *

١١٦٥ - أحمد (١ / ٢٦٦)

والمعجم الكبير (١٠ / ٤٠٥) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٩٨) وقال : رواه أحمد ، والطبراني ورجال أحمد ثقات .

١١٩٠

مسائل وفوائد

ذكر أخونا الشيخ الشهيد أديب كيلاني في شرحه لعقائد أهل السنة والجماعة عن الموت والحياة البرزخية مانأخذ منه هذه المقتطفات :

ـ « ولا بد من سؤال الميت ، ولو تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع في أجوافها ؛ إذ لا يبعد أن الله تعالى يعيد له الروح في أعضائه ولو كانت متفرقة ، لأن قدرته تعالى صالحة لذلك . وإن مات جماعة في وقت واحد بأقاليم مختلفة ، فقد ذهب القرطبي إلى جواز أن الملكين يعظمان فيسألان الجميع بوقت واحد أو أن ملائكة السؤال عديدون ، كما ذهب إليه الحافظ السيوطي ووافقه عليه الحليمي .

ـ والأنبياء لا يُسألون ، وقيل يسألون عن الوحي وجبريل ، وكذلك الصديقون والشهداء والمرابطون والملازمون لقراءة سورة الملك كل ليلة من حين بلوغ الخبر إليهم ولا يضر الترك مرة بعذر ، وذكر بعضهم سورة السجدة كذلك ، وكذلك من قرأ بمرض موته سورة الإخلاص ، ومريض البطن ، والميت بالطاعون أو بغيره في زمنه صابراً محتسبًا ، والميت ليلة الجمعة أو يومها . والراجح أن غير الأنبياء وشهداء المعركة يُسألون سؤالاً خفيفًا . والظاهر كما جزم به الجلال السيوطي وغيره اختصاص السؤال بالمكلفين بخلاف الأطفال ...

ـ مما يجب اعتقاده عذاب القبر ، وإنما أضيف العذاب للقبر لأنه الغالب ، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه عُذّب ، قُبر أو لم يقبر ، ولو غرق أو صلب أو التهمته الضواري أو حُرّق ثم ذرته الرياح ، وتفتت الأعضاء لا يمنع من وجود العذاب .

ـ والعذاب للكافر والمنافق دائم ديمومة البرزخ . وينقطع عن المؤمن العاصي إن خفت جرائمه ، كما يرفع بالدعاء أو الصدقة ، أو غير ذلك ، كما قاله ابن القيم وكل من لا يُسأل في القبر لا يعذب . وضغطة القبر من عذابه ، وهي التقاء حافتيه التقاء برزخيًا يتناسب مع عالم البرزخ ، ومايحكمه من قوانين ، فتضمه الأرض حتى تختلف أضلاعه ولا ينجو من الضمة أحد حتى الصلحاء ، ماخلا الأنبياء .

ـ وأما المؤمنون الصالحون الذين قدر الله لهم ألا يعذبوا فهم في نعيم القبر . وقد بلغت النصوص في نعيمه مبلغ التواتر . وكما أن العذاب لا يختص بالقبر فكذلك النعيم ، فهو يشمل كل ميت قدر له ، قبر أو لم يقبر ، ولا يختص بالمؤمنين من هذه الأمة ، ولا بالمكلفين ومن النعيم توسيع القبر ، وفتح طاقة فيه من الجنة ، وامتلاؤه بالريحان وجعله روضة من رياض الجنة وتنويره حتى يغدو كالقمر ليلة البدر ، وكل هذا بما يتناسب مع عالم البرزخ .

ـ والأنبياء ـ وإن كانوا جميعهم أحياء حياة برزخية ـ أكمل حياة من الشهداء ، والشهداء أكمل حياة من بقية الأموات .

ـ وعلى كل فهى أمور خارقة للعادة فلا يقاس عليها غيرها ، ويجب اعتقاد أن الله تعالى يرزق شهيد الحرب من محبوب نعيم الجنات ، إلا أنه يتناولون الأكل والشرب للتلذذ ، لا للاحتياج .

ـ وإنما سمي الشهيد شهيداً لشهادة الله وملائكته له بالجنة والرضا عنه .

ـ ولأن روحه شهدت دار السلام بخلاف غيره ، فإنه لا يشهدها إلا يوم القيامة . وقد قال النسفي : بأن أرواح المسلمين ـ إن دخلت الجنة الآن ، كما دلت عليه الأحاديث ـ لا تكون كالشهيد في الحياة والرزق بل لا تأكل فيها ولا تتمتع . اهـ .

أقول : وكخاتمة لهذا الوصل ، وكجسر للكلام عن الوصل اللاحق نذكر لك ما قاله صاحب الإحياء وهو يوصيك عما ينبغي أن يكون عليه عقلك وقلبك بالنسبة للنصوص التي تتحدث عن اليوم الآخر :

قال الإمام الغزالي في الإحياء :

« إيَّاك أن تُنكِر شيئًا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياسَ ما في الدنيا ، فإنك لو لم تكن قد شاهدتَ عجائب الدنيا ، ثم عُرِضَتْ عليك قبل المشاهدة لكنتَ أشدَّ إنكارًا لها ، وفي طبع الآدمي إنكارُ كلِّ مالم يأنس به !

ولو لم يشاهد الإنسانُ الحيَّة وهي تمشي على بطنها كالبَرْق الخاطف لأنكَرَ تَصَوُّر المَشي على غير رِجْل والمَشْيَ بالرجل أيضًا مُستبعَدٌ عند من لم يشاهد ذلك . وَلَوْ لَمْ يُشَاهِد

الإنسانُ توالُدَ الحيوان ، وقيل له : إنّ له صانعًا يَصنَعُ من النُّطفَة القَذِرَة مِثْلَ هذا الآدميّ : المصوِّرِ، العاقلِ، المتكلِّمِ، المتصرِّفِ ... لاشتَدّ نُفورُ باطنِهِ عن التصديق به .

ففي خَلْق الآدميّ مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه : أعاجيبُ تزيدُ على الأعاجيب في بَعْثه وإعادته ، فكيف يُنكِرُ ذلك من قُدرة الله تعالى وحكمته : مَنْ يُشاهدُ ذلك في صنعته وقدرته ؟ ! فإن كان في إيمانك ضعفٌ فقوِّ الإيمانَ بالنظر في النشأة الأُولى : ﴿ أيحسَبُ الإنسانُ أن يُترَكَ سُدى * ألم يَكُ نُطفَةً من منيٍ يُمْنَى * ثم كان عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسوَّى * فَجَعلَ منه الزَّوْجَيْنِ الذَّكَر والأُنْثَى * أليس ذلك بقادرٍ على أن يُحييَ المَوْتَى ﴾ [1] بلى إنّ الله على كل شيء قدير » . اهـ .

* * *

---

(١) القيامة : ٣٦ ـ ٤٠ .

الوصل الثالث

في:

الساعة وما يأتي بعدها

وفيه:

مقدمات وفقرات وخاتمة



المقدمة

هذا الموضوع من أهم قضايا العقيدة ، لأنه يصف أخطر شيء وأعظم حقيقة يغفل عنها الإنسان ، وهو من أهم الأمور في التربية وأهمها في التعليم ، ومن أهمها فيما ينبغي أن يكون الإنسان منه على تذكر دائم ، ومن ههنا كان التأمل فيه وتذكره يومياً من أساسيات السير إلى الله عز وجل ، وهو زاد الوعظ وزاد جلسات المذاكرة وهو طريق المسلم للوصول إلى مقام المُخْلَص (بفتح اللام) .

فالحسن البصري رحمه الله يقول : « الناس هلكى إلا العالمين ، والعالمون هلكى إلا العاملين ، والعاملون هلكى إلا المخلصِين ، والمخلِصون على خطر عظيم » .

فإذا كان المخلِصون على خطر فمن هم الناجون ؟ يذكر الله عز وجل سياسة إبليس عليه اللعنة : ﴿ لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلَصين ﴾ [1] فالمخلَص هو الذي سار في طريق النجاة ، وطريق الوصول إلى مقامه هو تذكر الآخرة ، قال تعالى : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحٰق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾ [2] فلقد وصلوا إلى مقام المخلَص بعمل خالص هو تذكر الدار الآخرة .

وما أكثر الكفر بالآخرة والشك في شأنها والغفلة عنها ، فياويح الكافرين والغافلين بماذا يكفرون ولماذا يغفلون ؟ أيغفلون عن الجنة والنار ؟

* * *

وقضية الآخرة منوطة بالإيمان بالله فمن عرف قدرة الله الذي خلق كل شيء وعرف علم الله الذي لا يغيب عنه شيء وعرف عدله وفضله وكرمه آمن بالآخرة ، وقضية الآخرة كذلك منوطة بالإيمان بالرسول ﷺ فمن آمن به عرف الآخرة لأن عليها مدار البعثة فالبعثة يترتب عليها تكليف ومسؤولية وجزاء .

ومن عرف أن القرآن كتاب الله وعرف معجزاته وإعجازه لا يشك في اليوم الآخر .

---

(١) الحجر : ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) ص : ٤٥ ، ٤٦ .

وأمر اليوم الآخر مـداره على الإيمـان والتسليم فتلـك عوالم نحن مقبلـون عليهـا لا نعرف عنها إلا ما أخبرنا عنه الله عز وجل ورسوله ، وواجبنـا في الأخبـار : الإيمـان والتسليم دون الاعتراض والتشكك : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويلـه يقول الـذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنـا أو نرد فنعمل غير الـذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ [1] .

ولذلك فنحن سنقلل من التعليق على أحـاديث هـذا الوصل حتى لا نفسـد على القـارئ تفاعله مع النص وتأثره فيه وسنقسم أبحاث هذا الوصل إلى فِقرات مع ملاحظة أن كثيرًا من النصوص تتعلق بأكثر من فِقْرة .

---

(١) الأعراف : ٥٣ .

الفِقْرات

الفقـرة الأولى : في عرض إجمالي .

الفقرة الثانية : في النفختين وفي يوم القيامة .

الفقرة الثالثة : في الحشر .

الفقرة الرابعة : في مشاهد من القرآن الكريم فيما يجري في اليوم الآخر من حوار .

الفقرة الخامسة : في أحاديث جامعة تصف بعض ما في الموقف وما بعده .

الفقرة السادسة : في الحوض .

الفقرة السابعة : في الحساب والميزان .

الفقرة الثامنة : في الصراط .

الفقرة التاسعة : في الشفاعات .

الفقرة العاشرة : في الجنة والنار .

الفقرة الحاديثة عشر : في ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ .



الفقرة الأولى

عرض إجمالي

تحكم الإنسان وهو في بطن أمه أسباب تختلف نوعًا ما عن الأسباب التي تحكمه بعد ولادته ، ولهذا العالم أسبابه وقوانينه ، ولعالم البرزخ أسبابه وقوانينه ، وللقيامة وما يكون بعدها أسباب وقوانين ، وكل ذلك بعلم الله وإرادته وقدرته ، فإذا ما جاءت النصوص القرآنية أو النصوص الحديثية الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فلا يصح أن يستغرب شيء منها لأن ذلك كفر بوجود الله وصفاته أصلاً ، ومن رأى عظمة هذا الكون وامتداده ملايين السنين الضوئية وأنه كله بقدرة الله كيف يستغرب شيئاً على هذه القدرة أخبر الله عز وجل عنه أو أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم أن الله فاعله .

ـ قال تعالى : ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [(١)] .

ـ لقد خلق الله عز وجل الماء والعرش ، ثم من الماء خلق مجرات هذا الكون ﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾ [(٢)] ثم خلق الأرض بعد السماء ثم خلق السماوات السبع بعد الأرض ، قال تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ [(٣)] ، ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات ﴾ [(٤)] ، ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ﴾ [(٥)] ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ [(٦)] . والسماوات السبع والكرسي والعرش مغيبة عنا في فهمي بدليل أن رسول الله ﷺ قال في حديث صحيح : « والله لقد رأيت ما أنتم لاقون في دنياكم وآخرتكم » [(٧)] قال الشيخ

---

(١) الرعد : ٥ .
(٢) الذاريات : ٤٧ .
(٣) النازعات : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .
(٤) البقرة : ٢٩ .
(٥) الطلاق : ١٢ .
(٦) فصلت : ١٢ .
(٧) المستدرك (١ / ٣٣٠) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وقد ورد قريبًا من هذا المعنى في سياقات عند البخاري ومسلم .

عبد الفتاح أبو غدة في كتاب (التصريح بما تواتر في نزول المسيح عليه السلام) :

وظاهِرُ الحديث في رؤية الجنة والنار أنه ﷺ رآهما رؤية عين ، فمن العلماء مَنْ حَمَلَ ذلك على أن الحُجُبَ كُشِفَتْ له ﷺ دونها ، فرآهما على حقيقتها ، ومنهم مَنْ حَمَلَ ذلك على أنها مُثِّلَتا له في الحائط كما تنطبع الصورةُ في المرآة ، فرأى جميعَ ما فيهما . ويَشهد لكلٍّ من هذين القولين أحاديثُ ذكرها الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٢ : ٤٤٨ . وقال القاضي عياض : القولُ الأول - وهو أنها رؤيةُ عين حقيقةً - أولى كما حكاه عنه النوويُّ في « شرح صحيح مسلم » ٦ : ٢٠٧ ، وأقرّه . ا.هـ .

أقول : وجمهور العلماء يذهبون أن الجنة الآن فوق السماء السابعة فهي كالجزء منها ، فإذا رآها الرسول ﷺ لم يرها غيره ، فذلك دليل على أنها مغيبة ، وهذا يجعلنا نستأنس أن السماوات السبع كلها مغيبة عنا .

- وجعل الكرسي سقفاً للسماوات السبع : ﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ [١] .

وجعل العرش سقفاً لهذا العالم : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ [٢] . وقد ورد في الحديث : « ما الكرسي في العرش إلا كحلْقةٍ من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض » [٣] .

- وخلق الملائكة والإنس والجن والحيوانات والنباتات والجنة والنار .

- وكما أن الخلق كان بقدرة الله عز وجل ابتداءً فإنه يحتاج إلى إمداد الله باستمرار ، قال تعالى : ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ﴾ [٤] ، ولذلك شبه بعضهم هذا الكون بالنسبة للإمداد الإلهي كنور الكهرباء في احتياجه لإمداد المولد الكهربائي ولله المثل الأعلى ، ولذلك فلا محل لتساؤل من يتساءل أنه إذا مات الإنسان والحيوان وتفرقت أجزاؤهما فأصبحت في أجسام أخرى كيف تحشر هذه الأجسام نفسها فذرة الآن غير ذرة اللحظة السابقة واللاحقة ، ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ [٥] ، ولا محل للتساؤل كيف تعرض الأعمال كلها وكيف تعرض الأيام والليالي وكيف تشهد الأرض والأعضاء مع

(١) البقرة : ٢٥٥ .

(٢) هود : ٧ .

(٣) الحديث رواه ابن جرير ، وهو صحيح .

(٤) الإسراء : ٢٠ .

(٥) يس : ١٢ .

أن بعض الأعضاء في الأحياء تتجدد .

نقول هذا بمناسبة أن علماء أهل السنة والجماعة يذكرون أن ما مر على الأجساد من أعراض وما مر من أزمنة يعرض كذلك على قول قوي لعلماء العقائد في الإسلام ، فالزمن وما حدث فيه والأعراض التي مر عليها الإنسان والأحوال كلها تعرض يوم القيامة على الإنسان ، قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله وهو يشرح عقائد أهل السنة والجماعة : فما كان من الأعراض اللازمة للذات من بياض وطول ونحوه فإنه يعاد متعلقاً بها ، وما كان من غير ذلك ـ كالكفر والمعاصي والإيمان والطاعة ـ فإنه يعاد مصورًا بصور حية ، فتكون حسنة من الحسنات وقبيحة في السيئات ، هذا هو الظاهر . وهذه الإعادة ليست دفعة واحدة بل هي على التدريج حسبما كانت في الدنيا ، لكنها تمر كلمح البصر ، وربك على كل شيء قدير .

قال تعالى : ﴿ اليَوْمَ تُجْزَى كلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ اليَوْمَ إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحساب ﴾ [1] اهـ .

وقال : الأرجح أن جميع أزمنة الأجسام ـ التي مرت عليها في الدنيا ـ تعاد لتشهد للإنسان وعليه ، بما أوقع فيها من الطاعات والآثام ، لكنها إعادة على التدريج حسبما مرت في الدنيا وإن كانت في الآخرة أسرع اهـ .

ونعود للسياق الرئيسي في موضوعنا :

ـ هذا الكون بما فيه ماذا سيحدث له ؟

إنه سيكون هناك نفخة في الصور يحدث فيها ما يحدث وهي التي تسمى نفخة الصعق ثم تكون نفخة أخرى يكون فيها بعث كل من مات من الأحياء ، وبالنفخة الأولى تقوم القيامة وبالنفخة الثانية يبدأ اليوم الآخر على قول ، قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله : إن أول اليوم الآخر من وقت الحشر إلى مالا يتناهى على الصحيح . وقيل حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار . وإنما سمي آخرًا لأنه متصل بآخر أيام الدنيا لا أنه آخرها .

---

(١) غافر : ١٧ .

وسمي يوم القيامة لقيام الناس من قبورهم بين يدي خالقهم ، ولقيام الحجة لهم أو عليهم . وله أسماء نحو الثلاثمائة اهـ .

ومنهم من يرى أن هناك نفخة قبل النفخة الأولى تسمى نفخة الفزع ، والقول الراجح أنها نفختان فقط .

ـ فماذا يحدث في النفخة الأولى وما بعدها :

أما السموات السبع فتطوى ، والأرضون الست ما عدا أرضنا تجمع : ﴿ **والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه** ﴾ [1] ، ومجرات هذا الكون كلها تطوى فكما كانت كتلة واحدة ثم انفصلت ترجع كتلة واحدة : ﴿ **يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾ [2] أما البشر والجن والحيوانات الموجودة وقتذاك فتصعق وتموت ، وأما الأرض فتؤجج بحارها نارًا وتدك جبالها وتنسف وتمد بعد أن كانت كروية فتصبح كالبساط الواحد لا معلم فيها من جبال أو وديان أو أنهار أو غير ذلك .

أما الملائكة فيصعقون إلا بعضهم ، ثم هؤلاء المستثنون على قول ، وأما الأرواح التي قبضت من قبل فتصعق إلا روح موسى عليه السلام ـ على قول ـ ، وأما الجنة وما فيها من الحور العين فلا يحدث لها شيء والنار لا يحدث لها شيء والعرش والكرسي في الظاهر لا يصيبها مما يحدث شيء وقد أخذ العلماء هذه الاستثناءات من قوله تعالى : ﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله** ﴾ [3] ، ومن استقراءات وتحقيقات كثيرة يرد معنا بعضها .

أما الشمس والقمر فيكوران ويجمعان مع بعضها كما ورد في نص صحيح ، ويحتمل أن يدمجا مع بقية العوالم والمجرات ليعود الكون كله كتلة واحدة وذلك كله مقدمة لتكوين جديد ووضع جديد .

ـ وفي النفخة الثانية يتم البعث والنشر للمخلوقات جميعًا ، والنصوص تحدثنا بإجمال عن

---

(١) الزمر : ٦٧ . (٢) الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) الزمر : ٦٨ .

حشر الحيوانات لتحقيق العدل ثم إفناؤها فتكون ترابًا ، وتحدثنا بشيء من التفصيل عن أوضاع للحيوانات لها ارتباط بقضايا الإنسان كالحيوانات التي تجب فيها الزكاة ولا يؤدي الإنسان زكاتها ، وعن الحيوانات التي يقتلها الإنسان عبثًا .

قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله عن البعث والحشر :

البعث عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ، ولو قطعت قبل موته بخلاف التي ليس من شأنها ذلك ، كالظفر مثلاً ، والحشر عبارة عن سوقهم جميعًا إلى الموقف ، وهو الموضع الذي يقفون فيه لفصل القضاء ، ووزن الأعمال ، ومنه إما إلى جنة أو إلى نار ، وهو أرض لم يعص الله عليها .

ولا فرق في الحشر بين من يجازى ومن لا يجازى ، كالبهائم والوحوش ، على ما ذهب إليه المحققون ، وصححه النووي . وذهبت طائفة إلى أنه لا يحشر إلا من يجازى ، أما السقط - إن لم ينفخ فيه الروح - فكسائر الأجسام التي لا روح فيها ، وأما - إن نفخت فيه - فيحشر ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجمال والطول . ا.هـ .

- ويوم القيامة مدته خمسون ألف سنة قال تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾[1] ، وقد ورد في نصوص حديثية صحيحة هذا التحديد ، ويختلف حال الناس في استشعار طوله وفي مكثهم في الموقف واستقرارهم في الجنة أو النار .

- وبعد البعث يحشر الناس إلى أرض المحشر ومركزها بلاد الشام ، وهناك يكون الموقف ، فمن الخلق من يكون في ظل الرحمن ، ومنهم من يكون بالعراء ، ويخلق الله شمسًا دانية من العباد وتكون شدة الحر أكثر من حر الدنيا بعشرة أمثال ، ويؤمر الناس بالاصطفاف والوقوف استعدادًا كوقفة الجندي وصف العساكر « ويؤتى بالنار لها سبعون ألف زمام على كل زمام سبعون ألف ملك ويؤتى بالجنة فتكون ملاصقة للنار وعلى النار الصراط » .

---

(١) المعارج : ٤ .

ـ ويطول الوقوف ويفزع الناس إلى الأنبياء ليشفعوا لهم ليبدأ فصل القضاء إما إلى جنة وإما إلى نار فلا يشفع لفصل الخطاب إلا محمد ﷺ وعندئذ تبدأ مواقف جديدة متعددة ، فمن ذلك ما يصفه الله عز وجل بقوله : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾ [1] . وتؤمر كل أمة أن تتبع ما كانت تعبد من دون الله ، وتميز الأمم عن بعضها بعضًا ، ويكون هناك جدال وعتاب ومعاذير وإقامة حجج ، ويكون هناك في موقف من المواقف عَرض للأمم كلها على النار فتجثوا الأمم كلها باركة على ركبها حول النار ، وفي موقف من المواقف تشهد الأنبياء على أممها ، وتشهد أمتنا لصدق الرسول ﷺ ، ويكون هناك حوار بين الأتباع والمتبوعين ، وفي موقف من المواقف يدعى أئمة الهدى وأئمة الضلالة ، فيرجع أئمة الهدى بالبشرى لمن تابعهم ، ويرجع أئمة الضلالة ببشارة السوء لمن تابعهم . وفي هذه الأجواء تكون براءة من المتبوعين على الضلال ، ويتمنى الأتباع لو أنهم أعيدوا إلى الحياة الدنيا ليتبرأوا ممن اتبعوهم ، ثم تطير صحف أعمال العباد فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وآخذ وراء ظهره ، ويقال إن الآخذين وراء ظهورهم هم أصحاب الشمال أنفسهم ، ثم يبدأ الحساب وهو قبل الوزن والميزان .

قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله : والحساب حق : أي ثابت بالكتاب والسنة والإجماع وهو توقيف الله الناس على أعمالهم خيرًا كانت أم شرًا ، قولاً كان أو فعلاً ، بعد أخذهم كتبها ، ويشمل الحساب المؤمن والكافر من الإنس والجن ، إلا من استثنى الله تعالى منهم اهـ.

والنصوص تدل على أن بعض أهل الجنة لا يحاسبون . ويذهب بعض الناس إلى أن بعض أهل الكفر لا يحاسبون ، ولكن الظاهر أن هذا القول مرجوح ، لأن إدخال أهل الجنة بدون حساب فضل ، أما أهل النار فمن سنة الله عز وجل أن يقيم عليهم الحجج كاملة . قال الشيخ أديب : ولا يشغله سبحانه محاسبة أحد عن أحد بل يحاسب الناس جميعًا معًا ، حتى أن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده وكيفية الحساب مختلفة ، فمنه اليسير والعسير ، والسر والجهر ، والتوبيخ والفضل والعدل . ا.هـ .

---

(١) البقرة : ٢١٠ .

وفي مقام الحساب وفي مقامات أخرى تكون شهادات ، قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله : وفيه شهادة الألسنة والأيدي والأرجل والسمع والجلد والأرض والليل والنهار والحفظة ، أما الأنبياء والأولياء وسائر الصلحاء فهم عن كل هذا مبعدون اهـ .

وبعد الحساب : يكون الوزن والميزان فتدعى الأمم كلها إلى الوزن والميزان ، فتحضر الأمم للوزن جاثيةً على ركبها . قال تعالى : ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تُدْعى إلى كتابها ﴾ [1] .

وهكذا يحضر الناس الوزن وبيد كل واحد منهم صحيفته ، قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله : إن أخذ الصحف واجب لوروده بالكتاب والسنة ولانعقاد الإجماع عليه ، فمن أنكره كفر ، والصحف هي الكتب التي كتب فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا ، ولكل مكلف صحيفة واحدة يوم القيامة ، وإن كانت متعددة في الدنيا اهـ .

فكل إنسان بيده صحيفته ، ولكل إنسان كتابه الذي ضم ما سجلته الملائكة عليه ، وهناك الكتاب الذي سجل فيه كل شيء على الأفراد والأمم .

ويبدأ الوزن والميزان ، أما الكافرون فلا قيمة لأعمالهم ولا وزن ، وأما المؤمنون فتوزن حسناتهم وسيئاتهم إلا من يستثنى ممن لا حساب عليهم أصلاً ، وفي هذا المقام يقول الشيخ أديب رحمه الله : والميزان : هو ميزان واحد على الراجح له قصبة وعمود وكفتان ، كل منهما أوسع من أطباق السموات والأرض ، وجبريل آخذ بعموده ناظر إلى لسانه وميكائيل أمين عليه ، ومحله بعد الحساب ، وقيل لكل عامل موازين يوزن بكل منها صنف من عمله .

وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر ، فيجب الإيمان به ، ونمسك عن تعيين حقيقته .

وقال : أما الكفر فلا فائدة في وزنه ، لأن عذابه دائم ، وقد ورد في كلام القرطبي ما يدل على أنه يوزن حيث قال : فتجمع له هذه الأمور وتوضع في ميزان الكافر فيرجح الكفر بها .

وقال : اختلف العلماء في الموزون فذهب جمهور المفسرين ، إلى أن الموزون هي الكتب

(١) الجاثية : ٢٨ .

المشتملة على أعمال العباد بناء على أن الحسنات مميزة بكتاب ، والسيئات بآخر .

وذهب بعضهم إلى أن الموزون أعيان الأعمال ، فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ، ثم تطرح في كفة النور ، وهي اليمنى ، فتثقل بفضل الله سبحانه . وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ، ثم تطرح في كفة الظلمة ، وهي الشمال ، فتخف وهذا في المؤمن . أما الكافر فتخف حسناته وتثقل سيئاته بعدل الله سبحانه وتعالى . وقيل : قد يوزن الشخص نفسه .

وقال : يجازي الله على السيئات بعقاب يليق بها ، إن جازى عليها ، وله أن يعفو عنها إن لم تكن كفرًا ، وإلا خلد صاحبه في النار ، والسيئة ما يذم فاعلها عليها شرعًا ، صغيرة كانت أو كبيرة . وسميت سيئة لأن فاعلها يساء عند المقابلة عليها يوم القيامة . والمراد بها التي عملها العبد حقيقة ، أو حكمًا بأن طرحت عليه لظلامة اجترحها بعد نفاد حسناته ، فإنه يؤخذ من حسنات الظالم ويعطى للمظلوم ، فإذا نفدت حسنات الظالم طرح عليه من سيئات المظلوم ، ثم قذف بالظالم في النار .

أما الحسنات فيضاعفها الله تعالى بفضله ، إذ لا يجب عليه ذلك . والحسنة مما يمدح عليها صاحبها شرعًا ، وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها يوم القيامة ، والمراد الحسنات المقبولة المعمولة للعبد أو ما في حكمها بأن عملها عنه غيره كما إذا تصدق غيره عنه بصدقة . أما الحسنات المأخوذة نظير ظلامة فلا تضاعف . والحسنات المردودة ما خالطها الرياء ، فهذه لا ثواب فيها أصلاً . والحسنة التي يهم الإنسان بفعلها ولكنه لا يفعلها تكتب حسنة واحدة من غير تضعيف .. وأقل مراتب التضعيف عشر مراتب ، وقد تضاعف إلى سبعين ، إلى سبعمائة ، أو أكثر من غير انتهاء إلى حد تقف عنده . وتفاوت هذه المراتب إنما هو تبع لما يقترن بالحسنة من إخلاص ، وحسن نية اهـ .

ويعرف بالوزن والميزان كل إنسان نتيجة عمله والظاهر أنه قبل الوزن يحاول الناس أن يشربوا من أحواض أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام ، وتشرب هذه الأمة من حوض رسولها ﷺ ، فيَرِدُ من يَرِدُ ويشرب من يشرب ويحبس الناس في الظلمة دون الصراط ، وهٰهنا

يحدث تبدل جديد للأرض ، فمآل الأرض في النهاية إلى أن تكون خبزة يأكلها أهل الجنة وتوجد سموات جديدة ، والظاهر أنه في هذا الموقف يؤمر آدم بأن يخرج بعث النار فيخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، ويخرج عنق من النار فيأخذ أصنافًا من الناس ويبدأ أهل النار يردون على النار أفواجًا أفواجًا كل أمة مع أئمتها في الضلال وأئمة الضلال يدخلون النار قبل أتباعهم ، والسابقون من الأمم في الغواية يدخلون النار قبل اللاحقين ، فكل شيء في الآخرة على غاية من الترتيب والنظام والعدل والانضباط .

ومن كتب له المرور على الصراط لا يمر إلا بعد شفاعة جديدة من رسولنا ﷺ ، فبعد أن يلجأ الناس إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مرة ثانية فيحيلون الأمر إلى رسولنا عليه الصلاة والسلام فيشفع ويؤذن بالمرور على الصراط ، والظاهر أن المنافقين يبقون مع المؤمنين طامعين في أن يعبروا معهم على الصراط ، فيضرب بينهم وبين المؤمنين بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، فبعض العلماء يقولون إن هذا السور يضرب في أول الصراط ، والظاهر أنه لا يعبر على الصراط إلا من له نور مهما كان هذا النور ضعيفًا ، والذين يمرون على الصراط بعضهم تكون سيئاتهم أكثر من حسناتهم فلا يعبرون بل يسقطون في النار ، وبعضهم تكون حسناتهم أكثر فيعبرون ، وبعضهم تتساوى حسناتهم وسيئاتهم فيعبرون ، وهؤلاء هم أهل الأعراف الذين يكونون في مكان بين الجنة والنار أمدًا من الزمن ، ومآلهم إلى الجنة بإذن الله .

وعلى ضوء صحائف الأعمال التي تكون بيد المارين على الصراط تقتص الملائكة من بعض المؤمنين لبعض ، فينجو من نجا ، ويسقط في النار من لا تكفي حسناته الزائدة على سيئاته ليأخذها من له عليه حق ، حتى إذا تجاوز الناجون الصراط يبقى بعضهم على الأعراف ، ويحبس الآخرون فلا يؤذن لهم بدخول الجنة حتى يشفع بذلك رسول الله ﷺ ، فهذه شفاعة ثالثة تكون بعد أن يلجأ الناس إلى الأنبياء فيحيلونهم على رسولنا عليه الصلاة والسلام .

وفي هذا المقام تنزع الأحقاد من القلوب ، وتبدأ شفاعات بمن دخل النار من أهل الإيمان ، ثم يدخل أهل الجنة الجنة وتستمر الشفاعات ، ويخرج أهل الإيمان من النار ،

وعندئذ يذبح الموت بين الجنة والنار ، ويكتب الخلود لكل من أهل الجنة والنار ، وكل في موطنه ، وفي ذبح الموت أعظم بشارة لأهل الجنة وأعظم كآبة لأهل النار .

ومن كلام الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله عن الصراط والجنة والنار ما يلي :

كذا الصراط ... [أي] في وجوب الإيمان به ، لورود الدليل السمعي ، مثل أخذ العباد الصحف ومثل الوزن والميزان . ومعناه ـ لغة ـ الطريق الواضح ، لأنه يصرط المارة أي يبتلعهم ، وشرعًا : هو جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون حتى الكفار . إلا أن الحليمي ذهب إلى أنهم لا يمرون ، ويجوز أنه قصد بالكفار الذين لا يمرون من تلقي بهم الملائكة في النار من الموقف . وكل من يمر ساكت إلا الأنبياء يقولون : « اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ »

وفي بعض الرواياتِ « أنه أدقُّ من الشعرَةِ وأحدُّ من السيفِ » ، وهو المشهور ونازع في ذلك العز بن عبد السلام والشيخ القرافي ، وغيرهما كالبدر الزركشي . قالوا : على فرض صحة ذلك،فهو محمول على غير ظاهره ، بأن يؤول : بأنه كناية عن شدة المشقة ، وحينئذ فلا ينافي ما ورد في الأحاديث الدالة على قيام الملائكة على جنبيه ، وكون الكلاليب فيه . وزاد القرافي : والصحيح أنه عريض ، وفيه طريقان يمنى ويسرى ، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين ، وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال ، وفيه طاقات ، كل طاقة تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم . وقال بعضهم : إنه يدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره ، فعرض صراط كل أحد بقدر انتشار نوره فإن نور كل إنسان لا يتعداه إلى غيره . ومن هنا كان دقيقًا في حق قوم ، عريضًا في حق آخرين .

وتفاوتهم في المرور إنما هو بحسب تفاوتهم في الإعراض عن حرمات الله تعالى ، فمن كان منهم أسرع إعراضًا عما حرم الله كان أسرع مرورًا في ذلك اليوم .

النار التي هي دار العذاب ثابتة بالكتاب والسنة ، واتفاق علماء الأمة . أوجدها الله تعالى فيما مضى كالجنة التي هي دار الثواب . فالنار حق كالجنة ، وهما موجودتان الآن .

ولم يرد نص صريح في تعيين مكانها ، كما في شرح المقاصد . إلا أن الكثيرين على أن الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش ، وأن النار تحت الأرضين السبع . والحق تفويض

علم ذلك إلى اللطيف الخبير .

واختلف في الجنة هل هي سبع جنات متجاورات ، أو أربع ، أو جنة واحدة ؟ فذهب ابن عباس إلى أنها سبع ، أفضلها وأوسطها الفردوس وهي أعلاها ، والمجاورة لا تنافي العلو ، وفوقها عرش الرحمن ، ومنها تنفجر أنهار الجنة ، ويليها في الأفضلية « عدن » ثم « الخلد » ثم « النعيم » ثم « المأوى » ثم « دار السلام » ثم « دار الجلال » .

وذهب الجمهور إلى أنها واحدة ، وهذه الأسماء كلها جارية عليها لتحقق معانيها .

وأولاد المشركين في الجنة على الصحيح ، ولا فرق في السعادة والشقاوة بين إنسي وجني .

الناس في الموقف على حالتهم التي ماتوا عليها . ثم يدخل المؤمنون الجنة جردًا مردًا أبناء ثلاث وثلاثين سنة ، طول كل واحد منهم ستون ذراعًا ، وعرضه سبعة أذرع ، ثم لا يزيدون ولا ينقصون اهـ .

ـ ومما مرَّ مَعنا نعرف أن لرسولنا ﷺ ثلاث شفاعات متميزة ، لا يشاركه فيها غيره ، وهذه الشفاعات الثلاث هي المقام المحمود ، يطلق على ثلاثتها المقام المحمود ، ويطلق على كل منها المقام المحمود ، وله شفاعات أخرى ، فالمقام المحمود يتمثل بثلاث شفاعات :

الشفاعة الأولى : بعد طول المقام في الموقف وهي التي تسمى الشفاعة لفصل الخطاب وهي التي يكون بعدها الجدال والمعاذير والشهادات والحساب والميزان .

الشفاعة الثانية : للإذن لعبور الصراط وتكون بعد لجوءٍ إلى الأنبياء وإحالة على رسول الله عليه صلوات الله وتسليماته .

الشفاعة الثالثة : تكون كذلك بعد لجوءٍ إلى الأنبياء وإحالة إلى رسول الله ﷺ وهي الشفاعة للإذن بدخول الجنة .

ـ وكثيرًا ما يحدث أن رواة الأحاديث يتحدثون بمناسبة الكلام عن المقام المحمود عن شفاعة من هذه الشفاعات الثلاث ويطوون غيرها ، فيلتبس الفهم على القارئ ، والتحقيق أن الأمر كذلك .

ـ ونحن إذا نعرض نصوص السنة قد لا تقف لبيان هذه الحقيقة اكتفاءً بما ذكرناه هنا ، فليبق القارئ على ذكر لذلك .

ـ ومن عقائد أهل السنة والجماعة أنه في الموقف وفي الصراط وفي الجنة وفي النار يكون للملائكة وظائفهم .

ـ وفي الموقف يرى أهل الإيمان الله عز وجل نوع رؤية وإنما تكون الرؤية للجلال والجمال في الجنة وذلك أعظم نعيم أهل الجنة .

ـ والنار على طبقات والجنة على درجات ومنازل وفيهما ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أصناف الملذّات والنعيم والبهجة والسرور والمتعة .

ـ والجن المؤمنون لهم ما للإنس المؤمنين ، والكافرون من الجن لهم ما للإنس الكافرين ، وكذلك شأن الفساق من الجن .

ـ ومشاهد القيامة ووصف النار والجنة يأخذ من الكتاب والسنة حيزًا كبيرًا ؛ لأن ذلك هو المقصد الثاني من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد معرفة الله عز وجل ، وقد أعاد بعض المفسرين الضمير في قوله تعالى : ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ [1] على القرآن ، فمن أعظم مقاصد القرآن تبيان أمر اليوم الآخر ، قال تعالى : **﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾** [2] .

ـ ولكي تقوم الحجة على الخلق قيامًا كاملاً جعل الله عز وجل كتابه القرآن معجزًا ، وجعل فيه من المعجزات الكثير ، وجعل أمر محمد ﷺ بينًا ، وأظهر على يديه وعلى لسانه من المعجزات الكثير ، وأرسل قبله الرسل وبعث الأنبياء مبشرين بما بشر به ، ومنذرين بما أنذر به ليكون ذلك توطئة وتمهيدًا وتشييدًا لصرح الإيمان .

ـ وقد رأينا في هذا القسم كيف أن الأديان السابقة فيها شواهد على صحة المعاني

(١) الزخرف : ٦١ . (٢) الأعراف : ٥٣ .

الكبرى التي بعث بها محمد ﷺ ، ورأينا أنها حرفت وبدلت وطمست معالمها وأصبحت أحكامها ضائعة أو بحاجة إلى تغيير فجاءت الرسالة الخاتمة مصححة وناسخة ومبينة ومطالبة للإنس والجن باتباعها وحدها .

ـ ولا مطمع لمن يريد أن يعرف تفصيلات ما يجري في اليوم الآخر إلا بأن يستعرض نصوص الكتاب والسنة وفهوم الراسخين في العلم من علماء هذه الأمة .

ـ ونختم هذا العرض الإجمالي بالتذكير : أن الله عز وجل يجعل لرسولنا عليه الصلاة والسلام ولأمتنا من الكرامة والفضل ما يمتازون به على غيرهم من الأمم يظهر ذلك في الموقف وفيما بعده وفي الجنة .

ـ وهذا لا ينفي أن يكون للأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين من كل الأمم ميزانهم ، وهناك تفصيلات ستمر معنا ، وبعضه قد مر من قبل في القسم السابق عند الكلام عن فضل الأمة المحمدية .

ـ وها نحن سنعرض عليك نصوصًا من الكتاب والسنة في فقرات متعددة تجعلك على بيان في هذه الحقيقة العظمى التي غفل عنها أكثر الخلق .

فائدة :

من عقائد أهل السنة والجماعة ما ذكره الشيخ اللقاني :

وَوَاجِبٌ تَعْذِيبُ بَعْضِ ارْتَكَبْ كَبِيرَةً ثُمَّ الخُلُودُ مُجْتَنَبْ

وقد شرح هذا البيت أديب الكيلاني بقوله :

وواجب تعذيب بعض : إن تعذيب بعض غير معين من عصاة هذه الأمة ، ارتكبوا الكبيرة ، من غير تأويل ويعذرون به ، وماتوا بلا توبة ، ثابت وواقع شرعًا ، بخلاف من ارتكب صغيرة أو كبيرة بتأويل ، كما يقع من البغاة المتأولين ، أو ارتكبها من غير تأويل لكنه مات بعد التوبة . والمقصود هنا أمة الإجابة . والمراد ببعض طائفة ، ولو واحدًا من كل صنف من أصناف العصاة كالزناة ، وقتلة الأنفس ، وشاربي الخمر . فلابد من نفوذ

الوعيد في طائفة من كل صنف ، أقلها واحد . وهذه المسألة على طريقة الماتريدية ، من أنه لا يجوز تخلف الوعيد . وذهب الأشاعرة إلى جواز تخلفه ، لأنه على تقدير المشيئة ، فإن شاء عذب ، وإن شاء غفر . نعم ، قد ورد تعذيب بعض الموحدين ، والشفاعة فيهم ، لكن لا يعم الأنواع كلها . والحاصل : أن الناس قسمان مؤمن وكافر فالكافر مخلد - إجماعًا - في النار . والمؤمن قسمان ، طائع وعاص ، فالطائع - إجماعًا - في الجنة ، والعاصي على قسمين ، تائب وغير تائب فالتائب - إجماعًا - في الجنة ، وغير التائب متروك للمشيئة ، وعلى تقدير عذابه لا يخلد في النار اهـ (شرح جوهرة التوحيد) .

* * *

الفقرة الثانية

في :

النفختين وفي : يوم القيامة

.بمناسبة الكلام عن يوم القيامة يمرّ علينا ذكر الصور الذي تتم فيه النفختان : النفخة الأولى ، والنفخة الثانية ، نفخة الإماتة وما يعقبها ، ونفخة الإحياء وما يعقبها ، والصور أشبه بالقرن والنافخ فيه هو إسرافيل بإجماع العلماء .

ـ وبمناسبة الكلام عن النفخة الأولى يمر معنا أن هناك خَلقًا مستثنين من الإماتة قال تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السمٰوات ومن في والأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (١) ، وهناك تحقيقات للعلماء فيمن يستثنى من الصعق . والمطلوب منا الإيمان بالاستثناء إجمالاً دون الدخول في التفصيلات ، وكما أن بعض الأحياء مستثناة من الصعق فهناك بعض المخلوقات لا يدخل عليها تغير بسبب النفخة الأولى كالعرش.

ـ وبمناسبة الكلام عن النفخة الثانية تمر معنا كلمة عَجْب الذنب وهو العظم اللطيف الذي هو في أسفل الصلب وهو رأس العُصعُص وهو أول ما يجمع من الأرض في ابن آدم يوم القيامة ، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه والظاهر أن هذا الجزء من الإنسان إذا مات لا يدخل في تركيب أي جسم آخر ، وليس المراد ببقائه أنه لا يتحلل ، بل المشاهد أنه يحترق ويتحلل ، ولكن الله عز وجل يحفظ أجزاءه فحيثما ذهبت فهي محفوظة ، وهي أول ما تجمع يوم القيامة ثم يُبنىٰ عليها الإنسان من المطر الذي ينزله الله عز وجل ويتضمن أجزاء المخلوقات ليذهب كل جزء إلى صاحبه .

ـ وبمناسبة الكلام عن النفختين نذكر المدة بينهما ، ومجموع الروايات تفيد أنها أربعون سنة والله أعلم .

ـ وبمناسبة الكلام عن النفخة الأولى يذكر ما يحدث للأرض ، فالأرض لها تبدلات متعددة ، والتبدل الأول هو ما يحدث من تسجير البحار بأن تصبح نارًا ، والجبال تندك فتكون كالصوف المندوف ثم تصبح كالهباء المنبث في الهواء ، ثم تسوى الأرض جميعًا فلا

---

(١) الزمر : ٦٨ .

يبقى فيها ارتفاع أو انخفاض ، ثم تمد مدًّا بعد أن كانت كروية ، ثم تحدث لها تبدلات أخرى كما ذكرنا من قبل وكما سنرى من بعد ، فقد نقل الألوسي عن بعضهم أن الأرض تبدل صفتها ابتداءً ثم تبدل ذاتها بعد أن تحدّث أخبارها قال : ولا مانع أن تكون هناك تبدلات على أنحاء شتى .

قال ابن كثير في النهاية :

وفي صحيح مسلم ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ : سئل أين يكون الناس يوم تبدل الأرض والسموات ؟ فقال : « في الظلمة دون الجسر » .

وقد يكون المراد بذلك تبديلاً آخر غير هذا المذكور في هذا الحديث ، وهو أن تبدل معالم الأرض فيما بين النفختين ، نفخة الصعق ، ونفخة البعث ، فتسير الجبال ، وتميد الأرض ، ويبقى الجميع صعيدًا واحدًا ، لا اعوجاج فيها ولا روابي ولا أودية قال الله تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا** ﴾ (١) . أي لا انخفاض فيها ولا ارتفاع وقال تعالى : ﴿ **وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا** ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ **وَتَكُونُ الجبال كَالعِهنِ المَنْفُوشِ** ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ **وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً واحِدَةً** ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا** ﴾ (٥) . اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

ـ وبمناسبة النفخة الثانية تذكر بعض النصوص الصحيحة أن أول من تنشق عنه الأرض رسول الله ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر .

والنصوص القرآنية والحديثية كثيرة وحسبنا أن نذكر ههنا بعضها مع ملاحظة أن النصوص كثيرًا ما تتحدث عن أكثر من مشهد من مشاهد يوم القيامة .

---

(١) طه : ١٠٥ ـ ١٠٧ . (٢) النبأ : ٢٠ . (٣) القارعة : ٥ .
(٤) الحاقة : ١٤ . (٥) الكهف : ٤٧ ، ٤٨ .

١ ـ النصوص القرآنية

﴿ ويقولون متى هذا الوعدُ إن كنتم صادقين * قل إنما العلمُ عند الله وإنما أنا نذيرٌ مبينٌ * فلما رأوه زُلْفَةً سِيئَتْ وجوهُ الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تَدَّعُون ﴾ (١) .

﴿ ويقولون متى هذا الوعدُ إنْ كنتم صادقين * ما ينظرون إلا صيحةً واحدةً تأخذهم وهم يَخِصِّمون * فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يَرجِعون * ونُفخ في الصُّور فإذا هُمْ من الأجداث إلى رَبِّهم ينسِلون * قالوا يا ويلنَا من بعَثَنا من مرقدِنا هذا ما وعدَ الرحمنُ وصدَق المرسَلُون * إن كانت إلا صيحةً واحدةً فإذا هُم جميعٌ لدينا مُحْضَرون * فاليومَ لا تُظلم نفسٌ شيئًا ولا تُجزَون إلا ما كنتم تعملون ﴾ (٢) .

﴿ يسألونك عن الساعةِ أيَّان مُرْسَاها * فيم أنتَ من ذِكراها * إلى ربِّك مُنْتهاها * إنما أنت مُنْذِرُ مَن يخشاها * كأنهم يومَ يَرَونها لم يلبثوا إلا عشيةً أو ضُحاها ﴾ (٣) .

﴿ يوم نَطْوِي السماءَ كطيِّ السِّجل للكُتُب كما بَدَأْنا أوَّلَ خلقٍ نُعيده وَعْدًا علينا إنَّا كنَّا فاعِلين ﴾ (٤) .

---

(١) تبارك : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .
(زلفة) : أي رأوا العذاب قريبًا منهم .
(سيئت وجوه الذين كفروا) : كئبت واسودت غمًا وذلاً .

(٢) يس : ٤٨ ـ ٥٤ .
(وهم يخصمون) : يختصمون في أمورهم غافلين .
(الأجداث) : القبور .
(ينسلون) : يسرعون في الخروج ٤٢ ـ ٤٦ .
في الآيات نص على النفختين الأولى والثانية .

(٣) النازعات : ٤٢ ـ ٤٦ .
(مرساها) : إرساؤها أي إقامتها وإثباتها .
(منتهاها) : أي إلى ربك مردها ومرجعها ، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين .

(٤) الأنبياء : ١٠٤ .
(السجل) : هو ماتحفظ الأوراق بين دفتيه وهذا يفيد أن مجرات هذا الكون وسماواته كلها تصبح كتلة واحدة ، كما أنها كتلة واحدة ثم انفصلت عن بعضها .

﴿ يومَ تبـدل الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمٰواتُ وبرزوا لله الواحـدِ القهـار * وترى المجرمين يومئذٍ مُقرّنين في الأصفادِ * سرابيلهم من قطِرَانٍ وتغشى وجوههم النار ﴾ [١] .

التبدل يكون بالذات والصفات ، وأول تبدل للأرض يكون بالصفات يوم القيامـة عنـد النفخة الأولى ، ثم يكون التبدل بالذات بعد انتهاء الحساب والنـاس محبوسون قَبْل الصراط ، وللسموات تبدلان كذلك ، تبـدل في الصفـات بـأن يجمع الكون كلـه إلا مـا شـاء الله كتلـة واحدة وذلك في النفخة الأولى ، ثم تبدل آخر مع التبدل الثاني للأرض .

﴿ وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِه والأرضُ جميعًا قَبْضَتُـهُ يومَ القيـامـةِ والسمٰواتُ مطويّـاتٌ بيمينه سبحانه وتعـالى عمـا يشركون * ونُفـخ في الصُّـور فصَعِـقَ مَن في السمٰـواتِ ومن في الأرض إلا من شاءَ اللهُ ثم نُفِخَ فيـه أخرى فـإذا هُمْ قيـامٌ يَنظرون * وأشرقت الأرضُ بنورِ ربهـا وَوُضِـع الكتـابُ وجيءَ بـالنبيِّين والشهـداء وقُضِيَ بينهم بالحـق وهم لا يُظلمـون * ووُفِّيتْ كلُّ نفسٍ ما عمِلتْ وهو أعلمُ بما يفعلون ﴾ [٢] .

في الآيات دليل على طي السمٰوات وقـد رأينـا ذلـك من قبل فهي تطوى مع غيرهـا إلا ما شاء الله استثناءه .

وقوله تعـالى : ﴿ ووضع الكتـاب ﴾ يحتمل اللوح المحفوظ ويحتمل صحف الأعمـال وذلـك يكون بعد الموقف الطويل والشفاعة لفصل الخطاب وبعد العرضتين الأولى والثانية وعنـدئـذ يكون الحساب والميزان والظاهر أن شهادة الأنبياء وغيرهم إنما تكون في هـذا المقـام قبل بـدء الحساب والله اعلم .

﴿ فـإذا بَرِقَ البصرُ * وخَسَفَ القمرُ * وجُمِعَ الشمسُ والقمرُ * يقـولُ الإنسـانُ يـومئـذٍ أينَ المَفَرُّ * كلا لا وَزَرَ * إلى ربِّكَ يومئذ المُستَقَرُّ * يُنَبَّأُ الإنسانُ يومئـذٍ بمـا قـدَّم وأخَّر * بل الإنسانُ على نفسه بَصيرةٌ * ولو أَلْقىٰ مَعَاذِيره ﴾ [٣] .

---

(١) إبراهيم : ٤٨ ـ ٥٠ .
(الأصفاد) : القيود . (مقرنين في الأصفـاد) : أي مجموعـة أيـديهم إلى أرجلهم أو أن كل كافر مقرون مع شيطـانـه بالأغلال .

(٢) الزمر : ٦٧ ـ ٧٠ .

(٣) القيامة : ٧ ـ ١٥ . وقوله تعالى : ﴿ لاوزر ﴾ : أي لا ملجأ .

والظاهر أن جمع الشمس مع القمر يكون مع طي السموات وغيرها وذلك في النفخة الأولى .

﴿ إذا الشمسُ كُوِّرَتْ * وإذا النجومُ انكدرتْ * وإذا الجبالُ سُيِّرَتْ * وإذا العِشارُ عُطِّلتْ * وإذا الوحوش حُشِرتْ * وإذا البحارُ سجِّرتْ * وإذا النفوسُ زُوِّجتْ * وإذا الموءودةُ سُئِلتْ * بأي ذنب قُتِلتْ * وإذا الصحف نشِرتْ * وإذا السماء كُشِطتْ * وإذا الجحيمُ سُعِّرتْ * وإذا الجنةُ أُزلِفتْ * علِمتْ نفْسٌ ما أَحْضَرتْ ﴾ [١] .

التكوير : اللف للرفع . والمراد هنا : ذهاب ضوئها بين يدي دمجها مع غيرها في كتلة واحدة . انكدار النجوم : انقضاؤها بدمجها مع بعضها ومع ما شاء الله . تسيير الجبال : يكون بعد دكها حتى تكون هباءً فتسوّى مع بقية الأرض ، تسجير البحار : جعلها نارًا ، وذلك كله يكون بالنفخة الأولى . العشار : هي الإبل . وتعطيلها : عدم وجود مالك لها ، وحشر الوحوش : دليل على أن الحيوانات تبعث لإقامة العدل ثم تكون ترابًا ، وهذا وهذا مع تزويج الأنفس للأجساد ، وما جاء بعد ذلك في الآيات يكون بعد النفخة الثانية ، والله أعلم .

﴿ فإذا النجومُ طُمِستْ * وإذا السماءُ فُرِجَتْ * وإذا الجبالُ نُسِفتْ * وإذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لأيِّ يومٍ أُجِّلتْ * ليومِ الفصلِ * وما أدراكَ ما يومُ الفَصْلِ * ويلٌ يومئذٍ للمكذِّبينَ ﴾ [٢] .

﴿ طمست ﴾ طمس النجوم : ذهاب ضوئها بين يدي دمجها مع غيرها ، وفسرها بعضهم بالانسحاق وما ذكرناه هو تفسيرها ، وقوله تعالى : ﴿ وإذا السماء فرجت ﴾ : أي صدعت وانشقت بين يدي دمجها مع غيرها ، وقوله تعالى : ﴿ وإذا الرسل أقتت ﴾ : أي عين لها الوقت الذي تحضر فيه للشهادة على أممها وذلك - والله أعلم - بعد الشفاعة لفصل الخطاب وقبل الحساب والميزان

﴿ إذا السماء انشقّتْ * وأَذِنَتْ لربِّها وحُقَّتْ * وإذا الأرضُ مُدَّتْ * وألقتْ ما فيها

---

(١) التكوير : ١ - ١٤ .

(٢) المرسلات : ٨ - ١٥ .

وتخلَّتْ * وأذنتْ لربِّها وحُقَّتْ ﴾ [١] .

ذكر البيضاوي عند قوله تعالى : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ عن علي رضي الله عنه أنها تنشق من المجرة ، وهذا يكون مقدمة لدمجها مع بعضها . وقوله تعالى : ﴿ وإذا الأرض مدت ﴾ أي بسطت وزالت جبالها وآكامها وخرجت من الكروية إلى الانبساط ، وهذا وهذا يكون بالنفخة الأولى . وقوله تعالى : ﴿ وألقت ما فيها وتخلت ﴾ ألقت ما في جوفها من الكنوز والأموات وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها والظاهر أن هذه الأخيرة تكون في النفخة الثانية وما سبقها يكون في النفخة الأولى .

﴿ إذا السماءُ انْفَطَرتْ * وإذا الكواكبُ انتثرتْ * وإذا البحارُ فُجِّرتْ * وإذا القبورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نفسٌ ما قدَّمتْ وأخَّرتْ ﴾ [٢] .

(الانفطار) : الانشقاق ، وهو وانتثار الكواكب مقدمة لجمعها كتلة واحدة ، وتفجير البحار : أي فتحها على بعضها وذلك مقدمة لتسجيرها ثم لجعل الأرض لا ارتفاع فيها ولا انخفاض وذلك في النفخة الأولى ، يحدث بهذه النفخة نوع من بعثرة القبور ، والظاهر أن مقدمة ذلك في النفخة الأولى حتى إذا كانت النفخة الثانية كان الإحياء والبعث .

﴿ إنَّ يَومَ الفَصْلِ كانَ مِيقاتًا * يومَ يُنفخُ في الصُّورِ فتَأتونَ أفواجًا * وفُتِحَتِ السماءُ فكانتْ أبوابًا * وسُيِّرتِ الجبالُ فكانت سَرَابًا ﴾ [٣] .

الظاهر أن هذا المشهد يتحدث عن النفخة الثانية في أوله ، وفي آخره يتحدث عما يكون في النفخة الأولى .

﴿ فإذا نُفِخَ في الصُّورِ نفخةٌ واحدةٌ * وحُمِلَتِ الأرضُ والجبالُ فدُكَّتا دَكَّةً واحدةً * فيومئذٍ وقعت الواقعةُ * وانشقَّتِ السَّماءُ فهي يومئذٍ واهيةٌ * والملَكُ على أرجائها ويَحمِلُ عرشَ ربِّك فوقهم يومئذٍ ثمانيةٌ * يومئذٍ تُعرَضون لا تَخْفَى منكم خافيةٌ ﴾ [٤]

---

(١) الانشقاق : ١ ـ ٥ .

(٢) الانفطار : ١ ـ ٥ .

(٣) عمّ : ١٧ ـ ٢٠ .

(٤) الحاقة : ١٣ ـ ١٨ .

بدأ هذا المشهد في الحديث عما يكون في النفخة الأولى ثم انتقل إلى الحديث عما يكون في النفخة الثانية ، وقد عرض النص مجريات الأمور بما أفاد أنّ ما يجري في النفخة الثانية استمرار لما يجري في النفخة الأولى .

﴿ يا أيها الناسُ اتقوا ربّكم إن زَلْزَلَةَ الساعةِ شيءٌ عظيمٌ * يوم تَرَوْنَها تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عما أرضَعَتْ وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلها وتَرى الناسَ سُكارى وما هم بِسُكارى ولكنّ عذاب الله شديد ﴾ (١) .

للمفسرين أكثر من قول حول هذا المشهد متى يكون ، فبعضهم جعل هذه زلزلة هائلة تكون قبل طلوع الشمس من مغربها وبعضهم جعلها زلزلة تكون بعد النشور ، وبعض النصوص تشير إلى أنها زلزلة معنوية تكون في أحد مشاهد يوم القيامة ، وذلك يوم يقول الله لآدم عليه السلام أخرج بعث النار ، فيخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين .

﴿ إذا زُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزَالَها * وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها * وقال الإنسانُ ما لَهَا * يومئذٍ تُحدّثُ أخبارَها * بأنّ ربك أوحى لَها * يومئذٍ يَصْدُرُ الناسُ أشتاتًا لِيُرَوْا أعْمَالَهم * فمنْ يعملْ مثقالَ ذَرّةٍ خيرًا يَرَهُ * ومنْ يعملْ مثقالَ ذَرّةٍ شرًا يَرَهُ ﴾ (٢) .

المراد بالزلزال : النفختان الأولى والثانية على رأي بعض المفسرين ، وإخراج الأرض أثقالها كقوله تعالى : ﴿ وألقت ما فيها وتخلت ﴾ ، وتتمة السورة تتحدث عما يكون بعد النفخة الثانية .

﴿ القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفَرَاش المبثوث * وتكون الجبال كالعِهْنِ المنفوش * فأما من ثَقُلَتْ موازينُه * فهو في عيشةٍ راضية * وأما من خَفّتْ موازينه * فأمّه هاوية * وما أدراك ما هيه * نارٌ حامية ﴾ (٣) .

المراد بالقارعة ما يحدث في النفخة الأولى ، ثم السورة تتحدث عن بعض آثار النفخة الأولى ، وعما يجري في النفخة الثانية .

---

(١) الحج : ١ ـ ٢ .
(٢) الزلزلة : ١ ـ ٨ .
(٣) القارعة : ١ ـ ١١ .

﴿ أفلا يَعْلمُ إذا بُعْثِر ما في القبور * وحُصِّلَ ما في الصُّدور * إن ربَّهُم بِهِمْ يومئذٍ لخبيرٌ ﴾ (١) .

﴿ ويومَ يُنفَخُ في الصُّور ففزع من في السَّمواتِ ومَنْ في الأرضِ إلا مَن شَاء الله وكلٌّ أتوهُ داخرين ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ يدل على أنّ هناك خَلْقًا يثبت الله قلوبهم فلا يصيبهم الفزع ، وقوله تعالى : ﴿ وكل أتوه داخرين ﴾ أي كل من المحشورين يأتون إلى الحشر طائعين خاضعين ، وقد يراد بقوله : ﴿ داخرين ﴾ : الذلة فعندئذ يراد بها المجرمون والذين يصيبهم الفزع ، أما أولياؤه جل جلاله فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ في الصُّور ونَحْشُرُ المُجْرِمينَ يومَئذٍ زُرْقًا * يَتخافَتُونَ بينَهم إنْ لبِثْتُمْ إلا عَشْرًا * نَحنُ أعْلَمُ بما يقولون إذْ يقولُ أمثلُهم طَرِيقَةً إنْ لبثتُم إلا يومًا * ويسألونك عن الجبالِ فقل ينسفُها ربِّي نَسْفًا * فيذرُها قاعًا صَفْصَفًا * لا ترى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا * يومئذ يتَّبِعون الداعيَ لا عِوَجَ له وخَشَعَتِ الأصواتُ للرحمٰنِ فلا تسمعُ إلا هَمْسًا * يومئذٍ لا تنفَعُ الشَّفاعةُ إلا مَنْ أذِن له الرحمٰنُ ورضيَ له قوْلاً * يعلمُ ما بيْن أيديهم وما خلْفَهم وَلا يُحيطون به عِلْمًا * وعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّوم وقد خابَ من حَمَل ظُلْمًا * وَمَنْ يعْمل من الصَّالحاتِ وهو مُؤْمِنٌ فلا يَخافُ ظُلْمًا ولا هَضْمًا ﴾ (٣) .

في هذا المشهد حديث عما يكون بعد النفخة الثانية وإجابة على سؤال له صلة بالنفخة الأولى .

وهذا المشهد يتحدث عن كون المجرمين يحشرون عميا زرق العيون لعماهم ، وهناك نصوص تذكر أنهم يحشرون سود الوجوه ، ومن هول الموقف فإنهم يتناجون سرًا ، وقوله تعالى : ﴿ يومئذ يتبعون الداعي ﴾ أي ملكًا يدعوهم إلى مكان الحشر وقوله في وصفهم لاتباع الداعي : ﴿ لا عوج له ﴾ أي لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه . ومعنى : ﴿ عنت

---

(١) العاديات : ٩ ـ ١١ .
(٢) النمل : ٨٧ .
(٣) طه : ١٠٢ ـ ١١٢ .

الوجوه ﴾ أي ذلت وخضعت وذلك وصف لوجوه المجرمين يوم القيامة .

﴿ كلا إذا دُكّت الأرضُ دكًّا دكًّا * وجاء ربُّك والمَلكُ صَفّـًا صَفًّا * وجيء يومئذٍ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسانُ وأنّى له الذّكرى * يقول يا ليتني قدّمتُ لحياتي * فيومئذ لا يعـذّبُ عذابه أحدٌ * ولا يوثِقُ وَثَاقه أحدٌ ﴾ [1] .

دك الأرض يكون بالنفخة الأولى ومجيء الملائكة واصطفافهم يكون بعد أن يجمع الناس في المحشر وبعد ذلك يؤتى بجهنم تجرها الملائكة .

ويكون المآل أنّ الكافرين يوثقون وثاقًا لا مثل له في الدنيا ويعذّبون عذابًا لا مثل لـه في الدنيا .

﴿ فإذا جـاءتِ الطّـامّـةُ الكُبرى * يومَ يتـذكّرُ الإنســانُ مـا سَعَى * وبُرِّزَتِ الجحيمُ لِمن يَرَىٰ * فأما من طَغَىٰ * وآثر الحياةَ الدنيا * فإنّ الجحيمَ هي المأوى * وأمّـا مَن خـاف مقـام ربّه ونَهَى النفسَ عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى ﴾ [2] .

* * *

---

(١) الفجر : ٢١ ـ ٢٦ .

(٢) النازعات : ٣٤ ـ ٤١ .

٢ ـ النصوص الحديثية

١١٦٦ ـ * روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « ... وَلَتَقُومَنَّ الساعةُ وقد نَشَرَ الرجلان ثَوبَهُا بينهما ، فلا يَتبايَعانه ، ولا يَطويانه ، وَلَتَقُومَنَّ الساعةُ وقد انصرفَ الرجلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ ، فلا يَطْعَمُهُ ، ولتقومَنَّ الساعةُ وهو يُلِيطُ حوضَهُ فلا يَسقي فيه ، ولتقومَنَّ الساعةُ وقد رَفَعَ أُكْلَتَهُ إلى فيه ، فلا يَطْعَمُها » .

١١٦٧ ـ * روى الطبراني عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « ما هلك قوم لوطٍ إلا في الأذانِ ولا تقومُ الساعَةُ إلا في الأذانِ » . قال الطبراني معناه عندي والله أعلم في وقت أذانِ الفجرِ وهو وقتُ الاستغفارِ والدعاء .

١١٦٨ ـ * روى الطبراني عن أبي رَزين قال قلتُ يا رسولَ الله كيف يُحيي اللهُ الموتى ؟ قال : « أَوَ ما مررتَ بوادي قومِك مَحْلاً ثم يمر به خَضِرًا ثم تمر به مَحْلاً ثم تمر به خَضِرًا كذلك يحيي الله الموتَى » .

١١٦٩ ـ * روى البزار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لَتَقْمِصَنَّ بِكم قِماصَ البِكرِ » يعني الأرض .

أقول : هل هذا يكون قبل النفخة الأولى أو أن المراد به النفخة الأولى ؟ قولان للعلماء .

١١٦٦ ـ البخاري (١١ / ٣٥٢) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤٠ ـ باب حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب ... إلخ .

وروى نحوه أحمد (٢ / ٣٦٩) .

وروى نحوه مسلم (٤ / ٢٢٧٠) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٧ ـ باب قرب الساعة .

(يَلِيْطُ حوضَه) : يطينه ويصلحه .

١١٦٧ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٢) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير آدم بن علي ، وهو ثقة .

١١٦٨ ـ مجمع الزوائد (١ / ٨٥) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

١١٦٩ ـ كشف الأستار (٤ / ١٥٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٢) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

(قماص) : الحركة والاضطراب .

(البكر) : الناقة ، وفي رواية : البقر . (لتقْمِصنَّ بكم الأرضُ) : يريد الزَّلازل .

١١٧٠ ـ * روى الطبراني عن عُقبةَ بنِ عامرٍ : قال : قال رَسول الله ﷺ : « يطلُعُ عليكم قبلَ الساعةِ سحابةٌ سوداءُ من قبل المَغْربِ مِثْلَ التُّرْسِ فلا تزالُ ترتفعُ في السماء وتنتشرُ حتى تملأ السماء ثم ينادي منادٍ أيها الناسُ أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه » . قال رسولُ الله ﷺ : « فوالذي نفسي بيده إن الرجلين ينشران الثوب فلا يطويانه وإن الرجلَ لَيَمْدُرَ حوضه فلا يَسقي منه شيئًا أبدًا والرجلين ينشران الثوب فلا يطويانه وإن الرجلَ لَيَمْدُرَ حوضه فلا يَسقي منه شيئًا أبدًا والرجل يَحلُبُ ناقتهُ فلا يَشْرَبُه أبدًا » .

١١٧١ ـ * روى الترمذي عن أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « كيف أنْعَمُ وقد التقَم صاحبُ القَرْنِ القَرْنَ ، وَحنَا جَبهتَه ، وأصغَى سمعَه ، ينتظرُ أن يُومَر فَيَنْفُخَ ؟ » فكأنَّ ذلك ثَقُلَ على أصحابه ، فقالوا : فكيفَ نفعلُ يا رسولَ الله ، أو نقولُ ؟ قالَ : « قولوا : حسبُنا الله ونِعْمَ الوكيلُ ، على الله توكلنا » . وربما قال : « توكلنا على الله » . وفي رواية : « كيف أنتم ... » .

قال الحافظ في « الفتح » ١١ / ٣١٧ : بعد ذكر حديث أبي سعيد هذا : وأخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم ، وابن مردويه من حديث أبي هريرة ، ولأحمد والبيهقي من حديث ابن عباس ، وفيه جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وهو صاحب الطور يعني إسرافيل ، وفي أسانيد كل منها مقال ، وللحاكم بسند حسن عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة ورفعه : إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ، وينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دُريان .

١١٧٢ ـ * روى البخاري (تعليقًا) عن عبد اللهِ بنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال في قوله

١١٧٠ ـ المعجم الكبير (١٧ / ٣٢٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣١) . رواه الطبراني وقال : ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله مولى للمغيرة ، وهو ثقة.

(يَمْدُر حوضه) : يطينه ويصلحه بالمَدَر وهو الطين المتماسك ، لئلا يخرج الماء من الحوض .

١١٧١ ـ الترمذي (٤ / ٦٢٠) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ٨ ـ باب ماجاء في شأن الصور . وقال : هذا حديث حسن .

١١٧٢ ـ البخاري (١١ / ٣٦٧) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤٣ ، باب نفخ الصور . وقال الحافظ في الفتح : وصله الطبري وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

تعالى : ﴿ فإذا نُقِرَ في النَّاقُورِ ﴾ [المدثر : ٨] : الصور ، قال : والراجفةُ : النفخة الأولى ، والرَّادفةُ : الثانية .

١١٧٣ - * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بن عمرو بنِ العاص رضي الله عنهما قال : جاءَ أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ ، فقالَ : ما الصُّورُ ؟ قال : « قَرْنٌ يُنفخُ فيه » .

١١٧٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما بين النفختين أربعون » قيل : أربعون يومًا ؟، قال أبو هريرةَ : أَبَيْتُ ، قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : أبيتُ ، قالوا : أربعون سنةً ؟ قال : أبيتُ . « ثم يَنزلُ من السماء ماءٌ ، فَيَنْبُتُون كما يَنْبتُ البَقْلُ ، وليس من الإنسانِ شيءٌ إلا بَلِيَ ، إلا عظم واحدٌ ، وهو عَجْبُ الذَّنَب ، منه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يوم القيامة » .

ولمسلم [(١)] طرف في ذكر عَجْبِ الذَّنَب ، قال : « إن في الإنسان عَظمًا لا تأكُلُهُ الأرضُ أبدًا ، فيهُ يُرَكَّبُ يوم القيامة » قالوا : أيُّ عظم هو يارسولَ الله ؟ قال : « عَجْبُ الذَّنَب » .

وفي رواية [(٢)] قال : قال رسولُ الله ﷺ : « كلُّ ابن آدمَ تأكُلُه الأرضُ ، إلا عَجْبَ

١١٧٣ - أحمد (٢ / ١٢٦) .
وأبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة ، باب في الشفاعة .
والترمذي (٥ / ٣٧٢) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٤١ - باب ومن سورة الزمر . وقال : حديث حسن صحيح .
والدارمي (٢ / ٣٢٥) كتاب الرقائق ، باب في نفخ الصور .
وابن حبان (٩ / ٢٠٩) .
والمستدرك (٢ / ٥٠٢) .

١١٧٤ - البخاري (٨ / ٦٨٩) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب يوم ينفخ في الصور (سورة ٧٨) عمّ يتساءلون .
مسلم (٤ / ٢٢٧٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٨ - باب ما بين النفختين .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٧١) الموضع السابق .
(٢) مسلم (٤ / ٢٢٧١) للوضع السابق .
والموطأ (١ / ٢٣٩) ١٦ - كتاب الجنائز ، ١٦ - باب جامع الجنائز .
وأبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة ، باب ذكر البعث والصور .
والنسائي (٤ / ١١١) كتاب الجنائز ، ١١٧ - باب أرواح المؤمنين .
(عَجْب الذَّنب) : هو عظم الصُّلب المستدير الذي يكون في أصل العَجُز ، وأصلِ الذَّنب. =

الذَّنَب ، منه خُلِقَ ، وفيه يُرَكَّبُ » .

أقول : الظاهر أن أجزاء عَجْب الذنب لا يدخل في تركيب أجزاء أخرى فليس المراد ألا تتحلَّل ، والمشاهد أنها تحترق وتتحلل ، ولكن لهذا الجزء من الإنسان ميزة على غيره ، بحيث يحفظ الله أجزاءه ثم تجمع يوم القيامة ويعاد بناء الإنسان عليها .

١١٧٥ - *روى ابن ماجه عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، بِسُوقِ الْمَدِينَةِ : وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسى عَلَى الْبَشَرِ فَرَفَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَدَهُ فَلَطَمَهُ ، قَالَ : تَقُولُ هذَا ؟ وَفِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَذُكِرَ ذلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [1] فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ . فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ . فَلا أَدْرِي أَرَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلِي ، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَمَنْ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ، كَذَبَ » .

أقول : لا يصح لأحدٍ أنْ يَفَضِّلَ أحداً عند الله إلا بوحي ، وعلى هذا فلا يصح أن يُفضل أحدٌ أحداً على يونس عليه السلام من عند نفسه ، وإلا فالنصوص تذكر صراحة تفاضل النبيين وأن محمداً ﷺ أفضلهم . وقل مثل ذلك في أي تفضيل بين البشر ومن ذلك التفضيل بين الصحابة فمن فضَّل من عند نفسه فقد افترى ، ومن فضَّل بحق بناءً على نص فقد اهتدى ، وعلى ذلك يُحمل كلام بعض الدعاة إلى الله إذ ينهون عن التفضيل بين الصحابة ، فمرادهم التفضيل بلا نص .

١١٧٦ - * روى مالك عن كعبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه كان يُحَدِّثُ أن النبيَّ ﷺ قال : « إنما نَسَمَةُ المؤمن طير يُعلَّقُ في شجر الجنة ، حتى يُرجِعَهُ الله في جَسدِه يومَ يَبْعَثُهُ » .

١١٧٥ - ابن ماجه (٢ / ١٤٢٨) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٣ - باب ذكر البعث . وفي الزوائد إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

(١) الزمر : ٦٨ .

١١٧٦ - الموطأ (١ / ٢٤٠) ١٦ - كتاب الجنائز ، ١٦ - باب جامع الجنائز .

والنسائي (٤ / ١٠٨) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٧ - باب أرواح المؤمنين . ولم يذكر « يعلق » .

وابن ماجه (٢ / ١٤٢٨) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٢ - باب ذكر القبر والبلى .

(النَّسَمَة) : الرُّوح والنفْس . (يعلق) : يأكل .

أقول : رزق الشهداء في الجنة واضح في النصوص ، وهـذا الحـديث يوسع الدائرة فيعمم ، والظـاهر أنـه مخصوص ببعض النصوص الأخرى ، فهو في الجملـة يـدل على أن بعض المؤمنين ولو كانوا غير شهداء فإن لهم عنـد ربهم كرامـة الكينونـة في الجنـة في الحيـاة البرزخيـة ، ولا شك أن مقام الرسل والأنبياء أرقى من مقـام الشهـداء ويوم عُرِجَ برسول الله ﷺ رأى عـددًا من الأنبياء في السموات فقد رأى في كل سماء رسولاً من الرسل كما ورد في قصة الإسراء .

* * *

٣ ـ بعض ما يكون بالنفخة الأولى

قال تعالى :

﴿ إذا الشمس كـورت * وإذا النجـوم انكـدرت * وإذا الجبـال سيرت * وإذا العشـار عطلت * وإذا الوحوش حشرت * وإذا البحار سجرت ﴾ (١) .

﴿ إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجرت ﴾ (٢) .

﴿ إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت ﴾ (٣) .

﴿ إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * إذا رجت الأرض رجًّا * وبست الجبال بسًّا * فكانت هباءً منبثًّا ﴾ .

(بست الجبال) : فُتِّتَتْ .

﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ (٥) .

﴿ فإذا النجوم طمست * وإذا السماء فرجت * وإذا الجبال نسفت ﴾ (٦) .

﴿ ونفخ في الصور فصعقَ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ (٧) .

﴿ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾ (٨) .

﴿ فإذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر * يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ (٩) .

---

(١) التكوير : ١ ـ ٦ .
(٢) الانفطار : ١ ـ ٣ .
(٣) الانشقاق : ١ ـ ٣ .
(٤) الواقعة : ١ ـ ٥ .
(٥) الأنبياء : ١٠٤ .
(٦) المرسلات : ٨ ـ ١٠ .
(٧) الزمر : ٦٨ .
(٨) الحاقة : ١٣ ـ ١٦ .
(٩) القيامة : ٧ ـ ١٢ .

١١٧٧ - * روى ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ : « يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدِهِ » وَقَبَضَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقْبِضُهَا وَيَبْسُطُهَا ثُمَّ يَقُولُ : « أَنَا الْجَبَّارُ . أَنَا الْمَلِكُ . أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ » قَالَ وَيَتَمَايَلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ . حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَنِّي لأَقُولُ : أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ .

(يأخذ الجبار) هذا الحديث كالتفسير لقوله تعالى : ﴿ والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ .

أقول : لقد كان رسول الله ﷺ إذا تحدث عن يوم القيامة ومشاهدها ظهر التأثر البالغ عليه عليه الصلاة والسلام وهذا أدب ينبغي أن يفطن له كل مسلم وخاصة الدعاة إلى الله ، فلا يمرُّون بمشاهد يوم القيامة إلا وقلوبهم يقظى وتأثرهم بها بالغ مبلغه من أنفسهم ومن سامعيه .

١١٧٨ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الشَّمس والقَمرُ مُكَوَّرَانِ يَومَ القيامة . قال ابن الأثير : (مُكَوَّران) التكوير : لَفُّ العمامة ، والمراد : أن السماءَ والأرضَ تُجمعان وتُلفَّان كما تُلَفُّ العمامةُ .

١١٨٧ - ابن ماجه (٢ / ١٤٢٩) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٣ - باب ذكر البعث .

وأخرج نحوه مسلم (٤ / ٢١٤٨) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين ، الحديث الرابع والعشرون .

وأحمد (٢ / ٨٨) .

مجمع الزوائد (١ / ٨٤) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وقال : هكذا رواه يحيى بن بكير فقال عن عبد الله ابن عمر . ورجاله رجال الصحيح .

١١٧٨ - البخاري (٦ / ٢٩٧) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٤ - باب صفة الشمس والقمر .

٤ - بعض ما يكون بالنفخة الثانية

قال تعالى : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (١) .

﴿ وإذا العشار عطلت * وإذا الوحوش حشرت ﴾ ، ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ (٢) .

﴿ وكل أتوه داخرين ﴾ (٣) .

﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ (٤) .

﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ (٥) .

١١٧٩ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تَقِيءُ الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها ، مثلَ الأُسطُوان من الذهب والفضة ، فيجيءُ القاتلُ ، فيقولُ : في هذا قتلتُ ، ويجيءُ القاطعُ ، فيقول : في هذا قطعتُ رَحِمي ، ويجيء السارقُ ، فيقول : في هذا قُطعتْ يدي ، ثم يَدَعُونَهُ فلا يأخذون منه شيئًا » .

وفي رواية الترمذي مثله ولم يذكر السارق وقطع يده (٦) .

قال ابن كثير في النهاية :

وذكرنا في التفسير : أن الكافر إذا قام من قبره أخذ بيده شيطانه ، فيلزمه ولا يفارقه حتى يُرمى بهما إلى النار ، وقال تعالى : ﴿ قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد * قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾(٧)اهـ (النهاية في الفتن والملاحم).

---

(١) الزمر : ٦٨ .

(٢) التكوير : ٤ ، ٥ ، ٧ .

(٣) النمل : ٨٧ .

(٤) القارعة : ٤ - ٥ .

(٥) الأنعام : ٣٨ .

١١٧٩ - مسلم (٤ / ٧٠١) ١٢ - كتاب الزكاة ، ١٨ - باب الترغيب في الصدقة قبل أن يوجد من لا يقبلها .

(٦) الترمذي (٤ / ٤٩٣) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٦ - باب (مِنْهُ) حدثنا واصل بن عبد الأعلى ...

وقال : حديث حسن صحيح غريب .

(تقيء الأرض أفلاذ كبدها) : الأفلاذ : القِطَع جمع فلذة ، والقيء : مستعار لها في إخراج كنوزها ، كما يخرج القيء الطعام من الجوف .

(٧) ق : ٢٧ ، ٢٨ .

الفقرة الثالثة
في :
الحشر

ـ بعد البعث والنشر يكون الحشر ، ومركز الحشر بلاد الشام ، والحشر سَوْقُ الناس والجن ومن يبعثهم الله من الخلائق إلى مكان الحساب الذي تجتمع فيه الخلائق وفيه يحاسبون وتوزن أعمالهم ويعرف كل مصيره ؛ فالحشر جمع الخلائق كلهم إلى الموقف بعد بعثهم وإحيائهم قال تعالى : ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا ﴾ (١) .

ـ وكُرُبَاتُ الحشر والموقف وما يكون فيه وما يكون بعده شيء هائل إلا على أهل هذا المقام ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (٢) .

ـ والناس يحشرون عراة حفاة مختونين ومن تحقيقات العلماء أخذًا من بعض النصوص أن رسولنا عليه الصلاة والسلام يبعث كاسيًا وأن إبراهيم عليه السلام أول من يكسى في الموقف .

ـ ويجتمع الناس في الموقف ويخلق الله شمسًا تدنو من رؤوس العباد فيصيب الناس من الحر عشرة أضعاف حر الدنيا إلاّ من يظله الله بظله وفي مرحلة يؤتى بالنار إلى المحشر كما ورد في نصوص صحيحة ، ويؤتى بالجنة فتكون قريبة ، قال تعالى ﴿ وإذا الجنة أزلفت ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ﴾ (٤) ، وذلك لكي يبتهج المتقون ويستبشروا ويحزن الآخرون ويخافوا ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين * وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ (٥) .

وفوق النار الصراط والصراط طريق العبور إلى ما بعده ، ومن هناك إلى الجنة بعد الشفاعة الثالثة لرسول الله ﷺ .

---

(١) الكهف : ٤٧ .
(٢) الأنعام : ٨٢ .
(٣) التكوير: ١٣ .
(٤) ق : ٣١ .
(٥) الشعراء : ٩٠ ، ٩١ .

ويطول الموقف بعد الحشر على الناس وهم في الحر والعرق إلا من وردت النصوص أنهم في ظل الله يومذاك ومن الوقافين عند الحق ، والذين ينظرون المعسرين أو يضعون عنهم ، والواصلون الأرحام ، والأمهات اللواتي ترعى يتامى زوجها ، والمطعمون الطعام ، والعارفون بالله والمتحابون بالله وأصحاب الأخلاق الحسنة والقائمون بحقوق الله ، ومنهم السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله الذين ورد فيهم الحديث الصحيح المعروف .

ـ وعلى طول يوم القيامة وهو خمسون ألف سنة فإنه يخفف على المؤمن فلا يحس بطوله بل هو عليه كوقت قصير من نهار .

ـ وبعض أهل الموقف يخصون بمزيد من العذاب .

ـ ويطول الموقف والناس صافون أقدامهم رافعو رؤوسهم ينتظرون فصل القضاء .

ـ وأهل الإيمان في الظل محشورون مع من يحبونه من أهل الفضل . ولواء الحمد بيد رسول الله ﷺ ، والكافرون محشورون مع من يحبونهم .

وبعد طول المقام يفزع الناس إلى الأنبياء ليشفعوا في فصل القضاء فلا يستجيبون إلا رسولنا عليه الصلاة والسلام فإنه يَشْفَع ويُشَفَّعُ .

وبعد شفاعته عليه الصلاة والسلام لفصل الخطاب تحدث أحداث كبرى ، فتتبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله ، وتتميز الأمم عن بعضها ، وتكون هناك عرضتان فيهما جدال ومعاذير ثم تطير الصحف آخذ بيمينه وآخذ بشماله وآخذ وراء ظهره وفي هذه المقامات تكون هناك شهادات الأنبياء على أقوامهم وشهادات أخرى ، ويستدعى دعاة الضلالة ودعاة الهداية ليرجع أولئك ببشارة السوء لمن تابعهم ، ويرجع هؤلاء ببشارة الخير لمن تابعهم ، ويزداد عطش الناس فيردون على أحواض أنبيائهم ، فمنهم من يشرب ومنهم من يُرَدُّ ، ويكون الحساب والميزان ، وبعد الحساب والميزان يحبس الناس قَبْل الصراط ، وعندئذ يحدث تبدل جديد للسموات والأرض ثم يفزع الناس إلى الأنبياء ليؤذن لهم بالمرور على الصراط فيحيلون الأمر إلى رسول الله ﷺ فتكون الشفاعة الثانية ، ويؤذن بالمرور على الصراط .

وعند الحساب والميزان تكون شفاعات وبعد ذلك تكون شفاعات .

والحيوانات يقضى بينها ثم تكون ترابًا .

ومن الحشر إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار تكون هناك مظاهر الجلال الإلهي وتتجلى هيبة الملائكة من ربهم وطاعتهم له ، وتظهر مظاهر من كثرة جند الله وضبطهم للأمور على مقتضى أمر الله وتظهر الجندية الكاملة للملائكة ويظهر من جلال الله ما تزداد به قلوب المؤمنين رهبة وتبلغ قلوب الكافرين الحناجر ، وكل وصف إلا وصف النصوص لما يرجى في عرصات اليوم الآخر قاصر عن تأدية المراد ، ومع دقة الوصف في النصوص ، فالنصوص تذكر أنه يوم يأتي تأويلها على أرض الواقع يظهر للكثيرين أكثر مما قدروه أو توقعوه ، قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ [٢] ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء ، فخطب ، فقال : « عرضت عليَّ الجنة والنار ، فلم أرَ كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا » . قال فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه . قال : غطوا رؤوسهم ولهم خنين [٣] .

والنصوص في الحشر والموقف وما يكون في ذلك اليوم الطويل كثيرة .

نسأل الله أن يجعلنا من أهل كرامته وولايته وهذه بعض نصوص من الكتاب والسنة في هذا الشأن وقد مرت وستمر معنا نصوص كثيرة لها علاقة بهذا المقام .

---

(١) الزمر : ٦٧ . (٢) الزمر : ٤٧ .

(٣) البخاري (٨ / ٢٨٠) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١٢ ـ باب ﴿ لا تسألوا عن أشياء ... ﴾ .

ومسلم (٤ / ١٨٣٢) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٣٧ ـ باب توقيره ﷺ . ولها روايات أخرى .

١ - النصوص القرآنية

﴿ سأل سائل بعذابٍ واقعٍ * للكافرين ليس له دافعٌ * من الله ذي المعَارج * تعرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ إليه في يومٍ كان مقدارُه خمسين ألف سنةٍ * فاصبرْ صبرًا جميلاً * إنهم يَرَوْنَه بعيدًا * ونراه قريبًا * يوم تكون السماء كالمُهْلِ * وتكون الجبالُ كالعِهْن * ولا يسألُ حميمٌ حميمًا * يُبَصَّرُونهم يودُّ المجرمُ لو يَفْتَدِي من عذابِ يومئذٍ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومَن في الأرضِ جميعًا ثم يُنْجيه * كلا إنَّها لَظَىٰ * نَزَّاعةً للشَّوَى * تدعُو من أدبرَ وتولى * وجمعَ فأوْعَى ﴾ [1] .

أقول : إن الحديث الصحيح الذي يتحدث عن عذاب من لا يؤدي زكاة الأنعام يذكر صراحة أن يوم القيامة مدته خمسون ألف سنة وذلك صريح في مدة يوم القيامة كما نصت عليه سورة المعارج .

﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبُوا حتى يُلاقُوا يومَهم الذي يوعَدون * يوم يخْرجون من الأجداثِ سِرَاعًا كأنهم إلى نُصُبٍ يُوفِضُون * خاشعةً أبصارُهم تَرْهَقُهم ذِلة ذلك اليومُ الذي كانوا يوعدون ﴾ [2] .

---

(١) المعارج : ١ - ١٨ .
(المعارج) : مصاعد الملائكة .
(المهل) : المعدن المذاب .
(العهن) : الصوف المصبوغ ألواناً .
(الحميم) : الصديق أو القريب المشفق .
(الفصيلة) : العشيرة .
(الشوى) : جلد الرأس .
(أوعى) : أمسك ماله في وعاء وربط عليه .

(٢) المعارج : ٤٢ - ٤٤ .
(نصب) : أحجار عظموها في الجاهلية .
(يوفضون) : يسرعون .
(ترهقهم ذلة) : تغشاهم مهانة شديدة .

﴿ وَنحشُرُهم يومَ القيـامـةِ على وجـوهِهم عُمْيـا وبُكمـا وصُمّـا مـأواهم جَهَنّمُ كلمـا خَبَتْ زِدناهم سَعيرًا ﴾ [١] .

أقول : وللمفسرين أكثر من اتجاه في فهم الآية فبعض المفسرين ذهب إلى أن هذا يحـدث لهم بعـد الموقف حيث يؤمر بهم إلى النـار ، وبعضهم حملهـا على أنهم يحشرون بعـد نشرهم إلى أرض الحشر هكذا ، وبعضهم حملهـا محـامل أخرى والكلام يراد بـه الكافرون والظـاهر أن الكافر يوم القيامة تكون له أكثر من حالة بالنسبـة للعمى والصم والبكم ، ففي بعض المواقف يكون أعمى وأصم وأبكم وفي بعض المواقف يكون بصيرًا سميعًـا متكلمًـا وفي بعض المواقف قـد يسلب منه السمع أو البصر أو الكلام ، والله أعلم .

﴿ ويومَ نَحشرُهم جميعًـا ثم نقـولُ للـذين أشركـوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فـزيّلْنـا بينهم وقـال شركاؤهم مـا كنتم إيّـانـا تعبُـدُون * فكَفَى بـاللهِ شَهيـدًا بينَنـا وبينكـم إن كنّـا عنْ عِبادتِكم لغـافِلين * هنـالـك تَبلُو كلُّ نفسٍ مـا أسلفَـتْ ورُدُّوا إلى الله مولاهمُ الحـقّ وضلَّ عنهم ما كانُوا يفترون ﴾ [٢] .

أقول : وهـذا الحوار يكون بين المشركين وبين مـا كانـوا يعبـدون من دون الله أو بينهم وبين مـا يصـورون لهم ممن كانـوا يعبـدونهم من دون الله وهـذا يكـون بعـد شفـاعـة فصـل الخطاب إذ تؤمر كل أمة أن تتبع ما كانت تعبد من دون الله .

﴿ ويومَ يَحشرُهم كأنْ لم يلبَثُوا إلا ساعةً من النّهار يتعـارَفون بينهم قـدْ خَسرَ الـذين كذّبُوا بلقاءِ اللهِ وما كانُوا مُهتَدِين ﴾ [٣] .

﴿ وأسَرُّوا الندامَة لما رأوا العَـذاب وقُضِيَ بينهم بـالقِسْـطِ وهم لا يُظلمون ﴾ [٤] ﴿ يومَ

---

(١) الإسراء : ٩٧ .

(البكم) : الخرس .

(٢) يونس : ٢٨ - ٣٠ .

(فزيلنا بينهم) : أي فرقنا بينهم وقطعنا الوُصَلَ التي كانت بينهم .

(٣) يونس : ٤٥ .

(٤) يونس : ٥٤ .

يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا ﴾ (١)

﴿ يدعوكم ﴾ أي يبعثكم ﴿ فتستجيبون ﴾ أي : فتنبعثون للمحاسبة والجزاء . وقوله ﴿ بحمده ﴾ : حامدين الله على كمال قدرته ، والظاهر أن هذا يقوله الكافر والمؤمن بعد إذ انكشف الغطاء فليس أمام الكافر إلا إعلان الولاء والحمد لله ولا ينفعه ذلك .

﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون * حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون * ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ﴾ (٢) .

إن لكل نبي أمته وبعض أمم الأنبياء منهم مسلمون ومنهم كافرون ، وبعض الأمم كلهم كافرون ، والمراد بالآية والله أعلم أن الكافرين من أمة كل رسول يحشرون مع بعضهم بعضا ، وقوله تعالى ﴿ يوزعون ﴾ أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا جميعا ، وتكون المخاطبة والمحاسبة والظاهر أن الخطاب يكون بعد الشفاعة لفصل الخطاب ، وتميز كل أمة كانت تعبد شيئا سوى الله عن غيرها ، ومواقف القيامة متعددة وفي كل موقف قد توجد حال لا تكون في موقف آخر .

﴿ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون * ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين * انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ (٣) .

الظاهر أن هذا المشهد يكون بعد إذ يخاطب المشركون مجتمعين مع ما أشركوا به بعد شفاعة فصل الخطاب ، فيغيب عنهم شركاؤهم بعد إذ يجمعون بهم أو بما يخيل لهم أنهم شركاؤهم ، ويحدث الجدال فيما بينهم فيخاطبون بعد غيب الشركاء ، ويحلفون كاذبين أنهم لم يكونوا مشركين والمراد بالفتنة في الآية كذبهم الذي هو مظهر خبثهم كما أن النار تفتن الذهب فتخلص زيفه من جوهره .

---

(١) الإسراء : ٥٢ .
(٢) النمل : ٨٣ - ٨٥ .
(٣) الأنعام : ٢٢ - ٢٤ .

﴿ ولو ترى إذ وُقِفوا عَلَى النَّار فقَالُوا يالَيْتَنا نُرَدُّ ولا نُكَذِّبَ بآياتِ ربّنا ونكونَ منَ المؤمنين * بلْ بَدَا لهم ما كانوا يُخفُون من قبلُ ولوْ رُدُّوا لعَادُوا لِمَا نُهُوا عنْه وإنهم لكاذبون * وقالوا إنْ هِيَ إلا حياتُنَا الدُّنيا ومَا نحن بمبْعُوثِين ﴾ [1] .

﴿ ولَوْ ترى إذْ وُقفوا على ربّهم قال أليس هذا بالحقّ قالوا بَلَى وربّنا قال فذُوقُوا العَذاب بما كنتم تكفُرون * قدْ خَسِرَ الَّذينَ كذّبوا بلقاء اللهِ حتى إذا جاءتْهم الساعةُ بغتة قالوا ياحَسْرتَنا على ما فرّطنا فِيها وهُم يحملون أوزَارَهم على ظهورِهم ألا ساءَ ما يَزِرُون ﴾ [2] .

من مواقف يوم القيامة أن يعرض الكافرون على النار وحدهم ، ومن المواقف أن تجثوَ الأمم كلها حول النار كما سنرى ، ولكن الموقف الذي يتحدث عنه هذا النص خاص بعرض الكافرين وحدهم على النار ليندموا على ما فعلوا ثم يعرضون بعد ذلك على ربهم ليعترفوا بأن ما بعث به الرسل عليهم السلام كان حقّاً .

﴿ ويومَ يَحشُرُهم جَميعًا يامعْشَرَ الجنّ قدِ استَكثرتُم مِنَ الإنس وقال أولياؤُهم مِنَ الإنْسِ ربّنا استَمتَع بعضُنا ببعضٍ وَبَلغنا أجَلَنَا الذي أجَّلْتَ لَنَا قالَ النارُ مثواكُمْ خالدين فيها إلا ما شَاء الله إنّ ربّكَ حَكيمٌ عليم * وكذلكَ نُوَلّي بعضَ الظالمين بعضًا بما كانُوا يكْسِبُون * يامَعشرَ الجنّ والإنسِ ألَمْ يأتكم رُسُلٌ منكم يَقُصُّون عليكم آياتي ويُنذِرُونكم لِقاءَ يومِكم هذا قالوا شَهِدْنَا على أنفُسِنَا وَغرَّتْهُمُ الحياةُ الدُّنيا وشَهِدُوا على أنفسِهم أنَّهم كانوا كافرين ﴾ [3] .

يتحدث هذا المشهد عما يكون من تقريع وتوبيخ من الله عز وجل للشياطين ولأتباعهم من الإنس إذ استمتع الشياطين بطاعة الإنس واستمتع أتباعهم من الإنس باللذات والشهوات التي دعاهم إليها الشياطين . والظاهر أن هذا الخطاب للفريقين يكون في إحدى العرضتين اللتين تكونان بعد الشفاعة لفصل الخطاب .

---

(١) الأنعام : ٢٧ - ٢٩ .
(٢) الأنعام : ٣٠ ، ٣١ .
(٣) الأنعام : ١٢٨ - ١٣٠ .

﴿ ويومَ تقوم الساعةُ يومئذٍ يَخْسَرُ المبطِلون * وتَرى كلَّ أمةٍ جاثيةً كلُّ أمة تُدعى إلى كتابها اليوم تُجْزَوْنَ ما كنتم تعملون * هذا كتابُنا ينطقُ عليكم بالحقّ إنا كنا نَسْتَنْسِخ ما كنتم تعملون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيُدخِلهم ربُّهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين * وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تُتْلَى عليكم فاستكبرتم وكنتم قومًا مجرمين * وإذا قيل إنّ وعدَ الله حقٌّ والساعةُ لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظنُّ إلا ظنًّا وما نحن بمستيقنين * وبدا لهم سيئاتُ ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * وقيل اليومَ ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النّار وما لكم من ناصرين * ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هُزُوا وغرّتكم الحياةُ الدنيا فاليوم لا يُخرجون منها ولا هم يُسْتعْتَبُون ﴾ [١] .

بعد الموقف الطويل والشفاعة لفصل الخطاب والجدال والمعاذير وبعد تطاير الصحف فإن أحد مشاهد يوم القيامة أن تجثوَ الأمم على ركبها كل منهم معه صحيفته .

وهناك الكتاب الذي يجمع ما كتبته الملائكة عن فعل كل مكلف من الأمم ليكون ذلك بين يدي الحساب والميزان ، ومن المعلوم أنه من أنواع العذاب أن يجلس الإنسان على ركبتيه وأطراف أصابعه فذلك لا يتحمله الإنسان في الدنيا كثيرًا ، والظاهر أن هناك أكثر من موقف من مواقف القيامة يجثو الناس على ركبهم من الهول كما سنرى .

﴿ ياأيها الإنسانُ إنك كادحٌ إلى ربك كَدْحًا فَمُلاقِيه * فأما مَن أوتيَ كتابَه بيمينه * فسوف يُحاسَب حسابًا يسيرًا * وينقلبُ إلى أهله مسرورًا * وأمّا مَن أُوتيَ كتابَه وراءَ ظهره * فسوف يدعو ثُبورًا * ويَصْلَى سعيرًا * إنه كان في أهله مسرورًا * إنه ظنّ أنْ لن يحورَ * بلى إن ربّه كان به بصيرًا ﴾ [٢] .

قوله تعالى ﴿ وراء ظهره ﴾ : أي بشماله من وراء ظهره ، وذلك يكون عند تطاير الصحف وبعد الشفاعة لفصل الخطاب وبعد عرضتين من عرضات ثلاث يكون في كل منها إقامة حجة .

---

(١) الجاثية : ٢٧ ـ ٣٥ .

(٢) الانشقاق : ٦ ـ ١٥ .

وقوله تعالى : ﴿ لن يحور ﴾ : لن يرجع أي كان غير مؤمن باليوم الآخر .

ـ ﴿ وقال الذين لا يَرْجون لقاءَنا لوْلا أُنزل عليْنا الملائكةُ أوْ نَرَى رَبَّنا لقد استَكْبَروا في أنفُسِهِم وعتَوا عُتُوًّا كبيرًا * يومَ يَرَوْنَ الملائِكَةَ لا بُشْرَى يومئذٍ للمجرمين ويقولون حِجرًا محجورًا * وقَدِمنا إلى ما عَمِلوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا * أصحابُ الجنةِ يومئذ خَيْرٌ مُسْتقرًا وأحسنُ مَقيلاً * ويومَ تشقّقُ السماءُ بالغَمامِ ونُزِّل الملائكة تنزيلاً * المُلْكُ يومئذ الحقُّ للرحمن وكان يومًا على الكافرين عسيرًا * ويوم يَعَضُّ الظالمُ على يَديه يقول ياليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلاً * ياوَيْلتَا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلاً * لقد أضلّني عن الذِّكْرِ بعدَ إذ جاءني وكان الشيطانُ للإنسان خَذُولا ﴾ [١] .

قوله تعالى : ﴿ يوم يرون الملائكة ﴾ : إشارة إلى رؤيتهم الملائكة عند الموت والضمير في قوله تعالى ﴿ ويقولون حجرًا محجورًا ﴾ قد يرجع إلى الكفار وقد يرجع إلى الملائكة فإن رجع إلى الكفار فالمراد أنهم يطلبون أن يحال بينهم وبين لقاء الله وإن رجع الضمير على الملائكة فالمراد أن الملائكة تقول لهم : حرامًا محرمًا عليكم الجنة والبشرى . وقوله تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا ﴾ أي أبطلنا أعمالهم فلا قيمة لها ولا وزن لأن شرط قبول العمل هو الإيمان ، وقوله تعالى : ﴿ يوم تشقق السماء بالغمام ﴾ فيه إشارة إلى غمام يكون بعد شفاعة فصل الخطاب وعند تطاير صحف الأعمال وعندئذ يكون نزول الملائكة مع أن للملائكة نزولاً ووجودًا قبل ذلك وهذه الآية تشبه قوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور ﴾[٢] .

﴿ وامتازوا اليومَ أيُّها المجرمون * ألم أعْهَد إليكم يا بني آدم أن لا تَعبدوا الشيطانَ إنه لكم عدوٌّ مبين * وأن اعبدوني هذا صراطٌ مستقيم * ولقد أضَلَّ منكم جبلاً كثيرًا أفلَمْ تكونوا تعقلون * هذه جهنَّمُ التي كنتم تُوعَدون * اصْلَوْها اليومَ بما كنتم تكفرون * اليومَ نختمُ على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون * ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستَبَقُوا الصراطَ فأنّى يُبصرون * ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما

(١) الفرقان : ٢١ ـ ٢٩ .

(٢) البقرة : ٢١٠ .

استطاعوا مُضيًّا ولا يَرجعون ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ المراد به على رأي بعض المفسرين الموقف الذي ينفصل فيه أهل الإيمان عن أهل الكفر وذلك يكون بعد شفاعة فصل الخطاب إذ يأمر الله عز وجل كل أمة أن تتبع ما كانت تعبد من دون الله ، وقوله تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم ﴾ هذا يكون يوم القيامة في أكثر من موقف يكون عند الحساب وعند الميزان ويكون قبل ذلك عندما ينكرون ما كانوا عليه من الشرك ، وهذا الموقف قد يتعدد والله أعلم بتفصيلاته وإنما استأنسنا لما ذكرناه استئناسًا ببعض النصوص .

وفي تميز أهل الإيمان عن أهل الكفر قال ابن كثير في النهاية :

فإذا نصب كرسي فصل القضاء انماز الكافرون عن المؤمنين في الموقف إلى ناحية الشمال ، وبقي المؤمنون عن يمين العرش ، ومنهم من يكون بين يديه ، قال الله تعالى :

﴿ وَامْتَازُوا الْيَومَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُم وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ (٣) . اهـ . (النهاية في الفتن والملاحم) .

﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهُهم مُسْوَدَّةٌ أليس في جهنم مثوًى للمتكبرينَ * وينجّي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسُّهم السوء ولا هم يحزنون ﴾ (٤) .

قوله تعالى عن الكاذبين على الله بأن وصفوه بما هو منزه عنه أوْ لم يعطوا الألوهية حقها وجوههم مسودة ذكر البيضاوي في تفسيرها : مسودة مما ينالهم من الشدة أو مما يتخيل عليها من ظلمة الجهل . أقول ولا مانع من حملها على ظاهرها بأن يعاقبهم الله بأن تكون وجوههم سوداء مظلمة . والظاهر أن الكافرين تصيبهم تلونات قبيحة متعددة يوم القيامة فإنهم يحشرون زرقًا وإذا رأوا صحائفهم سوداء اسودت وجوههم ومن قبل ذلك تسود

---

(١) يس ٥٩ - ٦٧ .

(٢) يس : ٥٩ .

(٣) يونس : ٢٨ .

(٤) الزمر : ٦٠ - ٦١ .

وجوههم ، وهكذا سواد على سواد وظلمة على ظلمة ، ولعل الذين يفتخرون ببياض الألوان في هذه الدنيا وينتقصون من كانت خلقتهم سوداء يعاقبون بما عابوا عليه غيرهم في الدنيا إذا كانوا من أهل الإيمان ، والمعروف أن المسلم لا عبرة عنده للسواد الخَلْقي وأن الكافرين وحدهم هم الذين يعطون لهذا الأمر وضعه المقيت في الدنيا . والمفازة هي الفلاح .

﴿ ويومَ نُسَيِّر الجبال وتَرى الأرضَ بارزةً وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا * وعُرِضوا على ربّك صفًّا لقد جئتمونا كما خلقناكم أوّلَ مرّةٍ بل زعمتم ألّنْ نجعلَ لكم موعِدًا * وَوُضع الكتابُ فترى المجرمين مُشفقين مما فيه ويقولون ياويلتَنا مالِ هذا الكتابِ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربُّكَ أحدًا ﴾ [1] .

﴿ ولا تحسبَنَّ الله غافلاً عما يعملُ الظالمون إنما يؤخرهم ليومٍ تشخَصُ فيه الأبصار * مُهطِعين مُقنِعي رءُوسِهم لا يرتدُّ إليهم طَرْفُهم وأفئدتُهم هواء * وأنذر الناسَ يوم يأتيهمُ العذابُ فيقول الذين ظلموا ربّنا أخّرْنا إلى أجلٍ قريبٍ نُجبْ دعوتَك ونتّبعِ الرسُلَ أوَلم تكونوا أقسمتم من قبلُ مالكم من زوالٍ * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسَهم وتبيَّن لكم كيف فعلْنا بهم وضربْنا لكم الأمثالَ ﴾ [2] .

﴿ ومَنْ أظلمُ ممن افترى على الله كذبًا أولئكَ يُعرضُون على رَبّهم ويقول الأشهادُ هؤلاء الذين كَذَبوا على رَبّهم ألاَ لعنة الله على الظالمين ﴾ [3] .

---

(١) الكهف : ٤٧ ـ ٤٩ .

قوله تعالى : ﴿ وعرضوا على ربك صفا ﴾ أي مصطفين كالجند في وقفة هيبة وخوف .

وقوله تعالى : ﴿ كما خلقناكم أول مرة ﴾ أي عراة غير مختونين لا شيء معكم .

وقوله تعالى : ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي صحائف الأعمال وذلك يكون قبل الحساب وبعد مواقف متعددة تكون يوم القيامة .

(٢) إبراهيم : ٤٢ ـ ٤٥ .

قوله تعالى : ﴿ ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ محلقين مقبلين بأبصارهم لا تطرف هيبة وخوفًا .

قوله تعالى : ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين إلى الداعي . ﴿ مقنعي رءوسهم ﴾ : رافعيها .

﴿ لا يرتد إليهم طرفهم ﴾ تبقى شاخصة لا تطرف أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظرون إلى أنفسهم .

﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ : أي خالية عن الفهم لفرط الدهشة والحيرة أو هي من الخوف كأنها غير موجودة .

(٣) هود : ١٨ .

(الأشهاد) : الملائكة والنبيون والجوارح .

قوله تعالى ﴿ يعرضون على ربهم ﴾ أي في أحد مشاهد الموقف بعد شفاعة الخطاب بأن يحسبوا وتعرض أعمالهم .

﴿ وَأَنذِرْهُم يومَ الآزِفَةِ إذ القلوبُ لدَى الحناجرِ كاظمين ما للظالمين من حَميمٍ ولا شفيعٍ يُطاعُ ﴾ [1] .

هذا يدل على أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة ، وأنهم يكونون يوم القيامة في غاية الخوف .

﴿ ويا قوم إني أخافُ عليكم يوم التنادِ * يومَ تُوَلُّون مُدْبِرين ما لكم من الله من عاصم ﴾ [2] .

﴿ وكلَّ إنسانٍ ألزَمْناه طائِرهَ في عُنُقه ونُخْرِجُ له يومَ القيامَة كِتابًا يَلقاهُ منشُورًا * اقرأ كتابَك كَفى بِنفْسِكَ اليَومَ عليكَ حَسِيبًا ﴾ [3] .

﴿ ألزمناه طائره ﴾ عمله المقدر له . ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتابًا ﴾ أي كتاب أعماله وهذا يكون قبيل الحساب والميزان . وفي الآية دليل على أنه لا يدخل النار أحد إلا بحساب على خلاف من قال : كما أن بعض أهل الجنة يدخلون الجنة بلا حساب فبعض أهل النار يدخلون النار بلا حساب .

﴿ ياأيُّها النَّاس اتَّقُوا رَبَّكم واخشَوْا يَوْمًا لا يَجزي والدٌ عن ولَدهِ ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئًا ﴾ [4] .

أقول : إنما ينتفع الوالد بالولد والولد بالوالد يوم القيامة إذا كانا مؤمنين وأراد الله ذلك أما من سوى أهل الإيمان فلا ينتفع أحد بأحد .

---

(١) غافر : ١٨ .

(الآزفة) : يوم القيامة لقربها . (كاظمين) ممسكين على الغم الممتلئين منه (الحميم) : القريب المشفق أو الصديق القريب .

(٢) غافر : ٣٢ ، ٣٣ .

(يوم التناد) يوم القيامة للنداء فيه إلى الحشر . (يوم تولون مدبرين) : ذاهبين هاربين .

(٣) الإسراء : ١٣ ، ١٤ .

(٤) لقمان : ٣٣ .

﴿ قال اهْبطا منها جميعًا بَعضُكم لبَعضٍ عدوٌ فإمّا يأْتينّكم مِنّي هُدًى فمن اتّبع هُداي فلاَ يضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * ومَنْ أعْرَضَ عن ذِكْري فإنّ له مَعيشةً ضَنْكًا ونَحْشُرُهُ يومَ القيامة أعمَى * قال ربِّ لِمَ حَشَرْتَني أعْمى وقدْ كنتُ بصيرًا * قال كذلك أتتْك آياتُنا فَنَسيتَها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ [١] .

(المعيشة الضنك) : المعيشة الضيقة ، وحملها بعضهم على الشقاء النفسي والجسدي في الدنيا لغير أهل الإيمان ، وحملها بعضهم على الحياة البرزخية ، وقوله تعالى : ﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ دليل لمن ذهب أن أول ما يحشر الكافر يوم القيامة يحشر وهو أعمى وهناك اتجاهٍ يقول : إن هذا الحشر يكون بعد إذ يؤمر بالكافرين إلى النار فيحشرون عميًا بكمًا صمًا ليدخلوا النار وهم كذلك .

﴿ يومَ نَحْشُر المتّقين إلى الرحمن وَفدًا * ونسُوق المجرمينَ إلى جهنم ورْدًا * لا يَملكُون الشفاعةَ إلا مَن اتّخذَ عندَ الرّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [٢] .

قوله تعالى : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا ﴾ هذه صفة للكيفية التي يذهب بها الكفار إلى النار وهي أنهم يساقون كما تساق البهائم وتدفع دفعًا ويدخلون النار وهم عطاش.

﴿ ويومَ يُعْرَض الذين كفروا على النار أذْهَبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليومَ تُجْزَوْن عذاب الهُونِ بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تَفسقون ﴾ [٣] .

﴿ ويومَ يُعْرَضُ الذين كفروا على النار أليسَ هذا بالحق قالوا بلى وربّنَا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ [٤] .

﴿ ومن يطع الله والرسولَ فأولئكَ معَ الذينَ أنعمَ الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشُّهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا ﴾ [٥] .

---

(١) طه : ١٢٣ ـ ١٢٦ .
(٢) مريم : ٨٥ ـ ٨٧ .
(٣) الأحقاف : ٢٠ .
(٤) الأحقاف : ٣٤ .
(٥) النساء : ٦٩ .

في هذه الآية دليل على أن أهل الإيمان يحشرون مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين فهم معهم في الموقف وهم معهم في الجنة ، ولذلك فإن على أهل الإيمان أن يطيعوا الله والرسول وأن يحبوا الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين فإن المرء يحشر مع من أحب .

﴿ وَجَعلناهم أئمّةً يَدْعُونَ إلى النّارِ وَيَوْمَ القيامَةِ لا يُنصرُون * وأتبعناهم في هذه الدنيا لَعْنَةً ويَوْمَ القيامَةِ هم منَ المقبُوحين ﴾ [١] .

قوله تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ﴾ يدل على أن هناك أئمة ضلال كما أن هناك أئمة هداية وكما أن المؤمن يحشر مع أئمته فإن الكافر يحشر مع أئمته ويدخل النار معهم .

﴿ يومَ نَدْعو كلّ أناسٍ بإمامِهم فمَنْ أوتيَ كتابه بيَمينه فأولئك يَقرأونَ كتابَهم ولا يُظْلَمُونَ فَتيلاً * ومَنْ كانَ في هذه أعمى فهوَ في الآخرةِ أعمَى وأضلُّ سَبيلاً ﴾ [٢] .

قوله تعالى : ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ أي بنبيهم أو بمقدمهم في الدين ويحتمل النص معاني أخرى وعلى المعنى المذكور فالآية تدل على أنه في موقف من مواقف يوم القيامة يدعى كل إمام لقوم فأئمة الهدى يكرمون ويرجعون إلى أتباعهم مبشرين وأئمة الضلال يهانون ويرجعون إلى أتباعهم يائسين موئيسين بائسين مبئسين .

﴿ ولقَدْ أرسلنا موسى بآياتِنا وسُلطانٍ مُبينٍ * إلى فرعونَ وملئه فاتّبعُوا أمْرَ فرعونَ وما أمرُ فرعونَ برشيد * يَقْدُمُ قومَه يومَ القيامة فأوْرَدَهم النارَ وبئسَ الوِرْدُ المورُود * وأُتْبِعوا في هذه لَعْنَةً ويومَ القيامةِ بِئسَ الرِّفْدُ المرفود ﴾ [٣] .

قوله تعالى : (يقدم قومه) : أي إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال وهذا دليل على أن إمام القوم في الهدى أو في الضلالة يكون معه أتباعه إما إلى جنة إن كان من

(١) القصص : ٤١ ، ٤٢ .
(٢) الإسراء : ٧١ ، ٧٢ .
(الفتيل) . أدنى شيء وأقله .
(٣) هود : ٩٦ - ٩٩ .

أهل الهداية وإما إلى نار إن كان من أهل الضلال وهذا يجعلنا نؤكد على أن يحب الإنسان الصالحين وأن يكون له إمام في الخير ينتسب إليه ويتعاون معه على ما يرضي الله ويطيعه في المعروف .

﴿ ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذنّاكَ ما مِنّا مِن شهيد * وضلّ عنهم ما كانوا يَدْعون من قبل وظنوا ما لهم مّن مَحيص ﴾ [1] .

﴿ ويومَ يُحشَرُ أعداءُ الله إلى النارِ فهم يُوزَعُون * حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعُهم وأبصارُهم وجُلودهم بما كانوا يعملون * وقالُوا لجلودهم لم شَهِدتم علينا قالوا أنطقنا اللهُ الذي أنطقَ كلَّ شيء وهو خلَقَكُم أوّل مرّة وإليه تُرجَعُون * وما كنتم تَسْتَتِرون أن يشهدَ عليكم سَمعُكم ولا أبصارُكم ولا جلودُكم ولكنْ ظننتم أن اللهَ لا يعلم كثيرًا مما تعملون * وذلكمْ ظنُّكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين * فإن يصبِرُوا فالنارُ مثوًى لهم وإن يَسْتَعْتِبُوا فما هم من المُعْتَبِين ﴾ [2] .

قوله تعالى : ﴿ فهم يوزعون ﴾ يحبس أولهم على آخرهم . وشهادات الأعضاء على الإنسان من زيادة إقامة الحجة .

والشهادة تكون عند الحساب والميزان وتكون في مواقف أخرى ، ولا يدخل أحد النار إلا بعد أن تقوم عليه الحجة كاملة بشهادة الملائكة والأنبياء والأعضاء .

وقوله تعالى ﴿ يستعتبوا ﴾ أي يطلبوا العتبى وهي الرجوع إلى ما يحبون .

﴿ وقيّضنا لهم قُرَناءَ فزَيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحَقّ عليهم القولُ في أمم قد خَلَتْ مِنْ قبْلِهم من الجنّ والإنس إنهم كانوا خاسرين * وقال الذين كفروا لا تَسْمَعُوا لهذا القرآنِ والْغَوْا فيه لعلّكم تغْلِبُون * فَلَنُذِيقَنّ الذين كفروا عذابًا شديدًا ولنجزِيَنّهم أسوأ الذي كانوا يعملون * ذلك جزاءُ أعداء الله النارُ لهم فيها دارُ الخلد جزاءً

---

(١) فصلت : ٤٧ ، ٤٨ .

(آذناك) : أخبرناك وأعلمناك .

(محيص) : مهرب ومفر من العذاب .

(٢) فصلت : ١٩ ـ ٢٤ .

بِمَا كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ربَّنَا أرِنا اللذَيْن أضلانا من الجنّ والإنسِ نَجعلْهُمَا تحتَ أقدامِنا ليكونا من الأسفلين ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ وقيّضنا ﴾ : أي وقدّرنا .

﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزْدَجَرٌ * حكمةٌ بالغةٌ فما تُغْنِ النُّذُر * فتولَّ عنهم يوم يَدْعُ الدّاعِ إلى شيء نُكُر * خُشَّعًا أبصارُهم يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ منتشِر * مُهْطعين إلى الداعِ يقول الكافرون هذا يومٌ عَسِر ﴾ (٢) .

قوله تعالى ﴿ يوم يدع الداع ﴾ : الداع هنا : إسرافيل إذ ينفخ في الصور . ﴿ إلى شيء نكر ﴾ : فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد مثله وهو هول القيامة ، ﴿ مهطعين إلى الداع ﴾ مسرعين مادين أعناقهم إليه أو ناظرين إليه ، ويحتمل أن يكون الداعي هنا إسرافيل ويحتمل أن يكون مَلَكًا آخر يدعو الناس إلى مركز الحشر .

﴿ يومَ يجمعُكم ليوم الجَمْع ذلك يومُ التّغَابُنِ ومن يؤمنْ بالله ويعمَلْ صالحًا يكفِّرْ عنه سيئاتِه ويُدْخِلْه جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوزُ العظيمُ * والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك أصحابُ النار خالدين فيها وبئس المصير ﴾ (٣) .

﴿ ليوم الجمع ﴾ هو اليوم الذي يجمع الله عز وجل فيه الملائكة والإنس والجن والوحوش والأنعام ، ﴿ ذلك يوم التغابن ﴾ أي اليوم الذي يغبن فيه ناس بأن يأخذ المؤمنون منازلهم في الجنة ويأخذ الكافرون منازل المؤمنين في النار لو كانوا كفارًا .

﴿ يومَ يجمعُ اللهُ الرسل فيقولُ ماذا أُجِبْتُمْ قالوا لا عِلْمَ لنا إنك أنت علامُ الغيوب ﴾(٤).

في الآية دليل على أن موقفًا من مواقف يوم القيامة يكون للرسل عليهم الصلاة والسلام اجتماع بأمر الله فيسألهم ربهم عما أجابتهم به أقوامهم توبيخًا لهذه الأقوام فينفون العلم إما لهول الموقف أو ينفون العلم المحيط قال البيضاوي : أي لا علم لنا بما كنت تعلمه إنك أنت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما أجابونا وأظهروا لنا وما لا نعلم مما أضمروا في قلوبهم .

---

(١) فصلت : ٢٥ ـ ٢٩ .
(٢) القمر : ٤ ـ ٨ .
(٣) التغابن : ٩ ، ١٠ .
(٤) المائدة : ١٠٩ .

وقيل : لا علم لنا إلى جنب علمك أو لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وإنما الحكم للخاتمة اهـ . (تفسير البيضاوي) .

﴿ يومَ يبعثُهم اللهُ جميعًا فيحلِفون له كما يحلِفون لكم ويحسَبون أنَّهم على شيءٍ ألا إنَّهم هم الكاذبون ﴾ (١) .

﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يومًا ثقيلاً ﴾ (٢) .

﴿ فكيفَ إذا جئنا من كل أُمة بشهيدٍ وجئنَا بك على هؤلاء شهيدًا * يومئذٍ يودُّ الذين كفروا وعصَوا الرَّسُولَ لو تُسَوَّى بهم الأرضُ ولا يكتمون الله حديثًا ﴾ (٣) .

قوله تعالى ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ المراد بالشهيد هنا : نبي الأمة فهو يشهد على إجابة أمته ، ﴿ وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا ﴾ الخطاب للرسول ﷺ والمراد بكلمة هؤلاء إما أمته وإما الأنبياء جميعًا وإما المؤمنون ممن استجاب له فإنه يشهد لهم وإما الكفرة . والآية تدل على أن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام شهادة على أقوامهم أنهم بلغوهم رسالات الله .

﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مَرَدٍّ من سبيل ﴾ (٤) .

﴿ وتراهم يُعرَضُون عليها خاشعين من الذلِّ يَنظُرون من طَرْفٍ خفي ﴾ (٥) .

قوله تعالى ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ أي على النار ﴿ خاشعين من الذل ﴾ متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ﴿ ينظرون من طرف خفي ﴾ أي يبتدئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف ، وقد رأينا وسنرى أن النار يؤتى بها إلى المحشر كما رأينا أن الكافرين يعرضون على النار في أحد مواقف يوم القيامة والآيات التي تدل على أن هناك حالات يبصر بها الكافرون يوم القيامة تشير إلى أن للكافرين بالنسبة للإبصار والصم البكم حالات يوم القيامة فتارة ينطقون ويسمعون ويبصرون وأخرى لا يكون لهم ذلك ، ويوم

---

(١) المجادلة : ١٨ .
(٢) الإنسان : ٢٧ .
(٣) النساء : ٤١ ، ٤٢ .
(٤) الشورى : ٤٤ .
(٥) الشورى : ٤٥ .

القيامة طويل وأحواله كثيرة .

﴿ وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مُقيم * وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومنْ يُضلل الله فما له من سبيل * استجيبوا لربكم مِن قبل أن يأتي يومٌ لا مَرَدَّ له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير ﴾ (١) .

قوله تعالى ﴿ وما لكم من نكير ﴾ إنكار لما اقترفتموه لأنه مدّون في صحائف أعمالكم تشهد عليه جوارحكم .

﴿ يومَ تبيضُ وجوهٌ وتَسْوَدُّ وجوهٌ فأما الذين اسودّت وجوهُهم أكفرتم بعدَ إيمانكم فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوهُهم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ (٢) .

هناك بياض وسواد خَلْقيان في الدنيا فهذا وهذا لا يقربان من الله أو يبعدان بل العبرة في الدنيا والآخرة للتقوى ، وأما السواد الذي يصيب الكافرين يوم القيامة فإنه عقوبة لهم والبياض إكرام لأهل الإيمان وجعل بعضهم النص على ظاهره لكن البيضاوى في تفسيره قال : البياض والسواد كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك ا . هـ (تفسير البيضاوي) .

﴿ يومَ تجد كلُّ نفسٍ ما عملتْ من خيرٍ مُحْضَرًا وما عملتْ من سوء تَوَدُّ لو أنَّ بينَها وَبيْنَه أمَدًا بعيدًا ﴾ (٣) .

﴿ ويقولون متى هذا الوعدُ إن كنتم صادقين * لو يعلمُ الذين كفروا حينَ لا يكفُّون عن وجوههمُ النارَ ولا عن ظهورهِم ولا هم يُنْصَرُون * بل تأتيهم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُم فلا يستطيعون ردَّها ولا هم يُنظَرُون ﴾ (٤) .

---

(١) الشورى : ٤٥ ـ ٤٧ .
(٢) آل عمران : ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٣) آل عمران : ٣٠ .
(٤) الأنبياء : ٣٨ ـ ٤٠ .

﴿ واقتربَ الوعدُ الحقُّ فإذا هي شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا يا ويلَنا قد كنَّا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين * إنكم وما تَعبدون من دون الله حَصَبُ جَهنَّمَ أنتم لها واردون * لو كان هؤلاء آلِهَةً ما وَرَدُوها وكلٌّ فيها خالدون * لهم فيها زفيرٌ وهم فيها لا يَسمعون ﴾ [١] .

قوله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ : دليل على أن من عبد من دون الله مآله النار إلا من عبد وهو كاره فهذا تحدثت عنه الآية اللاحقة ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ ، و ﴿ حصب جهنم ﴾ هو ما يرمى به إليها وتهيج به وهذه الآية تشبه الآية ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ [٢] .

﴿ إنّ الذين سَبقتْ لهم منّا الحُسنَى أولئك عنها مُبعَدون * لا يَسمعون حَسِيسَها وهم في ما اشتهت أنفسُهم خالدون * لا يَحزُنهم الفزعُ الأكبرُ وَتَتَلقَّاهُم الملائكةُ هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ [٣] .

﴿ وَيَوْمَ يُناديهِمْ فَيقُولُ أينَ شُركائيَ الذينَ كنتم تَزْعُمون * قال الذين حَقَّ عليهِمُ القولُ ربَّنَا هؤلاء الذينَ أغويْنا أغويْناهم كما غَوَيْنا تبرَّأْنا إليكَ ما كانُوا إيَّانا يَعْبدون * وَقيلَ ادْعُوا شُركاءكم فَدَعَوْهم فلم يَسْتَجِيبُوا لهم وَرَأَوُا العَذابَ لوْ أنَّهم كانُوا يَهتَدُون * وَيومَ يُناديهم فيقُول ماذا أجَبْتمُ المرسَلين * فعَمِيَت عليهم الأنْباءُ يومَئذٍ فهم لا يَتَساءَلونَ ﴾ [٤] .

﴿ وَيومَ يُناديهم فيقُول أين شُركائيَ الذين كنتم تَزْعُمون * ونَزَعنا منْ كلِّ أمّةٍ شهيدًا فقُلنا هاتُوا بُرهانَكم فعلمُوا أن الحقّ للهِ وَضَلَّ عنهم ما كانُوا يفتَرونَ ﴾ [٥] .

في هذا المشهد ثلاثة خطابات للكافرين من الله تعالى خطاب يسألهم فيه عما أشركوا وخطاب يسألهم فيه عما أجابوا المرسلين وخطاب يسألهم فيه مرة أخرى عما أشركوا وفي الخطاب الأول يتبرأ الشياطين والمعبودون ممن أشرك بهم وفي الخطاب الثاني يتحير الكافرون بماذا يجيبون وفي الخطاب الثالث يطلب من الأنبياء أن يشهدوا على أقوامهم وعلى تبليغهم رسالات الله وهذه الخطابات تكون بعد شفاعة نبينا ﷺ لفصل الخطاب وبعد أن تتميز

(١) الأنبياء : ٩٧ ـ ١٠٠ .
(٢) البقرة : ٢٤ .
(٣) الأنبياء : ١٠١ ـ ١٠٣ .
(٤) القصص : ٦٢ ـ ٦٦ .
(٥) القصص : ٧٤ ، ٧٥ .

الأمم عن بعضها بعضًا والله أعلم .

﴿ إنّهُ من يأتِ رَبّه مُجْرِمًا فإنّ له جَهنّمَ لا يَمُوت فيها ولا يَحْيا * وَمَنْ يَأْتِهِ مؤمِنًا قَدْ عَمِلَ الصّالحاتِ فأُولئِكَ لَهُمُ الدّرجاتُ العُلَى * جنّاتُ عدْنٍ تَجْرِي من تحتها الأنْهارُ خالدِينَ فيها وَذَلك جزاءُ مَنْ تَزَكّى ﴾ [١] .

﴿ إنّ الذين فَتَنُوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذابُ جهنم ولهم عذاب الحريق * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهارُ ذلك الفوزُ الكبير ﴾ [٢] .

﴿ وَأُزْلِفَتِ الجنّةُ للمتّقِين * وَبُرّزَتِ الجحيمُ للغاوين * وقيلَ لهم أين ما كنتمْ تَعْبدون * من دُونِ اللهِ هَلْ يَنصرُونكم أو يَنْتصِرُون * فكُبْكِبُوا فيها هم والغَاوُون * وجُنُودُ إبليسَ أجمعُونَ * قالوا وَهم فيها يَخْتَصِمون * تاللهِ إنْ كنّا لفِي ضَلالٍ مُبين * إذ نُسَوّيكم بِرَبّ العَالَمين * وما أضلّنا إلاّ المجرمُون * فما لنا منْ شافعين * ولا صَدِيقٍ حميم * فلوْ أنّ لنا كَرّةً فنكون من المؤمنين ﴾ [٣] .

قوله تعالى ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ أي قربت بحيث يرونها ﴿ وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ أي أظهرت حتى يروها والمعروف أن النار يؤتى بها إلى المحشر وكذلك الجنة ولكن الجنة تكون بعد النار والعبور إليها يكون على الصراط ، والجنة والنار مرئيتان لأهل الموقف .

وقوله تعالى ﴿ فكبكبوا فيها ﴾ أي في النار ﴿ هم والغاوون ﴾ أي الضالون والمراد بالكبكبة تكرير الكب حتى يستقروا في قعرها . والضمير ﴿ هم ﴾ يعود على الآلهة المعبودة من دون الله فهم وعبادهم يكبكبون في النار هذه الكبكبة الهائلة .

﴿ وأما من أُوتِيَ كتابَه بِشماله فيقول ياليتني لم أوتَ كتابيَهْ * ولم أدرِ ما حسابيهْ * ياليتَها كانتِ القاضيةَ * ما أغنَى عنّي ماليه * هلكَ عني سُلطانيهْ * خذوه فغُلّوه * ثم

(١) طه : ٧٤ ـ ٧٦ .
(٢) البروج : ١٠ ، ١١ .
(٣) الشعراء : ٩٠ ـ ١٠٢ .

الجحيمَ صَلُّوه * ثم في سلسلةٍ ذَرْعُها سبعون ذراعًا فاسلُكوه * إنه كان لا يؤمنُ بالله العظيم * ولا يَحُضُّ على طعام المسكين * فليس له اليومَ هاهنا حميمٌ * ولا طعامٌ إلا من غِسْلين * لا يأكلُهُ إلا الخاطِئُون ﴾ (١) . من المعلوم أنه بعد الشفاعة بفصل الخطاب وبعد العرضتين اللتين يكون فيهما جدال ومعاذير تطير صحف الأعمال فالمؤمنون يأخذونها بأيمانهم والكافرون يأخذونها بشمالهم وقوله تعالى ﴿ خذوه فغلوه ﴾ أي اجعلوا الأغلال في عنقه ويديه ﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾ أي أدخلوه أو أحرقوه فيها ، ﴿ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه ﴾ قال البيضاوي : « أي أدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وهو فيها بينها مرهق لا يقدر على حركة » ، والغسلين : صديد أهل النار .

﴿ منْ جاء بالحسنة فله خير منها وهمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمنون * ومَنْ جاء بالسيئةِ فكُبَّتْ وجوههم في النَّار هل تجزَوْن إلا ما كنتم تعملون ﴾ (٢) .

الآية الأولى تدل على أن أهل الإيمان آمنون مما يصيب الكافرين من هلع وفزع وجزع وإهانة وسوء مصير .

﴿ انطلِقُوا إلى ما كُنتم به تكذِّبون * انطلقوا إلى ظلٍّ ذِي ثلاثِ شُعَبٍ * لا ظليلٍ ولا يُغني مِنَ اللَّهبِ * إنها تَرْمِي بشَرَرٍ كالْقَصْرِ * كأنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ * ويلٌ يومئذ للمكذِّبين ﴾ (٣) .

قوله تعالى ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ﴾ أي إلى النار ﴿ انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ﴾ أي إلى ظل دخان جهنم وهو يتشعب لعظمه وهو كقوله تعالى : ﴿ وظل من يحموم * لا بارد ولاكريم ﴾ (٤) ، وللتأكيد على أن ظل الدخان فيه مزيد من العذاب قال ﴿ لا ظليل ولا يغني من اللهب ﴾ ، وقوله تعالى عن النار ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر ﴾ الشرر هو ما تطاير من النار متفرقًا ، كالقصر : كالبناء المشيد في العظم والارتفاع ﴿ كأنه جمالت صفر ﴾ كأن الشرر إبل سود في الكثرة والتتابع وسرعة الحركة واللون.

- وتطلق العرب على الجمل الأسود الأصفر . (الجمالة) جمع جمل .

---

(١) الحاقة : ٢٥ - ٣٧ .
(٢) النمل : ٨٩ - ٩٠ .
(٣) المرسلات : ٢٩ - ٣٤ .
(٤) الواقعة : ٤٣ ، ٤٤ .

﴿ هذا يومُ لا يَنْطِقُونَ * ولا يُؤذَنُ لهم فيَعتذرونَ * ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين ﴾ [١] .

قوله تعالى ﴿ هـذا يوم لا ينطقون ﴾ معنـاه أي بمـا لا ينفع أو لا ينطقون أصلا ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ لأنـه لا محل لاعتـذارهم بعـد مـا فعلوه . والظـاهر أن عـدم النطق وعدم السّماح بالاعتـذار يكون في بعض المواقف وإلا فقـد أخبرنـا الله عز وجل أن كل نفس تجادل عن نفسها : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسهـا ﴾ [٢] ، ولكن هنـاك مرحلـة في الموقف لا محـل فيهـا لنطـق أو اعتـذار لهيبـة المـوقف وهنـاك مرحلـة ينتهي فيهـا النطـق والاعتذار لأن الحجج قد قامت على أهل النار من جهات متعددة فلا فائـدة في نطق ولا اعتـذار.

﴿ هـذا يـومُ الفَصْـلِ جمعنـاكُم والأَوّلين * فإنْ كان لكم كيـدٌ فكيـدونِ * ويـلٌ يَـومئـذٍ للمكذّبين ﴾ [٣] .

﴿ هذا يوم الفصل ﴾ أي بين الحق والمبطل .

﴿ كـلا بـل تحبـون العـاجلـةَ * وتـذَرُون الآخرة * وجـوهٌ يـومئـذٍ نـاضرةٌ * إلى رَبِّهـا ناظرة * ووجوهٌ يومئذ باسِرةٌ * تَظنُّ أنْ يُفْعَلَ بها فاقرة ﴾ [٤] .

يرى المؤمنون الله عز وجل في عرصات القيـامـة كما يرونـه في الجنـة والظـاهر أن الآيـة تتحدث عن رؤيته في عرصات القيامة بدليل مـا بعـد ذلـك وقولـه تعـالى ﴿ وجوه يومئـذ ناضرة ﴾ أي بهية متهللة ، ﴿ ووجوه يومئـذ بـاسرة ﴾ أي شـديـدة العبوس . ﴿ تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ أي تتوقع داهية تكسر فقار الظهور .

﴿ فإذا جاءت الصّاخة * يومَ يَفِرُّ المرء من أخيه * وأمِه وأبيه * وصـاحبتـه وبنيـه * لكل امرئٍ منهم يومئذ شأنٌ يُغْنيه * وجوهٌ يومئذٍ مُسْفِرةٌ * ضاحكة مُسْتَبْشِرة * ووجوهٌ يومئذ عليها غَبَرةٌ * تَرْهَقُها قَتَرةٌ * أولئك هم الكَفَرَة الفَجَرَة ﴾ [٥] .

﴿ الصاخة ﴾ أي النفخة ، ﴿ مسفرة ﴾ أي مضيئة ﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ أي

---

(١) المرسلات : ٣٥ ـ ٣٧ .
(٢) النحل : ١١١ .
(٣) المرسلات : ٣٨ ـ ٤٠ .
(٤) القيامة : ٢٠ ـ ٢٥ .
(٥) عبس : ٣٣ ـ ٤٢ .

غبار وكدورة ﴿ ترهقها قترة ﴾ أي يغشاها سواد وظلمة .

﴿ الذين يُحشَرون على وجوههم إلى جهنّم أولئك شرٌّ مكانًا وأضلُّ سبيلا ﴾ [(١)] .

﴿ فوربِّك لنحشرَنَّهم والشياطينَ ثم لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جهنّم جِثِيًّا * ثم لَنَنْزِعنَّ مِن كلّ شيعةٍ أيُّهم أشدُّ على الرحمن عِتِيًّا * ثم لنحن أعلمُ بالذين هُمْ أولى بها صِلِيًّا * وإنْ مِنْكم إلا واردُها كان على رَبِّك حَتْمًا مقضِيًّا * ثم نُنجِّي الذين اتقَوا ونَذَرُ الظّالمين فيها جِثِيًّا ﴾[(٢)].

وقوله تعالى ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ﴾ أي لنحشرن كل كافر مع شيطانه مقرونًا به . ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيًا ﴾ الظاهر أن هذا يكون لجميع الخلق ليزداد السعيد سعادة بأن أنجي من هذه النار ويزداد الكافر هولاً بما يرى من مآل ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة ﴾ أي من كل أمة ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ أي أكثر عصيانا فنطرحهم فيها ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ أي أولى بالعذاب بالنار ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ الكافرون يردونها مسجونين فيها أبدًا وعصاة المؤمنين يسجنون فيها مؤقتا والمؤمنون يردون عليها فوق الصراط في طريقهم إلى الجنة ، ﴿ كان على ربك حتما مقضيا ﴾ كان ورودهم واجبًا أوجبه الله على نفسه وقضى بأن وعد به وعدًا لا يمكن خلفه وقيل أقسم عليه . ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ بأن يعبروا إلى الجنة ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ أي باركين على الركب كما كانوا جاثين حولها والظاهر أن الآيات تتحدث عن مشهد من مشاهد يوم القيامة وذلك بعد الحساب والميزان فإن الجميع يؤخذ بهم حتى يجثوا حول النار فيشاهدوها عن قرب .

﴿ يومَ يُكشَفُ عن ساق ويُدعوْن إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترْهقهم ذلّةٌ وقد كانوا يُدعَوْن إلى السجود وهم سالمون ﴾ [(٣)] .

هذا المشهد يكون بعد أن تميز الأمم عن بعضها بعضًا ويرى المؤمنون ربهم ويتعرفون عليه فعندئذ يسجد أهل الإيمان ويريد أهل النفاق أن يسجدوا فلا يستطيعون وذلك بعد

---

(١) الفرقان : ٣٤ . (٢) مريم : ٦٨ - ٧٢ .

(٣) ن : ٤٢ ، ٤٣ .

الشفاعة لفصل الخطاب .

﴿ ولو تَرى إذ المجرمون نـاكسـو رؤوسهم عنـد ربِّهم ربنـا أبْصَرْنـا وسَمعْنـا فـارْجِعْنـا نعمل صالحًا إنا موقنون ﴾[1] .

﴿ نـاكسـو رءوسهم ﴾ أي من الحيـاء والخـزي قـائلين : ﴿ ربنـا أبصرنـا وسمعنـا ﴾ أي أبصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك والظـاهر أن هـذا المشهـد يكون بعـد أن تقوم عليهم الحجة بشهادة الملائكة والنبيين والأعضاء .

(١) السجدة : ١٢ .

٢ - نصوص حديثية

١١٨٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُحْشَر الناس يومَ القيامةِ على ثلاث طرائقَ : راغبين وراهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثةٌ على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير ، وتَحْشُرُ بقيَّتَهم النارُ ، تَقيل معهم حيث قالوا ، وتَبيت معهم حيث باتوا ، وتُصبح معهم حيث أصبحوا ، وتُمسي معهم حيث أمْسَوْا » .

أقول : هذه النار التي تحشر الناس إلى الموقف غير النار التي مر ذكرها معنا على أنها آخر أشراط الساعة فتلك تكون قبل قيام الساعة .

١١٨١ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولَ الله ﷺ : « يُحشَرُ الناس يوم القيامة ثلاثةَ أصناف : صنفًا مشاةً ، وصِنْفًا ركبانًا ، وصِنْفًا على وجوههم » ، قيل : يارسولَ الله ، وكيف يَمْشُون على وجوههم ؟ قال : « إنَّ الذي أمشاهم على أقدامِهم قادرٌ على أن يُمْشِيَهم على وجوههم ، أما إنهم يَتَّقُون بوجوههم كلَّ حَدَب وشَوكٍ » .

١١٨٢ - * روى الترمذي عن بهز بنِ حكيم رحمه الله عن أبيه عن جده قال : سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّكُم تُحشرون رِجالاً ورُكبانا ، وتُجرُّون على وجوهكم » .

١١٨٠ - البخاري (١١ / ٣٧٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٥ - باب الحشر .

مسلم (٤ / ٢١٩٥) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٤ - باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة .

والنسائي (٤ / ١١٥) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٨ - باب البعث .

(طرائق) : جمع طريقة : وهي الحالة .

(تقيل) : من القائلة ، والقيلولة : كسر الحرّ .

١١٨١ - الترمذي (٥ / ٣٠٥) ٤٨ - كتاب التفسير ، ١٨ - باب ومن سورة بني إسرائيل . وقال : حديث حسن .

١١٨٢ - الترمذي (٥ / ٣٠٥) ٤٨ - كتاب التفسير ، ١٨ - باب ومن سورة بني إسرائيل . وقال : حديث حسن . وهو حسن بشواهده .

١١٨٣ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسولَ الله ، قال الله تعالى : ﴿ الذين يُحشَرون على وجوههم إلى جهنم ﴾ [1] أيُحْشَرُ الكافرُ على وجهه ؟ قال رسولُ الله ﷺ : « أَلَيْس الذي أمْشَاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يُمشيَه على وجهه يوم القيامة ؟ » قال قتادةُ حين بَلَغه : بلَى ، وعِزَّةِ ربِّنا .

١١٨٤ - * روى مسلم عن جابرِ بن عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُبْعَثُ كل عبدٍ على ما مات عليه » .

١١٨٥ - * روى الطبراني عن جرير عن النبي ﷺ قال : « من يتزودْ من الدنيا ينفعْه في الآخرة » .

١١٨٦ - * روى أبو يعلى عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « أنتم الغرُّ المُحجَّلون » .

١١٨٧ - * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بن عمرو قال : كنت عند رسول الله ﷺ يومًا وطلعت الشمس فقال : « يأتي قومٌ يوم القيامة نورُهم كنورِ الشمسِ » قال أبو بكرٍ : نحن هم يارسولَ الله ؟ قال : « لا ولكم خيرٌ كثيرٌ ، ولكنهم الفقراءُ المهاجرون الذين يُحشرون من أقطار الأرض » .

١١٨٣ - البخاري (٨ / ٤٩٢) ٦٥ - كتاب التفسير ، تفسير سورة (٢٥) ، ١ - باب الذين يحشرون على وجوههم .. إلخ.
مسلم (٤ / ٢١٦١) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين ، ١١ - باب يحشر الكافر على وجهه .

(١) الفرقان : ٣٤ .

١١٨٤ - مسلم (٤ / ٢٢٠٦) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٩ - باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

١١٨٥ - المعجم الكبير (٢ / ٣٠٥) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٣١١) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١١٨٦ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢٤٤) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

١١٨٧ - أحمد (٢ / ٢٢٢) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٨) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير وزاد في الكبير : (ثم قال : طوبى للغرباء طوبى للغرباء . قيلَ : من الغرباء ؟ قال : ناسٌ صالحون قليلٌ في ناسِ سوءٍ كثيرٍ من يَعصيهم أكثرَ من يُطيعُهم) . وفي رواية : فقال أبو بكر وعمر : نحن هم . وله في الكبير أسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح .

أقول : الخصوصية لا تقتضي الأفضلية ، فالذين ذكروا ليسوا أفضل من أبي بكر ولكن لهم خصوصية .

١١٨٨ - * روى الطبراني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان يومُ القيامةِ قامتْ ثُلَّةٌ من الناس يَسُدُّون الأفق ، نورُهم كالشمس ، فيُقالُ : النبيُّ الأُميُّ فيَتَحَشْحَشُ لها كلُّ نبي فيقالُ محمدٌ وأمتُهُ ، ثم تقومُ ثُلة أخرى تَسُدُّما بين الأفقِ ، نورُهم مثلُ كلِّ كوكبٍ في السماء فيقال النبيُّ الأُميُّ،فيَتَحَشْحَشُ لها كلُّ نبي ثم يُحثى حَثْيتين فيقال : هذا لكَ يامحمدُ وهذا مني لك يامحمد ثم يُوضَعُ الميزانُ ويؤخذُ في الحسابِ » .

١١٨٩ - * روى أبو يعلى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيتُ الناس جُمِعوا للحِسابِ » .

١١٩٠ - * روى الطبراني عن ابن مسعودٍ قال : « إنكم مجموعون بصعيد واحد يُنْفِذُكُم البصرُ وتَسْمَعون الدَّاعي » .

١١٩١ - * روى البزار عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ كان يقول لنا : « إنكم تُحشرون إلى بيت المقدسِ ثم تَجتمعون يومَ القيامة » .

أقول : من المعلوم أن نار عدن التي تخرج قبيل الساعة تحشر الناس إلى الشام فالنص يحتمل الإشارة إلى هذا ويحتمل الإشارة إلى ما يحدث من اجتماع المؤمنين في مرحلة نزول المسيح عليه السلام ويحتمل الحشر بعد البعث وفي كل الأحوال فإن مركز الحشر بلاد الشام ومركز بلاد الشام بيت المقدس .

١١٨٨ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٨) . وقال : رواه الطبراني ، ورجاله وثقوا .

التَّحَشْحُش : التحرك للنهوض .

١١٨٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٥) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

١١٩٠ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٣) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير رياح النخعي وهو ثقة .

١١٩١ - كشف الأستار (٤ / ١٥٣) .

والمعجم الكبير (٧ / ٢٦٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٣) . وقال : رواه البزار والطبراني ، وإسناد الطبراني حسن .

١١٩٢ - * روى البخاري ومسلم عن سهل بنِ سعدٍ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عَفْراءَ ، كَقُرْصةِ النَّقِيِّ ليس فيها عَلَم لأحد » .

وفي رواية [١] إلى قوله : « كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ » ثم قال : قال سهلٌ ، أو غيره « ليس فيها مَعْلَم لأحد » .

١١٩٣ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالتْ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يُحْشَر الناسُ حُفاةً عراةً غُرلاً » قالت عائشةُ ، فقلتُ : الرجالُ والنساء جميعًا ينظرُ بعضُهم إلى بعض ؟ قال : « الأمرُ أشدُّ من أن يُهمَّهم ذلك » .

وفي رواية [٢] : « من أن ينظر بعضهم إلى بعض » .

وللنسائي [٣] في أخرى قال : « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه » .

١١٩٤ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بن عباس رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَخطُبُ على المِنبَرِ يقولُ : « إنَّكم مُلاقُو اللهِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً » زاد في رواية [٤] في أوله : « مشاةً » وزاد في رواية [٥] : قال سفيانُ هذا مما يُعَدُّ أنَّ ابنَ عباسٍ

١١٩٢ - البخاري (١١ / ٣٧٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٤ - باب يقبض الله الأرض يوم القيامة .

مسلم (٤ / ٢١٥٠) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ٢ - باب في البعث والنشور ... إلخ .

(عفراء) : أرض عفراء : بيضاء ، والعفرة : البياض .

(النَّقِيّ) : أراد به الخبز الأبيض الحُوَّارَى .

(١) البخاري (١١ / ٣٧٢) : الموضع السابق .

١١٩٣ - البخاري (١١ / ٣٧٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٥ - باب الحشر .

مسلم (٤ / ٢١٩٤) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٤ - باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة .

والنسائي (٤ / ١١٤) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٨ - باب البعث .

(٢) مسلم (٤ / ٢١٩٤) : الموضع السابق .

(٣) النسائي (٤ / ١١٤) : الموضع السابق .

١١٩٤ - البخاري (١١ / ٣٧٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٥ - باب الحشر .

مسلم (٤ / ٢١٩٥) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٤ - باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة .

(٤) البخاري (١١ / ٣٧٧) : الموضع السابق .

(٥) البخاري (١١ / ٣٧٧) : الموضع السابق .

سَمِعه من النبيِّ ﷺ .

وفي أخرى [١] قال : قـام فينا رسولُ الله ﷺ بموعظة ، فقال : « ياأيُّها النـاسُ إنَّكم محشورون إلى الله حُفاةً عُراةً غُرْلاً ﴿ كما بدأنا أولَ خَلْقٍ نُعيده وعدًا علينا إنا كنَّا فاعلين ﴾ [٢] ألا إنَّ أولَ الخلائِق يُكْسَى يوم القيامة : إبراهيمُ عليه السلام ، ألا وإنه سَيُجاءُ برجالٍ من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يـاربِّ ، أصحابي ، فيقول : إنَّكَ لا تدري ما أحدَثوا بَعدَك ، فأقول كما قال العبدُ الصالحُ ﴿ وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمت فيهم ﴾ - إلى قوله - ﴿ العزيز الحكيم ﴾ » [٣] قال : « فيُقالُ لي : إنَّهم لم يزالوا مُرْتَدِّين على أعقابهم منذُ فارقتَهم » .

زاد في رواية [٤] : « فأقول : فَسُحْقًا ، فَسُحقًا » .

أقول : هذا النص محمول على من ارتد من أصحابه بعد وفاته وقتل وهو مرتد وهؤلاء الذين حدث لهم ذلك ناس قليلون من جفاة الأعراب الذين لم يتأثروا بالتربية النبوية وسيمر معنا هذا الموضوع بمناسبة الكلام عن الحوض وننقل هناك بعض ما ذكره ابن حجر حوله .

١١٩٥ - * روى البخاري ومسلم عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمَرَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ [٥] قال : « يقومُ أحدُهم في رَشْحِهِ إلى أنصافِ أُذُنَيْه » .

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٥) : الموضع السابق .

(٢) الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) المائدة : ١١٧ ، ١١٨ .

(٤) البخاري (١١ / ٤٦٤) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض .

١١٩٥ - البخاري (١١ / ٣٩٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٧ - باب قول الله تعالى ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ... ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٩٥) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٥ - باب في صفة يوم القيامة ، أعاننا الله على أهوالها .

والترمذي (٤ / ٦١٥) ٧٨ - كتاب صفة القيامة ، ٢ - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) المطففين : ٦ .

١١٩٦ - * روى مسلم عن المقداد الأسودِ رضي الله عنه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: « تُدنَى الشمسُ يومَ القيامةِ من الخَلقِ ، حتى تكون منهم كمقدار ميلٍ » زاد الترمذي « أو اثنين » قال سُليمُ بنُ عامر : فوالله ما أدري ما يعني بالميل : أمسافة الأرض ، أو الميل الذي تُكحَلُ به العين ؟ - قال : « فيكون الناسُ على قَدْرِ أعمالِهم في العَرَقِ ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى رُكبتيه ، ومنهم من يكون إلى حَقْويه ، ومنهم من يُلْجِمُهُ العرقُ إلجامًا » وأشارَ رسولُ الله ﷺ بيده إلى فيه .

وفي رواية الترمذي [1] قال : « فَتَصْهَرُهُمُ الشمسُ ، فيكونون في العَرَق كقدر أعمالهم » ... الحديث .

أقول : مر معنا من قبل أن الشمس والقمر يكوران يوم القيامة وهذا يفيد أن شمسنا الحالية لا تبقى فالشمس المذكورة في الحديث شمس أخرى والله أعلم فأمر القيامة غيب .

١١٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يَعرَقُ الناسُ يوم القيامة ، حتى يذهب في الأرض عَرَقُهُم سبعين ذراعًا ، وإنه يُلجِمُهُم حتى يبلغ آذانَهم » .

١١٩٨ - * روى الطبراني في الأوسط عن عبد العزيز العَطَّار عن أنسِ بنِ مالك لا أعلَمُهُ إلا رفَعَهُ قال « لم يلقَ ابنُ آدمَ شيئًا منذ خلَقَهُ الله عز وجل أشدَّ عليه من الموتَ

١١٩٦ - مسلم (٤ / ٢١٩٦) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٥ - باب في صفة يوم القيامة ، أعاننا الله على أهوالها .

والترمذي (٤ / ٦١٤) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٢ - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

وقال : حديث حسن صحيح .

(١) الترمذي (٤ / ٦١٤) : نفس الموضع .

(حَقويه) : الحقو : مشدُّ الإزار عند الخصر .

١١٩٧ - البخاري (١١ / ٣٩٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٧ - باب قول الله تعالى : ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ... ﴾ .

ومسلم (٤ / ٢١٩٦) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٥ - باب في صفة يوم القيامة ، أعاننا الله على أهوالها .

١١٩٨ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٤) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد .

ورواه أحمد(٣ / ١٥٤) باختصار عنه ولم يشك في رفعه ، وإسناده جيد .

أهونُ مما بعدَه وإنهم لَيَلْقَون من هول ذلكَ اليوم شِدةً حتى يُلجِمَهم العرقُ حتى إن السفن لو أُجْرِيَتْ فيه لَجَرَتْ » .

١١٩٩ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالنار يومئذ لها سبعون ألفَ زِمام ، مع كل زِمام سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونها » .

١٢٠٠ - * روى البخاري ومسلم عن أنس قال : قال رسولُ الله ﷺ « يَجْمَعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامة ، فيهتمُّون لذلك » وفي رواية : « فَيُلْهَمُون لذلك فيقولون : لو استشفعْنا إلى ربِّنا ، حتى يُريحَنَا من مكاننا هذا ؟ » قال : « فيأتون آدمَ فيقولون : أنتَ آدمُ أبو الخلق ، خلقَكَ الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمرَ الملائكَة فسجدوا لك . اشْفَعْ لنا عند ربك حتى يُرِيحَنَا من مكاننا هذا ، فيقولُ : لستُ هُنَاكُم ، فيذكر خطيئته التي أصاب . فيستحي ربَّه منها ، ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثَهُ اللهُ إلى أهل الأرض » قال : « فيأتون نوحًا ، فيقول : لستُ هُناكم ، فيذكر خطيئته التي أصاب ، فيستحي رَبَّه منها ، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : لستُ هناكم ، وذكر خطيئته التي أصابَ ، فيستحي ربَّه منها ، ولكن ائتوا موسى الذي كلَّمه الله وأعطاه التوراةَ » قال : « فيأتون موسى ، فيقول : لستُ هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب ، فيستحي رَبَّه منها ، ولكن ائتوا عيسى رُوحَ اللهِ وكلمتَه فيأتون عيسى رُوح الله وكلمتَه ، فيقول : لستُ هناكم ، ولكن ائتوا محمدًا ، عبدًا غَفَرَ اللهُ له ما تقدَّم من ذَنْبِهِ وما تأخَّرَ » قال : قال رسول الله ﷺ : « فيأتونني ، فأستأذن على ربي ، فيُؤْذَن لي ، فإذا أنا رأيتُهُ وقَعْتُ ساجدًا ، فَيدَعُني ما شاءَ الله ، فيُقالُ : يامحمدُ ، ارفعْ ، قُلْ يُسْمَع ، سَلْ تُعْطَه اشفع تشفَّع ، فأرفعُ رأسِي ، فأحمدُ ربي

١١٩٩ - مسلم (٤ / ٢١٨٤) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٢ - باب في شدة حر نار جهنم ، ... إلخ .

١٢٠٠ - البخاري (٨ / ١٦٠) ٦٥ - كتاب التفسير ، سورة البقرة ، ١ - باب قول الله : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ .

مسلم (١ / ١٨٠) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

بتحميد يُعلِّمُنيهِ رَبِّي ، ثم أشفع ، فَيَحُدُّ لي حَدًّا ، فأُخْرِجُهُمْ مِنَ النـار ، وأُدْخِلُهم الجنةَ ، ثم أعودُ فأقع ساجدًا ، فيدَعُني ما شاء الله أن يَـدَعَني ، ثم يقـال لي : ارفع يامحمدُ ، قلْ يُسْمعْ ، سَلْ تُعْطَه ، اشفعْ تُشفَّع ، فأرفعُ رأسي ، فأحمد ربي بتحميد يعلِّمنيه ، ثم أشفعُ ، فيَحُدُّ لي حدًّا ، فأُخرجُهم من النار ، وأُدْخِلُهم الجنـةَ » قـال : فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة « فأقول : ياربِّ ، مـا بقي في النـار إلا من حَبَسه القرآنُ » أي وجبَ عليه الخلودُ .

أقول : بدأ الحـديث يـذكر طلب الشفـاعة لفصل القضـاء ، ثم ذكر الشفـاعة للإخراج من النار ودخول الجنة ، فالحـديث طوى مـا حـدث من شفـاعة لفصل الخطـاب لأنهـا قـد حصلت وذكر شفـاعـات أخرى لأن السـامع يفهم ذلـك من سيـاق الخطـاب . قـال ابن كثير في توضيح هذا المعنى في كتابه النهاية :

والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهـذا الحـديث من أكثر طرقـه لا يـذكرون أمر الشفاعة الأولى في أن يأتي الرب لفصل القضاء كما ورد هـذا في حـديث الصور كما تقـدم وهو المقصود في هذا المقام ، ومقتضى سياق أول الحديث أن الناس إنما يستغيثون إلى آدم فمن بعـده من الأنبياء طمعًا في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم ذلك كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه فإذا وصلوا إلى المحشر فإنما يذكرون الشفـاعـة في عصاة الأمـة وإخراجهم من النـار ، وكان مقصود السلف في الاقتصار على هـذا المقـدار من الحـديث هو الرد على الخوارج ومن تـابعهم من المعتزلة الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها يذكرون هذا القدر من الحـديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث . اهـ .

١٢٠١ ـ * روى البزار مـوقـوفًـا عن حـذيفـة قـال : يجمعُ اللهُ النَّـاسَ في صعيـدٍ واحـد ولا تَكَلَّمُ نفسٌ فـأول مَنْ ـ أحسَبُه قـال ـ يتكلَّمُ محمد ﷺ فيقـول : « لبيـك وَسعـديـكَ والخيرُ في يـديـك والشرُّ ليس إليـك والمَهـدِيُّ من هَـديت وعبـدك بين يـدَيـكَ

١٢٠١ ـ كشف الأستار (٤ / ١٦٧) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٧) وقال : رواه البزار موقوفًا ورجاله رجال الصحيح .

ومنك وإليك لا ملجأ ولاَ مَنجَى منكَ إلا إليك تباركتَ وتعاليتَ سبحانك ربَّ البيت » فهذا قوله ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾ .

١٢٠٢ - * روى أحمد عن كعب بن مالك عن النبي ﷺ قال : « يُبعَثُ الناسُ يومَ القيامة فأكون أنا وأمتي على تلٍّ ويكسوني ربي حُلةً خَضْرَاءَ ثم يُؤذَنُ لي فأقول ما شاءَ الله أن أقول فذلكَ المقامُ المحمودُ » .

أقول : المقام المحمود هو الذي يشفع فيه رسول الله ﷺ لأهل الموقف بعد طول الوقوف ليفصل الله عز وجل في شأنهم وهذه الشفاعة هي التي تسمى شفاعة فصل الخطاب ولرسول الله ﷺ شفاعتان بعدها تكونان بعد أن يلجأ الناس إلى الأنبياء ، فيحال الأمر عليه ، وهي الشفاعة لجواز الصراط ، والشفاعة لدخول الجنة وله مع ذلك ست شفاعات أخرى سنراها والشفاعات الثلاثة الأولى كلها تدخل تحت ما يُسَمَّى المقام المحمود .

١٢٠٣ - * روى الطبراني عن مُعاذِ بن جبلٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن شئتم أنبأتكم بأول ما يقول اللهُ عز وجل للمؤمنين يومَ القيامةِ وبأولِ ما يقولون » . قالوا : نعم قال : « إن اللهَ عز وجلَّ يقولُ للمؤمنين : هل أحببتم لِقائي ؟ فيقولون : نعم ياربَّنا ، فيقول : لِمَ ؟ فيقولونَ : رجونا رحمتَك وعَفْوك . فيقولُ : فقد وجبتْ لكم رَحْمتي » .

١٢٠٤ - * روى الترمذي عن عمرو بن شعيب رحمه الله عن أبيه عن جده : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « يُحْشَرُ المتكبِّرون يوم القيامة أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرجال ، يَغشاهم الذُّل من كلِّ مكانٍ ، يُسَاقُون إلى سِجنٍ في جهنم ، يقال

١٢٠٢ - أحمد (٣ / ٤٥٦) .

مجمع الزوائد (٧ / ٥١) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٢٠٣ - للمعجم الكبير (٢٠ / ١٢٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٨) . وقال : رواه الطبراني بسندين أحدهما حسن .

١٢٠٤ - الترمذي (٤ / ٦٥٥) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٤٧ - باب حدثنا سويد بن نصر .

وقال : حديث حسن صحيح .

=

لـه : بُولس ، تعلوهم نـارُ الأنيـار ، يُسقَوْن من عُصـارة أهـل النـارِ طينـةِ الخَبالِ » .

١٢٠٥ - * روى البخـاري عن أبي هريرة رضي الله عنـه أنَّ النبيَّ ﷺ قـال : « أوّلُ مَنْ يُدْعى يوم القيـامـة : آدمُ عليـه السلام ، فَتَراءى ذرِّيتُـه ، فيقـال لهم : هـذا أبـوكم آدم ؟ فيقـول : لبَّيْـكَ وَسَعْـدَيْـك ، فيقـول : أَخْرِجْ بَعْثَ جهنَّم من ذُرِّيتِـك ، فيقـولُ : يـاربِّ ، كم أُخرِجُ ؟ فيقـول : أخرجْ من كُلِّ مـائـةٍ تسعـة وتسعين » ، فقـالـوا : يـارسـولَ الله ، إذا أُخِـذَ مِنَّـا من كلِّ مـائـةٍ تسعـة وتسعـون فمـاذا يبقى مِنَّا ؟ قال : « إنَّ أُمَّتي في الأمم كالشَّعْرَةِ البيضاء في الثور الأسود » .

١٢٠٦ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي سعيـدٍ الخُـدري رضي الله عنـه قـال : قـال النبيُّ ﷺ : « يقـولُ الله عـز وجـل يـوَم القيـامـة : يـاآدمُ ، فيقـول : لَبَّيْـك وسعـديـك » زاد في روايـة :« والخير في يديك فيُنـادَى بصـوت : إن الله يـأمُرُكَ أن تُخْرِجَ من ذُرِّيَّتِـك بَعْثًـا إلى النـار ، قـال : يـاربِّ ، ومـا بَعثُ النـار ؟ قـال : من كل ألفٍ تسعُمائـة وتسعـة وتسعـون ، فحينئـذٍ تَضَعُ الحـامـل حملَهـا ، ويشيبُ الـوليـدُ ﴿ وترى النَّـاس سُكارَى ومـاهم بسكارى ولكنَّ عـذابَ الله شـديـد ﴾ »[1] فشقَّ ذلك على الناسِ حتى تغيَّرت وجوههم .

زاد بعضُ الرواة [2] : قـالـوا : يـارسـول الله ، أيُّنـا ذلـك الرجـلُ ؟ فقـال رسـولُ الله ﷺ : « من يـأجوج ومـأجـوج تسعمائـة وتسعـة وتسعـون ، ومنكم واحـد - ثم أنتم في النـاس كالشَّعْرة السـوداءِ في جَنْبِ الثـورِ الأبيضِ ، أو كالشعرة البيضـاء في

= (طينة الخبال) : جـاء تفسيرهـا في بعض الحـديث : قيل : يـا رسولَ الله ، ومـا طينـةُ الخبال ؟ قـال : « هي صديد أهل النار » .

١٢٠٥ - البخاري (١١ / ٣٧٨) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٥ - باب الحشر .

١٢٠٦ - البخاري (٨ / ٤٤١) ٦٥ - كتاب التفسير ، تفسير سورة الحج ، ١ - باب ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ .

مسلم (١ / ٢٠١) ١ - كتاب الإيمان ، ٩٦ - باب قوله : « يقول الله لآدم أخرج بعث النار .... » .

(١) الحج : ٢ .

(٢) البخاري (٨ / ٤٤١) للموضع السابق .

جنب الثور الأسود » .

وفي روايــة (١) : « أو كالرَّقْمَــة في ذِراع الحِمار - وإني لأرجـو أن تكـونـوا رُبُعَ أهل الجنةِ » ، فكبَّرنا ، ثم قـال : « ثُلُثَ أهلِ الجنـةِ » فكبَّرنـا ، ثم قـال : « شَطْرَ أهل الجنة » ، فكبَّرنا .

١٢٠٧ - * روى البخـاري عن أبي سعيـد قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « يقـول اللهُ : يا آدمُ ، فيقول : لَبَّيك وسَعـدَيـك ، والخيرُ في يـدَيـك » . قـال : « يقول : أخرِجْ بَعثَ النـار ، قـال : ومـا بعثُ النـار ؟ قـال : من كلِّ ألف تسعمائـة وتسعـة وتسعين ، فـذاكَ حين يشيبُ الصغير ، وتَضـعُ كلُّ ذاتِ حمـل حملهـا ، وترَى النَّـاسَ سَكْرَى ومـا هم بسكْرى ولكنَّ عـذاب الله شـديـد » . فـاشتـدَّ ذلـك عليهم فقـالوا : يـارسـولَ الله أيُّنـا ذلـك الرجـلُ ؟ قـال : « أبشروا ، فـإن من يـأجـوجَ ومـأجـوجَ ألفًـا ومنكم رجـل » . ثم قـال : « والـذي نفسي بيـده ، إني لأطمـعُ أن تكونوا ثلثَ أهل الجنة » . قال فحمدْنا الله وكَبَّرْنا . ثم قـال : « والـذي نفسي بيـده ، إني لأطمعُ أن تكونوا شطرَ أهلِ الجنة إن مَثلَكم في الأمم كمثل الشَّعرةِ البيضـاء في جلد الثورِ الأسود ، أو كالرَّقمةِ في ذِراعِ الحمار » .

قال ابن حجر في فتح الباري :

قـولـه (أخرج بعث النـار) ... معنـاهـا هنـا مَيِّـز أهـل النـار من غيرهم ، وإنمـا خص بـذلـك آدم لكونـه والـد الجميع ولكونـه كان قـد عرف أهل السعـادة من أهل الشقـاء ، فقـد رآه النبيُّ ﷺ ليلـة الإسراء وعن يمينـه أسـودة ... وعن شمالـه أسـودة الحـديث كما تقـدم في حـديث الإسراء ، وقـد أخرج ابن أبي الـدنيـا من مرسـل الحسن قـال : يقـول الله لآدم : يـاآدم أنت اليـوم عدل بيني وبين ذريتـك ، قم فـانظر مـا يرفـع إليـك من أعمـالهم ... وفي التوفيق بين العـددين من كل ألف واحـد ومن كل مـائـة واحـد قـال الكرمـاني : والمقصـود

---

(١) مسلم (١ / ٢٠٢) للموضع السابق .

١٢٠٧ - البخاري (١١ / ٣٨٨) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٦ - باب قوله عز وجل : ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ .

من العددين واحد وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين اهـ . قلت : ومقتضى كلامه الأول تقديم حديث أبي هريرة على حديث أبي سعيد فإنه يشتمل على زيادة ، فإن حديث أبي سعيد يدل على أن نصيب أهل الجنة من كل ألف واحد ، وحديث أبي هريرة يدل على عشرة فالحكم للزائد ، ومقتضى كلامه الأخير أن لا ينظر إلى العدد أصلا بل القدر المشترك بينهما ما ذكره من تقليل العدد ، وقد فتح الله تعالى في ذلك بأجوبة أخر وهو حمل حديث أبي سعيد ومن وافقه على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف واحد ، وحمل حديث أبي هريرة ومن وافقه على من عدا يأجوج ومأجوج فيكون من كل ألف عشرة ، ويقرب ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة ، ويحتمل أن يكون الأول يتعلق بالخلق والثاني بخصوص هذه الأمة ، ويقربه قوله في حديث أبي هريرة « إذا أخذ منا » لكن في حديث ابن عباس « وإنما أمتي جزء من ألف جزء » ويحتمل أن تقع القسمة مرتين مرة من جميع الأمم قبل هذه الأمة فيكون من كل ألف واحد ومرة من هذه الأمة فقط فيكون من كل ألف عشرة ، ويحتمل أن يكون المراد ببعث النار الكفار ومن يدخلها من العصاة فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعون كافرًا ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصيًا والعلم عند الله تعالى . قوله (فذاك حين يشيب الصغير وتضع ، وساق إلى قوله شديد) ظاهره : أن ذلك يقع في الموقف ، وقد استشكل بأن ذلك الوقت لا حمل فيه ولا وضع ولا شيب ، ومن ثم قال بعض المفسرين : إن ذلك قبل يوم القيامة ، لكن الحديث يرد عليه ، وأجاب الكرماني بأن ذلك وقع على سبيل التمثيل والتهويل ، وسبق إلى ذلك النووي فقال : فيه وجهان للعلماء فذكرهما وقال : التقدير أن الحال ينتهي إلى أنه لو كانت النساء حينئذ حوامل لوضعت : كما تقول العرب : وأصابنا أمر يشيب منه الوليد ، وأقول : يحتمل أن يحمل على حقيقته ، فإن كل أحد يبعث على ما مات عليه فتبعث الحامل حاملا والمرضع مرضعة والطفل طفلاً ، فإذا وقعت زلزلة الساعة ، وقيل ذلك لآدم ورأى الناس آدم وسمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجل ما يسقط معه الحمل ويشيب له الطفل وتذهل به المرضعة).اهـ. (الفتح) .

أقول : وقع في رواية أبي هريرة (أول من يدعى يوم القيامة آدم عليه السلام) : هذه الأولية هنا تحتمل الأولية المطلقة وتحتمل الأولية النسبية فإن كان المراد الأولية المطلقة فذلك يكون حين يميز أهل النار من أهل الجنة في الموقف قبل الحساب والميزان وإقامة الحجج ، وإن كان المراد الأولية النسبية وهي ما تدل عليه النصوص التي تذكر خطاب الله لرسولنا عليه الصلاة والسلام آذنًا له بالشفاعة لفصل الخطاب ، فذلك يكون في موقف من مواقف يوم القيامة وذلك بعد أن يتم الحساب والميزان وعندئذ يُنَادَى آدمُ ليخرج بعث النار ، وهذا الذي أرجحه في هذا المقام ، وهذه النصوص الواردة في بعث النار تدل على كثرة يأجوج ومأجوج بالنسبة لسكان الأرض ، وهذا يرجح ما ذكرناه أثناء الكلام عن يأجوج ومأجوج ويرد على من يزعم أن سد يأجوج ومأجوج لازال موجودًا يحجزهم عن الخروج وأنهم وإياه في مكانٍ ما على الأرض لا زال مجهولاً ، فهذا يتعارض تعارضًا صريحًا مع الواقع المعروف ومع هذه النصوص ، ثم إن النصوص القرآنية الواردة في يأجوج ومأجوج لا تفيد ما يذكره هؤلاء بل هي محمولة على ما اتجهنا إليه دون تكلف .

١٢٠٨ - * روى أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل يقول يومَ القيامة لآدَمَ عليه السلام : قُمْ فجهزْ من ذُريتك تسعَمائة وتسعةً وتسعين إلى النار ، وواحدًا إلى الجنة » ، فبكى أصحابه وبكَوا ثم قالَ لهم رسولُ الله ﷺ: « ارفعوا رؤوسَكم فوالذي نفسي بيده ما أمتي في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود » فخففَ ذلك عنهم .

١٢٠٩ - * روى أبو يعلى عن أنس قال : نزلت ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم ﴾ إلى قوله ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ على النبي ﷺ في مسير له فرفعَ بها صوتَهُ حتى ثابَ إليه أصحابُه ، فقال : « أتدرون أيَّ يومٍ هذا ؟ يومَ يقولُ اللهُ لآدمَ : قم فابعثْ بعثًا إلى النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار ، وواحدٌ إلى الجنة » فكبر ذلك

١٢٠٨ - أحمد (٦ / ٤٤١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٣) وقال : رواه أحمد والطبراني وإسناده جيد .

١٢٠٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي ، وهو ثقة .

على المسلمين فقال النبي ﷺ : « سَدِّدوا وقاربوا وأبْشِروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشَّامَةِ في جَنْب البعير أو كالرَّقْمة في ذِراع الدابة . إن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قَطُّ إلا كَثَّرتاه : يـأجوجَ ومـأجوجَ ومن هَلَـكَ من كَفرةِ الجنِّ والإنس».

١٢١٠ - * روى الترمـذي عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « يَخْرُجُ عُنُقٌ من النـار يـومَ القيـامـة ، لـه عينـانِ تُبْصِران ، وأذنـان تَسمَعَـان ، ولِسـان يَنطِقُ ، يقول : إني وكِّلْتُ بثلاثـةٍ ، بمَن جَعَلَ مـع الله إلهـا آخرَ ، وبكل جبَّار عنيدٍ ، وبالمصوِّرين » .

أقول : الظاهر أن هذا العنق يخرج بعد أن تقام الحجة على الناس قيامًا كاملاً بالشهادات وبالصحف وبالوزن والميزان .

١٢١١ - * روى الترمـذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه قـالَ : قـالَ : رسولُ الله ﷺ : « يُعْرَضُ النَّاسُ يومَ القيامةِ ثلاثَ عَرَضاتٍ ، فـأمـا عرضتـان ، فجـدال ومَعَـاذيرُ وأما العَرْضةُ الثالثةُ ، فعند ذلك تطيرُ الصُّحُفُ في الأيدي ، فـآخِـذٌ بيمينـهِ وآخِـذٌ بشماله » .

أقول : وقد تعجّب ابن كثير في كتابه النهاية من تضعيف الترمذي للحـديث ونـاقش ذلـك.

الظاهر أنه بعد الوقوف الطويل والإذن بالشفـاعـة لفصل القضـاء تكون العرضـة الأولى ويكون السؤال عن الشرك وعن الاستجـابـة للرسل ويكـون تنصـل وعتـاب ، وفي العرضـة الثانية تشهد الرسل وينكر الكافرون ويشهد محمد ﷺ وأمته على صدق شهـادة الرسل وتقوم

١٢١٠ - الترمذي (٤ / ٧٠١) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ١ - باب مـا جـاء في صفـة النـار .

وقال : حديث حسن صحيح غريب .

(عنق) : العُنق : طائفة من الناس ، والمراد به : طائفة من النار كالعنق .

(جبار عنيد) : الجبّار : القهّار المتكبّر ، والعنيد : الجائر عن الحق ، كالمعاند له .

١٢١١ - الترمذي (٤ / ٦١٧) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٤ - باب ما جاء في العرض . وقال : لا يصح هـذا الحـديث من قِبَل أنَّ الحسن لم يسمع من أبي هريرة ، وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى .

وإسناده ضعيف فإن الحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة ولا من أبي موسى الأشعري ، قال الحافظ في « الفتح » بعد نقل كلام الترمذي هذا : وأخرجه البيهقي في « البعث » بسند حسن عن عبد الله بن مسعود موقوفًا .

الحجة على الخلق ، ثم تطير الصحف فيعرف كل إنسان ذنوبه ثم يكون الحساب والميزان وقد ذهب ابن كثير في كتابه النهاية إلى أن الحساب يكون قبل الميزان ، قال رحمه الله :

قال أبو عبد الله القرطبي : قال العلماء : إذا انقضى الحساب ، كان بعده وزن الأعمال ؛ لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لنفس الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها ، فيكون الجزاء بحسبها قال : وقوله : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال ، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات ، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة ، والله سبحانه وتعالى أعلم . اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

وبمناسبة الكلام عن حديث العرضات الثلاث نقل ابن حجر في فتح الباري ما يلي :

قال الترمذي الحكيم : الجدال للكفار يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوا نجوا ، والمعاذير اعتذار الله لآدم وأنبيائه بإقامته الحجة على أعدائه ، والثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر . اهـ .

أقول : أمّا مَا ذكره الترمذي الحكيم في الجدال فَسلم ، أما ما بعده فغير مُسلم ؛ فكيف يعتذر الله عزَّ وجل والموقف موقف جلال ، وتخصيص العرضة الثالثة بالمؤمنين يتنافى مع النص : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ (١) .

١٢١٢ ـ * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لَتُؤَدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يومَ القيامة ،حتى يُقَادَ للشاة الجَلْحاء من الشاةِ القَرْناء » .

١٢١٣ ـ * روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يُقْتَصُّ

---

(١) الإسراء : ١٣ .

١٢١٢ ـ مسلم (٤ / ١٩٩٧) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ، ١٥ ـ باب تحريم الظلم .

والترمذي (٤ / ٦١٤) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ٢ ـ باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

وقال : حديث حسن صحيح .

(الجلحاء) شاة جلحاء : لا قرن لها .

١٢١٣ ـ أحمد (٢ / ٣٦٣) .

=

للخلقِ بعضِهم من بعض حتى للجَمَّاء من القَرْنَاء وحتى للذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّة » .

أقول : الظاهر أن الاقتصاص للحيوانات من بعضها بعضًا يتقدم على حساب المكلفين لأنه بعد أن يقتص منها يقال لها كوني ترابًا فتكون ترابًا فيتمنى الكافر لو أنه كان معها ، قال تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا * ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا * إنَّا أنذرناكم عذابا قريبًا يوم ينظر المرءُ ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابًا ﴾ [1] ، غير أن هناك الحيوانات التي لم تُؤدِّ زكاتها ، فهذه يعذب أهلها بها ، فهذه قد تؤخر ، على أن النصوص لم تحدد المقام الذي يقال فيه للحيونات كوني ترابًا ، فتكون ترابًا .

١٢١٤ - * روى الترمذي عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أولَ ما يُسألُ عنه العبدُ يوم القيامةِ من النعيم ، أنْ يُقالَ له : ألم نُصِحَّ لك جِسْمَكَ ؟ ونُرْوِكَ من الماء البارِد » ؟

١٢١٥ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخُدري ، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « يؤتَى بالعبدِ يومَ القيامةِ ، فيقولُ له : ألم أجعل لك سَمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا ؟ وسَخَّرتُ لك الأنعامَ والحَرْثَ ؟ وتركتُك تَرْأَسُ وتربَعُ ؟ فكنتَ تظنُّ أنَّك مُلاقيَّ يومَكَ هذا ؟ فيقول : لا ، فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتني » .

وقال : معنى قوله : « اليوم أنساك كما نسيتني » : اليوم أتْرُكُكَ في العذاب .

= مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٢) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

(١) النبأ : ٣٨ - ٤٠ .

١٢١٤ - الترمذي (٥ / ٤٤٨) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٨٩ - باب ومن سورة التكاثر . وقال : حديث غريب .
وإسناده قوي ، وصححه ابن حبان .

١٢١٥ - الترمذي (٤ / ٦١٩) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٦ - باب (مِنْهُ) حدثنا عبد الله بن محمد ... إلخ .
وقال : حديث صحيح غريب . وإسناده حسن .
(ترأس) : الترؤُسُ : التقدم على القوم وأن يصير رئيسهم .
(وتربع) : أي : تأخذ المرباع ، وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من المغانم وهو ربعها ، وقد روي « ترتع » بتاءين من التنعم والرتع ، يقال : رتعتِ الإبل ، وأرتَعَها صاحبها : إذا كانت في موضع خَصيب .

الفقرة الرابعة
في :
مشاهد من القرآن الكريم فيما يجري في اليوم الآخر من حوار

إن الإنسان في الدنيا عندما يجد نفسه في خطر فإنه يبذل غاية وسعه للخلاص من الخطر ، وعندما يكون للإنسان حق يجادله فيه الآخرون ، ثم يظهر حقه فإن له مقالاً ، وعندما يُقْهَر الظالمون يعتذرون ، فالإنسان له طبيعته ومواقفه ، واليوم الآخر هو يوم الفصل فيما كان الناس يختلفون فيه ، وهو اليوم الذي تظهر فيه الأمور على حقائقها ، وينكشف فيه صدق الرسل ، ويرى الناس تحقق الوعد والوعيد . وفي هذا كله تجد الإنسان يجادل عن نفسه أقصى الجدال لعل ذلك ينفعه ، وترى أهل الباطل يعتذرون أشد الاعتذار لعل ذلك ينفعهم ، وترى الحوار بين أهل الباطل فيما بينهم ، وترى الحوار بين أهل الحق فيما بينهم ، وترى الحوار بين أهل الجنة وأهل النار ، وترى مناشدة أهل النار للملائكة وأهل الجنة ، وترى الكلمة الطيبة من الملائكة لأهل الجنة ، وكل ذلك تجد تفصيلاته في القرآن . وفي هذه الفقرة سنعرض نماذج على ذلك للتذكير كي لا يخلو الكتابَ من هذا الجانب المهم من مشاهد اليوم الآخر :

﴿ وجاءت سَكْرةُ الموت بالحق ذلك ما كنتَ منه تَحيدُ * ونُفِخ في الصُّورِ ذلك يومُ الوعيد * وجاءتْ كلُّ نفْسٍ معها سائقٌ وشهيد* لقد كنتَ في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرُك اليوم حديد * وقال قرينه هذا ما لديّ عتيدٌ * ألقيا في جهنم كلَّ كَفّار عنيد * منّاعٍ للخير مُعْتَدٍ مُريبٍ * الذي جعل مع الله إلهًا آخرَ فألقياه في العذاب الشديد * قال قرينهُ ربَّنا ما أطغيتُه ولكنْ كان في ضلالٍ بعيدٍ * قال لا تختصموا لَديّ وقد قدّمتُ إليكم بالوعيدِ * ما يُبدّل القولُ لَديّ وما أنا بِظلّام للعبيد * يوم نقولُ لجهنم هل امتلأتِ وتقولُ هل من مزيد * وأُزْلِفت الجنّةُ للمتّقين غير بعيدٍ * هذا ما توعَدونَ لكلِّ أوّابٍ حفيظٍ * من خشيَ الرحمنَ بالغيبِ وجاءَ بقلبٍ مُنيبٍ * ادخلوها بسلامٍ ذلك يومُ الخلودِ

* لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾ [(١)] .

قوله تعالى : ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق شهيد ﴾ السائق والشهيد ملكان ، وقيل : السائق كاتب السيئات ، والشهيد كاتب الحسنات . وقوله تعالى : ﴿ وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ﴾ : المراد بالقرين الملك الموكل عليه ، والعتيد الحاضر ، أي يقول الملك هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي . ﴿ ألقيا ﴾ هذا خطاب للملكين السائق والشهيد . قوله تعالى : ﴿ قال قرينه ربنا ما أطغيته ﴾ القرين هنا هو الشيطان المقيض له والمقيد معه ﴿ ربنا ماأطغيته ﴾ أي ما أضللته ، وكأن هذا جواب على شكوى من الإنسان باتهام الشيطان ؛ ولذلك قال تعالى :﴿ لا تختصموا لدي ﴾ ، وهذا يفيد أن حوارًا يجري بين الشيطان وبين قرينه من الإنس يُحَمِّل كلٌّ منهما الآخرَ مسؤولية الضلال . والظاهرُ أن هذا الحوار بين الشيطان وقرينه في موقف الحساب .

﴿ وإذْ قال الله ياعيسى ابن مريمَ أأنت قلتَ للناس اتخذوني وأُمّيَ إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنتُ قلتُه فقد علِمْتَه تَعْلَمُ ما في نفْسي ولا أعلم ما في نفْسِك إنك أنت علاّمُ الغُيوب * ما قلتُ لهم إلا ما أمَرْتني به أن اعبدوا الله ربّي وربّكم وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلمّا تَوَفَّيتَني كنت أنتَ الرقيبَ عليهم وأنت على كلّ شيء شهيد * إنْ تعذّبْهم فإنهم عبادُك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيزُ الحكيم * قال اللهُ هذا يومُ ينفع الصادقين صِدْقُهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا رضيَ الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوزُ العظيم ﴾ [(٢)] .

قال تعالى : ﴿ فلنسألنّ الذين أُرْسِلَ إليهم ولنسألنّ المرسلين ﴾ [(٣)] هذان السؤالان قائمان في موقف الحساب : يُسألُ الذين أرسل إليهم عن قبول الرسالة وإجابة الرسل ، ويُسأل المرسلون عن البلاغ وعما أجابتهم به أقوامهم ، وفي هذه الآيات نموذج على سؤال المرسلين ، والمرسَلُ إليهم ينكرون عادة أن رسلهم بلغتهم ويتبرؤون ، فيشهد محمد ﷺ وأمته أن الرسل قد بلغت ومن خلال هذا النص الذي معنا نفهم أن النصارى الذين أشركوا

---

(١) ق : ١٩ ـ ٣٥ .

(٢) المائدة : ١١٦ ـ ١١٩ .

(٣) الأعراف : ٦ .

يزعمون أن دعوة عيسى كانت أمرًا لهم بأن يتخذوه وأمه إلهين ، وعيسى عليه الصلاة والسلام ينفي ويرد .

﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسلُ يسحبون * في الحميم ثم في النار يُسْجرون * ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون * من دون الله قالوا ضلُّوا عنّا بل لم نكن ندعوا من قبلُ شيئًا كذلك يُضِلُّ اللهُ الكافرين ﴾ (١) .

الظاهر أن القائلين للمجرمين في النار هم الملائكة . والمشركون عندئذ يعرفون أنهم ما كانوا يدعون جهة يعتد بها ، والظاهر أن هذا السؤال يكون في مرحلة تسبق المرحلة التي يقرن فيها مع المشركين ما كانوا أشركوا به .

﴿ يومَ ترى المؤمنين والمؤمنات يَسْعى نورُهم بين أيديهم وبأيمانهم بُشراكم اليومَ جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ذلك هو الفوزُ العظيم * يوم يقولُ المنافقون والمنافقاتُ للذين آمنوا انْظُرونا نَقْتَبِسْ من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالْتَمسُوا نورًا فضُرِبَ بينهم بسُورٍ له بابٌ باطِنُهُ فيه الرحمةُ وظاهِرُهُ من قِبَلِهِ العذاب * ينادونهم ألم نكن معكمْ قالوا بلى ولكنكم فَتَنْتُم أنفسكم وتَرَبَّصْتُم وارتَبْتُم وغرّتْكم الأمانيُّ حتى جاءَ أمرُ اللهِ وغرَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ * فاليومَ لا يُؤخذُ منكم فِديةٌ ولا من الذين كفروا مأواكم النارُ هي مَوْلاكم وبئس المصير ﴾ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم ﴾ : الظاهر أن هذا على الصراط ، وذكر الأيمان لأن فيها صحائف الأعمال المنيرة ، وقوله تعالى : ﴿ قيل ارجعوا وراءكم ﴾ القائل للمنافقين هذا القول هو المؤمنونَ أو الملائكة ﴿ فالتمسوا نورًا ﴾ أي اطلبوا النور إما من الموقف أو من الدنيا إشعارًا لهم بأن النور إنما يكون من العقائد الصالحة والأعمال الطيبة في الدنيا . وقوله تعالى : ﴿ فضرب بينهم بسور له باب ﴾ أي بحائط له باب يدخل منه المؤمنون فيؤول بهم إلى الجنة ، ولذلك قال : ﴿ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ وذلك لئلا يقربَ هذا البابَ المنافقون . ويبدو أن هذا كائن إما في أول الصراط

---

(١) غافر : ٧١ ـ ٧٤ .

(٢) الحديد : ١٢ ـ ١٥ .

أو في آخر الصراط أو في مكان ما على الصراط .

﴿ ومنْ يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّضْ له شيطانًا فهو لـه قرين * وإنهم لَيَصـدُّونَهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنـا قـال يـاليتَ بيني وبينـكَ بُعْدَ المشرقَيْن فبئس القرين * ولن ينفعكم اليومَ إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴾ [1] .

قوله تعالى : ﴿ ومن يعش ﴾ أيْ يتعامَ عن القرآن ويعرض عنه ﴿ نقيض له شيطانًا ﴾ نسلـط ﴿ فهـو لـه قرين ﴾ أي مصـاحب ﴿ وإنهم ليصـدونهم عن السبيـل ﴾ الضمير في الكلمتين يعود على الإنسان الضال وقرينه ؛ فإن هؤلاء يتعـاونون على صـد الخلق عن سبيل الله ، وهم يتصورون أنهم مهتدون بذلك كما نرى حال الكافرين في عصرنا دعـاة ومـدعوين ، فكل صـاحب دعوة يتوهم أنـه يـدعـو النـاس إلى هـدايـة ، ﴿ حتى إذا جاءنـا ﴾ أي ذلـك الإنسان الذي أضله الشيطان ﴿ قال يـاليت بيني وبينـك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ ، وذلك أن الكفار يحشرون مقرونين مع شياطينهم .

﴿ ولو يَرى الذين ظلموا إذ يَرَوْن العذابَ أنّ القوةَ لله جميعًا وأن اللهَ شـديـدُ العـذاب * إذْ تَبَرّأَ الـذين اتُّبِعُـوا مـن الـذين اتَّبَعُـوا ورأَوُا العـذابَ وتَقَطّعتْ بهم الأسبـابُ * وقـال الـذين اتَّبعوا لـو أنّ لنـا كرّةً فنتبرأً منهم كما تَبرّأوا مِنّـا كـذلـك يُريهم الله أعمـالهم حَسَراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ [2] .

﴿ إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا ﴾ أي المُتَّبَعُون ممن كانوا يتبعونهم ، ويدخل في المُتَّبَعين هنـا أئمة الضلال ومَنْ عُبِدَ من دون الله ، والظاهر أن هذا يكون بعد شفاعة فصل الخطـاب . وقولـه تعـالى : ﴿ وتقطعت بهم الأسبـاب ﴾ أي الوُصَل التي كانت بينهم من الاتبـاع والاتفـاق على الدين والأغراض الداعية إلى ذلك وهذا نموذج على الحوار بين الأتباع والمتبوعين عندمـا تؤمر كل طائفة أن تتبع ما كانت تعبد من دون الله أو عندما يُدْعَى كلّ أناس بإمامهم وذلك بعد شفاعة فصل الخطاب .

﴿ وللـذين كفروا بربهم عـذابُ جهنم وبئسَ المصيرُ * إذا أُلقُوا فيهـا سَمِعـوا لهـا شهيقًـا

---

(١) الزخرف : ٣٦ ـ ٣٩ .

(٢) البقرة : ١٦٥ ـ ١٦٧ .

وهي تَفُورُ * تَكادُ تَمَيَّزُ من الغيْظِ كلما أُلقِيَ فيها فوجٌ سألَهم خَزَنَتُها ألم يأتِكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذَّبْنا وقُلنا ما نزَّلَ اللهُ من شيءٍ إنْ أنتم إلا في ضلالٍ كبير * وقالوا لو كنا نَسمع أو نعقِلُ ما كنا في أصحاب السعيرِ * فاعترفُوا بذنبهم فَسُحْقًا لأصحاب السعيرِ* إن الذين يخشَوْن ربَّهم بالغيب لهم مغفِرةٌ وأجرٌ كبيرٌ ﴾ (١) .

هذا نموذج على ما تتلقى به الملائكة أصحاب النار من سؤال ، وهو سؤال يأتي بعد أن قامت عليهم الحجة ، وهم يجيبون على هذا السؤال معترفين مقرين بعد إذ رأوا أن إنكارهم من قبل لم يفدهم لكثرة الشهود ولقطعية الشهادات .

﴿ فإذا نُفِخَ في الصُّور فلا أنْسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون * فمن ثَقُلتْ موازينُه فأولئك هم المفلحُون * ومن خفَّتْ موازينُهُ فأولئك الذين خسروا أنفسَهم في جهنم خالدون * تلفح وجوهَهم النَّارُ وهم فيها كالحون * ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون * قالوا ربَّنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين * ربَّنا أخرجنا منها فإن عُدْنا فإنَّا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون * إنه كان فريقٌ من عبادي يقولون ربَّنا آمنَّا فاغفِرْ لنا وارحَمْنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سِخْرِيًّا حتى أنْسَوْكم ذِكْري وكنتم منهم تضحكون * إني جَزَيْتُهم اليومَ بما صبروا أنَّهم هم الفائزون * قال كم لبثتُم في الأرض عَدَدَ سنين * قالوا لبِثنا يومًا أو بعضَ يوم فاسأل العادِّين * قال إنْ لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تَعلمون * أفَحَسِبتم أنَّما خَلقنَاكم عَبَثًا وأنكم إلينا لا تُرجعون ﴾(٢) .

هذا نموذج على نوع مما يحدث من خطاب لأهل النار من الله عز وجل ، ومن دعاء وجواب من أهل النار ، وظاهر النص أن الخطاب مباشر من الله عز وجل لأهل النار ، وبعض المفسرين ذهب إلى أنه بالواسطة .

﴿ فإنَّما هيَ زَجْرةٌ واحدةٌ فإذا هم يَنظرون * وقالوا ياويلنَا هذا يومُ الدين * هذا يومُ الفَصْل الذي كنتم به تكذِّبون * احشُرُوا الذين ظلموا وأزْوَاجَهم وما كانُوا يَعبُدُون * مِنْ دُونِ اللهِ فاهْدوهم إلى صراط الجحيم * وقِفُوهم إنَّهم مسئولون * مالكم لا تناصَرون * بلْ هُم اليومَ مُستَسْلِمون * وأقبَلَ بعضُهم على بعضٍ يَتساءلون * قالوا إنكم كنتم تأتونَنا

(١) تبارك : ٦ ـ ١٢ .

(٢) المؤمنون : ١٠١ ـ ١١٥ .

عنِ اليمين * قالوا بلْ لَمْ تكونوا مؤمنين * وما كان لنا عليكم من سُلْطانٍ بل كنتم قومًا طاغين * فحقّ علينا قوْلُ ربّنا إنّا لذائقُون * فأغويناكم إنّا كنّا غاوين * فإنهم يومئذٍ في العذاب مشتركُون * إنّا كذلكَ نفعَلُ بالمجرمين * إنهم كانُوا إذا قيلَ لهم لا إله إلا اللهُ يَسْتكبرُون * ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لِشاعر مجنون * بل جاءَ بالحقّ وصَدّق المرسَلين * إنكم لذائقُو العذابِ الأليم * وما تُجْزَوْن إلا ما كنتم تعملونَ * إلا عبادَ الله المخلَصين * أولئك لهم رِزْق مَعلومٌ * فواكِهُ وهم مُكْرَمُون * في جنّاتِ النّعيم * على سُرُرٍ متقابلين * يُطافُ عليهم بكأسٍ منْ مَعِين * بيضاءَ لَذّةٍ للشّاربين * لا فيها غوْلٌ ولا هم عنها يُنْزفون * وعندهم قاصراتُ الطرفِ عينٌ * كأنّهن بَيضٌ مَكنون * فأقبلَ بعضُهم على بعض يتساءلون * قال قائل منهم إنّي كان لِي قَرينٌ * يقولُ أئنكَ لَمِنَ المُصَدّقين * أئذا مِتْنا وكُنّا تُرابًا وعظامًا أئنا لَمَدينون * قال هلْ أنتم مُطّلِعون * فاطّلَعَ فرآهُ في سَواءِ الجحيم * قال تاللهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدينِ * ولولا نعمةُ رَبّي لكُنتُ من المُحْضَرين * أفَما نحنُ بميّتين * إلا موتَتَنا الأولى وما نحنُ بمعَذّبين * إنّ هذا لَهُوَ الفوزُ العظيم * لِمثل هذا فلْيَعْمَلِ العاملون * أذلك خيرٌ نُزُلاً أمْ شجرةُ الزّقوم * إنا جَعَلْناها فِتنةً للظّالمين * إنها شجرةٌ تخرجُ في أصْلِ الجحيم * طَلْعُها كأنّه رءوسُ الشّياطين * فإنهم لآكِلُون منها فمالِئُون منها البُطُون * ثُمّ إنّ لهم عَليها لَشَوْبًا من حَميم * ثم إنّ مَرْجِعَهم لإلى الجَحيم ﴾[1] .

قوله تعالى : ﴿ وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين * هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴾ يحتمل هذا النص أن يكون من إجابة بعضهم لبعض ، أو من إجابة الملائكة لهم ، ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ أي وأشباههم ، والخطاب من الله عز وجل ، وهذا يفيد أن عباد الأصنام أو عباد صنم ما أو عباد الكواكب أو عباد كوكب ما ، وهكذا قل في سائر المشركين أنهم يحشرون مع بعضهم بعضًا ، والأمر بحشر الأصناف بعضها مع بعض من الله عز وجل . والظاهر كما أنه تحشر الأصناف مع بعضها فإنها تدخل النار مع بعضها وهذا مقتضى قوله تعالى : ﴿ كلما ألقي فيها فوج ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ أي فعرفوهم طريقها ليسلكوها ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ عن عقائدهم وأعمالهم ، ومعنى قوله ﴿ وقفوهم ﴾ أي واحبسوهم يوم الموقف . ﴿ ما لكم لا تناصرون ﴾ هذا سؤال يوجه إليهم تبكيتا

---

(١) الصافات : ١٩ ـ ٦٨ .
(٢) الملك : ٨ .

وتوبيخًا ، والسائل إما الله تعالى ، وإما الملائكة ، وفي السؤال إشارة إلى أن سرّ اشتراكهم في الكفر هو التناصر ، ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ أي الرؤساء والأتباع أو الكفرة والقرناء ﴿ قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي بأقوى ما تستطيعون أن تأتونا به من الشبه لتضلونا ، فيجيب المتبوعون ما يجيبون به ، وفي النص نموذج على حوار متعدد بين أكثر من متكلم .

﴿ ولو تَرَى إذ الظالمون مَوْقوفون عند ربِّهم يَرْجِعُ بعضُهم إلى بعض القولَ يقول الذين اسْتُضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكُنّا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين اسْتُضعِفُوا أنحن صددناكم عن الهُدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استُضعِفوا للذين استكبروا بل مَكْرُ الليلِ والنهار إذ تأمروننا أن نكفرَ بالله ونجعلَ له أندادًا * وأسرُّوا الندامةَ لما رأَوُا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناقِ الذين كفروا هل يُجْزَون إلا ما كانوا يعملون ﴾ [1] .

قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ﴾ أي محبوسون عند ربهم وذلك يكون في موقف الحساب قبل الوزن والميزان وبعد الشفاعة لفصل الخطاب . ﴿ يرجع بعضهم إلى بعض القول ﴾ أي يتحاورون وهذا الحوار بين المتبوعين من الإنس من السادة والكبراء وأئمة الضلالة وبين أتباعهم ، وقوله تعالى على لسان المستضعفين : ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ أي بل مكركم في الليل والنهار حتى فتنتمونا و أمرتم علينا ضلالكم فأضللتمونا ، ومن يشهد في عصرنا سهر الدوائر الكافرة ودأبها على الإضلال يرى ما ذكرته الآية واقعًا حيًا وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ﴾ المراد بذلك ما يقيدون به في النار بعد إذ يدخلونها .

﴿ ويومَ يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيّاكم كانوا يَعبُدون * قالوا سبحانَك أنت وَلينا من دونهم بل كانوا يعبُدون الجنّ أكثرُهم بهم مؤمنون * فاليومَ لا يملكُ بعضُكم لبعضٍ نفعًا ولا ضَرًّا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذابَ النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ [2] .

---

(١) سبأ : ٣١ ـ ٣٣ .

(٢) سبأ : ٤٠ ـ ٤٢ .

هـذا نموذج على سؤال الله الملائكـة وجـوابهم فهنـاك نـاس عبـدوا المـلائكـة من دون الله وأظهر ما يظهر ذلـك في ديـانـة الصـابئـة الموجودين في العراق حـاليًـا إذ يعبـدون الأرواح العلوية .

﴿ وإذ يتحاجُّون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنّا نصيبًا من النار * قال الذين استكبروا إنّا كُلٌّ فيها إن الله قد حكم بين العباد * وقـال الذين في النار لخزَنَـةِ جهنم ادعُوا ربّكم يُخفّفْ عنّـا يومًـا من العـذاب * قـالوا أوَلَمْ تَكُ تأتيكم رُسُلكم بالبينات قالوا بلَى قالوا فادعُوا وما دُعـاء الكافرين إلا في ضلال * إنّـا لننصرُ رسُلَنَا والذين آمنوا في الحيـاة الـدنيـا ويومَ يقومُ الأشهـادُ * يوم لا ينفع الظـالمين معذِرتُهـم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ (١) .

هذا نموذج للحوار بين أئمة الضلالة وأتباعهم في النار ، كما أنه نموذج على حوار أهل النـار للملائكة وطلبهم منهم تخفيف العذاب ولو يومًـا واحـدًا ورد الملائكـة عليهم ، وأمثـال هـذه النصـوص التي تتحـدث عن الحـوار بين الأتبـاع والمتبـوعين تـؤكـد أن على المسلم أن يختـار للاقتداء والاتباع من يطمئن إلى ربانيته وولايته ، وأن يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وذلك بحبهم وطاعتهم .

﴿ الذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رُسُلَنَا فسوف يعلمون ﴾ (٢) .

﴿ ويومَ نبعثُ من كل أمـة شهيـدًا ثم لا يُؤْذَنُ للـذين كفروا ولا هم يُستَعْتَبُون * وإذا رأى الـذين ظلمـوا العـذاب فـلا يُخفف عنهم ولا هم يُنْظَرون * وإذا رأى الـذين أشركـوا شركاءهم قالوا ربّنا هؤلاء شركاؤنـا الـذين كنّـا نـدعوا من دونـك فـألقوْا إليهم القولَ إنكم لكاذبون * وألقوْا إلى الله يومئذٍ السَّلَمَ وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون ﴾ (٣) .

قوله تعالى : ﴿ ويوم نبعث من كل أمـة شهيـدا ﴾ أي نبيـا يشهـد لهم وعليهم بـالإيمـان والكفر ، وفي هـذا المقـام مقـام شهـادة الأنبيـاء على الأمم ﴿ لا يـؤذن للـذين كفروا ولا هم يستعتبون ﴾ أي ولا هم يسترضون . وبعد هذا المقام يشكو المشركون متبوعيهم إما من باب

---

(١) غافر : ٤٧ ـ ٥٢ .
(٢) غافر : ٧٠ .
(٣) النحل : ٨٤ ـ ٨٧ .

الطلب أن يضاعف لهم العذاب ، وإما من باب الاعتراف بأنهم كانوا مخطئين ، ويكذبهم المتبوعون ويستسلم الجميع لحكم الله رب العالمين حين لا ينفعهم الاستسلام الذي كان مطلوبًا منهم في الدنيا بأن يدخلوا الإسلام ويستسلموا لله فيه .

وتتمة المشهد هو : ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدًا على هؤلاء ﴾[1] وقد مر معنا من قبل .

﴿ يومَ تأتي كلُّ نفسٍ تجادلُ عن نفسها وتُوَفّى كلُّ نفسٍ ما عملت وهم لا يُظلمون ﴾[2] .

قوله تعالى : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾ أي عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها غيرها فتقول نفسي نفسي ولكن النفس الكافرة لابد أن توفى أعمالها أما النفس المؤمنة فلله فيها مشيئة وهناك شفاعات تصيبها وتنفعها .

﴿ ثم يومَ القيامةِ يُخزيهم.ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العِلْمَ إنّ الخزْيَ اليومَ والسوء على الكافرين * الذين تتوفّاهم الملائكةُ ظالمي أنفسهم فألقوُا السَّلَم ما كنّا نعملُ من سوءٍ بلى إن الله عليمٌ بما كنتم تعملون * فادْخُلوا أبوابَ جهنّم خالدين فيها فلبئس مثوَى المتكبرين * وقيل للذين اتّقَوا ماذا أنزلَ ربُّكم قالوا خيرًا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ ولَدارُ الآخرة خيرٌ ولَنِعْم دارُ المتّقين * جناتُ عَدْنٍ يدخلونها تجري من تحتها الأنهارُ لهم فيها ما يشاءون كذلك يَجزي الله المتقين * الذين تتوفّاهم الملائكةُ طيِّبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بماكنتم تعملون ﴾[3] .

وهذا نموذج آخر على ما يكون من سؤال وجواب وحوار يوم القيامة وفيه دعوة للكينونة من أهل التقوى والبعد عن الشرك ومظاهره .

﴿ ويومَ يقول نادُوا شركائيَ الذين زعمتم فدَعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم مَوبقًا * ورأى المجرمون النّارَ فظنوا أنهم مُواقِعوها ولم يجدوا عنها مَصْرِفًا ﴾[4] .

---

(١) النحل : ٨٩ .
(٢) النحل : ١١١ .
(٣) النحل : ٢٧ ـ ٣٢ .
(٤) الكهف : ٥٢ ـ ٥٣ .

﴿ ويوم يقول ﴾ أي الله تعالى للكافرين : ﴿ نادوا شركائي الذين زعمتم ﴾ أي زعمتم أنهم شركائي أو شفعاؤكم يمنعونكم من عذابي والمراد ما عبد من دونه ، وقيل إبليس وذريته ﴿ فدعوهم ﴾ أي فنادوهم ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ أي بين الكافرين وآلهتهم ﴿ موبقًا ﴾ مهلكا يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هي في شدتها هلاك .

﴿ وبَرَزوا لله جميعًا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنَّا كُنَّا لكم تبَعًا فهل أنتم مُغْنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجَزِعْنا أم صَبَرْنا ما لَنا من مَحيص * وقال الشيطانُ لما قُضِيَ الأمْرُ إن اللهَ وعَدَكم وعْدَ الحقِّ ووعدتُكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سُلطان إلا أن دعوتُكم فاستجبْتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمُصرِخكم وما أنتم بمُصرِخِيَّ إني كفرتُ بما أشركتمون من قبلُ إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ [١] .

قوله تعالى : ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر ﴾ أي لما أحكم وفرغ منه ودخل أهلُ الجنةِ الجنّة وأهلُ النّارِ النّارَ فإن الشيطان يقوم خطيبًا في الأشقياء من الثقلين ، وفي النص نموذج على الحوار بين الأتباع والمتبوعين في النار ومحاولة الشيطان أن يخرج من لوم اللائمين على إغوائهم وقوله﴿ ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ﴾ أي ما أنا بمغيثكم ولا أنتم تغيثونني .

﴿ هذا وإن للطاغين لشرَّ مآب * جهنَّمَ يَصْلَوْنها فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حَميمٌ وغَسّاق * وآخرُ من شَكلِه أزواجٌ ﴾ [٢] .

قوله تعالى : ﴿ حميم وغساق ﴾ أي شراب يغلي ، والغساق صديد أهل النار ﴿ وآخر ﴾ أي وعذاب آخر ﴿ من شكله أزواج ﴾ من مثله أجناس .

﴿ هذا فوجٌ مقتحم معكم لا مرحبًا بهم إنهم صَالُو النار * قالوا بل أنتم لا مرحبًا بكم أنتم قدّمتموه لنا فبئس القرار * قالوا ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذابًا ضِعْفًا في النار ﴾ [٣] .

---

(١) إبراهيم : ٢١ ـ ٢٢ .
(٢) ص : ٥٥ ـ ٥٨ .
(٣) ص : ٥٩ ـ ٦١ .

النص يدل على أن أئمة الضلال يدخلون النار قبل أتباعهم فيكون بين الأتباع والمتبوعين هذا التخاصم الذي ذكره النص الكريم .

﴿ وقالوا ما لنا لا نَرى رجالاً كنا نعدُّهم من الأشرار * أتخذناهم سِخْريًا أم زَاغتْ عنهم الأبصار * إنّ ذلك لَحَقٌّ تَخاصُمُ أهلِ النار ﴾ [١] .

﴿ ويومَ يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللْتم عِبادي هؤلاء أمْ هُم ضلوا السبيل * قالوا سُبْحانَك ما كان ينبغي لنا أن نتّخذ مِن دونك مِن أولياءَ ولكنْ متّعتَهم وآباءَهم حتى نَسُوا الذِّكْرَ وكانوا قَوْمًا بُورا * فقد كذّبوكم بما تقولون فما تستطيعون صَرْفًا ولا نصرًا ومن يَظْلِمْ منكمْ نُذِقْه عذابًا كبيرًا ﴾[٢] .

﴿ ويوم يحشرهم ﴾ أي للجزاء ﴿ وما يعبدون من دون الله ﴾ أي كل معبود سواه ﴿ فيقول ﴾ أي اللهُ تعالى للمعبودين ﴿ أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ . ﴿ قالوا ﴾ الظاهر من السياق أن المراد بذلك أن من عُبِدَ فلم يَرْضَ أو عُبِدَ ولم يشعر يقولون ﴿ سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورًا ﴾ أي هالكين ﴿ فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ﴾ أي دفعا للعذاب عنكم ﴿ ولا نصرا ﴾ يعينكم أحد عليه ، وفي النص دليل علىأن كثيرًا ممن عُبِدَ من دون الله لا مسؤولية عليهم .

﴿ قال ادخلوا في أمم قد خَلَتْ من قَبْلكم من الجنّ والإنس في النّار كلما دخلتْ أمّةٌ لعنتْ أُختَها حتى إذا ادّارَكوا فيها جميعًا قالت أُخراهم لأولاهم ربّنا هؤلاء أضلُّونا فآتهم عذابًا ضِعْفًا من النّار قال لِكلٍّ ضِعْفٌ ولكنْ لا تَعْلمون * وقالت أُولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذابَ بما كنتم تكسبون ﴾ [٣] .

في النص دليل على أن الأمم المتقدمة في الزمن تدخل النار قبل الأمم المتأخرة في الزمن ، ومن سبق في الضلال فتابعه عليه لاحقون يلومون السابقين ، والسابقون يشمتون

---

(١) ص : ٦٢ ـ ٦٤ .
(٢) الفرقان : ١٧ ـ ١٩ .
(٣) الأعراف : ٣٨ ـ ٣٩ .

بهم ؛ لأن اللاحقين يدّعون فضلاً على المتقدمين كما نرى في عصرنا ؛ إذ يرى اللاحقون أنهم قد سبقوا المتقدمين في العلم والتقدم ، وبعد استكمال النار أهلها يدعو اللاحقون أن يضاعف الله للسابقين العذاب فيعرفهم أن العذاب المضاعف للجميع لمن ضل وأضل بسبب ضلاله وإضلاله ، ولمن ضل متابعًا للأولين بسبب ضلاله وتقوية الضلال وأهله بتقليد الضالين .

﴿ ونادى أصحابُ الجنّة أصحابَ النار أنْ قدْ وجدْنا مَا وعَدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وَعد ربُّكم حقا قالوا نعم فأذّن مؤذّن بينهم أنْ لعنةُ الله على الظالمين * الذين يَصدُّون عن سبيل الله وَيبْغُونها عِوَجًا وهم بالآخرة كافرون * وبينهما حجَابٌ وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كلا بسيماهُم ونادَوْا أصحابَ الجنة أنْ سلامٌ عليكم لَمْ يَدخلوها وهم يطمعون * وإذا صُرِفت أبصارُهم تِلقاءَ أصحابِ النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظّالِمينَ * ونادى أصحابُ الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جَمْعُكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم اللهُ برحمة ادخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ [١] .

(أهل الأعراف) : قوم تساوت سيئاتهم وحسناتهم فلا هم استحقوا النار فيدخلونها ، ولا استحقوا الجنة فيدخلونها لكنهم يطمعون أن يدخلوها بفضل الله وهم داخلون في المآل ، ويكونون قبل دخولهم الجنة بين أهل الجنة والنار ، والنص يدل على أن حوارًا يجري بين أهل الجنة والنار ، وبين أهل الأعراف وأهل النار وهذا يفيد أن أهل الجنة يطّلعون على أهل النار وذلك من تمام النعمة والاعتبار ليشكروا .

﴿ ونادى أصحابُ النارِ أصحابَ الجنّةِ أن أفيضوا علينا من الماء أوْ مِمّا رزقكم اللهُ قالوا إنّ اللهَ حرّمهما على الكافرين * الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا وغرّتهم الحياةُ الدنيا فاليومَ ننساهم كما نسوا لِقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ [٢] .

﴿ فإذا نُقِر في النّاقور * فذلك يومئذ يومٌ عسيرٌ * على الكافرين غيرُ يسير * ذرْني ومن خلقتُ وحيدًا * وجعلتُ له مالاً ممدودًا * وبَنِينَ شهودًا * ومهّدت له تمهيدًا * ثم يطمع

---

(١) الأعراف : ٤٤ ـ ٤٩ .

(٢) الأعراف : ٥٠ ـ ٥١ .

أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيداً * سأرهقه صَعوداً * إنه فكّر وقدّر * فقُتل كيف قدّر * ثم قُتل كيف قدّر * ثم نظر * ثم عبَس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إنْ هذا إلا سحرٌ يُؤثر * إنْ هذا إلا قولُ البشر * سأصليه سقَر * وما أدراك ما سقر * لا تُبقي ولا تَذَر * لوّاحةٌ للبشر * عليها تسعةَ عشر * وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدّتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستَيْقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يُضل الله من يشاء وَيهدي من يشاء وما يعلم جنودَ ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر * كلا والقمرِ * والليلِ إذ أدبرَ * والصبح إذا أسفرَ * إنها لإحدى الكُبَر * نذيرًا للبشر * لمن شاء منكم أنْ يتقدّم أو يتأخر * كلُّ نفسٍ بما كسَبتْ رهينة * إلا أصحابَ اليمين * في جناتٍ يتساءلون * عن المجرمين * ما سَلَكَكم في سقر * قالوا لم نكُ من المصلين * ولم نكُ نُطعِم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذّب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين * فما تنفعهم شفاعة الشافعين * فما لهم عن التذكرةِ مُعْرضين * كأنهم حُمُرٌ مستنفِرة * فرّتْ من قَسْوَرةٍ ﴾ [1] .

هذا نموذج آخر على حوار بين أهل الجنة وأهل النار .

﴿ الناقور ﴾ الصور ﴿ نقر ﴾ نفخ ﴿ لآياتنا عنيدًا ﴾ أي معاندًا جاحدًا للحق . ﴿ سأرهقه صعودًا ﴾ سأكلفه عذابًا شاقًا لا يطاق . ﴿ وبسر ﴾ اشتد في العبوس وكلوح وجهه ﴿ سأصليه سقر ﴾ سأدخله جهنم ﴿ لواحة للبشر ﴾ مسوّدة للجلود محرقة لها ﴿ الكُبَر ﴾ الدواهي العظية ﴿ رهينة ﴾ أي مرهونة عنده تعالى بعملها ﴿ ما سلككم ﴾ ما أدخلكم ﴿ حمر مستنفرة ﴾ حمر وحشية شديدة النفار ﴿ قسورة ﴾ أسد .

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ

---

(١) المدثر : ٨ ـ ٥١ .

الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ * ﴾ [١] .

هـذا نموذج على حوار بين أهل الجنـة فيا بينهم ونموذج على أن أهل الجنـة يطّلعون على أهل النار .

والمراد بالقرين في الآيات الصاحب الكافر في الدنيا ، والذي يجمعه مع المؤمن سبب من عمل مشترك أو جوار أو غير ذلك من الأسبـاب التي تجعل المؤمن يجـالس الكافر ، وكيف أن الكافر كان ينكر على المؤمن إيمانه . فههنـا المؤمن يخـاطب الكافر هـذا الخطـاب المـذكور في الآية وقد جاءت هذه الآيـات بعـد الكلام عن اجتماع أهل الجنـة على شرابهم فهم يتحـدثون ويجرهم الحديث إلى هذا الموقف .

﴿ وكـذلـك جعلنـاكم أمـة وسطـا لتكـونـوا شهـداء على النـاس ويكـون الرسـول عليكم شهيدًا ﴾ [٢] .

قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ أي خيـارًا أو عـدولاً مزكّينَ بـالعلم والعمل ﴿ شهداء على الناس ﴾ أي على معاصريكم وعلى من قبلكم وبعـدكم ﴿ ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ فيشهد لكم بالعدالة ، وشهادته لكم بالعدالة في الموقف تـأكيـد لشهـادتكم على الأمم ، وهذا يكون عندما تنكر الأمم أن رسلها قد بلغتها وذلك في موقف من مواقف القيامة .

* * *

وبعد :

فلقـد حرصنـا ألا يخلو الكلام عن اليوم الآخر من الإكثـار من النصوص القرآنيـة ليزداد المسلم فهمًا وبصيرة بما يجري في اليوم الآخر ، وحرصنا أن نبين ما استطعنا تسلسل الأحداث في اليوم الآخر لأن الكتابة في هـذا الشـأن قليلـة فـاقتضى هـذا منـا الإكثـار من النصوص والنقول والتعليقات .

---

(١) الصافات : ٥٠ ـ ٦١ .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

الفقرة الخامسة

في :

أحاديث تصف بعض ما في الموقف وما بعده

١٢١٦ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يارسولَ الله هل نرى ربَّنا يومَ القيامة ؟ فقال : « هل تُضارُّون في رؤيةِ الشمسِ في الظهيرةِ ليستْ في سَحابةٍ » ؟ قالوا : لا ، قال : « فهل تُضارُّون في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ليس في سَحابةٍ » ؟ قالوا : لا . قال : « فوالذي نفسي بيده ، لا تُضارُّون في رُؤيةِ ربِّكم إلا كما تُضارُّون في رؤية أحدِهما ، فيَلقى العبدَ ربُّه ، فيقول : أيْ فُلْ ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ وأُسَوِّدْك وأُزَوِّجْكَ ، وأُسَخِّرْ لكَ الخَيْلَ والإبلَ ، وأَذَرْكَ تَرأس وترْبَعُ ؟ فيقول : بلى يارب . فيقول : أظننتَ أنك مُلاقِيَّ ؟ فيقول : لا ، فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثاني ، فيقول : أي فلْ : ألم أُكْرِمْك وأُسوِّدكَ وأُزَوِّجكَ ، وأُسخِّرْ لك الخيل والإبل ؟ وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وتَربَعُ ؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول : أظننتَ أنكَ مُلاقِيَّ ؟ فيقول : لا . فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثالث ، فيقول : أي فُلْ ، ألم أُكْرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ ، وأُزَوِّجْكَ ، وأُسَخِّرْ لَكَ الخيلَ والإبلَ ، وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ ؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول : أظننتَ أنكَ مُلاقِيَّ ؟ فيقول : أي رب : آمنتُ بكَ وبكتابكَ وبرُسلكَ ، وصلَّيتُ وصمتُ وتصدَّقتُ ، ويُثْني بخيرٍ ما استطاع ، فيقولُ ها هنا إذن ، ثم يقول : الآن نبعثُ شاهدًا عليك ، فيتفكَّرُ في نفسه : من ذا الذي يَشهدُ عليه ؟ فيُختَم على فيه ، ويقالُ لفخِذِه : انطِقي ، فَتَنْطِق فخذُه ولحمُهُ وعظامُه بعملِه ، وذلك ليُعذَر من نفسه ، وذلك المنافق ذلك الذي يَسخَطُ الله عليه » .

أقول : في الحديث عن الرؤية وهي خاصة بأهل الإيمان ، وكلام عن المحاسبة والمخاطبة في موقف من مواقف القيامة وهي عامة كما هو ظاهر من الحديث .

١٢١٦ - مسلم (٤ / ٢٢٧٩) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ، حديث رقم (١٦) .

(تضارون) : روي بتخفيف الراء من الضير ، يقال : ضاره يضيره .

١٢١٧ - * روى البخاري عن سعيد بن المسيِّب ، وعطاء بن يزيد الليثي أنَّ أبا هريرة أخبرهما : أنَّ الناس قالوا : يا رسولَ الله ، هل نرى ربَّنا يومَ القيامةِ ؟ قال : « هل تُمارون في القمرِ ليلةَ البدرِ ليس دونه سَحَابٌ » ؟ قالوا : لا يارسولَ الله ، قال : « فهل تمارون في الشمسِ ليس دونَها سَحاب » ؟ قالوا : لا ، قال : « فإنكم تَرونَهُ كذلك ، يُحشَر النَّاسُ يومَ القيامةِ ، فيقول : من كان يَعْبُدُ شيئًا فليتبعْ ، فمنهم مَنْ يتَّبعُ الشَّمسَ ، ومنهم من يتَّبعُ القمر ، ومنهم من يتبعُ الطواغيتَ ، وتبقى هذه الأمَّةُ فيها منافقوها ، فيأتيهم الله ، فيقول : أنا ربُّكم ، فيقولون : هذا مكانُنا حتى يأتينا ربُّنا ، فإذا جاء ربُّنا عَرَفْناه ، فيأتيهم الله ، فيقولُ : أنا ربُّكم ، فيقولون : أنتَ ربُّنا ؟ فيدعوهم ، ويُضْرَبُ الصِّراطُ بين ظهرانَي جهنمَ ، فأكون أولَ مَنْ يَجُوزُ من الرُّسلِ بأُمَّته ، ولا يتكلَّمُ يومئذ أحدٌ إلا الرُّسُل ، وكلام الرُّسُل يومئذ : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ ، وفي جهنَّم كلاليبُ ، مثلُ شَوكِ السَّعدانِ ، هل رأيتم شَوك السعدانِ » ؟ قالوا : نعم ، قال : « فإنها مثلُ شَوك السعدان ، غير أنَّه لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِها إلا الله تعالى ، تَخطَفُ الناس بأعمالهم ، فمنهم منْ يُوبَقُ بعمله ، ومنهم من يُخَرْدَلُ ، ثم يَنْجو ، حتى إذا أراد اللهَ رحمةَ مَنْ أراد من أهل النار » وفي رواية : « فمنهم المؤمن بقي بعمله ، ومنهم المجازى حتى يُنَجَّى - حتى إذا فَرَغَ اللهُ من القضاء بين العباد ، وأراد أن يُخرجَ برحمته مَنْ أرادَ من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا من كان يَعبُدُ الله ، فيُخرجونهم ، ويعرفونهم بآثار السجود ، وحرَّم الله على النار أن تأكلَ أثر السجودَ ، فيُخرَجون من النار ، فكلُّ ابنِ آدم تأْكُلُه النار ، إلا أثرَ السجود فيُخرجون من النار قد امْتُحِشُوا ، فيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياة ، فيَنْبُتُون كما تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في حَميل السيل ،

١٢١٧ - البخاري (٢ / ٢٩٢) ١٠ - كتاب الأذان ، ١٢٩ - باب فضل السجود .

(السعدان) : نبت ذو شوك معقف من مراعي الإبل .

(يوبق) : أوبقته الذنوب ، أي : أهلكته .

(يخردل) الخردل : المرمي للصروع ، وقيل : هو القطع ، والمعنى أنه تقطعه كلاليب الصراط ، حتى يقع في النار.

(امتحشوا) : الامتحاش : الاحتراق ، وقيل : هو أن تُذهِبَ النارُ الجلد ، وتبدي العظم .

(الحِبَّة) : بكسر الحاء : البزورات ، وبفتحها ، كالحنطة والشعير .

(حميل السيل) : الزبد وما يلقيه على شاطئه ، وهو فعيل بمعنى مفعول .

=

ثم يَفرُغُ اللهُ من القِصاص بين العِبادِ ، ويبقى رجل بين الجنة والنار ـ وهو آخرُ أهلِ النار دخولاً الجنةَ ـ مقبلٌ بوجهه قِبَل النار ، فيقولُ : يارب ، اصرف وجهي عن النار ، قد قَشَبَني ريحُها وأحرقني ذَكاها ، فيدعو اللهَ بما شاءَ أن يدعُوَه ، فيقول : هل عَسيت إن أفعلْ ذلك تسأل غيرَ ذلك ؟ فيقولَ : لا وَعِزَّتك ، فيُعطي اللهَ ما شاءَ من عهدٍ وميثاقٍ ، فيَصْرفُ اللهُ وجهَهَ عن النار ، فإذا أقبل بوجهه على الجنة ، ورأى بَهْجَتَها ، سكتَ ما شاء الله أن يَسْكُتَ ، ثم قال : ياربِّ ، قَدِّمني عند باب الجنة ، فيقول الله له : أليس قد أعطيتَ العهودَ والمواثيق أن لا تسأل غير الذي كنت سألتَ ؟ فيقول : يارب لا أكون أشقى خلقك ، فيقول : فما عَسيتَ إنْ أُعطِيتَ ذلك أن تسأل غيرَه ؟ فيقول : لا وَعِزَّتِكَ ، لا أسألك غيرَ هذا ، فيعطي ربَّه ما شاء من عهد وميثاق ، فيقدِّمُه إلى بابِ الجنة فإذا بلغ بابها ، رأى زهْرتها وما فيها من النَّضرة والسُّرور » .

ـ وفي رواية [1] : « فإذا قام إلى باب الجنة انفهقت لَه الجنة : فرأى ما فيها من الحبرة والسرور ، فسكت ماشاء الله أن يسكتَ فيقول : يارب أدخلني الجنة ، فيقول اللهُ : ويحك ! يابنَ آدم ماأَغْدَرَكَ ؟ أليس قد أعطيت العهود أن لا تسأل غير الذي قد أُعطِيت ؟ فيقول : يارب ، لا تجعلني أشقى خَلْقِكَ ، فيضحَكُ الله منه ، ثم يَأْذَنُ له في دخول الجنة ، فيقول : تَمَنَّ . فيتمنى ، حتى إذا انقطع أُمنِيتَهُ ، قال الله تعالى : تمنَّ من كذا وكذا ـ يُذكِّره ربُّه ـ حتى إذا انتهت به الأمانيُّ قال الله : لك ذلك ومِثْلُه معه » .

قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما : إنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « قال الله : لَكَ ذَلك وعشرةُ أمثاله » . قال أبو هريرة : لم أحْفَظْ من رسولِ الله ﷺ ، إلا

= (قَشَبني ريحها) : : آذاني ، والقشب ، السّمّ ، والقشيب : المسموم ، فكأنه قال : قد سَمَّني ريحها .

(ذكاها) : ذكا النار ، مفتوح الأول مقصورًا : اشتعالها ولهبها .

(الزهرة) : الحسن والنضارة والبهجة .

(١) البخاري (١٢ / ٤١٩) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٢٤ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ... ﴾ .

(انفهقت) : : أي انفتحت واتسعت . (الحبرة) : السرور والنعمة . =

قوله : « لك ذلك ومثله معه » قال أبو سعيد : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لك ذلك وعشرة أمثاله » قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخرُ أهل النار دخولاً الجنة .

وفي رواية مسلم [١] عن عطاء وابن المسيب ، وقال : قال أبو هريرة : إنَّ الناس قالوا للنبيِّ ﷺ : يا رسولَ الله ، هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟ ... وساق الحديث بمثله . هكذا قال مسلم ، ولم يذكر لفظه ، وأخرجه البخاري عن عطاء وحده بنحوه .

ورواه الترمذي [٢] عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أخصر من هذا : أن رسولَ الله ﷺ قال : « يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يومَ القيامة في صعيد واحدٍ ، ثم يَطَّلِعُ عليهم ربُّ العالمين ، فيقول : ألا ليتبِعْ كلُّ إنسانٍ ما كان يَعْبُدُ ، فيتمثّل لصاحب الصليب صليبه ، ولصاحب التصاوير تصاويره ، ولصاحب النَّارِ ناره ، فيَتَّبعون ما كانوا يعبدون ، ويبقى المسلمون ، فيطَّلعُ عليهم ربُّ العالمين ، فيقول : ألا تتبعون الناس ؟ فيقولون : نعوذ بالله منك نعوذ بالله منك ، الله ربُّنا وهذا مكاننا حتى نرى ربَّنا ، وهو يأمرهم ويُثَبِّتهم » . قالوا : وهل نراه يا رسولَ الله ؟ قال : « وهل تُضارُّون في رؤيةِ القمرِ ليلة البدر » ؟ قالوا : لا ، يا رسولَ الله ، قال : « فإنكم لا تُضارُّون في رؤيته تلك الساعة ، ثم يتوارى ، ثم يطلع ، فيعرِّفهم نفسه ، ثم يقول : أنا ربُّكم فاتّبعوني ، فيقوم المسلمون ، ويوضع الصراط ، فيمرُّ عليه مثل جياد الخيل والركاب وقولهم عليه : سَلِّم سلِّم ، ويبقى أهل النار ، فيطرح منهم فيها فوج ، فيقال : هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد ؟ ثم يُطرح فيها فوج ، فيقال : هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد ؟ حتى إذا أُوعِبُوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها ، وأُزْوِيَ بعضُها إلى بعض ، ثم قال : قطٍ ، قالت : قَطٍ قَطٍ ، فإذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ : أُتِيَ بالموتِ مُلَبَّباً فيوقف

---

(١) مسلم (١ / ١٦٣ ـ ١٦٧) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨١ ـ باب معرفة طريق الرؤية .

(٢) الترمذي (٤ / ٦٩١) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٢٠ ـ باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار .

(زويت) : الشيء إلى الشيء : ضممت بعضه إلى بعض ، وجمعته إليه .

(قط قط) : بمعنى حسبي وكفاني .

(ملبَّبًا) : كأنه أخذ بتلابيبه ، وهو استعارة ، والأخذ بالتلابيب : أن يجمع على الإنسان ثوبه ، ويأخذ بمقدّمه فيجرُّ به .

على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ، ثم يقال : يـاأهل الجنـة ، فيطلعون خائفين ، ثم يقـال : يـا أهل النـار ، فيطلعون مستبشرين ، يرجون الشفـاعـة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون - هؤلاء وهؤلاء - قـد عرفناه ، هو الموت الذي وُكّلَ بنا ، فيُضجَع ، فيـذبح ذبحاً على السور ، ثم يقـال لهم : يا أهل الجنة ، خلودٌ لا موت ، ويا أهل النار ، خلودٌ لا موت » .

وروى النسـائي [١] منـه طرفًـا من وسطـه ، وهو قولـه : « فتـأتي المـلائكـة فتشفـع ويشفع الرسل » ، وذكَرَ الصراط ، فقال رسولُ الله ﷺ : « فأكون أول من يجيز ، فإذا فرغ الله من القضاء بين خلقـه ، وأخرج من النـار مَنْ يريـد أن يخرج ، أمَرَ الله الملائكة والرسل أن تَشْفَعَ ، فيشفّعون بعلاماتهم ، إنَّ النـارَ تـأكل كلَّ شيء من بني آدم إلا موضع السجـود ، فيصب عليهم مـاءُ الحيـاة ، فينبتـون كما تنبت الحبـة في السيل » .

أقول : في النص الذي مرّ معنا عدد من مشاهد يوم القيـامـة وهي بعضٌ من كل ، وهي تعطينا تصورًا عن تعليم رسول الله ﷺ وعن طريقة وعْظِه ، فـالنص ابتـدأ بـالإجـابـة على سؤال ثم كان هنـاك تـذكير بـأكثر من مشهـد من مشـاهـد يـوم القيـامـة مما ينـاسب حـال السامعين ، وقد طوى النص مشاهد كثيرة من مشاهد يوم القيامة جـاءت بمنـاسبـات أخرى أو ذكرها القرآن الكريم ومنه نعلم أن الواعـظ يتخير لوعظـه مـا ينـاسب حـال السـامعين ، والمحـدث يتخير لحـديثـه مـا ينـاسب حـال المخـاطبين وقل مثل ذلـك في المحـاضرة والخطبـة والدرس والعلم والتعليم وقـد حـاولنـا أثنـاء العرض الإجمـالي ومن خلال التعليقـات أن ننقل أكبر قدر من مشاهـد يوم القيـامـة مع إبراز تسلسل الأحـداث بـالقـدر الـذي أسعفتنـا فيـه المراجـع ولم نقف عنـد الكثير من النصـوص ؛ لأن أمر القيـامـة غيب والمسلم مستقر في قلبـه التنزيـه والتسليم فلا يفوتـه أن يفهم النصوص على ضوء التنزيـه ولا يفوتـه مـع التنزيـه أنْ يسلِّم: ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الـذين نسوه من قبل قـد جـاءت رسل ربنا بالحق ﴾ [٢] .

---

(١) النسـائي (٢ / ٢٢٩) ١٢ - كتاب التطبيق ، ٨١ - باب موضع السجود .

(٢) الأعراف : (٥٣) .

١٢١٨ - * روى مسلم عن أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنه ، قال : إن ناسًا في زمن رسولِ الله ﷺ - وفي رواية : قال : قلنا - يا رسولَ الله ، هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟ قال رسولُ الله ﷺ : « نعم ، فهل تضارُّون في رؤية الشَّمسِ بالظهيرة صَحْوًا ليس معها سَحابٌ ؟ وهل تضارُّون في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدر صَحوًا ليس فيها سَحابٌ » ؟ قالوا : لا ، يا رسولَ الله ، قال : « فما تضارُّون في رؤية اللهِ تعالى يومَ القيامة إلا كما تضارُّون في رؤيةِ أحدهما ، إذا كان يومُ القيامة أذَّن مؤذِّنٌ : لِتَتَّبِعْ كُلُّ أمَّةٍ ما كانت تعبُدُ ، فلا يبقى أحدٌ كان يَعبُدُ غيرَ الله - من الأصنام والأنصاب - إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يَبقَ إلا مَنْ كان يعبد الله مِنْ بَرٍّ وفاجر ، وغُبَّرِ أهلِ الكتابِ ، فَيُدْعى اليهودُ ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عُزيرًا ابنَ الله ، فيقال : كَذَبتم ، ما اتَّخَذَ اللهُ من صاحبة ولا ولدٍ ، فماذا تبغون ؟ قالوا : عَطِشْنَا ياربَّنا فاسْقِنا ، فيشار إليهم : ألا تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرون إلى النار كأنَّها سَرابٌ يَحْطِم بعضُها بعضًا ، فيتساقطون في النار ، ثم يُدْعى النصارى ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كُنَّا نعبد المسيحَ ابنَ الله ، فيقال لهم : كذبتم ، ما اتَّخذ الله من صاحبةٍ ولا ولدٍ ، فماذا تبغون ؟ فيقولون : عَطِشْنَا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم : ألا تَرِدُون ؟ فَيُحشَرون إلى جهنَّم كأنَّها سَرَابٌ يحطِمُ بعضُها بعضًا ، فيتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برٍّ وفاجرٍ ، أتاهم الله في أدنَى صورة من التي رَأَوْه فيها ، قال : فما تنظرون ؟ تَتْبَعُ كلُّ أُمَّةٍ ما كانت تَعبُدُ ، قالوا : ياربَّنا ، فارقْنَا الناس في الدنيا أفقرَ ما كُنَّا إليهم ، ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربُّكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، لا نُشرك بالله شيئًا - مرتين أو ثلاثًا - حتى إنَّ بعضَهم ليكاد أن ينقلبَ ، فيقول : هل بينكم وبينه آيةٌ فتعرفونه بها ؟ فيقولون :نعم ، فيُكشَفُ عن سَاقٍ ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن اللهُ له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجدُ لله

١٢١٨ - مسلم (١ / ١٦٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

(غُبَّر) : جمع غابر ، وهو الباقي ، وغُبَّرات جمع الجمع .

(الحطم) : الكسر والدق ، أي ينكسر بعضها على بعض .

=

اتقاءً ورياءً ، إلا جعل اللهُ ظهْرَه طَبقةً واحدةً ، كلما أراد أن يسجدَ خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوَّل في صورته التي رَأوه فيها أولَ مرة ، فقال : أنا ربُّكم ، فيقولون : أنتَ ربُّنا ، ثم يُضْرَبُ الجِسرُ على جهنم ، وتَحل الشفاعةُ ، ويقولون : اللهم سَلِّم سَلِّم » قيل : يا رسولَ الله ، وما الجِسْرُ ؟ قال : « دَحْضٌ مَزِلَّةٌ ، فيه خطاطيفُ وكلاليبُ ، وَحَسَكةٌ تكون بِنَجدٍ ، فيها شُوَيْكَةٌ ، يقال لها : السعدان ، فيمرُّ المؤمنون كطرف العين ، وكالبرق والريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناجٍ مُسَلَّمٌ ومخدوش مُرْسَل ، ومَكْدُوسٌ في نار جهنم ، حتى إذا خَلَصَ المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده ، ما من أحدٍ منكم بأشدَّ مناشدةً لله في استيفاء الحق من المؤمنين يومَ القيامة لإخوانهم الذين في النار » وفي رواية « فما أنتم بأشد مناشدةً في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار إذا رَأَوا أنَّهم قد نجوا في إخوانهم ، فيقولون : ربَّنا كانوا يصومون معنا ، ويصلُّون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عَرَفتم ، فتُحرَّم صُوَرُهم على النَّار ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كثيرًا قد أخذت النارُ إلى نصف ساقه ، وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربَّنا ما بقي فيها أحدٌ مِمَّن أمرتنا به ، فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينار من خير فأخرجوه ، فَيُخْرِجونَ خلْقًا كثيرًا ، ثم يقولون : ربَّنا ، لم نَذَر فيها أحدًا مِمَّن

= (اتقاءً) : فَعَلْت ذلك اتقاءً ، أي خوفًا .

(طبقة) : الطبقة والطبق : الصحيفة الواحدة .

(دحض) : الدَّحضُ : الزلق ، وهو الماء والطين .

(مزلّة) : موضع الزلل ، وأن لا يثبت القدم على شيء فيسقط صاحبها .

(خطاطيف) : الخطاطيف كالكلاليب . المعقّفة : المعوجة .

(كأجاويد الخيل) : الجواد : الفرس الرائع للذكر والأنثى ، والجمع جياد وأجاويد ، وكأنّ أجاويد جمع الجمع .

(مخدوش) : المخدوش : المجروح . و « المكدوس » قال الحميدي : كذا وقع في الروايات : مكدوس ، وقد سمعت بعضهم يقول : إنه تصحيف من الرواة ، وإنما هو مُكَرْدَس ، فإن صَحّت الرواية في مكدوس ، فلعله من الكدس ، وهو المجتمع من الطعام ، فكأن الإنسان تجمع يداه ورجلاه ويشدُّ ، ويُلقى في النار ، وهو بمعنى المكردس ، وقد جاء في بعض نسخ مسلم « مكدوش » بالشين المعجمة ، فإن صح ، فهو من الكدش بمعنى الخدش ، والكدش أيضاً : السوق الشديد ، والكدس ـ بالسين المهملة ـ إسراع المثقل في السير ، فيجوز أن يكون منه ، كأنه مثقل بذنوبه ، وله مَنْ يحثُّه على المشي ، وذلك آكد في تعذيبه وتعبه . =

أمرتنـا ، ثم يقـول : ارجعـوا ، فمن وجـدتم في قلبـه مثقـال نِصْفِ دينـار من خير فـأخرجوه ، فَيُخرجون خَلقًا كثيرًا ، ثم يقولـون : ربَّنـا لم نَـذَر فيهـا ممن أمرتنـا أحـدًا ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجـدتم في قلبـه مثقـالَ ذرَّةٍ من خيْرٍ فـأخرجوه ، فَيُخْرجُونَ خلقًا كثيرًا ، ثم يقولون : ربَّنا لم نَذَرْ فيها خيرًا » وكان أبو سعيد يقول : إن لم تُصَدِّقوني بهـذا الحـديث ، فـاقرؤوا إن شئتم : ﴿ **إنّ الله لا يظْلِمُ مِثقـال ذرّة وإن تَـكُ حسنةٌ يُضاعِفْهَـا ويُؤتِ من لَـدُنْـهُ أجرًا عظيمًـا** ﴾ [1] . « فيقول الله عز وجل : شَفَعَتِ الملائكـةُ ، وشَفَعَ النبيُّون ، وشَفَعَ المؤمنون ، ولم يبـق إلا أرحمُ الراحمين ، فيقبضُ قَبْضَـةً من النـار ، فيُخرج منهـا قومًـا لم يَعْمَلُـوا خيرًا قـط ، قـد عـادوا حُمَمًـا ، فيلقيهم في نَهرٍ في أفواه الجنة ، يقال له : نهر الحيـاة ، فَيَخْرجُون كما تَخْرجُ الْحِبَّـةُ في حميـل السَّيْـل ، ألا تَرَونَهـا تكـون إلى الحَجَر أو إلى الشجر ، مـا يكـون إلى الشمس أصَيْفِرُ وأُخَيْضِرُ ، وما يكون منها إلى الظل ، يكون أُبَيْضَ » ؟ فقـالوا : يـا رسولَ الله ، كأنـك كنتَ تَرعَى بـالبـاديـة ، قـال : « فيخرجُـون كاللـؤلـؤ ، في رِقـابهم الخواتيم ، يعرفهم أهـل الجنـة ، هـؤلاء عتقـاء الله الـذين أدخلهم الجنّـة بغير عمـل عَملُـوه ، ولا خيرٍ قَـدَّمُـوه ، ثم يقـول : ادخلـوا الجنـة ، فمـا رأيتمـوه فهـو لكم ، فيقولون : ربَّنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العـالمين ، فيقول : لكم عنـدي أفضلُ من هذا ، فيقولون : يـاربَّنـا ، أيُّ شيء أفضلُ من هـذا ؟ فيقول : رِضـايَ ، فلا أسْخَطُ عليكم بعده أبدًا » .

قال مسلم : قرأت على عيسى بن حماد ـ زغْبَةَ ـ المصري هذا الحديث في الشفاعة ، وقلتُ له : أُحَدِّثُ بهذا الحديث عنك ، أنّك سمعتَهُ من الليث بن سعد ؟ فقال : نعم .

وقال مسلم عن أبي سعيد : إنّه قال : قلنـا : يـا رسول الله ، أنرى ربَّنـا ؟ قـال : « هل تضارُّون في رؤيـة الشمس إذا كان يومٌ صَحْوٌ » ؟قلنـا . لا ... وسـاق الحـديث ، حتى انقضى إلى آخره ، وزاد بعـد قولـه : « بغير عمل عَمِلُـوه ، ولا خير قـدَّمـوه » : « فقـال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه » . قال أبو سعيد : بلغني أن الجسرَ أدقُّ من الشعرة ، وأحدُّ

---

(١) النساء : ٤٠ .

(حُمَمًا) : جمع حممة ، وهي الفحمة .

من السيف ، وليس فيه : « فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من العالمين » وما بعده .

وفي رواية [١] قال : قلنا : يا رسول الله هل نرى ربَّنا ؟ قال : « هل تضارُّون في رؤية الشمس إذا كانت صَحْوًا » ؟ قلنا : لا ، قال : « فإنكم لاتضارُّون في رؤية ربّكم يومئذ ، إلا كما تضارُّون في رؤيتها » . قال : « ثم ينادي مُنَادٍ : ليذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يَعْبدون ، فيذهَبُ أصحابُ الصليب مع صليبهم ، وأصحابُ الأوثان مع أوثانهم ، وأصحابُ كلِّ آلهةٍ مع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبد الله عز وجل من بَرٍّ وفاجرٍ ، وغُبَّراتٍ من أهل الكتاب ، ثم يؤتى بجهنَّمَ تُعْرَضُ كأنها السَّراب ، فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزيرًا ابنَ الله ، فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تَسقِينَا ، فيقال : اشربوا ، فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيح ابنَ الله ، فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تَسقينَا ، فيقال : اشربوا ، فيتساقطون ، حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجرٍ ، فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس ؟ فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليومَ ، فإنا سمعنا مُنادِيًا ينادي : لِيَلْحَق كلُّ قوم ما كانوا يعبدون ، وإنما ننتظر ربَّنا ، قال : فيأتيهم الجبَّار في صورةٍ غير صورته التي رَأَوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربُّكم ، فيقولون : أنتَ ربُّنا ؟ فلا يكلمه إلا الأنبياء ، فيقال : هل بينكم وبينه آيةٌ تعرفونها ؟ فيقولون : نعم ، الساق ، فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كلُّ مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسمعة ، فيذهب كيْما يسجد ، فيعود ظهره طبقًا واحدًا ثم يؤتَى بالجسر ، فيجعله بين ظهري جهنم » قلنا : يا رسول الله ، وما الجسر؟ قال : « مدْحضة مزلَّةٌ ، عليها خطاطيفُ وكلاليبُ ، وحسَكةٌ مُفلْطَحةٌ ،

---

[١] البخاري (١٣ / ٤٢٠) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٢٤ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة .. ﴾ .

(مفلطحة) : المفلطح : الذي فيه عرض .

لها شوكةٌ عقيفةٌ تكون بنجد ، يقال لها : السَّعدان ، يمرُّ المؤمن عليها كالطَّرْف وكالبرق ، وكالريح ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناجٍ مُسلَّم ، وناجٍ مَخْدُوشٌ ، وَمكدُوسٌ في نار جهنم ، حتى يمرَّ آخرُهم ، يُسحَب سَحْبًا ، فما أنتم بأشدَّ لي مناشدةً في الحق قد تبين لكم مِنَ المؤمن يومئذ للجبار ، فإذا رأوا أنهم قد نَجَوْا شَفَعوا في إخوانهم ، يقولون : ربَّنا ، إخوانُنا كانوا يُصلُّون معنا ، ويصومون مَعَنَا ، ويعملون معنا ، فيقول الله عز وجل : اذهَبُوا ، فمن وَجدتُم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ، ويحرم الله صورهم على النار بذنوبهم ، فبعضُهم قد غاب في النار إلى قدميه ، وإلى أنصاف ساقيه ، فيُخْرِجون من عرفوا ، ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه ، فَيُخْرِجُون مَنْ عرفوا ، ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذَرَّةٍ من إيمان فأخرجوه ، فيُخْرِجون من عَرَفُوا - قال أبو سعيد : فإن لم تصدّقوني ، فاقرؤوا ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذَرَّةٍ وإن تك حسنةً يضاعفها ﴾ [1] - فيشفع النبيون ، والملائكة ، والمؤمنون ، فيقول الجبار : بَقِيت شفاعتي ، فيقبض قبضة من النار ، فيُخْرِجُ أقوامًا قد امتُحِشُوا ، فَيُلْقون في نهر بأفواه الجنة ، يقال له : ماءُ الحياة ، فينبتون في حافَّتيه كما تنبت الحِبَّة في حَميل السيل ، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة ، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان إلى جانب الظل منها كان أبيض ، فيخرجُون كأنهم اللؤلؤ ، فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاءُ الرحمن ، أدْخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدَّموه ، فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه » .

وفي رواية النسائي [2] طَرَف منه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما مُجادَلَةُ أحدِكم في الحق يكون له في الدنيا بأشدَّ مجادلةً من المؤمنين لربهم في إخوانهمُ الذين

(عقيفة) . المعقَّف : الملويُّ مثل الصنَّارة ، والتعقيف : التعويج .

(مناشدة) : المناشدة : المسألة .

(١) النساء : ٤٠ .

(٢) النسائي (٨ / ١١٢) ١ - كتاب القسامة ، ١٨ - باب زيادة الإيمان .

أُدخلوا النار » ، قال : « فيقولون : ربَّنا ، إخوانُنا كانوا يصلُّون مَعَنَا ، ويصومون معنا ، ويَحُجُّونَ معنا ، فأدخلتَهم النار » ؟ قال : « فيقول : اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم » قال : « فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم ، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من أخذته إلى كعبيه ، فيخرجونهم ، فيقولون : ربَّنا قدأخرجنا من أمَرتنا » قال : « ثم يقول : أَخْرِجُوا مَنْ كان في قلبه وزن دينار من إيمان ، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار ، حتى يقول : مَنْ كان في قلبه وزن ذَرَّةٍ » قال أبو سعيد : فمن لم يصدّق ، فليقرأ هذه الآية ﴿ إنّ الله لا يظلمُ مثقالَ ذرّةٍ وإن تكُ حسنةً يُضاعِفْها ويُؤْتِ من لَدُنْه أجرًا عظيمًا ﴾ [1] .

أقول : الملاحظ أن الروايات التي مرت معنا وبعض الروايات التي ستمر معنا في هذه الفقرة تتحدث عن رؤية الله عز وجل في الحشر قبل دخول الجنة ورؤية الله عز وجل ثابتة لأهل الإيمان في الحشر وفي الجنة ، وفي حديث أبي سعيد تركيز على مواقف بعينها أما محل هذه المواقف بالنسبة لتسلسل الأحداث يوم القيامة فإنه يحتاج إلى استشراف لعامة النصوص . والظاهر من النصوص أن إدخال أهل النارِ النّار وادخال أهل الجنةِ الجنةَ أنه يكون بعد إقامة أنواع من الحجج ولكن كما ذكر ابن كثير في النهاية أن بعض الرواة يطوون ذكر بعض المشاهد ويركزون على بعض المشاهد ، ردًّا على جاحد أو مبتدع وقد يكون هذا الطي من رسول الله ﷺ لتركيز معنى معين عند أصحابه في جلسة من الجلسات ثم يركز على معنى آخر في جلسة أخرى فقد كان من سنته عليه الصلاة والسلام تركيز المعاني في الأنفس حتى إنه كان يكرر الكلمة ثلاثًا لتعقل منه .

وقد مرت معنا في رواية أبي سعيد كلمة يحسن أن نقف عندها لأنها تصادفنا كثيرًا وهي قوله عن الصراط : « بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحدُّ من السيف » فهذه العبارة حملها بعضهم على الحقيقة ، والتحقيق أنها محمولة على المجاز كما مر معنا في العرض الإجمالي لأن نصوصًا أخرى تتحدث عن جنبتي الصراط وليس لحدّ السيف جانبان .

---

(١) النساء : ٤٠ .

١٢١٩ - * روى مسلم عن أبي الزبير رضي الله عنه سمع جابرًا يُسأل عن الورود ؟ فقال نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا ، أنظرْ - أي ذلك فوق الناس - قال : فتُدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد : الأولُ فالأولُ ، ثم يأتينا ربُّنا بعد ذلك ، فيقول : مَنْ تنظرُون ؟ فنقول : ننظر ربَّنا ، فيقول : أنا ربُّكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلَّى لهم يضحك ، قال : فينطلق بهم ، ويَتَّبعونه ، ويُعطَى كلُّ إنسان منهم - منافق أو مؤمن - نورًا ثم يتَّبعونه ، وعلى جِسْرِ جهنم كلاليبُ وَحَسَك ، تأخذ من شاء الله ، ثم يَطْفَأُ نورُ المنافقين ، ثم ينجو المؤمنون ، فتنجو أولُ زمرةٍ ، وجوهُهم كالقمر ليلةَ البدر ، سبعون ألفًا ، لا يُحاسَبُون ، ثم الذين يَلُونَهم كأَضْوَأ نجم في السماء . ثم كذلك ، ثم تَحِلُّ الشفاعةُ ، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يَزِن شعيرةً ، فَيُجعَلون بفناء الجنة ، ويَجْعَل أهلُ الجنة يَرُشُّون عليهم الماء ، حتى ينبتُوا نبات الشيء في السَّيل ، ويذْهبُ حُراقُهُ ، ثم يسألُ حتى تُجعَلَ له الدنيا وعشرةُ أمثالها معها .

١٢٢٠ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « يجمع الله الأولين والآخرين لميقاتِ يومٍ معلوم قيامًا أربعين سنةً شاخصةً أبصارُهم ينتظرون فصلَ القضاء » قال : « وينزلُ الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادي مناد أيها النَّاس ألم تَرضَوا من ربكم الذي خلقَكم ورزقكم وأمرَكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا أن يولى كل أناسٍ منكم ما كانوا يعبدون في الدنيا أليس ذلك عدلا من ربكم ؟ قالوا بلى » قال : « فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويقولون في الدنيا » . قال : « فينطلقون ويُمثَّلُ لهم أشباهُ ما كانوا يعبُدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ، ومنهم من ينطلق إلى القمر والأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون » قال : « ويُمَثَّلُ لمن كان يعبد عيسى شيطانُ عيسى ويمثَّلُ لمن كان يعبد عزيرًا شيطان عزير ، ويبقى محمدٌ ﷺ وأمَّتُهُ » قال :

١٢١٩ - مسلم (١ / ١٧٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب ادنى أهل الجنة منزلة فيها .

١٢٢٠ - المعجم الكبير (٩ / ٤١٧) .

مجمع الزوائد : (١٠ / ٣٤٠) وقال : رواه كله الطبراني من طرق ، ورجال أحدها رجال الصحيح ، غير أبي خالد الدالاني ، وهو ثقة .

قال الحافظ ابن حجر : أبو خالد الدالاني صدوق يخطئ كثيرًا وكان يدلس .

أقول : وطريق الطبراني الأخرى حسنة السند متصلة والله أعلم .

« فيتمثلُ الربُّ تباركَ وتعالى فيأتيهم فيقولُ ما لكم لا تنطلقون كانطلاق الناس فيقولون : إن لنا لإلها ما رأيناه . فيقول : هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناها » . قال : « فيقول : ما هي فنقول : يكشف عن ساقه » قال : « فعند ذلك يكشف عن ساقه فيخرُّ كلٌّ من كان نظره ، ويبقى قومٌ ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجودَ فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ، ثم يقول : ارفعوا رؤوسَكُم فيرفعون رؤوسهم فيُعطيهم نورَهم على قدرِ أعمالِهم : فمنهم من يُعطى نورَه مثلَ الجبلِ العظيمِ يسعى بين يديه ، ومنهم من يُعطى نورَهُ أصغَر من ذلك ومنهم من يُعطى مثلَ النخلةِ بيده ، ومنهم من يُعطى أصغرَ من ذلك حتى يكونَ آخِرُهم رجلا يعطى نورَه على إبهام قدميه يضيء مرة وَيَطْفَأ مرة فإذا أضاء قدم قدمه وإذا طَفِئَ قام » .

قال : « والرب تبارك وتعالى أمامهم ، حتى يَمُرَّ في النار فيبقى أثرهُ كَحَدِّ السيف » قالَ : « فيقولُ : مروا فيمرون على قدرِ نورهم : منهم من يمر كطرفة العين ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالسحاب ، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كشد الفرس ، ومنهم من يمر كشد الرحل حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه يجثو على وجهه ويديه ورجليه تَخرُّ يدٌ وتَعْلَقُ يدٌ وتَخر رِجْل وتعلق رجل ، وتصيبُ جوانبَه النارُ فلا يزال كذلك حتى يَخْلُصَ فإذا خَلَصَ وقف عليها فقال : الحمد لله فقد أعطاني الله ما لم يعطِ أحدًا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها » . قال : « فَيُنْطَلَقُ به إلى غدير عند باب الجنةِ فيغتسلُ فيعود إليه ريحُ أهلِ الجنة وألوانُهم فيرى ما في الجنة من خلل الباب فيقول رب أدخلني الجنةَ فيقول الله : أتسألُ الجنةَ وقد نجيتُك من النار ؟ فيقول : رب اجعل بيني وبينها حجابا لا أسمعُ حَسيسَها » قال : « فيدخُلُ الجنةَ ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأن ما هو فيه إليه حُلمٌ فيقول : رب أعطني ذلك المنزلَ ، فيقول له : لعلك إن أعطيتُكه تسألُ غيرَه ، فيقول : لا ، وعِزتِك لا أسألُك غيرَه ، وَأَنَّى منزلٌ أحسن منه ، فيُعطى فينْزِلُهُ . ويرى أمامَ ذلك مَنزلا كأن ما هو فيه إليه حلم ، قال : رب أعطني ذلك المنزَل ، فيقول الله تبارك وتعالى له : فلعلك إن أعطيتُكَه تسألُ

غيرَه ، فيقول وعزتك يارب وأنّى منزلٌ يكون أحسنَ منه ، فيُعطاه وينزلُه ثم يَسكتُ فيقول الله جلّ ذكرُه : مالك لا تسألُ ؟ فيقول : رب قد سألتُك حتى قد استحييتُك وأقسمتُ حتى استحييتُك . فيقول الله جل ذِكرُه : ألم ترضَ أنِ أُعطيَك مثلَ الدنيا منذ خلقتُها إلى يوم أفنيتُها وعشرةَ أضعافِه ، فيقول : أتهزأ بي وأنت ربُّ العزةِ ؟ فيضحكُ الرب تبارك وتعالى من قوله » قال : فرأيت عبدَالله بنَ مسعودٍ إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، قد سمعتك تحدث هذا الحديث مرارًا كلما بلغت هذا المكان ضحكتَ ، قال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يحدث هذا الحديثَ مرارًا كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضَحِكَ حتى تبدُوَ أضراسُه قال : « فيقول الرب جلّ ذكرُه : لا ولكني على ذلك قادرٌ ، سَلْ : فيقول : ألحقني بالناس ، فيقول الْحَقْ بالناس » قال : « فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قَصْرٌ من درة فَيَخِرُّ ساجدًا فيقال له : ارْفَعْ رأسك ، مالك ؟ فيقول : رأيت ربي أو تراءى لي ربي فيقال له : إنما هو منزل من منازلك » قال : « ثم يلقى رجلاً فيتهيأ للسجود له ، فيُقالُ له : مه . فيقولُ : رأيت أنك ملك من الملائكة ، فيقول : إنما أنا خازن من خزانك وعبد من عبيدك ، تحت يدي ألفُ قَهرمانٍ على مثل ما أنا عليه » قال : « فيَنْطَلِقُ أمامَه حتى يَفْتَحَ له القصرَ » قال : « وهو من دُرَّةٍ مُجوفةٍ ، سقائفُها وأبوابُها وأغلاقُها ومفاتيحُها منها تَستقبلُهُ جوهرةٌ خضراءُ مبطنةٌ بحمراءَ فيها سبعون بابًا ، كل باب يفضي إلى جوهرة خضراءَ مبطنة ، كلُّ جوهرة تُفْضي إلى جوهرةٍ على غيرِ لونِ الأخرى ، في كلِّ جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حَوارء عَيناء عليها سبعون حُلَّةً يُرَى مُخُّ سَاقِها من وراء حُلَلِها ، كبدها مرآتُه وكَبِدُهُ مرآتُها ، إذا أعرضَ عنها إعراضة ازدادتْ في عينه سبعين ضِعفًا عما كانت قبل ذلك فيقول لها : والله لقد ازددتِ في عيني سبعين ضعفًا وتقول له : وأنت ازددتَ في عيني سبعين ضعفا ، فيقال له : أشرِفْ فيشرفُ . فيقال له : ملك مسيرةُ مائة عام يَنْفُذُه بصرُك » قال : فقال عُمَرُ ألا تسمعُ ما يحدثنا ابن أم عبد ياكعبُ عن أدنى أهلِ الجنةِ مَنزلاً فكيف أعلاهم ؟ قال : يا أمير المؤمنين مالا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعتْ . إن الله جل ذِكرُه خلق دارًا جعلَ فيها ما شاء

من الأزواج والثمراتِ والأشربة ثم أطبقَها فلم يرها أحدٌ من خلقه لا جبريلُ ولا غيرُه من الملائكةِ ، ثم قال كعبٌ ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [1] قال : وخلق دون ذلك جنتين وزَيَّنَها بما شاءَ وأراهما من شاءَ من خلقه ، ثم قالَ : من كان كتابُه في عليين نزل في تلك الدار التي لم يرها أحدٌ حتى إن الرجلَ من أهل عِليين ليَخْرُجُ فيسيرُ في ملكِه فلا تبقى خيمةٌ من خيم الجنة إلا دخلَها من ضوء وجهه فيستبشرون لريحه ، فيقولون : واهًا لهذا الريح ، هذا ريحُ رجلٍ من أهل عِليين قد خرج يسيرُ في مُلكِه ، قال : ويحك يا كعبُ إن هذه القلوبَ قد استرسلتْ فاقبضْها . فقال كعبٌ : إن لجهنمَ يومَ القيامة لزفرةً ما من مَلَكٍ مقرَّبٍ ولا نبي مُرسَلٍ إلا خَرَّ لركبتيه حتى إن إبراهيمَ خليلَ اللهِ ليقول : ربِّ نفسي نفسي . حتى لو كان لكَ عملُ سبعين نبيًا إلى عملك لظننت أن لا تنجو . وفي رواية قال رسول الله ﷺ : « يقوم الناس لرب العالمين ألف سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء » قال : فذكر مثل حديث زيد بن أبي أنيسة .

أقول :

من الملاحظ أنه قد ورد معنا في هذا النص تحديد للزمن الذي يسبق فصل الخطاب ، فأول الرواية ذكرت أربعين سنة ، وآخر النص ذكر رواية أخرى حددته بألف عام ، ولمثل هذا كان للتحقيق من أهله محله في فهم النصوص ، وفي جمع بعضها مع بعض وفي ترجيح الأخذ ببعضها ، وبسبب من هذا وجد في كل علم أئمة هدى سلمت لهم الأمة فمع إيماننا بعدالة الصحابة جميعًا ومع ثقتنا بالعدول من الرواة فإن للوهم أو للخطأ محلا في الرواية ، ولذلك أحالنا القرآن في سياقه على الراسخين في العلم في كل ما تشابه من القرآن ، وهو المنقول تواترًا والمحفوظ من الله عز وجل فكيف بما تشابه من نصوص السنة التي لم يوجد في كل نص منها تواتر بل وجد في بعضها تواتر لفظي أو معنوي وبعضها لم يوجد فيه تواتر أصلاً ، ثم هي لم يدخل كل نص منها بالتحديد في دائرة الحفظ الإلهي ، ومن ههنا كان الرجوع في فهم غير القطعيات في الشريعة إلى فهوم الراسخين في العلم من أئمة الهدى هو الذي ينبغي أن

---

(١) السجدة : ١٧ .

يكون ملاذ المؤمن قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس » ثم إن رسول الله ﷺ علمنا « فَرُبَّ مَبَلَّغٍ أوعى من سامِعٍ » ، وكما يكون هذا يكون العكس فرب مبلغ لا يعي أن يضع النصوص في مواضعها ، ولا يحملها على محاملها الصحيحة ولا يعطيها محلها في مجموعة النصوص الواردة في الموضوع الواحد ، ومن ههنا فإننا لا نعطي حق الإمامة في الدين والاجتهاد في الفهم إلا لمن توافرت فيه شروطه ، ثم إن الصُحابة أنفسهم قد يوجد عند بعضهم من العلم مالا يوجد عند الآخر مع أن الجميع لا يفوتهم قطعي في الشريعة ولا معلوم من الدين بالضرورة ، ولكن قد يفوت بعضهم ما عند الآخر فإذا جمع ما عند الجميع وترك ما خالف فيه الثقةُ الثقات وما كان فيه علة تمنع الأخذ به استقام الأمر ويبقى القرآن هو الأصل والسنة شارحة له وكل ذلك يجعلنا نحتاج لتحقيقات الراسخين في العلم . وعلى كل الأحوال إذا فاتنا أن نعرف تحقيقات الراسخين في العلم فلا يفوتنا ونحن نقرأ نصوص السنة الثابتة التسليم ، وإذا وجدنا تعارضًا مع القطعيات فإلى القطعيات المرجع ، وإذا لم تكن هناك قطعيات فالتفويض لله والتصديق بما ورد على لسان رسول الله ﷺ - كما أراده رسول الله ﷺ - هو العاصم ، كما لا يفوتنا في كل الأحوال ونحن نقرأ نصوص الكتاب والسنة أن يكون من جملة أهدافنا التأثر والجد والتشمير ليوم النشور ، وهذا يتحقق في كل الأحوال سواءً عرفنا تحقيق أهل التحقيق في الفهم الدقيق نتيجة الرسوخ في العلم والتدبر العميق أو لم نعرفه ، ولنحذر أهل الشذوذ الذين يخالفون إجماع الراسخين في العلم ممن يسيئون الظن بأئمة الهدى الذين أجمعت الأمة على إمامتهم .

١٢٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كُنّا مع النبيِّ ﷺ في دَعْوةٍ ، فَرُفِعَ إليه الذِّراعُ - وكانت تعجبه - فَنَهَسَ منها نَهْسةً وقال : « أنا سيِّد الناس

١٢٢١ - البخاري (٨ / ٣٩٥) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٥ - باب ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا ﴾ .

وله طرف فيه: (٦ / ٣٧١) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٣ - باب قول الله عز وجل : ﴿ ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه ﴾ .

مسلم (١ / ١٨٤) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

والترمذي (٤ / ٦٢٢) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٠ - باب ما جاء في الشفاعة . وقال : حديث حسن صحيح .

(فنهس) : النهسُ : أخذُ اللحم بمقدَّم الأسنان .

يومَ القيامةِ هل تدرون ممَّ ذاك ؟ يجمع اللهُ الأولين والآخرين في صَعيدٍ واحـد ، فيُبْصِرُهم الناظرُ ، ويسمَعُهم الداعي ، وتدنو منهم الشمسُ ، فيبلُغُ النـاسَ من الغَم والكرب ما لا يُطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناسُ : ألا ترون إلى مـا أنتم فيـه ، إلـى مـــا بلَغَكم ، ألا تنظرونَ مَنْ يشفـعُ لكم إلى ربِّكم ؟ فيقـولُ بعضُ النـــاسِ لبعضٍ : أبوكم آدمَ ، فيـأتونـه ، فيقـولـون : يـاآدمُ ، أنتَ أبـو البشر ، خلقـك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنـكَ الجنـةَ ، ألا تشفعُ لنا إلى ربِّك ، ألا ترى ما نحن فيه وما بَلَغَنا ؟ فقال : إن ربي غضِبَ اليوم غضبًا لم يَغضبْ قبله مثلَـه ، ولا يغضب بعـده مثلـه ، وإنـه نهـاني عـن الشجرةِ ، فعصيْتُ ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذْهَبُوا إلى غيري ، اذهبـوا إلى نـوحٍ ، فيـأتـون نوحًا فيقولون : يانوحُ ، أنت أولُ الرسل إلى أهلِ الأرضِ ، وقد سمَّاك الله عبـدًا شكورًا، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بَلَغنَا ؟ ألا تشفعُ لنا عنـد ربـك؟ فيقول : إن ربي غَضِبَ اليوم غضبًا لم يغضَبْ مثلـه ، ولن يغضب بعـده مثلـه ، وإنَّـه قـد كان لي دعوةٌ دعوتُ بهـا على قومي ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبـوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيمَ ، فيـأتـون إبراهيم فيقـولـون : أنت نبيُّ الله ، وخليلُـه من أهـلِ الأرض ، اشفعْ لنا إلى ربِّك ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقولُ لهم : إنَّ ربي قـد غَضِبَ اليوم غَضَبًـا لم يغضَبْ قبلـه مثلـه ، ولن يغضَبَ بعـده مثلـه ، وإني كنتُ كـذبتُ ثـلاث كَـذَبـات ... فـذكرهـا نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبـوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيـأتون موسى فيقولون : أنت رسـولُ الله ، فضّلـكَ برسـالاتـه وبكلامه على الناسِ ، اشفع لنا إلى ربـك ، أمـا ترى إلى مـا نحن فيـه ؟ فيقول : إن ربي قد غَضِبَ اليوم غضبًـا لم يغضبْ قبلـه مثلـه ، ولن يغضَبَ بعـده مثلـه ، وإني قـد قَتَلْتُ نَفْسًـا لم أومَرْ بقتلهـــا ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبــوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ، فيـأتون عيسى ، فيقولون : يـاعيسى ، أنتَ رسول الله وكلمتُـه ألقاها إلى مريمَ ، وروح منه ، وكلمتَ الناسَ في المهـد ، اشفعْ لنـا إلى ربـك ، ألا ترى إلى ما نحن فيـه ؟ فيقول عيسى ، إن ربي قـد غضِب اليوم غضبًـا لم يغضب قبله مثلـه ، ولن يغضب بعـده مثلـه ، ولم يَـذْكُرْ ذَنْبًـا ، نفسي ، نفسي ، نفسي ،

اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ، فيأتون محمدًا ﷺ » وفي رواية « فيأتوني فيقولون : يا محمد ، أنت رسولُ الله وخاتم الأنبياء ، قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخرَ ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأنطلق ، فآتي تحت العرشِ ، فأقَعُ ساجدًا لربي ، ثم يفتحُ الله عليَّ من محامده وحُسنِ الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحَدٍ قبلي ، ثم يقال : يا محمدُ ، ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تُشَفَّع ، فأرفَعُ رأسي ، فأقول : أمتي يارببِّ ، أمَّتي يارببِّ ، أمَّتي ياربِّ ، فيقال : يا محمد ، أدْخِلْ من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناسِ فيما سوى ذلك من الأبواب » ثم قال « والذي نفسي بيده ، إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، كما بين مكّة وهَجر - أو كما بين مكة وبُصرى » وفي كتاب البخاري : « كما بين مكة وحمير » .

أقول : مر معنا أن لرسولنا ﷺ ثلاث شفاعات كلها تدخل تحت مسمّى المقام المحمود سوى شفاعاته الأخرى : شفاعة لفصل الخطاب ، وشفاعة لعبور الصراط ، وشفاعة لدخول الجنة ، وكل هذه الشفاعات تكون بعد أن يلجأ الناس إلى بعض الأنبياء فيحيل كل منهم على آخر حتى يصل الأمر إلى رسولنا عليه الصلاة والسلام ، وكثيرًا ما تتشابه النصوص فلا يعرف القارئ أي شفاعة من هذه الشفاعات يراد بنص من نصوص الشفاعة العظمى ، ولا يكلّف المسلم أن يعرف كيف يحمل كل نص من هذه النصوص على مقام بعينه بل يخشى عليه من الخطأ فيكفيه أن يعرف أصل المسألة مع التسليم والتفويض والجد والتشمير .

وبمناسبة هذا الحديث الذي مر معنا نقول : إن العلماء يخشون أن يفهم فاهم من هذا الحديث وأمثاله ما يتنافى مع عصمة الأنبياء وهي قضية مجمع عليها عند أهل السنة والجماعة فما يرد من ذكر المعاصي في حق الأنبياء محمول على أنها كانت قبل النبوة قال فرعون لموسى : ﴿ وفعلتَ فَعْلَتَكَ التي فعلتَ ﴾ [1] أي قَتْله القبطي فقال موسى عليه السلام ﴿ فعلْتُها إذًا وأنا من الضالين ﴾ [2] ﴿ فوهب لي ربي حكمًا وجعلني من المرسلين ﴾ [3] أو هي محمولة على أنها من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، أو أنها محمولة على اجتهاد مأذون لهم فيه فلم

(١) الشعراء : ١٩ .

(٢) الشعراء : ٢٠ .

(٣) الشعراء : ٢١ .

يصلوا باجتهادهم إلى ما هو الصواب عند الله فلهم أجر واحد وهذا ليس معصية ، وحتى بالنسبة للخطأ في الاجتهاد هم معصومون مآلاً لأن الله يصحح لهم ، وعلى هذا فما خلّفه لنا رسول الله ﷺ معصوم قطعاً عن الخطأ وغيره ، لأنه إن حدث خطأ في الاجتهاد فإنهم يكونون مأجورين فيه ثم يصحح لهم ، فالعصمة بالنسبة للمعاصي ثابتة لهم ابتداءً وانتهاءً ، والعصمة بالنسبة للاجتهاد ثابتة لهم انتهاءً ، وعلى هذا فإنه يجب أن نعتقد أن كل ما ورثناه عن رسولنا مما هو من سننه فعلاً فإنه معصوم ولكن الرواة غير معصومين ، ومن ههنا وجد التحقيق والمحققون والاجتهاد والمجتهدون والرواية والمحدثون والجرح والتعديل إلى غير ذلك مما تحتاجه خدمة الشريعة .

تعليق وتأكيد :

- ذُكر في هذه الأحاديث الجامعة مشاهد من الموقف وما يكون بعده ، واخْتُصِرَت فيها مواقف ، فلم تذكر أخذ الصحف والحساب والورود على الحوض ، ذلك أن الرسول ﷺ كان من سننه أن يجمع بين تبشير وإنذار ، ومن ههنا كان يذكر مشهدًا من مشاهد الإنذار ثم يسارع إلى ذكر مشهد من مشاهد التبشير وقد يطوي أشياء تحدث بين المشاهد ليَفَصّلها في مقام آخر .

- رأينا في بعض النصوص أن بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام يعتذرون عن أفعال فعلوها أو فعلتها أقوامهم وقد يتوهم متوهم أنهم يعتذرون عن ذنوب تنقض مبدأ العصمة للرسل عليهم الصلاة والسلام وهذا وهم خاطئ ؛ فالرسل معصومون وما يعتذرون منه إنما يعتذرون منه لا لأنه ذنب بل لأنهم يعرفون من جلال الله ما يقتضي منهم كثرة الخوف من أفعال هم مأجورون عليها لأنهم فعلوها باجتهاد أو ترخصوا بها في موقف يجوز فيه الترخص ، أو هي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين كما ذكرنا .

* * *

الفقرة السادسة
في
الحوض

- أحاديث الحوض بلغت مبلغ التواتر ولذلك يكفر منكر الحوض .

- ولكل رسول من الرسل حوضه الذي ترد عليه أمته ، وحوض رسولنا ﷺ هو أكثرهم واردًا .

- واختلف العلماء في مكان الحوض هل هو قبل الصراط أو بعده ، والراجح أنه قبل الصراط فالناس يعطشون في الموقف . والنصوص تذكر أنه يُرَدُّ عن الحوض أقوام لكفرهم وردتهم ونفاقهم ، والصراط لا يجاوزه إلا أهل الإيمان .

- الثابت أن رسول الله ﷺ تعرض عليه أعمال أمته ، وبعض أحاديث الحوض تذكر أنه عليه الصلاة والسلام يرد عليه بعض أمته ، فتحول الملائكة بينهم وبين الحوض ، وأن رسول الله ﷺ يتساءل عن سبب ذلك فيخبر أن هؤلاء قد ارتدوا ، فهو إذن يجهل ردتهم مما يشير إلى أنه عليه الصلاة والسلام تعرض عليه أعمال أهل الإيمان ولا تعرض عليه أعمال أهل الكفر.

- وحوض رسولنا عليه الصلاة والسلام يأتي ماؤه من نهر الكوثر ، ونهر الكوثر في الجنة ، فمن فضل الله وكرمه أن يخرج من كوثر الجنة ما يصب بالحوض .

- والشرب من الحوض يحمي من الظمأ أبدًا فمن شرب منه لا يظمأ بعده وإنما يشرب بعد ذلك تلذذًا .

قال الشيخ أديب الكيلاني :

قال ملا علي القاري : حديث الحوض رواه من الصحابة بضع وثلاثون وكاد أن يكون متواترًا وقال الدكتور البوطي : الأحاديث الواردة في شأن الحوض ووصفه كثيرة جدًا زادت عن حد التواتر . اهـ . في تعليقه على (شرح جوهرة التوحيد) .

أقول : ومع أن أحاديث الحوض بلغت مبلغ التواتر إلا أن بعض أهل السنة والجماعة لا

يحكم بكفر منكرها بل يحكم بفسوقه أو ضلاله ، وقد لحظنا عبارة ملا علي القاري إذ قال « وكاد أن يكون متواترًا » فهناك خلاف حوال التواتر .

ـ والنصوص الواردة في الحوض تجدها في أكثر من سياق فهي تُذْكر مثلاً في الوضوء ، وتُذْكر في باب الردة ،وهذه بعض نصوص في الحوض :

النصوص

١٢٢٢ - روى مسلم عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، ما آنيةُ الحوضِ ؟ قال : « والذي نفسُ محمد بيده ، لآنيَتُه أكثرُ من عددِ نجومِ السماء وكواكبها ، في الليلةِ المظلمة المُصْحية ، آنيةُ الجنة ، مَنْ شَرِبَ منها لم يظمأْ آخرَ ما عليه ، يَشْخُبُ فيه مِيزابان من الجنة ، مَنْ شَرِبَ منه لم يظمأْ ، عرضُه مثلُ طولِه ، ما بين عمان إلى أيْلَةَ ، وماؤه أشدُّ بياضًا من اللبن ، وأحْلَى من العَسل » .

أقول : قوله عليه السلام : « لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية » إشارة إلى أن عدد نجوم السماء كلها أكثر من آنية الحوض ، ولكن آنية الحوض أكثر من النجوم المنظورة في الليلة المظلمة المصحية . وفي هذا التعبير معجزة عظمى فلم تنكشف كثرة نجوم هذا الكون إلا في عصرنا . وعلى هذا الحديث تحمل النصوص التي تطلق أن عدد كيزانه كنجوم السماء .

١٢٢٣ - * روى أبو داود عن عبدِ السلامِ بنِ أبي حازمٍ أبي طالوت قال : شهدتُ أبا بَرْزَة رضي الله عنه دخلَ على عُبيدِ اللهِ بنِ زيادٍ ، فحدَّثني فلان سماهُ مسلمٌ - يعني ابنَ إبراهيم - وكان في السِّماطِ ، فلما رآه عبيدُ اللهِ ، قال : إن مُحَمَّدِيَّكم هذا لدَحْدَاحٌ ، ففهمها الشيخ، فقال : ما كنتُ أحْسِبُ أن أبقى في قومٍ يُعَيِّرونني بصحبة محمد ﷺ ، فقال له عبيد الله : إنَّ صحبة محمدٍ ﷺ لكم زَيْنٌ غيرُ شَيْنٍ ، ثم قال : إنما بَعثتُ إليك لأسألَكَ عن الحوضِ ، هل سمعتَ رسولَ الله ﷺ يذكر فيه شيئًا ؟ قال أبو برزةَ نعم ، لا مَرَّةً ، ولا مرتين ، ولا ثلاثًا ، ولا أربعًا ، ولا خمسًا ، فمن كَذَّبَ به فلا سقاه اللهُ منه ، ثم خرجَ مُغْضَبًا .

١٢٢٢ - مسلم (٤ / ١٧٩٨) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

والترمذي (٤ / ٦٣٠) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٥ - باب ما جاء في صفة أواني الحوض ، وقال : حديث حسن صحيح غريب . وليس عنده : « يشخب فيه ميزابان في الجنة » .

(يشخب) : شَخَبَ يشخُبُ شَخْبًا : سال وجرى كا يجري الميزاب .

١٢٢٣ - أبو داود (٤ / ٢٣٨) كتاب السنة ، باب في الحوض ، وإسناده صحيح .

(السِّماط) : الصف من الناس . (الدَّحْدَاح) : القصير .

١٢٢٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ، قال نبي الله ﷺ : « يُرَى فِيْهِ أَبَارِيْقُ الذَّهبِ والفِضَّة كعدد نجوم السَّماء » .

١٢٢٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن عمرو بنِ العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « حَوضِي مَسيرةُ شهرٍ ، ماؤه أبيضُ من اللَّبَن ، وريحُهُ أطيَبُ من المِسْكِ ، وكِيزانه كنجومِ السماء ، مَنْ شَرِبَ منه لا يظمأُ أبدًا » .

وفي رواية (١) « مسيرة شهر ، وزواياه سواءٌ ، وماؤه أبيضُ من الوَرِقِ ... » وذكر نحوه .

١٢٢٦ ـ * روى مسلم عن حُذيفة بنِ اليمانِ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن حَوضِي لأبْعَدُ من أيْلَةَ من عَدَنٍ ، والذي نفسي بيده : إنِّي لأذودُ عنه الرجالَ ، كما يذودُ الرجلُ الإبلَ الغريبةَ عن حوضِهِ » ، قالوا : يا رسولَ الله وتعرفُنا ؟ قال : « نعم ، تَرِدُون عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِين من آثارِ الوضوء ، ليستْ لأحدٍ غيرِكم » .

أقول : وصف هنا بُعْدَ الحوض كما بين أيلة وعدن وفي حديث سابق ما بين عُمان وأيلة ، وأيلة تقع في نهاية البحر الأحمر نحو الشمال على خليج العقبة ، والمسافتان بين عدن وبينها أو بين عُمان وبينها متقاربة وقد يكون المخاطبون بمسافة من المسافات يعرفون هذه المسافة أكثر من غيرها .

١٢٢٤ ـ البخاري (١١ / ٤٦٣) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٣ ـ باب في الحوض ، وقول الله : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٠١) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

والترمذي (٤ / ٦٢٨) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ١٤ ـ باب ما جاء في صفة الحوض .

وقال : حديث حسن صحيح غريب .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٩) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٣٦ ـ باب ذكر الحوض . وقول الله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾.واللفظ له .

١٢٢٥ ـ البخاري (١١ / ٤٦٣) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٣ ـ باب في الحوض وقول الله : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .

مسلم (٤ / ١٧٩٣) ٣٣ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(١) مسلم (٤ / ١٧٩٣) الموضع السابق .

(الوَرِق) : الفضة .

١٢٢٦ ـ مسلم (١ / ٢١٧) ٢ ـ كتاب الطهارة ، ١٢ ـ باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الضوء .

١٢٢٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالَ رَسولُ الله ﷺ : « والذي نفسي بيده : لأذودَنَّ رجالاً عن حَوضِي ، كما تُذَادُ الغريبةُ من الإبِلِ عن الحوض » .

١٢٢٨ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول وهو بين ظَهرَانَي أصحابه : « إني على الحوضِ انظُرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنكُمْ ، فوالله لَيُقتَطَعنَّ دُوني رِجالٌ ، فلأقُولَنَّ : أيْ ربِّ ، مِني ومن أُمَّتي ، فيقولُ : إنك لا تدري ما عَمِلوا بعدَك ، مازالوا يَرجِعُون على أعقابهم » .

١٢٢٩ - * روى البخاري ومسلم عن جُنْدَب بن عبدِ الله رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « أنا فَرَطُكم على الحوض » .

١٢٣٠ - * روى مسلم عن جابِرِ بن سَمُرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ألا إنّي فَرَطٌ لكم على الحوض ، وإنَّ بُعْدَ ما بين طَرَفيه : كما بين صنعاءَ وأيْلَةَ ، كأنَّ الأباريقَ فيه النجومُ » .

١٢٣١ - * روى ابن ماجه عن الصُّنَابِحِ الأحْمَسِيِّ قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا إنّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ وَإنّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ فَلا تَقْتَلُنَّ بَعْدِي » .

١٢٢٧ - (البخاري) (٥ / ٤٣) ٤٢ - كتاب المساقاة ، ١٠ - باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه .
مسلم (٤ / ١٨٠٠) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

١٢٢٨ - مسلم (٤ / ١٧٩٤) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .
(ليُقتطعن) : الاقتطاع : أخذ طائفة من الشيء ، تقول : اقتطعت طائفة من أصحابه إذا أخذتهم دونه .

١٢٢٩ - البخاري (١١ / ٤٦٣) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .
مسلم (٤ / ١٧٩٢) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

١٢٣٠ - مسلم (٤ / ١٨٠١) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .
(الفرَط) : المتقدّم على القوم الواردين الماء .

١٢٣١ - ابن ماجه (٢ / ١٣٠٠) ٣٦ - كتاب الفتن ، ٥ - باب لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض .
وفي الزوائد : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

١٢٣٢ - * روى البزار عن أنس قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يامعشرَ الأنصار مَوْعِدُكم حوضي » .

١٢٣٣ - * روى أبو داود عن زيدِ بنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قال : كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ ، فنَزَلْنَا مَنْزِلاً ، فقال : « ماأنتم جُزءٌ من مائة ألف جُزءٍ مِمَّن يَرِد عليَّ الحوض » ، قيل : كم كنتم يومئذ ؟ قال : « سبعمائة أو ثمانمائة » .

١٢٣٤ - * روى مسلم عن ثوبان رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إني لَبِعُقْرِ حوضي أذودُ الناسَ لأهل اليمنِ ، أضرِبُ بعصايَ حتى يرفضَّ عليهم » ، فَسُئِلَ عن عَرْضِهِ ؟ فقال : « من مَقامي إلى عَمَّان » ، وسئل عن شرابه ؟ فقال : « أشدُّ بياضًا من اللَّبنِ ، وأحلى من العسل ، يَغُتُّ فيه مِيزابانِ يَمُدانه من الجنةِ ، أحدُهما من ذَهبٍ ، والآخَر من وَرِقٍ » .

أقول : ذكر النووي أن المسافات التي وصفت الحوض يدخل فيها القليل تحت الكثير .

أقول : والمراد أن يعرف السامع سعة حجمه ، على أن رواية مسلم عن ثوبان التي تذكر مسافة أقل يرويها الترمذي في الرواية اللاحقة فيذكر نفس المسافة التي وردت في أحاديث أخرى .

١٢٣٢ - كشف الأستار (٤ / ١٧٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦١) .

وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

١٢٣٣ - أبو داود (٤ / ٢٣٧) كتاب السنة ، باب في الحوض . وإسناده صحيح .

١٢٣٤ - مسلم (٤ / ١٧٩٩) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(بعقر حوضي أذود) : عُقْر الحوض : مؤخَّره ، وقوله : « لأهل اليمن » أي : لأجل أن يَرِدَ أهل اليمن ، والذود : الطرد والدفع .

(يرفضُّ) : يتفرَّق ، وارفضَّ الدمع : إذا جرى متفرِّقًا مترششًا ، والمراد حتى يسيل عليهم ماء الحوض .

(يغتُّ) : غَتَّ الماء يَغُتّ : إذا جرى جريًا له صوت ، وقيل : يَدْفُق الماءُ فيه دفقًا مُتَتابِعًا .

وفي رواية الترمذي [(١)] ، عن أبي سَلام الحَبَشي مَمْطُور ، قال : بعثَ إليَّ عمرُ بن عبد العزيز ، فحُمِلْتُ على البريد ، فلما دخلتُ إليه ، قلتُ : ياأميرَ المؤمنين ، لقد شَقَّ عليَّ مَرْكبي البريدَ ، فقال : يا أبا سلاَّم ماأردتُ أن أشقَّ عليك ، ولكنْ بلغني عنك حديث تحدِّثُه عن ثوبانَ عن رسول الله ﷺ في الحوض ، فأحببتُ أن تُشافهَني به ، فقلت : حدَّثني ثوبانُ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « حوضي مثلُ مابين عَدَنٍ إلى عَمَّانَ البلقاء ؛ ماؤه أشدُّ بياضًا من الثَّلج ، وأحلى من العَسَلِ ، وأكوابُه عددُ نجومِ السماء ، مَنْ شَرِبَ منه شَرْبةً لم يظمأ بعدها أبدًا ، أولُ الناس وُرُودًا عليه فقراءُ المهاجرين الشُّعْثُ رؤوسًا ، الدُّنُس ثيابًا ، الذين لا يَنْكِحون المنعَّماتِ ، ولا تُفْتَحُ لهم أبوابُ السُّدَدِ » ، فقال عمرُ : قد أُنكحتُ المنعَّماتِ - فاطمةَ بنتَ عبدِ الملك - وفُتحتْ لي أبوابُ السُّدَدِ ، لا جرم لا أَغْسِلُ رأسي حتى يَشْعَثَ ، ولا ثوبي الذي يَلي جسدي حتى يَتَّسِخَ .

أقول : وعَمان البلقاء هي عمان الأردن التي هي عاصمة المملكة الهاشمية الأردنية في عصرنا ، ورغبة عمر في سماع الحديث مشافهةً أصل كبير من الأصول التي كان يحرص عليها السلف الصالح ، فقد كانوا حريصين على التلقي المباشر ولذلك آثاره في التربية القلبية والروحية والسلوكية ، فالتلقي من أهل الأنوار يعطي القلب نورًا ، والتلقي من أهل العلم العاملين يعطي طالب العلم سمتًا وأدبًا وتواضعًا .

١٢٣٥ - * روى البخاري ومسلم عن حارثة بن وهبٍ رضي الله عنه أنَّه سمع النبيَّ ﷺ قال : حوضه : « مابين صنعاءَ والمدينة » ، فقال المستوردُ : ألم تسمعْه قال : الأواني ؟ قال : لا ، قال المستورد : تُرى فيه الآنيةُ مثل الكوكب .

---

(١) الترمذي (٤ / ٦٢٩) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٥ - باب ما جاء في صفة أواني الحوض .
وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن .
(البريد) : خيل البريد : هي المرصدة في الطريق لحمل الأخبار من البلاد .

١٢٣٥ - البخاري (١١ / ٤٦٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض . وقول الله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .
مسلم (٤ / ١٧٩٧) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

أقول : المسافة الواردة في هذه الرواية وبعض الروايات اللاحقة ورواية مسلم السابقة أقل من المسافة التي ذكرتها روايات أخرى ، وقد يكون في ذلك إشارة إلى تناقص حجم الحوض لكثرة الشاربين ، فهي تصفه في مرحلة من المراحل أو أن القليل يدخل في الكثير كما ذكر النووي فقال :

قال القاضي عياض : وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجبًا للاضطراب ، فإنه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة ضربها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك من الأفهام لبعد مابين البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل للإعلام بعظم هذه المسافة ، فبهذا تجمع الروايات . هذا كلام القاضي . قلت : [أي النووي] وليس في القليل من هذه منع الكثير ، والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة والله أعلم اهـ .

١٢٣٦ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن أمامَكم حَوضي ، مابين جَنبيه كما بين جَرْبا وأَذْرُحَ » قال بعضُ الرواة : هما قريتان بالشام ، بينهما مسيرةُ ثلاث ليال .

وفي رواية (١) : « وفيه أباريق كنجوم السماء ، مَنْ ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا .

١٢٣٧ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « مابين ناحِيَتَيْ حَوضي ، كما بين صنعاءَ والمدينة » .

١٢٣٦ - البخاري (١١ / ٤٦٣) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض .
مسلم (٤ / ١٧٩٨) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .
وأبو داود (٤ / ٢٣٧) كتاب السنة ، باب في الحوض .
(١) مسلم (٤ / ١٧٩٨) الموضع السابق .

١٢٣٧ - البخاري (١١ / ٤٦٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض ، وقوله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .
مسلم (٤ / ١٨٠١) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

وفي رواية [١] : « مثل مابين المدينة وعَمّان » .

وفي أخرى [٢] : « مابين لابَتَيْ حَوْضي » .

وفي أخرى [٣] قال : « يُرَى فيه أباريقُ الذهب والفضة ، كعدد نجوم السماء » .

وفي أخرى [٤] مثله ، وزاد : « أو أكثر من عدد نجوم السماء » .

وفي أخرى [٥] قال : « إن قَدر حوضي كما بين أَيْلَةَ وصنعاء اليمنِ ، وإن فيه من الأباريقِ كعددِ نجوم السماء » .

١٢٣٨ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « صِنفان من أمتي لا يَرِدَانِ عليَّ الحوضَ ، ولا يدخُلان الجنةَ : القدريةُ والمرجئةُ » .

١٢٣٩ ـ * روى الطبراني عن العرباض بنِ ساريةَ أن النبي ﷺ قال : « لتزدَحِمَنَّ هذه الأمةُ على الحَوْضِ ازدحامَ الإبل وردت لِخَمْسٍ » .

١٢٤٠ ـ * روى أحمد عن خولةَ بنتِ حكيمٍ قالت : قلت : يارسول الله إن لك حوضًا ؟ قال : « نعم . وأحبُّ عليَّ من يرده قومُك » . .

---

(١) مسلم (٤ / ١٨٠١) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(٢) مسلم (٤ / ١٨٠١) للوضع السابق .

(لابَتَي حوضي) : اللابة . الحرّة ، وأراد بها ههنا : الجانب .

(٣) مسلم (٤ / ١٨٠١) للوضع السابق .

(٤) مسلم (٤ / ١٨٠١) للوضع السابق .

(٥) مسلم (٤ / ١٨٠٠) للوضع السابق .

١٢٣٨ ـ مجمع الزوائد : (٧ / ٢٠٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة . قال في التقريب : لا بأس به .

١٢٣٩ ـ المعجم الكبير (١٨ / ٢٥٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦٥) وقال : رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن .

(وردتْ لِخَمْسٍ) : وردت على الماء بعد عطشِ خمسِ ليالٍ .

١٢٤٠ ـ أحمد (٦ / ٤١٠) .

والمعجم الكبير (٢٤ / ٢٣٣) .

=

١٢٤١ - * روى أحمد عن يُحَنَّش بن عبد الله أن حمزةَ بنَ عبدِ المطلب لما قدم المدينةَ تزوجَ خولةَ بنتَ قيسِ بنِ فهدِ الأنصارية من بني النجار ، قال : وكان رسول الله ﷺ يزور حمزةَ في بيتها ، وكانت تحدث عنه أحاديثَ ، قالتْ : فأتانا رسولُ الله ﷺ فقلتُ يارسولَ الله : إنه بلغني عنك أنك تحدثُ أن لك يومَ القيامة حوضًا مابين كذا إلى كذا ، قال : « نعم وأحبُّ الناسِ عليّ أن يُروى منه قومُكِ » قال : فَقَدَّمَتْ إليه بُرْمةً فيها حريرة ، فوضع رسول الله ﷺ يده في البُرْمةِ ليأكل فأحرقت أصابعه فقال : « حَسِّ » ثم قال : « ابنُ آدمَ إن أصابَهُ البردُ قال حَسِّ وإن أصابهُ الحرُّ قال حَسِّ » .

١٢٤٢ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لَيَرِدَنَّ عليَّ الحوضَ رجالٌ مِمَّن صاحبني ، حتى إذا رأيتُهم ، وَرُفِعُوا إليَّ ، اخْتُلِجُوا دوني ، فَلأَقولَنَّ : أي ربِّ ، أُصيحابي ، أصيحابي ، فَلَيُقَالَنَّ لي : إنَّكَ لا تدري ماأحدثوا بعدك » .

وفي رواية [1]« لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ ناسٌ من أُمَّتي ... » الحديث ، وفي آخره : « فأقول : سُحْقًا لِمَنْ بدَّل بعدي » .

= مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦١) . وقال : رواه أحمد والطبراني وقال : هكذا رواه أبو خالد الأحمر عن خولة بنت حكيم ، وقال الناس : عن خولة بنت قيس ، ورجالها رجال الصحيح .

١٢٤١ - أحمد (٦ / ٤١٠) .

والمعجم الكبير (٢٤ / ٢٣١) . مختصرًا .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦١) وقال : رواه أحمد ورواه الطبراني باختصار . وقال : « وأحب الناس إلي أو من أحب الناس إليّ ، أن يرده » ، وقال فيه : فقدمت إليه عصيدة . ورجال أحمد رجال الصحيح .

(البُرْمَة) : القِدْر مطلقًا وجمعها بِرَام .

(الحريرة) : الحسا المطبوخ من الدقيق والدَّسَم والماء .

(حَسِّ) : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما أَمَضَّهُ أو أحْرَقَه غَفْلَة .

١٢٤٢ - البخاري (١١ / ٤٦٤) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٠٠) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(١) البخاري (١١ / ٤٦٤) الموضع السابق .

ومسلم (٤ / ١٧٩٢) كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

١٢٤٣ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أنا فَرَطُكم على الحوض ، ولَيُرْفَعَنَّ إليَّ رجالٌ منكم ، حتى إذا أهويتُ إليهم لأُنَاوِلَهُمْ اختُلِجوا دُوني ، فأقولُ : أيْ ربِّ ، أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ؟ » .

١٢٤٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي حازمٍ رحمه الله عن سهلِ بنِ سعد رضي الله عنه ، قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « أنا فَرَطُكم على الحوضِ ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ ، ومن شَرِبَ لم يظمأْ أبداً ، ولَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أقوام أَعْرِفُهم ويعْرِفوني ثم يُحال بيني وبينهم » ، قال أبو حازم : فسمعَ النعمانُ بنُ أبي عَيَّاشٍ وأنا أُحَدِّثُهم هذا الحديث ، فقال : هكذا سمعتَ سهلاً يقول ؟ فقلتُ : نعم ، قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعتُه يزيدُ ، فيقول : « فإنهم منِّي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سُحقًا سُحقًا لمن بَدَّلَ بعدي » .

١٢٤٥ - * روى مالك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ أَنَّهُ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَسَلَّمَ عَلَى الْمَقْبَرَةِ فقال : « السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ! وَإِنَّا ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، بِكُمْ لاحِقُونَ » ثُمَّ قَالَ : « لَوَدِدْنَا أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا » قَالُوا : يَارَسُولَ اللهِ ! أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ ؟ قَال : « أَنْتُمْ أَصْحَابِي . وَإِخْوَانِي الَّذِينَ يأْتُونَ مِنْ بَعْدِي . وَأَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ » قَالُوا : يَارَسُولَ اللهِ ! كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ مِنْ أُمَّتِكَ ؟ قَالَ :

١٢٤٣ - البخاري (١٣ / ٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، ١ - باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا ... ﴾ .

مسلم (٤ / ١٧٩٦) ٤٣ - كتاب الفضائل، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(اختُلِجُوا) : أي استلبوا ، وأخذوا بسرعة .

١٢٤٤ - البخاري (١٣ / ٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، ١ - باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة ... ﴾

مسلم (٤ / ١٧٩٣) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

١٢٤٥ - الموطأ (١ / ٢٨) ٢ - كتاب الطهارة ، ٦ - باب جامع الوضوء .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٩) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٦ - باب ذكر الحوض .

ومسلم بنحوه (١ / ٢١٨) ٢ - كتاب الطهارة ، ١٢ - باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء . =

« أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَـهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَـةٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ، أَلَمْ يَكُنْ يعْرِفُهَا ؟ » قَالُوا : بَلَى . قَالَ : « فَإِنَّهُمْ يـأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَـامَـةِ غُرّا مُحَجَّلِينَ ، مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ » قَالَ : « أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ » ثُمَّ قَالَ : « لَيُـذَادَنَّ رِجَـالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ . فَأُنَادِيهِمْ : أَلا هَلُمُّوا ! فَيُقَـالُ : إِنَّهُمْ قَـدْ بَـدَّلُوا بَعْـدَكَ ، وَلَمْ يَزَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، فَأَقُولُ : أَلا سُحْقًا ! سُحْقًا ! » .

أقول : الروايات التي تذكر أن هناك أناسًا يَرِدُّون عن الحوض متعددة يمكن أن يحمل بعضها على أمّة الدّعوة دون إشكال ، إلا أن بعضها مما ذكر لفظ الأصحاب ، استغله بعض المبتدعة فشككوا في الصحابة رضوان الله عليهم ، والأمر لا يحتمل ماذهبوا إليه ، وقد ناقش ابن حجر العسقلاني مناقشة مطولة فيا قيل ، وجَمَعَ الروايات الواردة في هذه الشؤون .

وأبسط ما يقال في هذا الشأن إن المراد بالأصحاب في الحديث هم بعض من مات رسول الله ﷺ وقد دخلوا في الإسلام ثم ارتدوا وحاربهم أبو بكر وماتوا على الرِّدّة ، أو بعض من الذين تظاهروا بالإسلام وهم منافقون . ومما قاله ابن حجر :

قال الفربري : ذكر عن أبي عبد الله البخاري عن قَبيصة قال : هم الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبو بكر ، يعني حتى قتلوا وماتوا على الكفر . وقد وصله الإسماعيلي من وجه آخر عن قبيصة . وقال الخطابي : لم يرتد من الصحابة أحد وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ، ممن لا نصرة له في الدين ، وذلك لا يوجب قدحًا في الصحابة المشهورين . ويدل قوله « أصيحابي » بالتصغير على قلة عددهم . اهـ (فتح الباري) .

(دهم) : جمع أدهم ، والدهمة السواد .

(بهم) : جمع بهيم ، قيل : هو الأسود أيضًا ، وقيل : الذي لا يخالط لونَهُ لونٌ سواه ، سواء كان أسود أو أبيض أو أحمر ، بل يكون لونه خالصًا .

فوائد

قال ابن كثير في النهاية :

إن قال قائل : فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده ؟ قلت : إن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط ، لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم ، فإن كان هؤلاء كفارًا فالكافر لا يجاوز الصراط ، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه . وإن كانوا عصاة فهم من المسلمين فيبعد حجبهم عن الحوض لاسيما وعليهم سيا الوضوء ، وقد قال ﷺ :

« أعرفكم غرا محجلين من آثار الوضوء » .

ثم من جاوز لا يكون إلا ناجيًا مسلمًا فمثل هذا لا يحجب عن الحوض فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط .

وإذا كان الظاهر كونه قبل الصراط ، فهل يكون ذلك قبل وضع الكرسي للفصل ؟ أو بعد ذلك ؟ هذا مما يحتمل كلا من الأمرين ؟ ولم أر في ذلك شيئًا فاصلا ، فالله أعلم أي ذلك يكون .

وقال العلامة أبو عبد الله القرطبي في التذكرة أيضًا : واختلف في كون الحوض قبل الميزان ، قال أبو الحسن القابسي : والصحيح أن الحوض قبلُ ، قال القرطبي : والمعنى يقتضيه ، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم كما تقدم ، فيقدم على الميزان والصراط ، قال أبو حامد الغزالي في كتاب علم كشف الآخرة : حكى بعض السلف من أهل التصنيف : أن الحوض يورد بعد الصراط ، وهو غلط من قائله . قال القرطبي : هو كما قال ، ثم أورد حديث منع المرتدين على أعقابهم القهقرى عنه . ثم قال : وهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط ، لأن الصراط من جاز عليه سلم ..اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

* * *

الفقرة السابعة

في :

الحساب والميزان

عرض إجمالي

- مرّ معنا أنه في الوقف يحشر الناس ويجمعون مصطفين وينتظرون ثم تكون الشفاعة لفصل القضاء ، ثم يعرض الناس على ربهم عرضة يكون فيها جدال واعتذارات وتنصلات وأسئلة وإجابات ، ثم تكون عرضة أخرى وتكون بها إقامة حجة ، فتشهد الرسل وتشهد هذه الأمة وتشهد الأرض وتقوم الحجة على الخلق ، ثم تطير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وآخذ وراء ظهره ، ويكون في هذه المرحلة أو قبلها شرب من الحوض .

- ثم يكون الحساب والميزان فيُسأل الإنسان عما كلف به ، يُسأل عن سمعه وعن بصره وعن فؤاده : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ [1] .

ويسأل عما استرعاه الله ، ويسأل عن العمر والعلم والمال والجسم والشباب ويسأل عن النعيم : ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ [2] . ويسأل عن الآلاء والنعم ، ويحاسب على أعماله ما أراد بها فيسأله عن النيات والإخلاص : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ [3] ، ويحاسب الإنسان على أعمال الظاهر والباطن وخطايا الظاهر والباطن ويحاسب على أمراض القلوب : ﴿ لله ما في السموٰت وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ [4] .

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أنّ بينها

---

(١) الإسراء : ٣٦ .

(٢) التكاثر : ٨ .

(٣) هود : ١٥ - ١٦ .

(٤) البقرة : ٢٨٤ .

وبينه أمدا بعيدًا ﴾ [١] . وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاةُ ، وأول ما يحاسب عليه من حقوق العباد الدماء ، ومن أشد ما يحاسب عليه العبد الزكاة والعقوبة عليها تبدأ عند الموت وتستمر في القبر وتكون في الحشر والموقف ويحاسب عليها .

- وشهادات يوم القيامة كثيرة والشهداء كثر : فهناك شهادة الأنبياء وشهادة الملائكة وشهادة الجوارح وشهادة العباد بعضهم على بعض ، وشهادة الأرض وكل من هؤلاء يؤدي شهادته في الوقت المناسب يوم القيامة :

﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ﴾ [٢] .

﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ [٣] .

﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ [٤] .

﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ [٥] .

﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾ [٦] .

﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان مالها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها * يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ [٧] .

- وسيجد المكلفون أن الأمور مضبوطة في غاية الضبط فكتاب عام مُحْصٍ فيه كل شيء ، وكتاب خاص لكل مكلف على حدة :

﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ [٨] .

---

(١) آل عمران : ٣٠ .
(٢) النحل : ٨٩ .
(٣) ق : ٢١ .
(٤) النور : ٢٤ .
(٥) يس : ٦٥ .
(٦) فصلت : ٢١ .
(٧) الزلزلة : ١ - ٨ .
(٨) الجاثية : ٢٩ .

﴿ ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ﴾ (١) .

﴿ وكل صغير وكبير مستطر ﴾ (٢) .

﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾ (٣) .

﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ (٤) .

﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ (٥) .

﴿ ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ (٦) .

والنصوص القرآنية في الحساب والميزان وما يتعلق بذلك كثير، منها :

﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ﴾ (٧) .

﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * ياليتها كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه * خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه * إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين ﴾ (٨) .

﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا * وينقلب إلى أهله مسرورًا * وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبورًا * ويصلى سعيرًا ﴾ (٩) .

﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ (١٠).

---

(١) المؤمنون : ٦٢ .
(٢) القمر :٥٣ .
(٣) القمر : ٥٢ .
(٤) الإسراء : ١٣ ، ١٤ .
(٥) التكوير : ١٠ .
(٦) الكهف : ٤٩ .
(٧) الإسراء : ١٣ .
(٨) الحاقة : ٢٥ ـ ٣٤ .
(٩) الانشقاق : ٧ ـ ١٢ .
(١٠) الأنبياء : ٤٧ .

﴿ إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [١] .

﴿ إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم ﴾ [٢] .

﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ﴾ [٣] ، ﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾ [٤] .

﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾ [٥] .

﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ [٦] .

﴿ فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية * وماأدراك ماهيه * نار حامية ﴾ [٧] .

﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ [٨] .

﴿ إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ﴾ [٩] .

﴿ ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ [١٠] .

﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتا ﴾ [١١] .

﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون * ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾ [١٢] .

---

(١) ص : ٢٦ .
(٢) الغاشية : ٢٥ ، ٢٦ .
(٣) الرعد : ٤١ .
(٤) الرعد : ٢١ .
(٥) النساء : ٤٠ .
(٦) الأنبياء : ٤٧ .
(٧) القارعة : ٦ - ١١ .
(٨) الزمر : ٣١ .
(٩) النمل : ٧٨ .
(١٠) آل عمران : ٥٥ .
(١١) النبأ : ١٧ .
(١٢) الزمر : ٦٩ - ٧٠ .

﴿ يوم يبعثهم الله جميعًا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾ [1] .

ـ وحقوق العباد يشدّد فيها أكثر مما يشدّد في حقوق الله إلا حق التوحيد ومع شدة الهول يوم القيامة فإن الله عز وجل خلق مائة رحمة تسعا وتسعين منها أخرها إلى يوم القيامة ، ولعل المسلم يخرج من قراءة النصوص الواردة في هذه الفقرة بنية جازمة ألا يظلم أحدًا ، وأن يقوم بحقوق الله وحقوق التكليف كاملة ويسعى ليكون من الذين لا حساب عليهم ، وقد استقرأ بعضهم النصوص التي وعد أهلها بألا يحاسبوا فذكر من أهل ذلك أنهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، ومن ذلك قُوّامُ الليل وقُرّاء القرآن والمخلصون والمؤذنون والدعاة إلى الله ومن قام بحق الله وحق العباد والعلماء العاملون والشهداء والعافون عن الناس والحامدون الله على كل حال .

وقد مر معنا من قبل كلام ابن كثير في النهاية أن الحساب يكون قبل الميزان غير أنه من الصعب التمييز بين مجموع النصوص الواردة في الحساب والميزان أيها يكون في الحساب وأيها يكون عند الميزان ، وإن كان بعضها واضحًا أنه في الحساب أو أنه في الميزان ، ولذلك دمجنا الكلام عن هذين الموضوعين في فقرة واحدة ، ولا يدخل في دائرة التكليف أن يعرف المسلم على مايحمل عليه كل نص مما ورد في الحساب والميزان إلا إذا كان قطعيّ الثبوت وقطعيّ الدّلالة والمهمّ بالنّسبة للمسلم أن يؤمن بالحساب والميزان وأن يُسَلّم بالنصوص الواردة في ذلك وأن تَحْمِلَهُ النصوصُ الواردة في ذلك على تحرير الاعتقاد وإحسان العمل والبعد عن كل مايسخطُ الله عز وجل مما يشتد بسببه الحساب أو يَخفُّ بسببه الميزان .

---

(١) المجادلة : ٦ .

النصوص

١٢٤٦ - * روى البخـاري عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ :
« من كانت عنده مظْلَمةٌ لأخيه ، مِنْ عِرضِهِ أو شيءٍ منه ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منـه اليومَ ، من قبلِ أن لا يكون دينـارٌ ولا درهمٌ ، إن كان لـه عملٌ صـالحٌ أُخِـذَ منـه بقـدر مَظْلَمتهِ ، وإن لم يكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئاتِ صاحبِه ، فَحُمِلَ عليه » .

وفي رواية [(١)] الترمذي قـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « رَحِمَ الله عبـدًا كانت لأخيـه عنده مَظلمةٌ ... » الحديث .

١٢٤٧ - * روى البزار عن ابن الـزبير قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « من نُـوقِشَ الحسابَ هَلَكَ » .

١٢٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن ابن أبي مُليكة ، قال : إن عائشـة كانت لا تسمعُ شيئًـا لا تعرفـه إلا راجعَتْ فيـه حتى تَعرِفَـهُ ، وإن النبيَّ ﷺ قـال : « مَنْ نُـوقِشَ الحسـابَ عُذِّب » ، فقالتْ : أليس يقولُ اللهُ تعالى : ﴿ فأما مَنْ أُوتِيَ كتابه بيمينـه * فسوف يُحاسَبُ حِسَـابًـا يسيرًا * وينقلب إلى أهله مسرورًا ﴾ [الانشقـاق : ٧ - ٩] ؟ فقـال : « إنمـا ذلـك العَرْضُ ، وليس أحدٌ يُحاسَبُ يوم القيامة إلا هَلَكَ » .

وفي رواية [(٢)]« وليس أحدٌ ينُاقشُ الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب » .

وفي أخرى [(٣)] قـالتْ : قـال رسـولُ الله ﷺ : « ليس أحـدٌ يُحـاسَبُ إلا هَلَـك » ،

١٢٤٦ - البخاري (٥ / ١٠١) ٤٦ - كتاب المظالم ، ١٠ - باب من كانت له مظلمة عند الرجل ... إلخ .

(١) الترمذي (٤ / ٦١٣) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٢ - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

١٢٤٧ - كشف الأستار (٤ / ١٥٨) .

مجمع الـزوائـد (١٠ / ٣٥٠) ، وقـال : رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسـط ورجـال البزار والكبير رجـال الصحيح ، وكذلك رجال الأوسط غير عمرو بن أبي عاصم النبيل ، وهو ثقة .

١٢٤٨ - البخاري (١١ / ٤٠٠) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٩ - باب من نوقش الحساب عُذِّب .

مسلم (٤ / ٢٢٠٤) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٨ - باب إثبات الحساب .

(٢) البخاري (١١ / ٤٠٠) الموضع السابق .

(٣) البخـاري (٨ / ٦٩٧) ٦٥ - كتـاب التفسير ، سورة الانشقـاق ١ - بـاب ﴿ فسوف يحـاسب حسـابًـا يسيرًا ﴾ . =

قلت : يارسول الله ، جعلني الله فِداكَ ، أليْسَ الله تعالى يقول : ﴿ فأمّا من أُوتِيَ كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ﴾ ؟ قال : « ذلك العَرْض تُعرَضُون ، ومن نُوقِشَ الحسابَ هَلَكَ » .

١٢٤٩ - * روى الترمذي عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال : « من حُوسِب عُذِّب » . وهو حديث حسن يشهد له الذي قبله .

١٢٥٠ - * روى البخاري ومسلم عن صفوان بن مُحْرِزٍ المازني قال : بينما ابنُ عمرَ رضي الله عنه يطوف ، إذ عَرَض له رجل ، فقال : ياأبا عبدِ الرحمنِ ، أخبرْني ماسمعتَ من رسولِ الله ﷺ في النجوى ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يُدنَى المؤمنُ من ربه حتى يَضَع عليه كَنَفه ، فيقرِّره بذنوبه : تَعْرِفُ ذَنْبَ كذا وكذا ؟ فيقول : أعرف ربِّ ، أعرفُ - مرتين - فيقول : سَتَرْتُها عليك في الدنيا ، وأغفرُها لك اليومَ ، ثم تُطوى صحيفةُ حسناته ، وأما الآخرون - أو الكفار ، أو المنافقون - فينادَى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كَذَبوا على ربهم ، ألا لعنةُ الله على الظالمين » .

١٢٥١ - * روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجلٌ ، فقعد بين يدي رسولِ الله ﷺ ، فقال : يارسولَ الله ، إن لي مملوكين يُكَذِّبونني ويخونونني ويَعْصونني ، وأشتِمُهم وأضربُهم ، فكيف أنا منهم ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « إذا كان يومُ القيامةِ يُحسَب ماخانوك وعَصَوْك وكذَّبوك وعِقَابُك إياهم ، فإن كانَ عقابُك إياهم بقدرِ ذنوبِهِم : كان كَفافًا ، لا لك ، ولا عليك ، وإن كان عِقَابُك إياهم دون ذنوبهم ،

= (نوقش) : المناقشة في الحساب : تحقيقه وتدقيقه ، والاستقصاء فيه .

١٢٤٩ - الترمذي (٤ / ٦١٧) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٥ - باب منه (أي العرض) . وقال : حديث صحيح حسن .

١٢٥٠ - البخاري (٨ / ٣٥٣) ٦٥ - كتاب التفسير ، سورة هود : ٤ - باب ﴿ ويقول الأشهاد هؤلاء ... ﴾ .

مسلم : (٤ / ٢١٢٠) ٤٩ - كتاب التوبة ٨٢ - بابُ قبول توبة القاتل ، وإن كَثُر قتلهُ .

(النجوى) : في الأصل : السرُّ ، والمراد به : مناجاة الله تعالى للعبد يوم القيامة ، وسياق الحديث يدل عليه .

(كنفه) : يقال : أنا في كنف فلان ، أي : في ظله وجانبه .

١٢٥١ - الترمذي (٥ / ٣٢٠) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٢٢ - باب ومن سورة الأنبياء عليهم السلام .

وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن .

كان فضلاً لك ، وإن كان عقابُك إياهم فوق ذنوبهم ، اقْتُصَّ لهم منك الفضلُ » فتنحّى الرجل وجعل يهتفُ ويَبكي ، فقال له رسولُ الله ﷺ : « أما تقرأ قول الله تعالى : ﴿ ونَضَعُ الموازين القِسْطَ ليوم القيامة فلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شيئًا وإن كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾[1] » فقال الرجل : يا رسولَ الله ما أجدُ لي ولهؤلاء ولهؤلاء شيئًا خيرًا من مفارَقتِهم ، أُشْهِدُك أنّهم كلّهم أحرارٌ .

١٢٥٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ يومًا : « أتدرون ما المُفْلِسُ ؟ » قالوا : المفْلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : « إن المُفْلِسَ مَنْ يأتي يوم القيامة بصَلاةٍ وصيام وزكاة ، ويأتي قد شَتَمَ هذا ، وقَذَفَ هذا ، وأكل مال هذا ، وسفكَ دمَ هذا ، وضَرَبَ هذا ، فيُعطى هذا من حسناتِه ، وهذا من حسناته ، فإن فَنِيتْ حَسَنَاتُهُ قبل أن يُقْضى ما عليه ، أُخِذَ من خطاياهم فَطُرِحَتْ عليه ، ثم يُطْرَحُ في النار» .

١٢٥٣ - * روى الترمذي عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي رضي الله عنه أنْ رسولَ الله ﷺ قال : « لا تزولُ قَدمَا عبدٍ يومَ القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع : عن عُمُره فيما أفناه ؟ وعن عِلْمِهِ ما عَمِل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيما أبلاه ؟ » .

١٢٥٤ - * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال : « لا تزول قدمَا ابْنِ آدمَ يومَ القيامة من عند ربه ، حتى يُسْألَ عن خمس : عن عُمُرِهِ فيما أفناه ؟ وعن شبابِهِ فيما أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ؟ وماذا عَمِلَ فيما عَلِمَ ؟ » .

---

(١) الأنبياء : ٤٧ .

١٢٥٢ - مسلم (٤ / ١٩٩٧) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ، ١٥ - باب تحريم الظلم .
والترمذي (٤ / ٦١٣) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٢ - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

١٢٥٣ - الترمذي (٤ / ٦١٢) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١ - باب في القيامة . وقال : حديث حسن صحيح ، وهو كما قال.

١٢٥٤ - الترمذي (٤ / ٦١٢) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١ - باب في القيامة .
وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن ؛ يشهد له الذي قبله .

١٢٥٥ ـ * روى أحمد عن عقبةَ بنِ عامر قال قال رسول الله ﷺ : « أولُ خصمين يوم القيامة جارانِ » .

١٢٥٦ ـ * روى الطبراني عن عبدِ الله بن عمروٍ عن النبي ﷺ قال : « تجتمعون يوم القيامة فيقال أين فقراءُ هذه الأمةِ ومساكينُها ؟ فيقومون ، فيقول : ماذا عملتم ؟ فيقولون ربنا ابتليتنا فصَبَرْنا ووليْتَ الأمورَ والسلطانَ غيرَنا فيقول الله جل ذكره صدقتم ـ أو نحو هذا ـ فيدخلون الجنة قبل الناس بزمان ويبقى شِدةُ الحساب على ذوي الأمورِ والسلطان » قالوا : فأين المؤمنون يومئذ . قال : « يُوضَعُ لهم منابرُ من نورٍ يظلَّلُ عليهم الغمامُ يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعةٍ من نهار » .

١٢٥٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رجل : يارسولَ الله ، أنؤاخذُ بما عمِلْناه في الجاهلية ؟ قال : « مَنْ أحسنَ في الإسلامِ لم يُؤاخَذْ بما عَمِل في الجاهلية ، وَمَن أساء في الإسلام أُخِذ بالأولِ والآخِرِ » .

قال النووي :

أما معنى الحديث فالصحيح فيه ماقاله جماعة من المحققين أن المراد بالإحسان هنا الدخول في الإسلام بالظاهر والباطن جميعًا وأن يكون مسلمًا حقيقيًا فهذا يغفر له ماسلف في الكفر بنص القرآن العزيز والحديث الصحيح الإسلام يهدم ماقبله وبإجماع المسلمين والمراد بالإساءة عدم الدخول في الإسلام بقلبه بل يكون منقادًا في الظاهر مظهرًا للشهادتين غير معتقد للإسلام بقلبه فهذا منافق باق على كفره بإجماع المسلمين فيؤاخذ بما عمل في الجاهلية قبل إظهار صورة الإسلام وبما عمل بعد إظهارها لأنه مستمر على كفره وهذا معروف في استعمال الشرع يقولون حسن إسلام فلان إذا دخل فيه حقيقة بإخلاص وساء إسلامه أو لم يحسن إسلامه إذا لم يكن كذلك والله أعلم ا . هـ (شرح النووي على مسلم) .

١٢٥٥ ـ أحمد (٤ / ١٥١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٩) . وقال : رواه أحمد بإسناد حسن .

١٢٥٦ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٧) . وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي كثير الزبيدي وهو ثقة .

١٢٥٧ ـ البخاري (١٢ / ٢٦٥) ٨٨ ـ كتاب استتابة المرتدين ، ١ ـ باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة .

مسلم (١ / ١١١) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٥٣ ـ باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية ؟

١٢٥٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « أولُ ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء ».

وللنسائي (١) : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « أوَّلُ مايُحَاسبُ عليه العبد : الصلاةُ ، وأولُ مايُقْضَى بين الناس : في الدماء ».

١٢٥٩ - * روى الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « قال الرب عز وجل : يُؤتَى بحسناتِ العبدِ وسيئاته يومَ القيامة فَيَقِيضُ بعضُها ببعض فإن بقيتْ حسنةٌ واحدةٌ أدخلَه الله الجنةَ » . قال : قلت : فإن لم يبقَ ؟ قال: « ﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسنَ مَاعَمِلوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ﴾ » : قال قلت : أرأيتَ قوله : ﴿ فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قُرَّةِ أعين ﴾ . قال : « هو العبدُ يَعْمَلُ السِّرَّ أَسَرَّهُ الله له يومَ القيامة فيرى قُرَةَ أعينٍ ».

١٢٦٠ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كُنَّا عندَ رسولِ الله ﷺ ، فَضَحِكَ ، فقال : « هَلْ تَدرون مِمَّ أضحك ؟ ».قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « مِنْ مخاطبة العبدِ رَبّه ، فيقول : يارب ألم تُجِرْني من الظلم ؟ » قال « يقول بلى، فيقول : فإني لا أجيزُ اليوم على نفسي شاهدًا إلا مني ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا ، والكرامِ الكاتبين شهودًا » قالَ « فيُخْتَم على فيه ، ويقال لأركانه : انطِقي ، فَتَنْطِقُ بأعماله ، ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعدًا

١٢٥٨ - البخاري (١٢ / ١٨٧) ٨٧ - كتاب الديات ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ﴾ .

مسلم (٣ / ١٣٠٤) ٢٨ - كتاب القسامة ، ٨ - باب المجازاة بالدماء في الآخرة .

والترمذي (٤ / ١٧) ١٤ - كتاب الديات ، ٨ - باب الحكم في الدماء .

والنسائي (٧ / ٨٣) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ، ٢ - باب تعظيم الدم .

(١) النسائي (٧ / ٨٣) الموضع السابق .

١٢٥٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٧) . وقال : رواه الطبراني وإسناده جيد .

(يقيضُ) : قايضه مُقايَضَة بادله بمتاع .

١٢٦٠ - مسلم (٤ / ٢٢٨٠) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ، الحديث السابع عشر .

(لا أجيز اليوم) : أي : لا أمضي ولا أقبل عليَّ شاهدا .

=

لَكُنَّ وسُحْقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ » .

١٢٦١ - * روى أحمد عن عبد الله بن أنيس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « يَحْشُرُ اللهُ العبادَ يومَ القيامة » أو قال : « الناسَ عُراةً غُرلاً بُهْمًا » .قال قلنا : ومابهما ؟ قال : « ليس معهم شيءٌ ثم يُناديهم بصوتٍ يَسْمعُه مَنْ بَعُدَ كما يسمعُه من قَرُبَ أنا الديانُ أنا المَلِك ، لا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أن يدخُلَ النارَ وله عند أحد من أهلِ الجنة حقٌّ حتى أُقِصَّهُ منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخُلَ الجنةَ ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أُقِصَّه منه حتى اللطمةُ » قال : قلنا كيف : وإنما نأتي عراةً غرلا بُهْمًا قال : « الحسنات والسيئات » .

١٢٦٢ - * روى أحمد عن حُرَيثِ بن قَبِيْصَةَ قال : قدمتُ المدينةَ ، فقلت : اللهم يسِّر لي جليسًا صالحًا ، قال : فجلستُ إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، فقلت : إني سألتُ اللهَ أن يرزقَني جليسًا صالحًا ، فحدِّثني بحديثٍ سمعتَه من رسولِ الله ﷺ ، لعلَّ الله أن ينفعَني به ، فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ أولَ مايُحاسَبُ به العبد يوم القيامة من عَمَلِه : صَلاتُهُ ، فإن صَلَحَتْ، فقد أفلح وأنْجَح ، وإن فَسَدَتْ ، فقد خاب وخسر ، فإن انتقَص من فريضته شيئًا ، قال الربُّ تبارك وتعالى : انظروا ، هَلْ لعبدي من تَطوعٍ ؟ فيكمل بها ماانتقصَ من الفريضة ، ثم يكون سائرُ عملِه على ذلك » .

= (المناضلة) : النضال في السهام : أن ترمي أنت ورامٍ آخر ، يطلب كل منكما غَلَبَة صاحبه . والمراد به هاهنا : المجادلة والمخاصمة .

١٢٦١ - أحمد (٣ / ٤٩٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥١) . وقال : هو عند أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن .

(أُقِصَّه) : أَقْتَصّ له .

١٢٦٢ - أحمد (٤ / ١٠٣) وهو حديث صحيح بشواهده .

والترمذي (٢ / ٢٦٩) أبواب الصلاة ، ٢٠٥ - باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاةُ .

وقال : حسن غريب .

والنسائي (١ / ٤٦٤) ٥ - كتاب الصلاة ، ٩ - باب المحاسبة على الصلاة .

واسم الراوي حريث بن قبيصة ويقال : قبيصة بن حريث ، والثاني أشهر .

وفي أخرى [1] عن أبي هريرة بمعناه أخصر منه .

١٢٦٣ - * روى أبو داود عن تميم الداري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بهذا المعنى قال : « ثم الزكاة مثل ذلك ، ثم تُؤخَذُ الأعمالُ على حَسَب ذلك » .

١٢٦٤ - * روى الطبراني عن أبي الدرداء قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « لو غُفِرَ لكم ماتأتون إلى البهائم لغفر لكم كثير » .

١٢٦٥ - * روى أحمد عن عقبةَ بنِ عامرٍ انه سمع النبي ﷺ يقول « إن أولَ عظمٍ من الإنسان يتكلمُ يوم يُختَمُ على الأفواه فَخِذُه من الرِّجْلِ الشمال » .

١٢٦٦ - * روى أحمد عن معاويةَ بن حَيدةَ قال : أتيتُ النبي ﷺ عليه وسلم فقال : « مالي آخُذُ بحُجَزِكم عن النارِ ألا إنَّ ربي عزَّ وجلَّ داعيَّ وإنه سائِلي هل بلَّغْتَ عبادي ، وإني قائلٌ ربِّ إني قد بَلَّغْتُهم فليبلِّغِ الشاهدُ منكم الغائبَ ثم إنكم مدعُوون مُقَدَّمَةً أفواهكم بالفِدام ، إن أولَ مايبينُ عن أحَدِكم لَفخِذُه وكفُّه » قلت يانبي الله : هذا ديننا قال : « هذا دينكم وأينما تُحسِنْ يَكْفِك » .

١٢٦٧ - * روى أحمد عن أبي عسيب قال : خرجَ رسول الله ﷺ يومًا فمر بي فدعاني فخرجتُ إليه ، ثم مرَّ بأبي بكرٍ رَحِمه اللهُ فدعاه فخرجَ إليه ، ثم مر بعمرَ فدعاه فخرجَ إليه

---

(١) النسائي (١ / ٢٣٢) ٥ - كتاب الصلاة ، ٩ - باب المحاسبة على الصلاة .

١٢٦٣ - أبو داود (١ / ٢٢٩) كتاب الصلاة ، باب قول النبي ﷺ : « كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه » .

١٢٦٤ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٧) . وقال : رواه الطبراني وإسناده جيد .

١٢٦٥ - أحمد (٤ / ١٥١) .

والمعجم الكبير (١٧ / ٣٣٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥١) . وقال : رواه أحمد في حديث طويل ورجاله ثقات .

١٢٦٦ - أحمد (٥ / ٤ ، ٥) بلفظ : « مالي أمسك بحجزكم ... » .

(الفدام) : ما يشد على فم الإبريق أو الكوز من خرقة لتصفية الشراب ، أي أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥١) . وقال : رواه أحمد في حديث طويل ورجاله ثقات .

١٢٦٧ - أحمد (٥ / ٨١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦٧) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

=

فَانطلقَ حتى دخلَ حائطًا لبعضِ الأنصارِ ، فقال لصاحب الحائط « أطْعِمْنا » فجاء بِعِذْقٍ فوضَعَه فأكلَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه ثم دعا بماءٍ باردٍ فشربَ فقال : « لَتُسْأَلُن عن هذا يومَ القيامةِ » قال : فأخذَ عُمَرُ العِذْقَ فضَربَ به الأرضَ حتى تناثر البُسْرُ قِبَلَ رسولِ الله ﷺ ثم قالَ يارسولَ الله إنا لمسئولون عن هذا يومَ القيامة ؟ قال : « نعم إلا من ثلاث : خِرْقَةٍ كَفَّ بها عورتَه أو كِسرةٍ سَدَّ بها جَوْعَتَه أو جُحْرٍ يَنْدخِلُ فيه من الحرِّ والقرِّ » .

١٢٦٨ ـ * روى أبو يعلى عن أم سلمةَ زوجِ النبي ﷺ قالتْ : كان النبي ﷺ في بيتي وكان بيده سِواكٌ فدعَا وصيفةً له ـ أولها ـ حتى استبانَ الغضبُ في وجههِ فخرجتْ أم سلمةَ إلى الحُجُراتِ فوجدتِ الوصيفةَ وهي تلعب بِبَهْمَةٍ فقالتْ ألا أراكِ تلعبين بهذه البَهْمَةِ ورسول الله ﷺ يدعوك فقالتْ لا والذي بعثَك بالحق ماسمعتُكَ : فقال رسول الله ﷺ « لولا خَشيةُ القَوَدِ لأوجَعْتُكِ بهذا السِّواكِ » ، وفي رواية : « لولا القِصاصُ لضربْتُكِ بهذا السواك » ، وفي رواية : « لولا مخافةُ القِصاصِ لأوجَعْتُكِ بهذا السَّوطِ » .

١٢٦٩ ـ * روى البزار عن أبي هريرةَ قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « من ضَربَ سَوطًا ظلمًا اقْتُصَّ منه يوم القيامة » .

١٢٧٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله

= (الحائط) : البستان .

(العِذْقُ) : العُرْجُون بما فيه من التمر .

(البُسْر) : التمر قبل أن يكون رُطَباً .

١٢٦٨ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٣) . وقال : روى هذا كله أبو يعلى والطبراني بنحوه ، وقال : دعا وصيفة له ولم يشك ، وقال : لولا مخافة القود يوم القيامة ، وإسناده جيد عند أبي يعلى والطبراني .

(بَهْمَة) : هيَ وَلَدُ الضأن ذكرًا كان أو أنثى .

١٢٦٩ ـ كشف الأستار (٤ / ١٦٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٣) . وقال : رواه البزّار والطبراني في الأوسط ، واسنادهما حسن .

١٢٧٠ ـ البخاري (١١ / ٤٠٠) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤٩ ـ باب من نوقش الحساب عُذِّبَ .

مسلم (٢ / ٧٠٣) ١٢ ـ كتاب الزكاة ، ٢٠ ـ باب الحث على الصدقة ، ولو بشق تمرة ... إلخ .

والترمذي (٤ / ٦١١) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ١ ـ باب في القيامة . وقال : حديث حسن صحيح .

وابن ماجه (١ / ٦٦) المقدمة ، ١٣ ـ باب فيما أنكرت الجهمية . =

ﷺ : « مامنكم منْ أحدٍ إلا سَيكَلِّمُهُ ربُّه ، ليس بينه وبينـه تَرْجُمان ، فَيَنْظُرُ أيمن منه ، فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ ، ويَنْظُرُ أشْأَمَ منه ، فلا يرى إلا مـا قَـدَّم وينظر بين يديـه ، فلا يرى إلا النـارَ تلْقَـاءَ وَجْهـه ، فَـاتَّقُوا النَّـار ولو بِشِقِّ تَمرةٍ » . زاد في رواية (١) : « فمن لم يجد فبِكلِمَة طَيِّبةٍ » .

١٢٧١ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عمرو بنِ العـاصِ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قـال : « إن الله سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أمتي على رؤوس الخلائـقِ يـومَ القيـامـةِ ، فَيَنْشُرُ له تسعـةً وتسعين سِجِلا ، كلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَـدِّ البَصَرِ ، ثم يقولُ : أتُنْكِرُ من هـذا شيئًـا ؟ أظلَمَـكَ كتبتي الحـافظون ؟ فيقول : لا ، يـاربِّ ، فيقول : أفَلَـكَ عُذْرٌ ؟ فيقول : لا ، يارب ، فيقول الله تعالى : بَلَى إنَّ لَكَ عِنْدَنا حسنةً ، فـإنـه لا ظُلْمَ اليومَ ، فَتَخْرُجُ بِطاقـةٌ فيهـا : أشْهَـدُ أن لا إلـه إلا الله ، وأشهـد أن محمـدًا عبدُه ورسوله ، فيقول : احضرْ وَزنَك ، فيقول : ياربِّ ماهذه البطـاقـة مع هـذه السجلاتِ ؟ فيقول : فإنـك لا تُظْلَمُ ، فَتُوضَعُ السجلاتُ في كِفَّـةٍ ، والبطـاقـة في كِفةٍ ، فطاشت السِّجلاتُ ، وثَقُلَتِ البطاقةُ ، ولا يَثْقُلُ مع اسم اللهِ شيءٌ » .

* * *

= (تَرْجُمان) الترجمان : ناقل الكلام من لغة إلى لغة .

(أيمنَ منه وأشأم منه) : يعني عن يمينه وشماله ، واليد اليسرى تسمّى : الشُّؤمَى .

(١) البخاري الموضع السابق ، ومسلم : الموضع السابق .

١٢٧١ - الترمذي (٥ / ٢٤) ٤١ - كتاب الإيمان ، ١٧ - بـاب مـا جـاء فيمن يموت وهو يشهـد أن لا إلـه إلا الله .

وقال : حسن غريب .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٧) ٢٧ - كتاب الزهد ، ٣٥ - باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة .

(سجل) : السجلُّ : الكتاب الكبير .

(بطاقة) : البطاقة : رقيعة صغيرة ، وهي ما تجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه .

(طاشت) : خفَّت .

الفقرة الثامنة

في :

الصّراط

عرض إجمالي

- بعد الحساب والميزان تقرر النتيجة ويكون الحشر إلى أرض أخرى قبل جهنم ، وهناك تبدل أرضنا هذه أرضًا أخرى وتبدلُ السمٰوات ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ [1] ، فهذا تبدل آخر للأرض كائن ، والناس في الظلمة دون الصّراط .

- والنّار مظلمة ، والصّراط مظلم ، وهذه الأرض مظلمة ، وإنما ينير لكل إنسان نوره الذي اكتسبه بالإيمان والعمل الصالح .

- ويفزع أهل الإيمان إلى الأنبياء ليؤذن للناس بالمرور على الصراط فيعتذرون إلا محمدًا ﷺ فَيشْفَعُ ويُشَفَّعُ ويكون هو وأمته أول من يجوز على الصراط وهذا الجواز هو الذي فسر فيه بعضهم قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًّا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًّا ﴾ [2] .

- ويمر الناس على الصراط بسرعات مختلفة وأنوار مختلفة ، والمنافقون لا نور لهم قال تعالى :

﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانيُّ حتى جاء أمر

---

(١) إبراهيم : ٤٨ .

(٢) مريم : ٧١ ، ٧٢ .

الله وغركم بالله الغَرور ﴿ فاليوم لا يُؤخذ منكم فديةٌ ولا من الذين كفروا مأواكم النـار هي مولاكم وبئس المصير ﴾ [١] ، ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾ [٢] .

ـ ولهول المرور على الصراط يقول الأنبياء وتقول الملائكة : اللهم سلم سلم .

ـ وعلى ضوء نتيجة الحساب والميزان تـدقـق المـلائكـة بـأحـوال المـارين ، وقـد ورد في حـديث صحيح أنـه يحبس المؤمنون في قنطرة بين الجنـة والنـار ليقتص من بعضهم لبعض ، وقد فهم بعضهم أن على الصراط قناطر يدقق في كل قنطرة على نوع من الأعمال .

ـ ثم الناس بعد تجاوز قناطر الصراط على نوعين : نوع تساوت حسناتهم وسيئـاتهم فهؤلاء أهل الأعراف ، وهو سور بين النـار والجنـة ونوع يكون من أهل الجنـان ومن هنـاك تبـدأ مناشدة أهل الجنة ربهم بإخوانهم المؤمنين الذين أدخلوا النار ، ولرسولنـا ﷺ في هـذا المقـام شفاعات : منها الشفاعة بدخول الجنـة ، فيكون هو وأمتـه أول الـداخلين ، ومنهـا شفـاعتـه لبعض أهل الإيمـان من أهل النـار . وللأنبيـاء في ذلـك المقـام شفـاعـات بـأفراد من أممهم ، وللأطفال شفاعات بآبائهم وأمهاتهم ، وللعلماء شفاعات بأصحابهم ، وللمؤمنين شفاعـات بإخوانهم.

ـ وقد ورد في وصف الصراط نصوص يحتمل بعضهـا المجـاز ، ولكن الأصل هو الحمل على الظاهر والتسليم حتى يقع : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بـالحق فهل لنـا من شفعـاء فيشفعوا لنـا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون ﴾ [٣] .

ـ ومما يُخَفِّفُ على المؤمن هـول المرور على الصراط مـلازمتـه المسـاجـد ، والإحسـان في الصدقة ، وإقالة المسلم بمصيبته وعثرته ، وتيسير الإنسان ماعسر على غيره ، وإعانة العبـاد في حاجاتهم والمشي في قضاء مهماتهم وحماية المؤمن من المنافقين .

---

(١) الحديد : ١٢ ـ ١٥ .
(٢) التحريم : ٨ .
(٣) الأعراف : ٥٣ .

ـ وبعد أن يُنقّى أهل الإيمان ولم يبق إلا دخول الجنة يعطيهم الله خَلْقَهُمْ الذي قدره لهم في الجنة كطول آدم وعَرضه ويعطيهم شبابًا وحُسنًا ونضارةً .

ـ وإذا كان أهل الإيمان يمرُّون على الصراط ، وبعض العصاة منهم يتساقطون في النـار ، فإن أهل النفـاق لا يعبرون على الصراط أصلاً على قول للعلمـاء ، وبعض العلمـاء يقول : إن السور الـذي يضرب بينهم وبين أهـل الإيمـان يكـون في آخر الصراط أو في مكانٍ مـا منـه ، وعلى هـذا القـول فـإن أهـل النفـاق يمرُّون على الصراط أو على بعضـه ، ولكنهم لا نـور لهم فيسقطون في جهنم وعلى القول بأن السور يضرب بينهم وبين أهل الإيمان قَبْل الصراط فـإن حالهم حال الكافرين الذين يُذهب بهم إلى النار ، وقـد رأينـا بعض النصوص التي تُفَصّل فيما يجري لأهل النار وعليهم ، والظاهر أنه بعد الحساب والميزان يُخْرِجُ آدم بَعْثَ النار ، ويخرج عنق من النار ، فيأخذ أصنافًا من الناس إلى النار ، وكما أنه لا يوجد شيء في هذا الكون إلا على غاية النظام والترتيب والانضباط فكذلك الحال في اليوم الآخر كل شيء بترتيب ونظـام وانضباط .

ـ والنصوص الواردة في الصراط كثيرة تمر بمنـاسبـات متعـددة وهـذه بعض الروايـات في ذلك :

النصوص

١٢٧٢ - * روى أحمد عن أبي سعيد قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يُوضَعُ الصِّراطُ بَيْنَ ظَهْرانَيْ جَهَنَّمَ . عَلَى حَسَكٍ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ . ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ . فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوجٌ بِهِ . ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ بِهِ . وَمَنْكُوسٌ فِيهَا » .

١٢٧٣ - * روى أحمد عن أبي بكرةَ عن النبي ﷺ قال : « يُحمَلُ الناسُ على الصراط يوم القيامة فتتقادَعُ بهم جَنْبَتَا الصراطِ تَقادُعَ الفَراشِ في النارِ ، فَينجِّي الله تعالى برحمته من يشاء » قال : « ثم يُؤذَنُ للملائكةِ والنبيينَ والشهداء أن يشفعوا فَيَشفَعون ويُخرِجون فيشفعون ويُخرِجون » زادَ عَفَّانُ « مرة ويشفعون ويُخرِجون من كان في قلبه ما يزِنُ ذرةً من إيمان » .

أقول : الملاحظ أن هذا الحديث يذكر أن للصراط جنبتين وهذا يرجح تأويل ماورد في وصف الصراط بأنه كحد السيف ، بأن المراد بذلك صعوبة المرور عليه وأن المرور عليه مخيف وقد ذهب بعضهم إلى أن صراط كل إنسان على حسب حاله .

١٢٧٢ - أحمد (٣ / ١١) .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٠) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٣ - باب ذكر البعث . وهو صحيح .

وروى مسلم نحوه (١ / ١٦٤) ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريقة الرؤية .

(حسك) : جمع حَسَكة . نبات تعلّق بصوف الغنم . ورقة كورق الرِّجلة وادق . وعند ورقه شوك مُلَزَّ صُلْبٌ ذو ثلاث شُعَب ا هـ قاموس .

(السعدان) : نبت ذو شوك ، وهو من جيّد مراعي الإبل تسمن عليه .

(فناج مسلّم إلخ) : أي يكونون على أنحاء : فبعضهم مسلّمون من آفته . وبعضهم مخدوجون أي ناقصون من خلقتهم . وبعضهم منكوس أي يلقى في النار على رأسه .

١٢٧٣ - أحمد (٥ / ٤٣) .

والروض الداني (٢ / ١٤٢) .

وكشف الأستار (٤ / ١٧١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٩) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الصغير والكبير بنحوه ، ورواه البزار أيضاً ورجاله رجال الصحيح .

(تتقادع) : أي تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض .

١٢٧٤ - * روى الترمذي عن مجاهد بن جبر قال : قال ابنُ عباس : أتدرون ماسَعةَ جهنمَ ؟ قلت : لا ، قال : أجَلْ والله ماتدري ، حدَّثتني عائشةُ : أنها سألت رسولَ الله ﷺ عن قول الله تعالى : ﴿ والأرضُ جميعًا قَبْضَتُهُ يومَ القيامةِ والسمواتُ مطويِاتٌ بيمينه ﴾[الزمر : ٦٧] قالت : قلتُ : فأين الناسُ يومئذٍ يارسولَ الله ؟ قال : « على جِسرِ جهنم » .

أقول : ورد في حديث آخر : « في الظلمة دون الجسر » والجمع بينهما أن يكون بعضهم قد بدأ الجواز على الصراط وبعضهم ينتظر .

١٢٧٥ - * روى الترمذي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « شِعار المؤمنين على الصراط يوم القيامة : ربِّ سَلِّم سَلِّمْ » .

١٢٧٦ - * روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَخلُصُ المؤمنون من النارِ ، فَيُحْبَسُون على قَنطرة بينَ الجنة والنار ، فيُقتَصُّ لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا ، أُذِنَ لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لأحَدُهُمْ أهدَى بمنزلهِ في الجنة منه بمنزلهِ كان في الدنيا » .

١٢٧٧ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي أمامةَ قال : قالَ رسول الله ﷺ : « يجيءُ الظالمُ يومَ القيامةِ حتى إذا كان على جسرِ جهنم بين الظُّلْمةِ والوَعْرَةِ لقيه المظلوم فعَرفَه وعرفَ ماظَلَمَهُ به فما يَبْرَحُ الذين ظُلِموا يقصون من الذين ظَلَموا حتى ينزعوا مافي أيديهم من الحسناتِ فإن لم تكن لهم حسناتٌ رد عليهم من سيئاتهم حتى يُورَدَ الدَّرْكَ الأسْفَلَ من النار » .

١٢٧٤ - الترمذي (٥ / ٣٧٢) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٤١ - باب ومن سورة الزمر .
وقال : حديث حسن صحيح غريب .

١٢٧٥ - الترمذي (٤ / ٦٢١) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٩ - باب ما جاء في شأن الصور .
وقال : هذا حديث غريب . وهو حديث حسن بشواهده .

١٢٧٦ - البخاري (١١ / ٣٩٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٨ - باب القصاص يوم القيامة .

١٢٧٧ - ومجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٤) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله وثقوا .

١٣٣٥

فائدة :

قال ابن كثير في النهاية بمناسبة الكلام عن الصراط :

ثم ينتهي الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف ، إلى الظلمة التي دون الصراط وهي على جسر جهنم كما تقدم عن عائشة : أن رسول الله ﷺ سئل أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال : « هم في الظلمة دون الجسر » .

وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلفون عنهم ، ويسبقهم المؤمنون ، ويحال بينهم وبينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم كما قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [1] .

وقال تعالى :

﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] .

وعن عبيد بن عمير ، أنه كان يقول : أيها الناس إنه جسر مجسور ، أعلاه دحض مزلة ، والملائكة على جنبات الجسر يقولون : رب سلم قال : وإن الصراط مثل السيف على جسر جهنم ، وإن عليه كلاليب وحسكًا ، والذي نفسي بيده ، إنه ليؤخذ بالكلاب الواحد أكثر من ربيعة ومضر .

---

(١) الحديد : ١٢ ـ ١٥ .
(٢) التحريم : ٨ .

1336

وعن سعيد بن أبي هلال قال :

بلغنا أن الصراط يوم القيامة وهو على الجسر يكون على بعض النـاس أدق من الشعر ، وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع . رواه ابن أبي الدنيا . اهـ (النهاية في الفتن) .

* * *

الفقرة التاسعة

في :

الشفاعات

ـ الشفاعة سؤال الخير للغير وهي تكون يوم القيامة من الأنبياء والملائكة والعلماء العاملين والشهداء والصالحين والمؤمنين وأولاد المؤمنين والمؤمنات ممن مات صغيرًا ، وتشفع بعض الأعمال فيشفع القرآن ويشفع الصيام .

ـ والشفاعة عند الله لا تكون إلا بإذنه ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [١] ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [٢] .

ـ ومن أعظم شفاعات رسول الله ﷺ شفاعته لفصل القضاء ثم شفاعته لعبور الصراط ثم شفاعته لدخول الجنة ومن شفاعاته عليه الصلاة والسلام شفاعته في قوم يدخلهم الجنة بغير حساب ، ومنها شفاعته في قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ألا يعذبوا ، ومنها الشفاعة في إخراج عصاة المؤمنين من النار ، ومنها شفاعته عليه الصلاة والسلام لأقوام أن ترفع درجاتهم في الجنة .

ـ ومن الأسباب في أن ينال العبد المؤمن شفاعته عليه الصلاة والسلام : الدعاء عقب الأذان ، وسؤال الوسيلة والمقام المحمود لرسول الله ﷺ . ومن أسباب الشفاعة الموت في أحد الحرمين ، ومن أسبابها كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ .

ـ قال تعالى : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ [٣] دلت الآية بمفهومها على أن غير الكافرين تنفعهم شفاعة الشافعين من رسل وأنبياء وملائكة وصديقين وشهداء وصالحين وآخرين من أهل الإيمان ، وقد مرت معنا نصوص في الشفاعة وستمر معنا نصوص في سياقات أخرى .

---

(١) البقرة : ٢٥٥ .
(٢) الأنبياء : ٢٨ .
(٣) المدثر : ٤٨ .

قال ابن كثير في النهاية ذاكرا أنواع شفاعاته عليه الصلاة والسلام :

فالنوع الأول منها : شفاعته الأولى . وهي العظمى : الخاصة به ، من بين سائر إخوانه ، من المؤمنين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وهي التي يرغب إليه فيها الخلق كلهم . حتى الخليل إبراهيم وموسى الكليم . ويتوسل الناس إلى آدم ، فمن بعده من المرسلين ، فكل يحيد عندها . ويقول : لست بصاحبها . حتى ينتهي الأمر إلى سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة . محمد رسول الله ﷺ دائمًا . فيقول : « أنا لها . أنا لها » فيذهب ، فيشفع عند الله عز وجل في أن يأتي للفصل بين عباده ، ويريحهم من مقامهم ذلك . ويميز بين مؤمنهم وكافرهم ، بمجازاة المؤمنين بالجنة . والكافرين بالنار .

النوع الثاني والثالث من الشفاعة : شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة . وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار ، أن لا يدخلوا .

النوع الرابع من الشفاعة : شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها ، فوق ماكان يقتضية ثواب أعمالهم .

وقد ذكر القاضي عياض وغيره نوعًا آخر من الشفاعة . وهو : الخامس : في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ، ولم أر لهذا شاهدًا فيما علمت ، ولم يذكر القاضي فيما رأيت مستند ذلك ، ثم تذكرت حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله ﷺ ، أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب والحديث مخرج في الصحيحين ، كما تقدم ، وهو يناسب هذا المقام .

وذكر أبو عبد الله القرطبي في التذكرة :

نوعًا آخر سادسًا من الشفاعة : وهو شفاعته في عمه أبي طالب ، أن يخفف عذابه ...

واستشهد بحديث أبي سعيد في صحيح مسلم : أن رسول الله ﷺ ذكر عنده أبو طالب فقال :

« لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من نار ، يبلغ كعبيه ، يغلي منه دماغه » .

ثم قال : فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [1] .

قيل له : لا تنفعه في الخروج من النار ، كما تنفع عصاة الموحدين . الذين يخرجون منها ، ويدخلون الجنة .

النوع السابع من الشفاعة : شفاعته ﷺ لجميع المؤمنين قاطبة ، في أن يؤذن لهم في دخول الجنة .

النوع الثامن من الشفاعة : شفاعته في أهل الكبائر من أمة محمد ممن دخل النار ، فيخرجون منها وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث . اهـ (النهاية في الفتن) .

أقول : والتحقيق أنها عشر شفاعات : فهناك شفاعة فصل الخطاب ، وهناك الشفاعة لجواز الصراط وهناك الشفاعة لدخول الجنة ، وفي كل من هذه الشفاعات الثلاث يفزع الناس إلى آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، ثم يؤول الأمر إلى أن يشفع محمد ﷺ ولم يذكر في كلام ابن كثير الشفاعة لجواز الصراط والشفاعة لدخول الجنة مع أن الرسول ﷺ يذكر أن الناس يفزعون إليه ثلاث فزعات يوم القيامة ، ولغموض هذا المقام فإنه يلتبس على البعض حمل بعض النصوص على محاملها الصحيحة وقد مرت معنا من قبل نصوص كثيرة في الشفاعة وفيما يأتي نذكر بعض النصوص :

---

(١) المدثر : ٤٨ .

النصوص

١٢٧٨ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أنا سيدُ ولدِ آدمَ يَومَ القيامة ، ولا فخرَ ، وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخرَ ، ومامن نبي يؤمئذ - آدمُ فمن سواه - إلا تحت لوائي ، وأنا أولُ من تنشقّ عنه الأرضُ ولا فخر » قال : « فيفزع الناس ثلاث فَزَعات ، فيأتون آدمَ ، فيقولون: أنت أبونا آدم ، فاشفعْ لنا إلى ربك ، فيقول : إني أذنبتُ ذنبًا فأُهبطتُ به إلى الأرض ، ولكن ائتوا نوحًا ، فيأتون نوحًا ، فيقول : إني دعَوْتُ على أهل الأرض دعوةً فأُهلكوا ، ولكن اذهبوا إلى إبراهيمَ ، فيأتون إبراهيمَ ، فيقول : إني كذبتُ ثلاث كَذِبات » ، ثم قال رسولُ الله ﷺ : « مامنها كَذْبَةٌ إلا مَاحلَ بها عن دين الله ، ولكن ائتوا موسى ، فيأتون موسى ، فيقولُ : قد قتلتُ نَفْسًا ، ولكن ائتوا عيسى ، فيأُتون عيسى ، فيقولُ : إني عُبِدْتُ من دون الله ، ولكن ائتوا محمدًا ﷺ ، فيأتوني ، فأنطلقُ معهم » . قال ابن جُدْعان : قال أنسٌ : فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ ، قال : « فآخُذُ بحَلْقَةِ بابِ الجنة ، فأُقَعْقِعُها ، فيقال : مَنْ هذا ؟ فيقال : محمدٌ ، فيفتحون لي ويُرَحِّبون ، فيقولون : مَرْحَبًا ، فأخِرُّ ساجدًا ، فيُلْهِمُني الله من الثناء والحمد ، فيقال لي : ارفع رأسَك ، سَلْ تُعْطَ ، واشفع تُشَفَّع ، وقل يُسمَع لقولك ، وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثَكَ ربُّك مقامًا محمودًا ﴾ [1] » قال سفيان : ليس عن أنس إلا هذه الكلمة : « فآخُذُ بحلْقة باب الجنة فأُقَعْقِعُها » .

أقول : تحدث عليه الصلاة والسلام عن الفزعات الثلاث ثم اختصر ، فَفَصَّل في الفزعة الأخيرة وهي الفزعة لدخول الجنة والفزعة الأولى لفصل القضاء والفزعة الثانية لعبور الصراط.

١٢٧٨ - الترمذي (٥ / ٣٠٨) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ١٨ - باب ومن سورة بني إسرائيل (الإسراء) .

وقال : هذا حديث حسن . قال محقق الجامع : وهو كا قال .

(فيفزَع) : فزِعْتَ إلى فلان : إذا لجأتَ إليه ، واعتمدتَ عليه .

(مَاحَلَ) : المماحلة : المخاصمة والمجادلة .

(١) الإسراء : ٧٩ .

١٢٧٩ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « كلُّ نبي سأل سؤالاً » - أو قال : « لكل نبيٍّ دعوةٌ قد دعاها لأمته - وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

ولمسلم قال [١] قال رسول الله ﷺ : « أنا أولُ الناس يَشْفَع في الجنةِ ، وأنا أكثرُ الأنبياء تَبَعًا يومَ القيامة ، وأنا أولُ مَن يَقْرَعُ بابَ الجنةِ » .

١٢٨٠ - * روى مسلم عن حذيفة بن اليمان ، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسولُ الله ﷺ : « يجمعُ اللهُ تبارك وتعالى الناسَ ، فيقوم المؤمنون حتى تُزلفَ لهم الجنةُ ، فيأتون آدمَ ، فيقولون : ياأبانا ، استفتح لنا الجنةَ فيقولُ : وهل أخرجَكم من الجنةِ إلا خطيئةُ أبيكم ؟ لستُ بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى ابني إبراهيمَ خليلِ الله » قال : « فيقول إبراهيمُ : لست بصاحب ذلك ، إنما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ ، اعمِدُوا إلى موسى الذي كلمه تكليمًا » قال : « فيأتون موسى ، فيقول : لستُ بصاحبِ ذلك ، اذهبوا إلى عيسى كلمةِ الله وروحِه ، فيقولُ عيسى : لست بصاحبِ ذلك ، فيأتون محمدًا ﷺ ، فيقوم فيؤذن له ، وترسلُ الأمانةُ والرَّحِم ، فتقومان جَنْبَتَي الصراط يمينًا وشمالاً ، فيمرُّ أَوَّلكم كالبرق » ، قال : قلتُ بأبي وأمي : أيُّ شيء كالبرق ، قال : « ألمْ تروا إلى البرق كيف يَمُرُّ ويرجع في طرفةِ عين ؟ كمرِّ الريح ، ثم كمرِّ الطير ، وشدِّ الرِّجال ، تجري بهم أعمالهم ، ونبيُّكم قائم على الصراط ، يقول : ربِّ سَلم سَلم ، حتى تعجزَ أعمالُ العبادِ ، حتى يجيء الرجلُ فلا يستطيعُ السيرَ إلا زحفًا » .

أقول : مَرَّ معنا أن الناس يفزعون إلى رسول الله ﷺ ثلاث فزعات وله في كل منها

١٢٧٩ - البخاري (١١ / ٩٦) ٨٠ - كتاب الدعوات ، ١ - باب لكل نبي دعوة مستجابة .

مسلم (١ / ١٨٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٦ - باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته .

(١) مسلم (١ / ١٨٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٥ - باب في قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع .... » .

١٢٨٠ - مسلم (١ / ١٨٦) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

(تزلف) : أي : تقرب وتدنى .

(شدّ) : الشدُّ : العَدْوُ .

شفاعة ففزعة لفصل الخطاب وفزعة لدخول الجنة وفزعة للإذن بالمرور على الصراط ، وهذا الحديث تحدث عن هذه الفزعة .

١٢٨١ - * روى البخاري ومسلم عن مَعْبَد بن هلال العَنَزي ، قال : انطلقنا إلى أنس بن مالك ، وتشفَّعنا بثابتٍ ، فانتهينا إليه وهو يصلّي الضحى فاستأذَنَ لنا ثابت ، فدخلنا عليه ، وأجْلَسَ ثابتًا معه على سريره فقال له : ياأبا حمزة ، إن إخوانَك من أهلِ البصرة يسألونك أن تُحدِّثَهم حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد ﷺ ، قال : « إذا كان يومُ القيامة مَاجَ الناسُ بعضهم إلى بعض ، فيأتون آدم ، فيقولون : اشفع لذرِّيَّتك ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم ، فإنه خليل الله ، فيأتون إبراهيمَ ، فيقول لست لها ، ولكنْ عليكم بموسى ، فإنه كليم الله ، فيؤتى موسى ، فيقول : لستُ لها ، ولكنْ عليكم بعيسى ، فإنه رُوح الله وكلمته ، فيؤتى عيسى ، فيقول : لستُ لها ، ولكن عليكم بمحمدٍ ، فأُوتى فأقول : أنا لها ، ثم أنطلق فأستأذنُ على ربي ، فيؤذَن لي ، فأقوم بين يديه ، فأحمده بمحامدَ لا أقدر عليها إلا أن يُلهِمَنيها ، ثم أخرُّ لربنا ساجدًا ، فيقول : يامحمد ، ارفع رأسَك ، وقل يُسْمَع لك ، وسَلْ تُعْطَهْ ، واشفع تُشَفَّع ، فأقول : يارب أُمَّتي أُمتي ، فيقول : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من بُرَّةٍ أو شعيرةٍ من إيمانٍ فأخرِجْهُ منها ، فأنطلِق فأفعل ، ثم أرجعُ إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخرُّ له ساجدًا ، فيقال لي : يامحمد ، ارفع رأسك ، وقل يُسْمَع لك ، وسَلْ تُعْطَهْ ، واشْفَع تُشَفَّع ، فأقول : ياربِّ أُمتي أُمتي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حَبَّةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه منها ، فأنْطلق فأفعل ، ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد ، ثم أخِرُّ له ساجدًا ، فيقال لي : يامحمد ، ارفع رأسك وقُلْ يُسمَع لك ، وسَلْ تُعطَه ، واشفع تُشَفَّع ، فأقول : ياربِّ ، أُمَّتي أُمَّتي . فيقال لي : انطلِق ، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حَبَّةٍ من خردل من إيمانٍ

١٢٨١ - البخاري (١٣ / ٤٧٣) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٣٦ - باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم .
مسلم (١ / ١٨٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلةً .
(يلهمنيها) : الإلهام : ضرب من الوحي الذي يلقيه الله في قلوب عباده الصالحين .

فأخرجه مِنَ النار ، فأنطلِق فأفعل » هذا حديث أنس الذي أنبأنا به ، فخرجنا من عنده ، فلما كُنَّا بظهر الجبَّان ، قلنا : لو مِلْنا إلى الحسن فسلَّمنا عليه وهو مستخفٍ في دار أبي خليفة ؟ قال : فدخلنا عليه ، فسلَّمنا عليه ، قلنا : ياأبا سعيد ، جئنا من عند أخيك أبي حمزة ، فلم نسمع بمثل حديثٍ حدَّثَناه في الشفاعة ، قال : هِيهِ ، فحدَّثْناه الحديثَ ، فقال : هِيهِ ، قلنا : مازادنا ؟ قال : قد حدثَّنا به منذ عشرين سنةً ، وهو يومئذ جميع ، ولقد ترك شيئًا ماأدري : أنسيَ الشيخ ، أم كره أنْ يحدِّثَكم فتتَّكلوا ؟ قلنا له : حدِّثْنا ، فَضَحِكَ وقال : خُلِق الإنسان من عجل ، ماذكَرتُ لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدِّثَكموه ، قال : « ثم أرجعُ إلى ربي في الرابعة ، فأحْمَدُه بتلك المحامد ، ثم أخِرُّ له ساجدًا ، فيقال لى : يامحمد، ارفع رأسك ، وقل يُسمَع لك ، وسل تُعطَهْ واشفع تُشفَّع ، فأقول : ياربِّ ، ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله ، قال : فليس ذلك إليك ، ولكن وعِزَّتي وكبريائي وعظمتي لأُخرجَنَّ منها من قال : لا إله إلا الله » قال : فأشهد على الحسن أنَّه حدثَّنا به أنه سمع أنسَ بن مالك ـ أُراه قال : قبل عشرين سنة ـ وهو يومئذ جميع .

١٢٨٢ ـ * روى البخاري تعليقًا : عن قتادة عن أنس أن النبيَّ ﷺ قال : « يُحْبَس المؤمنون يوم القيامة ... » وذكر نحوه ، وفي آخره : « ما بقي في النار إلا من حَبَسَهُ القرآن » . أي وجب عليه الخلود ، ثم تلا هذه الآية ﴿ عَسَى أن يبعثكَ ربُّك مقامًا محمودًا ﴾ [١] قال : وهذا المقام المحمود الذي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ . زاد في رواية [٢] : فقال النبيُّ ﷺ : « يَخْرُج من النارِ من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايزِن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايَزِنُ بُرَّةً ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايَزِنُ ذرة » .

أقول : هذا الحديث يتحدث عن الفزعة الثالثة (الفزعة التي لدخول الجنة) إلا أنه

= (الجبّان) : والجبّانة : المقابر .

١٢٨٢ ـ البخاري (١٣ / ٤٢٢) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٢٤ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة .... ﴾ .

(١) الإسراء : ٧٩ .

(٢) البخاري(١٣ / ٣٩٢) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ١٩ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ .

يطوى الكلام عنها لحصولها كما ذكرنا من قبل ، ويتحدث عن شفاعة رسول الله ﷺ لأهل الإيمان ممن دخلوا النار .

١٢٨٣ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سألتُ رسولَ الله ﷺ أن يشفعَ لي يومَ القيامةِ ، فقال : « أنا فاعل إن شاء الله » قلت : فأين أطلبُك ؟ قال : « أول ما تطلُبني على الصراط» قلت: فإن لم ألقَكَ على الصراط ؟ قال : « فاطلبني عند الميزان » قلتُ : فإن لم ألقكَ عند الميزان ؟ قال : « فاطلبني عند الحوض ، فإني لا أخْطئ هذه الثلاثةَ مواطنَ » .

١٢٨٤ - * روى الترمذي عن عوف بن مالك رضي الله عنه أنْ رسولَ الله ﷺ قال : « أتاني آتٍ من عند ربي ، فخيَّرني بين أن يُدْخِلَ نِصف أُمَّتي الجنة ، وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، فهي نائلةٌ من مات لا يشرك بالله شيئًا » .

١٢٨٥ - * روى الطبراني في الأوسط عن جابر قالْ : قال رسول الله ﷺ « يفتقد أهل الجنة ناسًا كانوا يعرفونهم في الدنيا فيأتون الأنبياء فيذكرونهم فيشفعون فيهم فيشفعون يقال لهم الطلقاء وكلهم طلقاءُ يُصَبُّ عليهم ماءُ الحياة » .

١٢٨٦ - * روى الطبراني الأوسط والصغير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل من أهل هذه القبلة النارَ من لا يُحصي عدَدَهم إلا اللهُ ما عَصَوا الله واجترؤوا على معصيتِه وخالفوا طاعَتهُ فيُؤْذَنُ لي في الشفاعةِ فأثني على الله ساجدًا كما أثني عليه قائمًا فيقال لي : ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع » .

١٢٨٣ - الترمذي (٤ / ٦٢١) ٣٨ - صفة القيامة ، ٩ - باب ما جاء في شأن الصراط .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٢٨٤ - الترمذي (٤ / ٦٢٧) ٣٨ - صفة القيامة ، ١٣ - باب [منه] . وسنده حسن .

وابن ماجه بنحوه (٢ / ١٤٤١) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٧ - باب ذكر الشفاعة .

وهو عنده عن أبي موسى الأشعري . وفي الزوائد صحيح ورجاله ثقات .

١٢٨٥ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

١٢٨٦ - الروض الداني (١ / ٨٠) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٦) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط والصغير وإسناده حسن .

١٢٨٧ ـ * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أمّا أهلُ النارِ الذين هم أهلُها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يَحْيَوْن ، ولكنْ ناسٌ أصابتهم النارُ بذنوبهم - أو قال : بخطاياهم - فأماتتهم إماتة ، حتى إذا كانوا فَحْمًا أُذِن بالشفاعةِ ، فجيءَ بهم ضَبائرَ ضبائرَ ، فَبُثُّوا على أنهارِ الجنة ، ثم قِيلَ : ياأهلَ الجنة ، أفيضوا عليهم ، فينبتونَ نَباتَ الحِبَّةِ في حَميلِ السَّيلِ » فقال رجل مِنَ القَوْم : كأنَّ رسولَ الله ﷺ قد كان بالبادية .

١٢٨٨ ـ * روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنّ النبيَّ ﷺ قال : « يَخْرُجُ قومٌ من النار بشفاعة محمد ﷺ ، فيدخلون الجنة يُسَمَّوْن الجهَنَّمِيِّين » .

١٢٨٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن جابرِ بن عبدِ الله رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَخْرُجُ من النار قَوْمٌ بالشفاعة ، كأنهم الثَّعاريرُ » ، قلنا : ماالثَّعاريرُ ؟ قال : « الضَّغَابيسُ » .

وفي رواية (١) : « إن الله يُخْرِجُ ناسًا من النار فيُدخِلُهم الجنة » .

وفي أخرى (٢) : « إن الله يُخْرِجُ قومًا من النار بالشفاعة » .

١٢٩٠ ـ * روى ابن ماجه عَنْ أَبي مُوسى الأَشْعَرِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « خُيرتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ . فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ .

١٢٨٧ ـ مسلم (١ / ١٧٢) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨٢ ـ باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار .

(ضبائر ضبائر) : الضبائر : جماعات الناس ، تقول : رأيتهم ضبائر : أي جماعات في تفرقة ، جمع ضبارة .

١٢٨٨ ـ البخاري (١١ / ٤١٦) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥١ ـ باب صفة الجنة والنار .

وأبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السُّنَّة ، باب في الشفاعة .

والترمذي (٤ / ٧١٥) كتاب صفة جهنم ، ١٠ ـ باب [منه] .

١٢٨٩ ـ البخاري (١١ / ٤١٦) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥١ ـ باب صفة الجنة والنار .

مسلم (١ / ١٧٨) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨٤ ـ باب أدنى أهل الجنة منزلاً .

(الثعارير) : صغار القثاء ، وهي الضغابيس أيضاً .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

١٢٩٠ ـ ابن ماجه (٢ / ١٤٤١) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٣٧ ـ باب ذكر الشفاعة .

وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

لأنَّهـا أَعَمُّ وَأَكْفَى . أَتَرَوْنَهَـا لِلْمُتَّقِينَ ؟ لاَ . وَلكِنَّهَـا لِلْمُــذْنِبِينَ ، الْخَطَّــائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ » .

١٢٩١ - * روى الطبراني عن أبي أمـامـةَ عن رسول الله ﷺ : « صنفـان من أمتي لن تَنالَهما شَفاعتي : إمامٌ ظَلومٌ غَشومٌ ، وكلُّ غالٍ مارق » .

١٢٩٢ - * روى أحمـد عن أبي موسى قـال : غزونـا مع رسولِ الله ﷺ في بعض أسفـاره فعرَّسَ بنـا رسولُ الله ﷺ ، فـانتهيت في بعض الليـل إلى مُنَـاخِ رسُولِ الله ﷺ فلم أجِـدْهُ فخرجتُ أطْلُبُهُ بارزًا ، فإذا رجلٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يطلب ماأطلبُ . قال فبينـا نحن كذلك ، إذ اتجه إلينا رسولُ الله ﷺ . قـال : فقلنـا يـارسول الله : أنت بـأرضِ حَربٍ ولا نأمنُ عليك ، فلولا إذ بدَتْ لك حاجةٌ قلت لبعضِ أصحابِكَ فقامَ معكَ فقالَ رسولُ الله ﷺ : « إني سمعتُ هزيزًا كهزيز الرحا ، وحنينًـا كحنين النحل ، وأتـاني آتٍ من ربي فخَيَّرني بين أن يُدخِلَ ثُلثَ أمتي الجنةَ وبين الشفاعـةِ ، فـاخترت لهم شفـاعتي وعلمتُ أنها أوسعُ لهم » قال : فقلنا : يـارسول الله ادعُ اللهَ أن يجعَلَنـا من أهل شفـاعتـك فـدعـا لهما ثم إنهما انتهيـا إلى أصحـابِ رسول الله ﷺ وأخبراهم بقـولِ رسـول الله ﷺ قـال : فجعلوا يأتونـه ويقولون : يـارسولَ الله ادعُ اللهَ أن يجعلنـا من أهلِ شفـاعتـكِ فيـدعو لهم . فلما أضَبَّ عليه القومُ وكَثُروا قالَ رسول الله ﷺ : « إنها لمن ماتَ وهو يشهد أن لا إله إلا الله » .

وفي روايـة عنـد الطبراني(١) : فسِرْنـا حتى إذا كنـا بقريبٍ من الصبح نزلَ فـاجْتمعنـا حـولَـه وكذلك كنا نفعلُ فعَقَلَ ناقتَه ثم جعلَ خَدَّهُ على عِقالِها ثم نامَ وتفرقْنا فرفعتُ رأسي فإذا أنـا لا أراه في مكانه فذَعَرَني ذلك ، فقمتُ فإذا أنا أسمعُ مثلَ هزيزِ الرحـاء من قِبَلِ الوادي ، إذ جاء رسولُ الله ﷺ مستبشرًا قـال : قلتُ يـارسولَ الله أين كنتَ ؟ قـال : « كأنـه راعـك

١٢٩١ - المعجم الكبير (٨ / ٣٣٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٣٥) . وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال الكبير ثقات .

١٢٩٢ - أحمد (٤ / ٤١٥) .

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦٨). وقال : رواه أحمد والطبراني ، وأحـد أسـانيـد الطبراني رجـالـه ثقـات ، وقـد رواه في الصغير بنحوه .

حين لم ترَني في مكاني ؟ » قلتُ : أي والله ، قد راعني . قالَ « أتاني جبريلُ عليه السلام آنفًا فخيرني بين الشفاعة وبين أن يَغْفِرَ لنصفِ أمتي فاخترتُ الشفاعة » فنهضَ القومُ إليه فقالوا : يارسول الله اشفعْ لنا قال : « شَفاعتي لكم » فلما أكثروا عليه قال : « من لقي اللهَ يشهدُ أن لا إله إلا الله دخلَ الجنة » .

١٢٩٣ ـ * روى البزار عن عبد الرحمن بن أبي عقيل قال : انطلقتُ في وَفْدٍ إلى رسولِ الله ﷺ فأتيناه فأنخنا بالباب وما في الناسِ أبغضُ إلينا من رجل نَلِجُ عليه ، فما خرجنا حتى ماكان في الناس أحبُّ إلينا من رجل دخلنا عليه فقالَ قائلٌ منا : يارسول الله ألا سألتَ ربك مُلْكًا كَملكِ سليمانَ قال : فضحكَ ثم قال : « فلعلَ لصاحبِكم عند الله أفضلَ من مُلك سليمانَ ، إن الله لم يَبعثْ نبيًّا إلا أعطاه دعوةً ، منهم من اتخذ بها دنياه فأعطيها ، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصَوه فأهْلِكوا بها وإن الله أعطاني دعوةً فاختبأتُها عند ربي شفاعةً لأمتي يومَ القيامةِ » .

١٢٩٤ ـ * روى البزار عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيتُ خمسًا لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي : جُعِلتْ لي الأرض طهورًا ومسجدًا وأُحِلَّتْ لي الغنائمُ ولم تَحِلَّ لنبي كان قبلي ، ونُصِرْتُ بالرعب مسيرةَ شهرٍ على عدوي ، وبُعِثْتُ إلى كل أحمرَ وأسود ، وأعطيتُ الشفاعةَ وهي نائلة من أمتي مَنْ لا يشركُ بالله شيئًا » .

١٢٩٥ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبدِ الله قال : قال رسول الله ﷺ « إن ناسًا من أمتي يُعذَّبون بذنوبهم فيكونون في النارِ ما شاءَ اللهُ أن يكونوا ، ثم يُعيِّرُهم أهلُ الشركِ فيقولون : مانرى ماكنتم فيه من تصديقِكم وإيمانِكم نفعَكم فلا يبقى مُوحِّدٌ إلا أخرجَه اللهُ » ثم قرأ رسولُ الله ﷺ : ﴿ رُبَمَا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ [١] .

١٢٩٣ ـ كشف الأستار (٤ / ١٦٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٠) وقال : رواه الطبراني والبزار ، ورجالهما ثقات .

١٢٩٤ ـ كشف الأستار (٤ / ١٦٦) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٥٩) . وقال : رواه البزّار بإسنادين حسنين .

١٢٩٥ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير بسام الصيرفي وهو ثقة .

(١) الحجر : ٢ .

١٢٩٦ - * روى الطبراني عن مصعب الأسلمي قال : انطلقَ غلامٌ منا فأتى النبيَّ ﷺ ، فقالَ : إني سائلُكَ سؤالا ، قال : « وماهو ؟ » قال : أسألك أن تجعلَني ممن تشفعُ له يوم القيامةِ . قالَ : « من أمرَك هذا - أو - من عَلَّمَكَ هذا - أو - من دلك على هذا ؟ » قال : ما أمرني به أحدٌ إلا نفسي : قال : « فإنك ممن أشفع له يوم القيامة » .

١٢٩٧ - * روى أحمد عن بعضِ أصحابِ النبيِّ ﷺ أنه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقول : « إنهُ يقال للولدان يومَ القيامةِ : ادخُلُوا الجنةَ فيقولون : يارب حتى يَدْخُلَ آباؤنا وأمهاتنا » قال : « فيأبون » . قال : « فيقول الله عز وجل : مالي أراهم مُحْبَنْطِئين ادخلوا الجنة » قال : « فيقولون : يارب آباؤنا فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم » .

١٢٩٨ - * روى الترمذي عن عبد الله بن شقيق رحمه الله كنت مع رهط بإيلياءَ ، فقال عبد الله بن أبي الجدعاء : سمعت رسولَ الله ﷺ قال : « يدخل الجنةَ بشفاعة رجل من أمتي : أكثرُ من بني تميم » ، قلنا : سواك يارسول الله ؟ قال : « نعم سواي » .

١٢٩٩ - * روى أحمد عن أبي بَرْزة قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن من أمتي لَمَنْ يشفعُ لأكثر من ربيعة ومُضَرَ وإن من أمتي لمن يَعظُمُ للنار حتى يكون رُكْنًا من أركانها » .

١٣٠٠ - * روى أحمد عن أبي أمامة قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ليَدْخُلَنَّ

١٢٩٦ - المعجم الكبير (٢٠ / ٣٦٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦٩) . وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

١٢٩٧ - أحمد (٤ / ١٠٥) .

مجمع الزوائد (٣ / ١١) . وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

(مُحْبَنْطِئين) : قال ابن الأثير : المُحْبَنْطِي هو المتنع امتناع طَلِبَةٍ لا امتناع إباء .

١٢٩٨ - الترمذي (٤ / ٦٢٦) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٢ - باب [منه] .

وقال : حديث حسن صحيح غريب . وهو كما قال .

١٢٩٩ - أحمد (٤ / ٢١٢) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) ، وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

١٣٠٠ - أحمد (٥ / ٢٥٧) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) وقال : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ، ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح ، غير عبد الرحمن بن ميسرة : وهو ثقة .

الجنةَ بشفاعةِ رجل ليس بنبيٍّ مثلُ الحيين ربيعةَ ومُضَرَ » فقال رجل : يارسولَ الله أو ماربيعةُ من مضرَ قال : « إنما أقول ماأقول » .

١٣٠١ - * روى البزّار عن أنس بنِ مالك قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إن الرجل لَيَشْفَعُ للرجلينِ والثلاثةِ » .

١٣٠٢ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن من أمتي مَن يشفع في الفِئامِ من الناس ، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم مَن يشفع للعُصْبة ، ومنهم يشفع للواحد ، حتى يدخلوا الجنة » .

وزاد رزين : « وإنما شفاعتي في أهل الكبائر ، وإنه لَيُؤمَرُ برجل إلى النار ، فَيَمُرّ برجل كان قد سقاه شرْبة ماءٍ على ظمأ ، فيقول : ألا تشفع لي ؟ فيقول : ومَن أنت ؟ فيقول : ألستُ أنا سقيتُك الماء يوم كذا وكذا ؟ فيعرفه ، فيشفع فيه ، فَيُرَدُّ من النار إلى الجنة » .

* * *

١٣٠١ - كشف الأستار (٤ / ١٧٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٢) . وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٠٢ - الترمذي (٤ / ٦٢٧) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٢ - باب [مِنْهُ] . وقال : هذا حديث حسن .

(الفئام) : الجماعة من الناس .

الفقرة العاشرة

في :

الجنة والنار

١ - المقدمة

إن نهايتكم أيها الإنس والجن إما إلى جنة وإما إلى نار فهل أنتم متذكرون أو غافلون ؟

- من أجل أن نتذكر هذه النهاية بُعِثَ الرسلُ عليهم الصلاة والسلام وأُنزلتِ الكتبُ وكانت المعجزات وظهرت الكرامات لتقوم الحجة على الخلق .

- وها إن القرآن بين يديك وهو معجزة فيها معجزات يحدثك عما سيكون بين يديك ، وها إن محمدًا ﷺ - من كان القرآن معجزته وأكرمه الله بمعجزات أخرى ، ومن بشر به من قبله من الرسل ، ومن كانت صفاته وثمراته تدل عليه - أنذرك وبشرك .

- وها أنت ترى بقايا الوحي الإلٰهي في كثير من الأديان مع كثرة التغيير والتبديل تحدثك عما أعده الله لأهل طاعته وأوعد به أهل معصيته .

وكما أن الأصل في الأمور الغيبية أن نتلقاها عن المعصوم محمد ﷺ فإذا ثبتت عنه كان من واجبنا التسليم فإن أمر الآخرة كله كذلك وأمر الجنة والنار من ذلك .

وهناك قضايا من أمر الإيمان يكفي فيها الإيمان الإجمالي وهناك قضايا لا بد فيها من الإيمان التفصيلي ، وفي كل الأحوال فالإيمان التفصيلي الذي هو أثر عن معرفة النصوص كلها وفهمها حق الفهم على ضوء تحقيقات العلماء الراسخين في العلم من أهل السنة والجماعة هو الأرقى .

وإذا مر معك وأنت تقرأ النصوص ما لم تعتد أن تشاهده في الدنيا من أمر الآخرة ففر إلى الإيمان وفر إلى تصديق الله ، وفر إلى تصديق رسول الله ﷺ ، فلا أصدق من الله ورسوله ﴿ وصدق الله ورسوله ﴾ [1] ﴿ ومن أصدق من الله حديثًا ﴾ [2] اللهم لا أحد .

---

(١) الأحزاب : ٢٢ .

(٢) النساء : ٨٧ .

ـ والنار هي السجن الذي أعده الله للكافرين والعصاة قال تعالى : ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا ﴾ [١] والجنة هي دار السلام ودار النعيم المقيم أعدها الله لأهل الإيمان فكل ما فيها سلام وكل من فيها سلام قال تعالى : ﴿ لهم دار السلام عند ربهم ﴾ [٢] .

ـ والجنة والنار قد خلقهما الله من قبل فهما موجودتان قال تعالى عن النار ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ [٣] ، ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارًا ﴾ [٤] . وقال عن الجنة ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ [٥] ، فكل من الجنة والنار قد خلق وأعد وكتب له الخلود ، والجنة علوية وهي الآن فوق السماء السابعة والنار مغيبة لا يعلم مكانها إلا الله ومن أطلعه الله على ذلك ويوم القيامة يؤتى بالنار ويؤتى بالجنة فتكونان متلاصقتين ويعبر الناس من أرض المحشر إلى الجنة على الصراط وقد مرت معنا نصوص كثيرة تدل على ذلك .

ـ والنار من السعة بما يهول قال تعالى : ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ [٦] والجنة من السعة بما يهول قال تعالى : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ [٧] ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ﴾ [٨] .

ولا تستغربن عرض الجنة أن يكون كذلك فمحيط الدائرة أوسع من قطرها والسموات السبع على القول الراجح كروية فإذا كانت الجنة فوق السماء السابعة فمحيط السماء السابعة أكبر من قطرها الذي هو عرض السموات والأرض .

ـ والجنة والنار باقيتان أبدًا وأما قوله تعالى ﴿ لابثين فيها أحقابًا * لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا * إلا حميمًا وغساقًا ﴾ [٩] فالمراد والله أعلم أنهم يعذبون العذاب أحقابًا ثم يكون عذاب أشد أو أنه كلما انتهى حقب بدأ حقب إلى ما لا نهاية له .

---

(١) الإسراء : ٨ .
(٢) الأنعام : ١٢٧ .
(٣) البقرة : ٢٤ .
(٤) الكهف : ٢٩ .
(٥) آل عمران : ١٣٣ .
(٦) ق : ٣٠ .
(٧) الحديد : ٢١ .
(٨) آل عمران : ١٣٣ .
(٩) النبأ : ٢٣ ـ ٢٥ .

ـ وأما قوله تعالى ﴿ فأمّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السمٰوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد * وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السمٰوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ ﴾ (١) أي غير مقطوع ، فليس المراد بالاستثناء نفي الديومة بل المراد بالاستثناء أن الجنة والنار خالدتان خلود السمٰوات والأرض باستثناء ما حدث للسمٰوات والأرض يوم القيامة فإن ذلك لا يصيبها وللعلماء اتجاهات أخرى في فهم الآيتين ، فمن قطعيات الاعتقاد الإيمان بديمومة الجنة والنار فمن أنكر ذلك وقع في الضلال المبين .

قال ابن كثير وهو يتحدث عن أهل الجنة :

« وثبت أن أول زمرة منهم على صورة القمر ثم الذين يلونهم في البهاء كأضوأ كوكب دري في السماء ، وأنهم يجامعون ولا يتناسلون ولا يتوالدون إلا ما يشاؤون . وأنهم لا يموتون ولا ينامون ، لكمال حياتهم وكثرة لذاتهم وتوالي نعيمهم ومسراتهم ، وكلما ازدادوا خلودًا ازدادوا حسنًا وجمالاً وشبابًا وقوة وكمالاً ، وازدادت لهم الجنة حسنًا وبهاء وطيبًا وضياء ، وكانوا أرغب شيء فيها وأحرص عليها وكانت عندهم أعز وأغلى وألذ وأحلى ، كما قال تعالى ﴿ خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً ﴾ » (٢) . اهـ . (النهاية في الفتن والملاحم) .

وقال ابن كثير وهو يتحدث عن أهل النار :

« إذا خرج أهل المعاصي من النار فلم يبق فيها غير الكافرين فلا يموتون فيها ولا يحيون كما قال تعالى : ﴿ ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ (٣) . فلا خروج لهم منها ولا محيد لهم بل هم خالدون فيها أبدًا وهم الذين حبسهم القرآن وحكم عليهم بالخلود ، كما قال تعالى ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرًا * خالدين فيها أبدًا لا يجدون وليًا ولا نصيرًا ﴾ (٥) وقال تعالى في سورة النساء ﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقًا * إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدًا وكان

---

(١) هود : ١٠٦ ـ ١٠٨ .

(٢) الكهف : ١٠٨ .

(٣) الأعلى : ١١ ـ ١٣ .

(٤) الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥ .

ذلك على الله يسيرًا ﴾[1] اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

ولشيخ الإسلام تقي الدين السبكي رسالة سماها : « الاعتبار ببقاء الجنة والنار » ، رد فيها على من ادعى غير ذلك وجمع فيها النصوص القطعية الواردة في ذلك وختمها بقوله :

« فهذه الآيات التي استحضرناها في بقاء الجنة والنار وبدأنا بالنار لأنا وقفنا على تصنيف لبعض أهل العصر في فنائها . وقد ذكرنا نحو مائة آية منها نحو من ستين في النار ، ونحو من أربعين في الجنة ، وقد ذكرنا الخلود وما اشتق منه في أربع وثلاثين آية في النار وثمان وثلاثين في الجنة ، وذكرنا التأبيد في ثلاث في النار مع الخلود ، وفي ثمان في الجنة منها سبع مع الخلود . وذكر التصريح بعدم الخروج أو بمعناه في أكثر من ثلاثين . وتضافر هذه الآيات ونظائرها يفيد القطع بإرادة حقيقة معناها ، وأن ذلك ليس مما استعمل فيه الظاهر في غير المراد ، ولذلك أجمع المسلمون على اعتقاد ذلك ونقلوه خلفًا عن سلف عن نبيهم ﷺ وهو مركوز في فطرة المسلمين معلوم من الدين بالضرورة ، بل وسائر الملل غير المسلمين يعتقدون ذلك ، ومن رد ذلك فهو كافر ومن تأوله فهو كمن تأول الآيات الواردة في البعث الجسماني وهو كافر أيضًا » اهـ (الاعتبار) .

ـ فحدد يا أخي بصر الإيمان إلى مقرك ومستقرك وأقبل على الله بالذكر والفكر والتأمل في المصير وأكثر من قراءة القرآن فإنه الذي يذكرك بكل شيء ، وها نحن نعرض عليك بعض النصوص حول الجنة والنار مع شيء من التعليقات بما يتناسب مع غرض الكتاب ، وهي نصوصٌ من الكتاب والسنة فيما وصفت به النار والجنة وبعض نعيم أهل الجنة وبعض عذاب أهل النار وفي بعض ما استحق به أهل الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ ونبدأ هذه الفقرة بذكر مشاهد من القرآن الكريم حول ما ذكرناه .

---

(١) النساء : ١٦٨ ، ١٦٩ .

٢ ـ مشاهد من القرآن الكريم

﴿ إذَا وَقَعَتِ الواقعةُ * ليس لوقْعتها كاذِبةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعةٌ * إذا رُجَّتِ الأرضُ رجًّا * وبُسَّتِ الجبالُ بَسًّا * فكانتْ هباءً مُنْبَثًّا * وكنتمْ أزواجًا ثلاثةً * فأصْحابُ الميْمَنةِ ما أصْحابُ الميْمَنةِ * وأصْحَابُ المَشْأمةِ ما أصْحَابُ المشْأَمَةِ * والسَّابِقُون السَّابِقُون * أُولئكَ المُقَرَّبُون * في جَنَّـاتِ النَّعيم * ثُلَّـةٌ من الأَوَّلِينَ * وقليلٌ من الآخرينَ * على سُرُرٍ موْضُونَةٍ * متَّكِئِينَ عليها مُتقابلين * يَطُوفُ عليهم وِلْدانٌ مُخَلَّدون * بأكوابٍ وأبَاريقَ وكأسٍ من مَعِينٍ * لا يُصَدَّعُون عنها ولا يُنْزِفُون * وفاكِهَةٍ مما يتَخَيَّرون * ولَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يشتهون * وحُورٌ عِينٌ * كأمثال اللؤلؤِ المكْنُون * جَزَاء بِمَا كانوا يَعْمَلُون * لا يسْمعُون فيها لغوًا ولا تأثيماً * إلا قِيلاً سَلامًا سَلامًا * وأَصْحَاب اليَمين ما أصحَابُ اليَمين * في سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنضُودٍ * وظِلٍ مَمْدُودٍ * ومَاءٍ مَسْكُوب * وفاكِهةٍ كَثيرَةٍ * لاَ مقطُوعةٍ وَلاممنوعةٍ * وفُرُشٍ مرْفُوعةٍ * إنَّا أنْشَأْنَاهُنَّ إنْشاءً * فَجَعَلْنَاهُن أبكارًا * عُرُبًا أترابًا * لأصْحاب اليَمين * ثُلَّةٌ منَ الأَوَّلِين * وثُلَّة من الآخرين * وأصْحَابُ الشِّمال ما أصحابُ الشِّمال * في سَمُومٍ وحَمِيمٍ * وظِلٍ من يَحْمُومٍ * لا باردٍ ولا كَريمٍ * إنَّهُمْ كانُوا قبلَ ذلكَ مُتْرَفِين * وكانُوا يُصِرُّونَ على الحِنْثِ العظيم * وكانُوا يَقُولون أئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُرابًا وعِظامًا أئِنَّا لمبْعُوثُون * أوَ آباؤنا الأوَّلُون * قل إنَّ الأوَّلِين والآخرين * لمجْمُوعُون إلى ميقاتِ يَوْمٍ معلوم * ثُمَّ إنكم أيُّها الضَّالُون المكذِّبُون * لآكِلُون من شَجَرٍ من زَقُّوم * فمالئُون منها البُطُون * فشَاربونَ عليه منَ الحميمِ * فشَاربُون شُرْبَ الهيم * هذا نُزُلُهُمْ يومَ الدين ﴾ [١] .

جاءت سورة الواقعة بعد سورة الرحمن وقد ختمت سورة الرحمن بالحديث عن أهل النار وبالجنتين اللتين أعدهما الله للمحسنين ووصفتهما ثم بالحديث عن الجنتين اللتين أعدهما الله لأهل اليمين ووصفتهما ، ثم جاءت سورة الواقعة فبدأت بالحديث عن أن الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : أهل يمين وأهل الشمال وسابقون وفصلت فيما أعد الله لكلٍّ ، وختمت سورة الواقعة بما أعد الله للمقربين ، وهم السابقون ، وما أعده لأهل اليمين وما أعده لأهل الشمال . فالسورتان تتكاملان في العرض وقد بدأنا بذكر ما ورد في أوائل سورة الواقعة مما أعده الله

---

(١) الواقعة : ١ ـ ٥٦ .

عز وجل للسابقين وأهل اليمين وأهل الشمال ، ونكتفي بتفسير الكلمات التي تحتاج إلى تفسير :

﴿ الواقعة ﴾ : القيامة . ﴿ كاذبة ﴾ : نفس كاذبة تنكر وقوعها . ﴿ خافضة رافعة ﴾ : خافضة للأشقياء رافعة للسعداء . ﴿ رجت الأرض رجًا ﴾ زلزلت . ﴿ بست الجبال ﴾ : فُتِّتَتْ . ﴿ هباءً منبثًا ﴾ : غبارًا متفرقًا منتشرًا . ﴿ أزواجًا ﴾ أصنافًا . ﴿ الميمنة ﴾ : اليمن أو اليمين . ﴿ المشأمة ﴾الشؤم أو الشمال . ﴿ ثلة ﴾ : أمة كثيرة من الناس . ﴿ سرر موضونة ﴾ منسوجة من الذهب بإحكام . ﴿ ولدان مخلدون ﴾ : مُبْقَوْنَ على هيئة الولدان في البهاء . ﴿ أكواب ﴾ : أقداح . ﴿ أباريق ﴾ : أوان لها عرى وخراطيم . ﴿ كأس من معين ﴾ : قدح من خمر جارية من العيون . ﴿ لا يصدعون عنها ﴾ : لا يصيبهم صُداع بشربها . ﴿ ولا ينزفون ﴾ : لا تذهب عقولهم . ﴿ حور عين ﴾ : نساء بيض واسعات الأعين حسانها . ﴿ اللؤلؤ المكنون ﴾ المصون في أصدافه . ﴿ لغوًا ﴾ كلامًا باطلا لا خير فيه ﴿ تأثيما ﴾ : نسبة إلى الإثم . ﴿ سدر ﴾ : شجر النبق . ﴿ مخضود ﴾ : مقطوع شوكه ﴿ طلح منضود ﴾ شجر الموز أو مثله نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه ﴿ ظل ممدود ﴾ : دائم لا يتقلص . ﴿ ماء مسكوب ﴾ : مصبوب يجري في غير أخاديد . ﴿ عربًا أترابًا ﴾ متحببات إلى أزواجهن مستويات في السن . ﴿ سموم ﴾ : ريح شديد الحرارة تدخل المسام . ﴿ حميم ﴾ ماء بالغ الحرارة . ﴿ يحموم ﴾ دخان شديد السواد . ﴿ لا كريم ﴾ : لا نافع من أذى الحر . ﴿ الحنث ﴾ : الذنب العظيم ـ الشرك ـ ﴿ زقوم ﴾ شجر كريه جدًا في النار ﴿ شرب الهيم ﴾ الإبل العطاش التي لا تَرْوَى .

﴿ فإذا انشقَّت السماءُ فكانتْ وَردَةً كالدِّهان * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبَان * فيومئذ لا يُسأل عن ذنْبِهِ إنسٌ ولا جانٌّ * فبأي ءالآءِ ربِّكما تكذِّبان * يُعْرَفُ المجرمون بِسيماهم فيؤخذُ بالنَّواصِي والأقدامِ * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * هذه جهنَّمُ التي يُكذِّب بها المجرمون * يطوفون بينها وبينَ حميمٍ آنٍ * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * ولمنْ خافَ مقامَ ربِّه جنَّتَان * فبأي ءالآءِ ربِّكما تكذِّبان * ذوَاتَا أفنان * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبَان * فيهما عينان تجريان * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * فيهما من كلِّ فاكهة زوجان * فبأي ءالآءِ

ربِّكما تُكذِّبان * متكئين على فُرُش بَطائِنُها من إسْتَبْرق وجَنَى الجنَّتَين دانٍ * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * فيهنّ قاصراتُ الطَّرْفِ لم يَطْمِثْهُنّ إنسٌ قبلهم ولا جانٌّ * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * كأنهن الياقوتُ والمَرْجانُ * فبأي ءالاءِ ربِّكما تكذِّبان * هل جزاءُ الإحسان إلا الإحسانُ * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * ومن دونها جنَّتَان * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * مُدْهآمَّتان * فبأي ءالآءِ ربِّكما تكذِّبان * فيهما عينان نَضّاختَانِ * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * فيهما فاكهة ونخل ورمانٌ * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * فيهنّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * حور مقصوراتٌ فِي الخيام * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * لم يَطْمِثْهُنّ إنس قبلهم ولا جانٌّ * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * متَّكئين على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٍّ حِسَان * فبأي ءالآءِ ربِّكما تُكذِّبان * تبارك اسمُ رَبِّك ذي الجلال والإكرام ﴾ (1) .

هذه الآيات من سورة الرحمن جاءت مباشرة قبل الآيات التي مرت معنا من سورة الواقعة وهي تتحدث عن مضمونها مع تفصيلات هنا أو هناك في الوصف فيا أعده الله لأهل الشمال أو لأهل اليمين أو للسابقين ، وقد بدأ الحديث في سورة الواقعة عما أعده الله للسابقين وبدأ الحديث هنا عما أعده الله لأهل النار ثم ثنى بالكلام عما أعده الله للمحسنين السابقين بدليل ختم الآيات التي تتحدث عن ذلك بقوله تعالى ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ (2) ثم تحدثت عن الجنتين اللتين أعدهما الله لأهل اليمين وهما دون تلك الجنتين ، وقوله تعالى ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ (3) هل المراد به الانشقاق الذي يكون يوم القيامة ثم ما يؤول إليه حال الناس بعدالموقف والسؤال والحساب أو المراد به انشقاق آخر يكون في جهة العلو يسبق إدخال أهل النار النار ؟ الآية تحتمل هذا وهذا . وقوله تعالى ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ (4) يرجع القول الذي يقول بأنه انشقاق آخر غير الانشقاق الأول ، فكأن هذا الانشقاق يكون بعد أن يتم الحساب والميزان وتقوم الحجة على الخلق ولم يبق إلا أن يدخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة ، ومما قاله

---

(1) الرحمن : ٣٧ ـ ٧٨ .

(2) الرحمن : ٦٠ .

(3) الرحمن : ٣٧ .

(4) الرحمن : ٣٩ .

صاحب كتاب « كلمات القرآن تفسير وبيـان » في شرحـه الكلمـات التي تحتـاج إلى شرح في هذا النص ما يلي :

﴿ فَكانت وَرْدَةً ﴾ : كالورْدَةِ في الْحُمْرَة .

﴿ كَالدِّهان ﴾ : كدُهْنِ الزَّيْتِ في الذَّوبَان .

﴿ بِسِيمَاهُمْ ﴾ : بِسواد الوجُوهِ ، وَزُرْقَةِ الْعُيُون .

﴿ فيُؤخَذُ بِالنَّوَاصي ﴾ : بِشُعُور مُقَدَّم الرُّؤُوس .

﴿ حَميمٍ آنٍ ﴾ : ماءٍ حَارٌ تَنَاهَى حَرُّهُ .

﴿ جَنَّتَانِ ﴾ : بستانٌ داخِلَ الْقَصْرِ وَآخَرُ خَارِجَهُ .

﴿ ذَوَاتَا أفْنَان ﴾ : أغْصَان . أو أَنْواعٍ مِنَ الثِّمار .

﴿ عَيْنَان ﴾ : التَّسْنيمُ والسَّلْسبيلُ .

﴿ زَوْجَان ﴾ : صِنْفَانِ : مَعْرُوفٌ وَغَريبٌ .

﴿ إسْتبرقٍ ﴾ : غَليظِ الدِّيبَاج .

﴿ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ ﴾ : مَا يُجْنَى منْ ثِمارها .

﴿ دَانٍ ﴾ : قَرِيبٌ مِنْ يَدِ الْمتَنَاوِلِ .

﴿ قَاصِرَاتُ الطرْف ﴾ : قَصَرْنَ أبْصَارَهُن عَلى أَزْوَاجِهِنَّ .

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ ﴾ : لَمْ يَفْتَضَّهُنَّ قَبْل أَزْوَاجِهِنَّ .

﴿ وَمن دُونِها جَنَّتَان ﴾ : ... أدنى مِن السَّابِقتَين .

﴿ مُدْهَامَّتان ﴾ : خضْراوَان شَديدتَا الخُضْرة .

﴿ نَضَّاخَتَان ﴾ : فَوارتان بالماء لا تنْقَطعَان .

﴿ خَيْراتٌ حِسَانٌ ﴾ : خَيِّراتُ الأَخلاقِ حِسانُ الوُجوه .

﴿ حُورٌ ﴾ : نِساءٌ بِيضٌ حِسانٌ .

﴿ مَقْصُوراتٌ فِي الخِيَام ﴾ : مُخَدَّراتٌ في بُيوت من اللُّؤلؤ .

﴿ رَفْرفٍ ﴾ : وَسَائِدَ أَوْ فُرُشٍ مُرْتَفِعَةٍ .

﴿ عَبْقَرِيٍّ ﴾ : بُسُطٍ ذَاتِ خَمْلٍ رَقِيق .

﴿ تَبارَكَ ﴾ : تَعالى . أو كثر خَيْرُه وَإِحْسَانُهُ .

﴿ ذِي الْجَلاَلِ ﴾ : العظَمة وَالاسْتِغْنَاء المُطلق .

﴿ الإِكْرَام ﴾ : الفَضْل التَّام والإِحْسَان . اهـ .

﴿ إن الله يُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يُحَلَّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وهدوا إلى الطيب من القول وهُدُوا إلى صراط الحميد ﴾ [١] .

﴿ يُحلّون ﴾ : أي يَلْبَسون الحلي في أيديهم من الذهب كما يحلون باللؤلؤ إما مرصع به الذهب في الأيدي أو يحلون فيه في أعناقهم ، وكلام أهل الجنة هو الكلم الطيب ، وهم مهديون هداية كاملة خلقية إلى كل ما يحبه الله ويرضاه فالجنة دار السلام .

﴿ جناتُ عَدْنٍ يدخلونها ومَنْ صَلَحَ مِن آبائهم وأزواجهم وذُرِّيَّاتهم والملائكة يَدخُلونَ عليهم من كلِّ باب * سلامٌ عليكم بما صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقبى الدار ﴾ [٢] .

﴿ جنات عدن ﴾ أي جنات إقامة أو هي الجنات التي في وسط الجنة .

والآية تدل على أن أزواج الصالحين وآباءهم وذرياتهم يقربون من منازل من هم أعلى منهم إذا اجتمع للأولين علو منزلة ولهؤلاء صلاح وأن الملائكة تدخل على أصحاب الجنة منازلهم مسلمة عليهم مقدمة لهم ما أراد الله من هدايا وتحف وكل ذلك لزيادة الإكرام والإيناس .

(١) الحج : ٢٣ ، ٢٤ . (٢) الرعد : ٢٣ ، ٢٤ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسَكم وأهليكم نارًا وَقُودُها الناسُ والحجارةُ عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون * يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تُجزَوْن ما كنتم تعملون ﴾ (١) .

﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ أي يلون أمرها وهم الزبانية ، وعدتهم كما ورد في سورة المدثر تسعة عشر وهم غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخَلْق شداد الخَلْق أقوياء على الأفعال الشديدة ، ونهي الكافرين عن الاعتذار لا ينفي وقوع الاعتذار منهم ولكنه تأكيد بأن الاعتذار لا ينفعهم .

﴿ مَثَلُ الجنة التي وُعِد المتقون تجري من تحتها الأنهار أُكُلُها دائمٌ وظِلُّها تلك عُقبى الذين اتَّقَوا وعُقبى الكافرين النارُ ﴾ (٢) .

﴿ أكلها دائم وظلها ﴾ أي ثمرها دائم لا ينقطع وظلها لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والمراد بكلمة ﴿ عقبى ﴾ المآل والمنتهى .

﴿ مَثَلُ الجنةِ التي وُعِدَ المُتَّقُون فيها أنهارٌ من ماءٍ غير آسن وأنهارٌ من لبَنٍ لم يتغيَّر طعمُه وأنهارٌ من خمر لَذَّةٍ للشاربين وأنهارٌ من عسلٍ مُصَفًّى ولهم فيها من كلِّ الثمرات ومَغْفِرَةٌ مِن رَّبِّهم كَمَنْ هوَ خالدٌ في النار وسُقُوا ماءً حميمًا فقطَّعَ أمعاءَهم ﴾ (٣) .

الماء الآسن : الماء الذي تغير طعمه وريحه . وخمر الجنة غير خمر الدنيا . وقوله تعالى عن أهل النار ﴿ وسقوا ماءً حميمًا فقطع أمعاءهم ﴾ أي بدل تلك الأشربة التي لأهل الجنة يشربون ماءً حارًّا يقطع أمعاءهم من فرط الحرارة .

﴿ إنَّا هديناه السبيلَ إمَّا شاكرًا وإمَّا كَفُورًا * إنا أعْتَدْنا للكافرين سلاسلَ وأغلالا وسعيرًا * إن الأبرارَ يشربون من كأس كان مزاجُها كافورًا * عينًا يشربُ بها عبادُ الله يفجّرونها تفجيرًا * يوفون بالنَّذْر ويخافونَ يومًا كان شره مستطيرًا * ويُطعمُون الطَّعامَ على حُبِّه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نُريدُ منكم جَزاءً ولا شُكورًا *

---

(١) التحريم : ٦ ، ٧ .
(٢) الرعد : ٣٥ .
(٣) محمد : ١٥ .

إنَّا نخافُ من ربِّنا يومًا عَبوسًا قمطريرًا * فوقاهم اللهُ شرَّ ذلك اليوم ولَقّاهم نَضْرةً وسرورًا * وجزاهم بما صبروا جَنةً وحريرًا * مُتكئِينَ فيها على الأرائك لا يَرَوْن فيها شمسًا ولا زَمْهَرِيرا * ودانيةً عليهم ظِلالُها وذُلِّلَتْ قطوفُها تذليلا * ويُطافُ عليهم بآنيةٍ من فِضةٍ وأكوابٍ كانت قَواريرَ * قواريرَ من فضةٍ قدَّروها تقديرًا * ويُسْقَونَ فيها كأسًا كان مزاجُها زنجبيلاً * عينًا فيها تُسمى سَلْسَبِيلا * ويطُوفُ عليهم ولِدانٌ مُخلَّدُون إذا رأيتهم حَسِبْتَهم لؤلؤًا منثورًا * وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيمًا ومُلكًا كبيرًا * عالِيَهم ثيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وإستبرقٌ وحُلُّوا أساورَ من فضةٍ وسقاهم ربُّهم شرابًا طَهورًا * إنَّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيُكم مَشكورًا ﴾ [1] .

قال صاحب (كلمات القرآن تفسير وبيان) في شرح المفردات ما يلي :

﴿ هَدَيْنَاه السَّبِيلَ ﴾ : بَيَّنَّا لهُ طريقَ الهدايةِ وَالضَّلال .

﴿ سَلاَسِلَ ﴾ : بِهَا يُقَادُونَ وَفي النَّار يُسْحَبُون .

﴿ أغلالاً ﴾ : بها تجمع أيديهمْ إلى أعناقِهم وَيُقيَّدونَ .

﴿ كأس ﴾ : خَمْر أو زُجاجة فيها خَمْرٌ .

﴿ مِزاجُهَا ﴾ : مَا تُمْزَجُ الكَأسُ به وَتُخْلَطُ .

﴿ عَيْنًا ﴾ : مَاءَ عَيْن أو خَمْرَ عَين .

﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ : يَشْرَبُ مِنها . أَوْ يَرْتَوي بها .

﴿ يُفَجِّرُونَهَا ﴾ : يُجْرُونَهَا حَيثُ شَاءُوا مِن مَنَازِلِهِم .

﴿ مُسْتَطِيرًا ﴾ : فاشيًا مُنْتَشِرًا غاية الانتشار .

﴿ يَومًا عَبُوسًا ﴾ : تَكلحُ فيهِ الوُجوهُ لِهَوله .

﴿ قَمْطَرِيرًا ﴾ : شديد العُبُوس .

---

(١) الإنسان : ٢ ـ ٢٢ .

﴿ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً ﴾ : أَعْطَاهُمْ حُسْنًا وَبَهْجَةً فِي الوُجُوهِ .

﴿ الأرائك ﴾ : السُّرُر في الحجال . والحِجال : جمع حجلة متحركة بيت يزين بـالقبـاب والأسِرَّة والستور .

﴿ زَمْهَرِيرًا ﴾ : بَردًا شَديدًا .

﴿ دَانِيةً عَليهم ظِلالُها ﴾ : قَرِيبَةٌ مِنْهُمْ ظِلالُ أَشجَارِها .

﴿ ذُلِّلتْ قُطُوفُها ﴾ : قُرِّبَتْ ثِمَارُها لِمُتنَاوِلِها .

﴿ أَكْواب ﴾ : أَقدَاحٍ بِلا عُرًى وَخراطيم .

﴿ قَوارِيرَ ﴾ : كالزجَاجَات في الصَّفاء .

﴿ قَدَّرُوها ﴾ : جَعَلُوا شَرَابَها عَلَىَ قَدْرِ الرِّي .

﴿ كَأْسًا ﴾ : خَمْرًا أَوْ زُجَاجَة فيها خَمرٌ .

﴿ مِزاجُها ﴾ : مَاتُمزَجُ بِهِ وَتُخلَطُ .

﴿ تُسَمى سَلسَبيلاً ﴾ : يوصفُ شَرابها بالسَّلاسةِ في الانسياغ .

﴿ ولْدَانٌ مُخَلَّدُون ﴾ : مُبَقَّونَ عَلَى هيئةِ الولدَان في البهاء .

﴿ لؤلؤًا مَنْثُورًا ﴾ : كَاللؤلؤِ الْمُفرّق في الحسن وَالصَّفاء .

﴿ ثِياب سُنْدُسٍ ﴾ : ثيابٌ مِن ديباج رَقيق » . اهـ .

﴿ إستبرق ﴾ : الديباج الغليـظ . والكافور والزنجبيل معروفـان وهمـا في الآخرة غيرهمـا في الدنيا في الطعم واللذة .

﴿ أما الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات فلهم جناتُ المأوَى نُزلاً بمـا كانوا يعملون ＊ وأمـا الذين فَسَقُوا فمأواهم النارُ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيهـا وقيل لهم ذوقوا عـذاب

النار الذي كنتم به تُكذبون ﴾ [1] .

(النزل) : الضيافة ، فأهل الجنة ضيوف الله ولكنها ضيافة أبدية وإذا طالب الله العبد أن يكرم ضيفه فكيف تكون ضيافة الله لأهل ضيافته من الإكرام والكرامة مما يزداد إلى ما لا نهاية .

﴿ والذين ءامنوا وعملوا الصالحات سندْخلُهم جنات تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبدًا لهم فيها أزواجٌ مطهَّرَةٌ ونُدخِلُهم ظلاًّ ظَليلا ﴾ [2] .

﴿ أزواج مطهرة ﴾ مما يستقذر من المرأة في الدنيا خَلْقًا أو خُلُقًا . (الظل الظليل) الظل الدائم الذي لا ينسخه شيء .

﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضُها كعرض السماء والأرض أعدت للذين ءامنوا بالله ورسله ﴾ [3] .

﴿ هل ينظرون إلا الساعة أن تَأْتيَهم بغتةً وهم لا يشعرون * الأخِلاءُ يَومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌ إلا المتقين * يا عبادِ لا خوفٌ عليكم اليومَ ولا أنتم تحزنون * الذين ءامنوا بآياتنا وكانوا مسلمين * ادخُلوا الجنة أنتم وأزواجُكم تُحْبَرُون * يُطافُ عليهم بصحافٍ من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعينُ وأنتم فيها خالدون * وتلك الجنة التي أُورثتُموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴾ [4] .

﴿ تحبرون ﴾ تُسَرُّون سرورًا ظاهر الأثر .

﴿ وبَشِّرِ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنّات تَجري من تحتها الأنهار كلما رُزِقُوا منها مِنْ ثمرةٍ رزقًا قالوا هذا الذي رُزِقْنا من قَبلُ وأُتوا به متشابها ولهم فيها أزواجٌ مُطَهّرةٌ وهم فيها خالدون ﴾ [5] .

﴿ متشابهًا ﴾ : أي مع مثله في الدنيا في الصورة مختلفًا في الطعم والمقدار .

(١) السجدة : ١٩ ، ٢٠ .
(٢) النساء : ٥٧ .
(٣) الحديد : ٢١ .
(٤) الزخرف : ٦٦ ـ ٧٣ .
(٥) البقرة : ٢٥ .

﴿ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليينَ * وما أدراك ما عِلِيُّون * كتابٌ مرقومٌ * يشهدُه المقرَّبون * إن الأبرار لفي نعيم * على الأرائك يَنظُرون * تَعْرِفُ في وجوههم نَضْرةَ النعيم * يُسْقَوْنَ من رَّحيقٍ مختومٍ * ختامه مِسْكٌ وفي ذلك فَلْيتَنَافسِ المتنافسون * ومزاجه من تسنيم * عينًا يشربُ بها المقرَّبون * إنَّ الَّذِين أجرموا كانوا من الذين ءآمنوا يضْحَكون * وإذا مَرُّوا بهم يَتَغامزُون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رَأَوْهم قالوا إنَّ هؤلاء لضالون * وما أُرْسِلوا عليهم حافظين * فاليوم الذين ءامنوا من الكفار يَضحَكون * على الأرائك ينظرون * هل ثُوِّب الكفارُ ما كانوا يفعلون ﴾[1] .

قال صاحب « كلمات القرآن تفسير وبيان » في شرح المفردات ما يلي :

﴿ كتَاب الأَبرار ﴾ : مَا يُكْتَبُ من أعمالهم .

﴿ لفي عليين ﴾ : لَمثبتٌ في ديوان الخير .

﴿ الأَرائك ﴾ : الأَسِرَّة في الحِجال . والحِجال : جمع حجلة ـ محركة ـ بيت يزين بالقباب والأسرة والستور .

﴿ نَضْرةَ النَّعيم ﴾ : بهجتُه وَرَوْنَقُه وَبَهَاءَهُ .

﴿ رَحيق ﴾ : أَجْودِ الخَمْر وَأَصْفَاهُ .

﴿ مَخْتُوم ﴾ : إِنَاؤهُ حتى يَفُكَّهُ الأبرارُ .

﴿ ختامُهُ مِسكٌ ﴾ : ختام إِنَائه المِسْكُ بدَلَ الطِّين .

﴿ فَلْيَتَنَافَس ﴾ : فَليتسَارَعْ أَوْ فَلْيستَبِقْ .

﴿ مِزَاجهُ ﴾ : مَا يُمْزَج بِهِ وَيَخلط .

﴿ تَسنيم ﴾ : عَينٌ عَاليَة شرابها أشرف .

﴿ يَشْرَبُ ﴾ : يَشربُ منها .

---

(١) المطففين : ١٨ ـ ٣٦ .

﴿ يَتَغَامَزُونَ ﴾ : يُشيرون إليهم بالأَعْين استهزاء .

﴿ فَكِهِين ﴾ : مُتَلَذِّذين باستِخفَافهم بالمؤمنينَ .

﴿ ثُوِّب الكُفَّارُ ﴾ : جُوزُوا بِسُخْرِيتهم بالمؤمنين اهـ .

﴿ وكذلكَ أَخْذُ ربِّكَ إذا أخذَ القُرى وهي ظالمةٌ إنَّ أخذَه أليمٌ شديدٌ * إنَّ في ذلك لآيةً لمن خافَ عذابَ الآخرة ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلك يومٌ مشهودٌ * وما نُؤخِّرُه إلا لأجلٍ معدودٍ * يومَ يأتِ لا تَكَلَّمُ نفسٌ إلا بإذنِه فمنهم شقيٌّ وسعيدٌ * فأمَّا الذينَ شَقُوا ففي النَّار لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ * خالدين فيها مادامت السمٰواتُ والأرضُ إلا ما شاء ربُّك إن ربَّك فعَّالٌ لما يُريدُ * وأمَّا الذين سُعِدُوا ففي الجنَّة خالدين فيها مادامت السمٰواتُ والأرضُ إلا ما شاءَ ربُّك عطاءً غيرَ مَجذوذٍ ﴾ (١) .

﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ أي مشهود فيه أهل السموات والأرضين ، أي كثير شاهدوه ، فالجن والإنس والملائكة ممن يشهدونه . ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ : أي بإذن الله تعالى وهذا في موقف . وقوله تعالى ﴿ هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ (٢) في موقف آخر . والاستثناء في قوله تعالى ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾إشارة إلى أن الخلود الحالي للسمٰوات والأرض خلود نسبي ينقطع بيوم القيامة أما خلود الجنة والنار فخلود لا ينقطع بما حدث بمشيئة الله بقيام القيامة . (الزفير) إخراج النفس والشهيق رده بصورتين منكرتين ﴿ غير مجذوذ ﴾ أي غير مقطوع . وقد وجّه الدكتور سعيد رمضان البوطي الاستثناء ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ الوارد في أهل الجنة والنار توجيهًا آخر فقال في كتابه : « كبري اليقينيات الكونية » عند هذه الآية : « إن الاستثناء إنما هو من قوله : ﴿ شقوا ﴾ و﴿ سعدوا ﴾ أي : جميع الأشقياء خالدون في النار إلا من شاء الله منهم ألا يخلد فيها ، وهم العصاة من أهل الإيمان والتوحيد ، كما دلت على ذلك الأدلة الكثيرة الأخرى . وجميع أهل السعادة خالدون في الجنة إلا ما شاء الله منهم أن يعذب في النار إلى أمد قبل ذلك ، وهم أولئك الذين غمرت حياتهم بالمعاصي والأوزار من المؤمنين ، ولم تكتب

---

(١) هود : ١٠٢ ـ ١٠٨ .

(٢) المرسلات : ٣٥ ، ٣٦ .

لهم الشفاعة أولاً . وإنما لم يأت الاستثناء بصيغة إلا من شاء الله ، لأن المراد من المستثنى منه العدد المجرد ، وذلك كقوله تعالى ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ فقد عبر عن النساء « بما » لملاحظة العدد » . اهـ .

﴿ إن المتقين في مقامٍ أمينٍ * في جنات وعيون * يلبَسون من سُنْدُسٍ وإسْتَبْرقٍ متقابلين * كذلك وزوجناهم بحور عين * يدعون فيها بكل فاكهة ءامنين * لا يذوقون فيها الموتَ إلا الموْتةَ الأولى ووَقاهم عذابَ الجحيمِ * فضلا من رَّبِّك ذلك هو الفوزُ العظيم ﴾ (١) .

كما يُزوّجُ أهل الجنة من الحور العين فإن لهم زوجاتهم من أهل الدنيا ، فليس في الجنة أعزب ولا عزباء والمزوجات من أهل الدنيا يكُنّ أجمل في أعين أزواجهن من الحور العين على جمالهن .

﴿ تلك الدّارُ الآخِرَةُ نجعلُها للذين لا يُريدونَ عَلُوًّا في الأرض ولا فَسَادًا والعاقِبةُ للمتّقين ﴾ (٢) .

هناك ناس يريدون العلو لأنفسهم ـ لا في سبيل الله ـ ولا يريدون فسادًا ، وهناك ناس يريدون الفساد مع العلو وهناك ناس يريدون الفساد بلا علو ، والذين ينالون رضوان الله هم الذين لا يريدون علوًّا ولا فسادًا وإنما يريدون العلو لكلمة الله بأنفسهم أو بغيرهم مع الإخلاص لله تعالى ومع البعد عن الفساد والإفساد .

﴿ فأمّا مَن أُوتي كتابه بيمينهِ فيقولُ هاؤم اقرأوا كتابيَه * إنّي ظننتُ أني ملاقٍ حسابيَه * فهو في عيشةٍ راضيةٍ * في جَنّةٍ عاليةٍ * قطوفُها دانيةٌ * كلُوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ (٣) .

﴿ وسيقَ الذين اتّقَوا ربهم إلى الجنةِ زُمَرًا حتى إذا جاءوها وَفُتِحَتْ أبوابُها وقال لهم خزنتُها سلامٌ عليكم طبتُم فادخلوها خالدين * وقالوا الحمدُ لله الذي صدقَنا وعْدَه

---

(١) الدخان : ٥١ ـ ٥٧ .
(٢) القصص : ٨٣ .
(٣) الحاقة : ١٩ ـ ٢٤ .

وأورثنا الأرض نَتَبوّأُ من الجنة حيثُ نشاءُ فنعم أجرُ العاملين ﴾ [١] .

﴿ زمرًا ﴾ جمع زمرة والمراد بها الجماعة ، وإنما يساقون إلى الجنة زمرًا للإسراع بهم ولأن أهل الجنة يتفاوتون في الدرجات فأهل كل درجة يساقون مع بعضهم وقول الملائكة : ﴿ سلام عليكم ﴾ أي لا يعتريكم بعدُ مكروه . ﴿ طبتم ﴾ أي طهرتم من دنس المعاصي وهذا يدل على أن أهل الجنة لا يدخلونها إلا بعد أن ينقوا تنقية كاملة ظاهرًا وباطنًا ، ومن آثامهم وظلمهم . ﴿ وأورثنا الأرض ﴾ ذهب بعضهم إلى أن المراد بالأرض هنا أرض الجنة وحملها بعضهم على التبدل الذي يطرأ على الأرض فتكون به خبزة يأكلها أهل الجنة فتكون لهم وراثة الأرض خالصة بلا منازع .

﴿ وترى الملائكةَ حافّين من حول العرشِ يُسبّحون بحمد ربّهم وقُضِيَ بينَهم بالحقّ وقِيلَ الحمدُ للهِ ربّ العالمين ﴾ [٢] .

﴿ وترى الملائكة ﴾ أي أيها الداخل إلى الجنة ﴿ حافّين ﴾ أي محدقين ﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾ أي بين الخلق بإدخال بعضهم الجنة وبعضهم النار والضمير في ﴿ قيل ﴾ يعود على الملائكة أو على أهل الجنة .

﴿ والذين ءامنوا وعمِلُوا الصّالحاتِ لَنُبَوّئَنّهُم من الجنة غُرَفًا تَجري من تحتِها الأنهارُ خالِدِين فيها نِعْمَ أجرُ العاملين ﴾ [٣] .

﴿ لكنِ الذين اتّقَوْا ربّهم لهم غُرَفٌ من فوقِها غُرَفٌ مَبْنِيّةٌ تَجري من تحتِها الأنهارُ ﴾ [٤] .

﴿ إن المتّقِين في جنّاتٍ وعيون * ءاخذين ما آتاهم ربُّهم إنّهم كانوا قبل ذلك مُحْسِنِين * كانوا قليلا من الليل ما يَهْجَعُون * وبالأسحارِ هم يَسْتَغْفِرون * وفي أموالهم حَقٌّ للسائل والمحروم ﴾ [٥] .

---

(١) الزمر : ٧٣ ، ٧٤ .
(٢) الزمر : ٧٥ .
(٣) العنكبوت : ٥٨ .
(٤) الزمر : ٢٠ .
(٥) الذاريات : ١٥ ـ ١٩ .

﴿ إنّ الذينَ ءامنوا وعَمِلُوا الصّالحاتِ يَهديهم ربُّهم بإيمانهم تَجري منْ تحتهم الأنهارُ في جنّات النعيم * دَعْوَاهم فيها سُبْحانَك اللّهم وتحيّتُهم فيها سلامٌ وآخِرُ دعواهم أنِ الحمدُ لله ربِّ العَالمين ﴾ [1] .

﴿ لِلّذينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وزيادةٌ ولا يَرْهَقُ وجوهَهم قَتَرٌ ولا ذِلّةٌ أولئك أصحابُ الجنةِ هم فيها خالدون ﴾ [2] .

﴿ الحسنى ﴾ أي الجنة ﴿ وزيادة ﴾ أي النظر إلى وجه الله الكريم ﴿ ولا يرهق ﴾ أي ولا يغشى . ﴿ قتر ﴾ غبرة فيها سواد .

﴿ إنّ المتّقينَ في جَنّات وعُيون * ادخلُوها بسَلامٍ ءامنينَ * ونَزَعْنا ما في صُدورِهم مِنْ غِلٍّ إخوانًا على سُرُرٍ مُتَقابِلينَ * لا يَمَسُّهم فيها نَصَبٌ وما هم منها بِمُخرجينَ ﴾ [3] .

نزع الغل من قلوب المؤمنين يكون قبل إدْخالهم الجنة .

﴿ إن للمتّقين مَفازًا * حدائقَ وأعنابًا * وكواعبَ أترابًا * وكأسًا دِهاقًا * لا يَسمعون فيها لَغْوًا ولا كِذَّابًا * جزاءً من ربّك عَطاءً حِسابًا * ربِّ السّمٰواتِ والأرضِ وما بينهما الرّحمٰنِ لا يملكون منه خِطابًا * يومَ يَقومُ الروحُ والملائكةُ صَفًّا لا يتكلّمون إلا من أذِنَ له الرّحمٰنُ وقال صوابًا * ذلك اليومُ الحقُّ فمن شاء اتّخذَ إلى ربّه مآبا * إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا يومَ يَنْظُرُ المرءُ ما قدّمت يداه ويقول الكافرُ ياليتني كنتُ ترابًا ﴾ [4] .

(المفاز) : فوز وظفر بكل محبوب . (الكواعب) : هن نساء الجنة وهن النسوة اللواتي لهن نهود مستديرة بأجمل ما يكون من الأحجام . (الأتراب) : المتساويات في السّن .

﴿ الروح ﴾ : إما جبريل وإما الملك الموكل بالأرواح أو خلق عظيم أعظم من الملائكة وإذا كانت الملائكة والروح على جلالة قدرهم يقفون مصطفين ولا يتكلمون إلا بعد إذن وبشرط أن يكون الكلام صوابًا فهذا يدل على جلالة الموقف وقوة الانضباط فيه . ﴿ ويقول الكافر ياليتني كنت ترابًا ﴾ : قيل في تفسيرها إن ذلك يقوله الكافر بعد أن

---

(١) يونس : ٩ ، ١٠ .

(٢) يونس : ٢٦ .

(٣) الحجر : ٤٥ ـ ٤٨ .

(٤) النبأ : ٣١ ـ ٤٠ .

يرى أن الحيوانات أصبحت ترابًا بأمرًا الله بعد أن يقتص من بعضها لبعض فيتمنى أن لو كان مآله كذلك وقيل غير ذلك .

﴿ إن المتّقين في جنّات ونعيم * فاكِهين بما ءاتاهُم ربُّهم ووقاهم ربهم عذابَ الجحيم * كُلُوا واشرَبُوا هَنيئًا بما كنتم تعْمَلُون * متّكِئين فيها على سُرُرٍ مَصفُوفَةٍ وزوّجناهم بحورٍ عِينٍ * والّذين آمنوا واتّبعَتْهم ذريتهم بإيمان ألحقْنا بهم ذريّتهم ومآ ألتنَاهُم من عملهم من شيءٍ كُلُّ امرئ بما كَسَب رهين * وأمددناهم بفاكهةٍ ولحمٍ مما يَشتَهُون * يتنازعون فيها كأسًا لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ * ويطوف عليهم غِلمانٌ لهم كأنّهم لؤلؤٌ مكنونٌ * وأقبلَ بَعضُهم على بعضٍ يتساءَلون * قالوا إنّا كنا قبلُ في أهلنا مُشفِقين * فَمَنّ اللهُ علينا ووقانا عذاب السّموم * إنّا كنّا من قبلُ ندعُوه إنه هو البرُّ الرحيمُ ﴾ [١] .

﴿ عين ﴾ جمع عَيناء وهي ذات العين الواسعة الجميلة . ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ أي في دخول الجنة والدرجة بشرط وجود الإيمان وهذا يدل على أن صلاح الآباء ينفع الأبناء إذا كانوا مؤمنين . ﴿ وما ألتناهم ﴾ أي وما أنقصناهم . ﴿ رهين ﴾ أي مرهون عند الله فلا يفكه إلا إيمانه وعمله الصالح . ﴿ يتنازعون فيها ﴾ يتجاذبون . ﴿ كأسًا ﴾ خمرًا . ﴿ لا لغوٌ فيها ﴾ لا كلام ساقط . ﴿ ولا تأثيم ﴾ ولا فعل يوجب الإثم على خلاف خمر الدنيا التي يرافقها اللغو والإثم . ﴿ اللؤلؤ المكنون ﴾ المصون . ﴿ عذاب السموم ﴾ نار جهنم النافذة من المسام .

﴿ وجوه يومَئذٍ ناعمةٌ * لسعيها راضيةٌ * في جنّةٍ عالية * لاتسمعُ فيها لاغيةٌ * فيها عينٌ جاريةٌ * فيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وأكوابٌ موضوعَةٌ * ونمارقُ مَصْفُوفَةٌ * وزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [٢] .

(النمارق المصفوفة) : الوسائد والمرافق يُتّكَأُ عليها موضوع بعضها إلى جنب بعض .
(الزرابي المبثوثة) : البسط الفاخرة المفرقة في المجالس .

﴿ إنّ الذين آمنُوا وعَمِلُوا الصالحاتِ إنّا لا نضيع أجرَ من أحسنَ عملا * أولئك لهم

---

(١) الطور : ١٧ ـ ٢٨ .
(٢) الغاشية : ٨ ـ ١٦ .

جناتُ عَدْنٍ تَجري من تحتِهم الأنهارُ يُحَلَّوْن فيها من أساورَ من ذهبٍ ويَلْبَسُونَ ثياباً خُضْرًا من سُنْدُسٍ وإستَبْرقٍ متَّكِئين فيها على الأرائكِ نعم الثَّوابُ وحَسُنَتْ مُرتَفقًا ﴾ (١) .

﴿ الأرائك ﴾ جمع أريكة وهي مايُتَّكَأُ عليه ويراد به هنا ـ والله أعلم ـ السرر التي عليها الأرائك .

﴿ وإن للمتّقين لَحُسْنَ مَآبٍ * جناتِ عدنٍ مفتَّحة لهم الأبوابُ * مُتَّكِئينَ فيها يَدْعُون فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ * وعندهم قاصِراتُ الطَّرْفِ أترابٌ * هذا ما تُوعَدون ليوم الحسابِ * إن هذا لَرِزْقُنا ما لَه مِن نفادٍ ﴾ (٢) .

﴿ إن هذا لرزقنا ما له من نفاد ﴾ أي ما له من انقطاع وفناء .

﴿ جنَّات عَدْنٍ التي وَعَد الرحمنُ عبادَه بالغيبِ إنَّه كان وعدُه مَأْتِيا * لا يَسمعون فيها لَغْوًا إلا سَلامًا ولهم رزقُهم فيها بُكرةً وعَشيًّا * تلك الجنةُ التي نُورثُ من عبادنا مَنْ كان تَقِيًّا ﴾ (٣) .

﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًّا ﴾ : فسرها بعضهم بأن المراد بذلك الدّيمومة فلا صباحَ ومساءَ في الجنة ، وفسرها بعضهم بأن ذلك جرى على عادة أهل الرفاه في الدنيا وذلك عدا ما يشتهونه فهو موفر لهم في كل حال .

﴿ جناتُ عَدنٍ يدخُلونها يُحلَّون فيها من أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤًا ولباسُهم فيها حرير * وقالوا الحمد لله الذي أذهبَ عنَّا الحَزَنَ إنَّ ربَّنا لغفورٌ شكورٌ * الذي أحَلَّنا دارَ المُقامَةِ مِن فضلِه لا يَمسُّنا فيها نَصَبٌ ولا يَمسُّنا فيها لُغوب ﴾ (٤) .

﴿ الحزن ﴾ : كل ما يحزن ويغم . (النصب) : التعب والمشقة . (اللغوب) : الإعياء من التعب والفتور .

﴿ قُل أذلكَ خيرٌ أمْ جَنَّةُ الخلدِ التي وُعِدَ المتَّقونَ كانتْ لهم جزاءً ومصيرًا * لهم فيها ما

(١) الكهف : ٣٠ ـ ٣١ .
(٢) ص : ٤٩ ـ ٥٤ .
(٣) مريم : ٦١ ـ ٦٣ .
(٤) فاطر : ٣٣ ، ٣٥ .

يَشاءونَ خالدِين كانَ على ربِّك وعدًا مسئُولاً ﴾ (١) .

﴿ إنّ أصحابَ الجنّةِ اليومَ في شُغُلٍ فاكِهون * هم وأزواجُهم في ظِلالٍ على الأرائك مُتّكِئون * لهم فِيها فاكِهةٌ ولهم ما يدعُون * سلامٌ قوْلا من ربٍّ رّحيمٍ ﴾ (٢) .

﴿ شُغُل ﴾ : نعيم عظيم يلهيهم عما سواه . ﴿ فاكِهون ﴾ متلذذون أو فرحون . ﴿ ما يَدّعون ﴾ أي ما يتمنون أو يطلبون . وقال البيضاوي عند قوله تعالى : ﴿ في شُغُل ﴾ : إنه أبهم (الشغل) تعظيمًا لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيهًا على أنه أعلى ما يحيط الأفهام ويعرب عن كنهه الكلام اهـ .

﴿ إنّ المتّقين في ظلال وعيون * وفواكهَ مما يَشتهونَ * كلُوا واشربوا هَنيئًا بما كنتمْ تَعملون * إنّا كَذلكَ نَجزي المحسنينَ * ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين ﴾ (٣) .

﴿ إنّ الّذين كَفروا لو أنّ لهم ما فِي الأرض جَميعًا ومِثْلَهُ معه لِيَفْتَدُوا به من عذابِ يومِ القيامةِ مَا تُقُبّل منهم ولهم عذابٌ أليم * يُريدون أن يَخْرُجُوا من النّارِ وما هُم بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيمٌ ﴾ (٤) .

﴿ وَيْلٌ لكلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * الّذي جمعَ مالا وعدّدَهُ * يَحْسَبُ أنّ مالَه أخْلَده * كلا لَيُنْبَذَنّ في الحُطَمَةِ * وما أدراكَ ما الحُطَمةُ * نارُ اللهِ الموقَدةُ * الّتي تَطّلِعُ عَلَى الأفئِدَةِ * إنّها عليهم مؤصَدَةٌ * في عَمَدٍ ممددَةٍ ﴾ (٥) .

﴿ وَيْلٌ ﴾ : عَذابٌ أوْ هَلاكٌ أوْ وَادٍ في جَهَنّم .

﴿ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ : طَعّانٍ غَيّابٍ عَيّابٍ للنّاس .

﴿ عَدّدَهُ ﴾ : أحصَاه . أوْ أعَدّهُ للنّوائب .

﴿ أخْلَدَهُ ﴾ : يُخَلّدهُ في الدّنيا .

---

(١) الفرقان : ١٥ ـ ١٦ .
(٢) يس : ٥٥ ـ ٥٨ .
(٣) المرسلات : ٤١ ـ ٤٥ .
(٤) المائدة : ٣٦ ـ ٣٧ .
(٥) الهمزة : ١ ـ ٩ .

﴿ لَيُنْبَذَنَّ ﴾ : لَيُطْرَحَنَّ .

﴿ الحُطَمة ﴾ : جهنم . لِحَطْمِها كلَّ ما يُلْقَى فيها .

﴿ تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ : تَغْشَى حَرارتُها أوْساطَ القُلوب .

﴿ مُؤْصَدَةٌ ﴾ : مُطْبَقَةٌ مُغْلَقَةٌ أَبْوابُها .

﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ : بأعمدَةٍ مَمْدُودَةٍ عَلَى أَبوَابِها .

وهذا وصف يؤكد أن جهنم سجن ولكنه ليس كسجون الدنيا .

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * ما أَغْنَى عَنْهُ مَالُه وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذاتَ لَهَبٍ * وامرأتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ * في جيدِها حَبْلٌ من مَسَدٍ ﴾ [١] .

﴿ تَبَّتْ ﴾ : هَلَكَتْ أَوْ خَسِرَتْ أو خَابَتْ .

﴿ وَتَبَّ ﴾ : وَقَد هَلَكَ أَوْ خَسِرَ أَوْ خابَ .

﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ ﴾ : مَا دَفَعَ التَّبابَ عَنْهُ .

﴿ مَا كَسَبَ ﴾ : الذي كَسَبَهُ بِنَفْسِه .

﴿ سَيَصْلَى نَارًا ﴾ : سَيَدْخُلُهَا أَوْ يُقَاسِي حَرَّها .

﴿ فِي جيدِها ﴾ : في عُنُقِهَا .

﴿ مِنْ مَسَدٍ ﴾ : مِمَّا يُفْتَلُ قَوِيًّا مِنَ الحِبَال .

قال البيضاوي ﴿ في جيدها حبل من مسد ﴾ أي حبل من نار اهـ .

أقول : والذين فسروه بأنه حبل من ليف أخذوه على معناه في الدنيا ولا غرابة فالنار فيها شجر الزقوم فحال الآخرة غير حال الدنيا فإذا احترق الشجر والليف في نار الدنيا فإن لنار الآخرة خصائصها ، وعلى كل الأحوال فإن النص يفيد الإذلال والمهانة على ما كانت

---

(١) المسد : ١ ـ ٥ .

تفعله في الدنيا .

﴿ هٰذان خَصمَان اختَصموا في رَبِّهم فالـذين كفروا قُطِّعَتْ لهم ثيـابٌ من نـارٍ يُصَبُّ من فَوقِ رُؤوسِهِمُ الحميمُ * يُصْهَرُ بِـهِ مـا في بطونِهم والجلُودُ * ولهم مقـامِـعُ من حـديـد * كلما أرادوا أن يَخرجوا منها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فيها وذُوقُوا عَذَابَ الحريق ﴾ [١] .

﴿ هـذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ هـذان فـوجـان اختصموا في الله : وهم المـؤمنـون والكافرون وقـد ذكر الله عز وجل مـا أعـد للكافرين الـذين يخـاصمون المـؤمنين في الله فقـد قدرت لهم على مقادير جثثهم ثياب من النار تحيط بهم إحاطـة الثيـاب ، وهل المراد بـذلـك أن النار التي تحيط بهم هي الثيـاب أو أن لهم ثيـابًـا من نـار زيـادة على نـار جهنم ؟ النص يحتمل هذا وهذا . والحميم الماء الحار . ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ سياط من حديـد يجلـدون بها .

﴿ إنَّ المنافقين في الدَّرْكِ الأسفلِ من النارِ ولن تجدَ لهم نصيرًا ﴾ [٢] .

أي في الطبقـة التي في قعر جهنم لأنهم أخبث الكفرة فقـد ضموا إلى الكفر استهـزاءً بـالله وخداعًا للمسلمين .

﴿ إنَّ الذينَ يَرمُونَ المُحْصَنات الغافِلاتِ المؤمِنَاتِ لُعِنُوا في الدُّنيـا والآخِرَةِ ولهم عَـذَابٌ عظيمٌ * يَومَ تَشْهَدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأَرجُلُهم بما كانوا يعملون * يَوْمَئذٍ يُوَفِّيهم اللهُ دِينَهم الحقَّ ويعلمون أنَّ اللهَ هو الحقُّ المبين ﴾ [٣] .

﴿ إن الذين يرمون المحصنات ﴾ العفائف ﴿ الغـافلات ﴾ عمـا قُـذِفْنَ بـه المؤمنـات بـالله ورسوله ، إنَّ الـذين يرمون هؤلاء أي يقـذفونهن بـالزنـا . وقـد قيل إن الوعيـد المـذكور في النص في حق المنافقين الذين قذفوا عائشة رضي الله عنها وقيل إنه في حق كل قاذف مـا لم يتب وتقبل توبتـه ويعف أصحـاب الحقوق عن حقوقهم ومـا أشـد هـذا الـوعيـد في حـق كل من يقذف أعراض المؤمنين والمؤمنات .

---

(١) الحج : ١٩ ـ ٢٢ .
(٢) النساء : ١٤٥ .
(٣) النور : ٢٣ ـ ٢٥ .

﴿ وإنْ تَعْجَب فَعَجبٌ قولُهم أئذا كُنّا تُرابًا أئنّا لفي خَلْقٍ جَديدٍ أُولَئِكَ الذين كَفَروا بربِّهم وأولئكَ الأغلالُ في أعناقِهم وأولئك أصحابُ النّارِ هم فيها خَالِدوُن ﴾ (١) .

﴿ أولئك الأغلال في أعناقهم ﴾ أي يُسحبون بها في النار .

﴿ إنّ الذين كفروا بآياتنا سوفَ نُصليهم نارًا كُلّما نَضِجَتْ جُلُودُهم بَدّلناهم جُلُودًا غيرَها ليذُوقوا العذابَ إنّ اللهَ كانَ عزيزًا حكيمًا ﴾ (٢) .

أي يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى أو يزال عنه أثر الإحراق ليعود إحساسه للعذاب كما قال ﴿ ليذوقوا العذاب ﴾ أي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدًا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية .

أقول : من أقوال علماء التشريح في عصرنا أن أشد أنواع الأعصاب حساسية بالألم هي أعصاب الجلود ، فالآية فيها معجزة علمية من معجزات القرآن .

﴿ كُلُوا وتَمتّعوا قليلا إنّكُم مُجْرمون * ويلٌ يؤمئذٍ للمُكَذّبين * وإذا قِيلَ لهم ارْكَعوا لا يَرْكعون * ويلٌ يؤمئذٍ للمكذّبين * فبأيِّ حديثٍ بَعْدَه يؤمِنون ﴾ (٣) .

دل النص على أن أهل النار يأكلون ويتمتعون في الدنيا وهم غافلون عن الله ، وما كلفهم به ، وبذلك استحقوا ما استحقوه من العذاب .

﴿ والذين يكنِزُون الذّهبَ والفِضّةَ ولا يُنفِقُونها في سبيل الله فبشّرهُم بعذابٍ أليمٍ * يومَ يُحْمَى عليها في نارِ جَهَنّمَ فتُكوَى بها جِباهُهُم وجُنُوبُهم وظهورُهم هذا ما كَنَزْتُم لأنفسِكم فذُوقوا ما كنتم تَكنِزُون ﴾ (١) .

هذا الوعيد لمن لا يؤدي حق الله في ماله فإنه يعذب به في نار جهنم ، وهناك العذاب في الموقف بوطء الأنعام لمن لم يؤد زكاتها في الدنيا كما ورد في حديث صحيح سنورده في جزء الزكاة .

---

(١) الرعد : ٥ .

(٢) النساء : ٥٦ .

(٣) المرسلات :٤٦ ـ ٥٠ .

(٤) التوبة : ٣٤ ـ ٣٥ .

﴿ إن المجرمين في عذاب جَهَنَّمَ خالدون * لا يُفَتَّرُ عنهم وهم فيه مُبْلِسون * وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين * ونادَوا يا مالِكُ لِيَقْضِ علينا رَبُّك قال إنكم ماكثون ﴾ [1] .

﴿ لا يُفَتَّرُ عنهم ﴾ لا يخفف عنهم . ﴿ مبلسون ﴾ آيسون من النجاة . و ﴿ مالك ﴾ هو خازن النار ورئيس الزبانية وقولهم ﴿ لِيَقْضِ علينا ربك ﴾ أي ليتنا فيكون الجواب ﴿ إنكم ماكثون ﴾ أي مقيمون أبدًا لاخلاصَ بموتٍ أو غيرِه وهذا من أعظم الأدلة على كفر القائلين بفناء النار .

﴿ ولا يحسبَنَّ الذين يبخلُون بما آتاهم اللهُ من فضلِهِ هو خيرًا لهم بل هو شرٌّ لهم سَيُطَوَّقون ما بَخِلُوا به يومَ القيامة ﴾ [2] .

ورد في حديث صحيح أن الذي لا يؤدي زكاة ماله يطوقه الله عز وجل يوم القيامة بثعبان يطوق عنقه يأخذ بشدقيه وسيمر معنا الحديث في جزء الزكاة ، وهذا يدل على أن من بخل بزكاة الأموال من ذهب وفضة وأمثالها له عذابه في الحشر ، وإذا دخل النار كان له عذاب خاص بسبب ما كنز مما لم يؤد زكاته .

﴿ يومَ تُقَلَّبُ وجوهُهم في النَّار يقولون ياليْتَنا أطعْنا اللهَ وأطعْنا الرسولا * وقالوا ربَّنا إنَّا أطعْنا سادتَنا وكبراءَنا فأضَلُّونا السبيلا * ربَّنا ءاتِهِم ضِعْفَيْنِ من العذاب والْعَنْهم لعْنًا كبيرًا ﴾ [3] .

﴿ إنَّ الذين يَشْترون بعهد الله وأيْمانهم ثمنًا قليلا أولئك لا خَلاقَ لَهم في الآخِرَة ولا يُكلِّمُهم اللهُ ولا ينظُرُ إليهم يومَ القيامَةِ ولا يُزَكِّيهم ولهم عَذابٌ أليمٌ ﴾ [4] .

﴿ يشترون ﴾ يستبدلون . ﴿ بعهد الله ﴾ أي بما عاهدوه عليه . ﴿ وأيمانهم ﴾ أي بما أقسموا أنه لو جاءهم الرسول الحق لآمنوا به ولنصروه . ﴿ لا خلاق ﴾ لا نصيب لهم من رحمة الله في الآخرة . ﴿ لا يكلمهم الله ﴾ أي : بما يسرهم أو لا يكلمهم أصلاً سخطًا منه عليهم لما

---

(١) الزخرف : ٧٤ ـ ٧٧ .

(٢) آل عمران : ١٨٠ .

(٣) الأحزاب : ٦٦ ـ ٦٨ .

(٤) آل عمران : ٧٧ .

قـــامت عليهم من الحجــج ثم أصروا على الكفر . ﴿ ولا ينظر إليهم ﴾ نظرة رحمـــة .
﴿ ولا يزكيهم ﴾ أي ولا يثني عليهم جـزاء على فعلهم في الـدنيـا إذ إنهم من حبهم للثنـاء في الدنيا عرفوا الحق وتركوه إرضاء للناس . وعلى القول بأنـه لا يكلمهم أصلا فـإن ذلـك محول على بعض مواقف يوم القيامة .

﴿ إنَّ الـذين يكتُمـون مـا أنـزلَ الله من الكتـاب ويشتَرون بـِهِ ثمنًـا قليـلا أولئـك مـا يـأكلُـون في بطـونِهم إلا النَّـارَ ولا يُكلِّمُهم اللهُ يـومَ القيـامَـةِ ولا يُـزَكِّيهم ولهم عَـذَابٌ أليمٌ ﴾ [١] .

كما أن من كفر أصلا له من العذاب ما ذكر في ما قبل هذا النص فإن من يكتم مـا أنزل الله وهو قادر على إظهاره فإن له هذا العذاب الذي ذكرته الآيـة ، وكـذلـك من يسـأل عن علم يفترض عليه تعليه فيَكتمه يلجم يوم القيامة بلجام من نار ، وقوله تعـالى ﴿ مـا يـأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ فسرها البيضـاوي بقولـه : ﴿ ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ : إمـا في الحال لأنهم أكلوا ما يتلبس بالنـار لكونهـا عقوبـة عليـه ، أو في المـآل أي لا يـأكلون يوم القيامة إلا النار في بطونهم ملء بطونهم اهـ .

﴿ كيف يهدي الله قومًا كفروا بعـد إيمـانهم وشهـدوا أن الرسول حق وجـاءهم البينـات والله لا يهدي القوم الظالمين * أولئك جزاؤهم أنّ عليهم لعنةَ الله والملائكةِ والناس أجمعين * خـالـدين فيهـا لا يُخَفَّفُ عنهم العـذابُ ولا هُمْ يُنْظَرون * إلا الـذين تـابـوا من بعـد ذلـك وأصلَحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ [٢] .

هناك ناس يرتدون ولا أمل في رجوعهم إلى الإسلام لأنهم ارتدوا بعد قيام الحجـة كاملـة عليهم ، فهؤلاء ينفي الله أن يكونوا محل هـدايتـه مرة أخرى وهؤلاء يستـأهلون اللعنـة من الله والملائكة والمؤمنين ومن الناس أجمعين في الدنيـا وفي الآخرة ، وهنـاك نـاس يرتـدون ثم يرجعون فيتوبون ويصلحون فهؤلاء يعدهم الله عز وجل مغفرة منه ورحمة .

﴿ كلا إنَّهم عن ربِّهم يَوْمئذٍ لَمحجُوبون * ثم إنهم لصَالـو الجحيم * ثم يقال هـذا الـذي

---

(١) البقرة : ١٧٤ .
(٢) آل عمران : ٨٦ ـ ٨٩ .

كنتم به تكذّبون ﴾ (١) .

﴿ كلا إنهم عن ربهم يَوْمَئِذٍ لمحجوبون ﴾ : أي إنهم لا يرون الله عز وجل لا في عرصات القيامة ولا بعد دخولهم النار فهم محرومون من هذه الرؤية على خلاف المؤمنين الذين يرون ربهم في عرصات القيامة ويرونه بعد أن يدخلوا الجنة .

﴿ فاتقُوا النَّارَ التي وَقُودُها النَّاسُ والحجارةُ أُعِدّتْ للكافرين ﴾ (٢) .

﴿ والطُّور * وكتابٍ مَسْطورٍ * في رَقٍّ منشورٍ * والبيتِ المعمورِ * والسقفِ المرفوع * والبَحْرِ المَسْجُور * إنَّ عذابَ رَبِّك لواقعٌ * ماله مِنْ دافعٍ * يومَ تَمورُ السَّماءُ مَوْرًا * وتَسيرُ الجبالُ سَيْرًا * فويلٌ يومئذٍ للمكذّبين * الذين هم في خَوْضٍ يلعبون * يومَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جهنّم دَعًّا * هذه النارُ التي كنتمْ بها تكذّبون * أفَسِحْرٌ هذا أم أنتمْ لا تُبصِرون * اصْلَوْها فاصْبِروا أو لاتصبروا سواءٌ عليكم إنَّما تُجْزَوْن ما كنتم تعملون ﴾ (٣) .

﴿ والطور ﴾ قسمٌ بجَبَلِ طُور سيناء الذي كلم اللهُ عنده موسى . ﴿ وكتاب مسطور ﴾ مكتُوبٍ على وَجه الانتظام والمراد به القرآن أو اللوح المحفوظ ﴿ في رق ﴾ ما يُكْتَبُ فيه جلدًا أو غيره ﴿ منشور ﴾مبسوط غير مختوم عليه وقد استعير للكتاب المراد في الآية السابقة ﴿ البيت المعمور ﴾ إما كعبة الأرض وإما كعبة السماء وهي في السماء الرابعة والمراد بعمارتها كثرة قاصديها للعبادة ﴿ والسقف المرفوع ﴾ السماء ﴿ والبحر المسجور ﴾ المُوقَدِ نارًا يوم القيامة ﴿ إن عذاب ﴾ جَوابُ القسم بما سَبَقَ ﴿ تمور السماء ﴾ تضطرب وتدور كالرحى وذلك بين يدي طيِّها كطي السجل ﴿ فويل ﴾ هلاك أو حسرة أو شدة عذاب ﴿ خوض ﴾ انْدِفاع في الأباطيل والأكاذيب ﴿ يُدَعُّون ﴾ يُدفَعونَ بعنْفٍ وشِدّة ﴿ اصْلوها ﴾ ادْخلُوها أو قَاسُوا حَرَّها .

﴿ إنَّ جهنَّمَ كانت مرصادًا * للطاغين مآبًا * لابثين فيها أحقابا * لا يَذُوقون فيها بَرْدًا ولا شَرابًا * إلا حَمِيمًا وغَسّاقًا * جزاءً وِفاقًا * إنَّهم كانوا لا يَرجُون حِسابًا * وكذّبوا

---

(١) المطففين : ١٥ ـ ١٧ .

(٢) البقرة : ٢٤ .

(٣) الطور : ١ ـ ١٦ .

بآياتنا كذّابا * وكلّ شيء أحصيناه كتابًا * فذوقوا فلن نَزيدكم إلا عذابا ﴾ [١] .

قال صاحب « كلمات القرآن تفسير وبيان » في شرح المفردات ما يلي :

﴿ كَانَتْ مِرصادًا ﴾ : مَوْضِعَ تَرَصُّدٍ وَتَرقُّبٍ لِلكَافرين .

﴿ لِلطَّاغِين مَآبا ﴾ : مَرجِعًا وَمَأْوى لَهُمْ .

﴿ أحقابًا ﴾ : دُهُورًا مُتَتَابِعةً لا نِهاية لَهَا .

﴿ بَرْدًا ﴾ : نَوْمًا أو رَوْحًا مِنْ حَرِّ النَّار .

﴿ حَمِيًا ﴾ : مَاءً بالِغًا نِهايةَ الحَرَارَةِ .

﴿ غَسّاقًا ﴾ : صَدِيدًا يَسِيلُ مِنْ جلُودهم .

﴿ جَزاءً وِفاقًا ﴾ : جَزَيْنَاهُمْ جَزاءً موافقًا لأَعْمالِهِم .

﴿ كِذَّابًا ﴾ : تَكْذِيبًا شَدِيدًا .

﴿ أحصيناه كتابًا ﴾ : حَفِظْنَاه وضَبَطْنَاهُ مكتوبًا إما في اللوح المحفوظ أو في صحف الحفظة من الملائكة أو في الكتاب الذي ينسخ عن صحف الملائكة وقد كفر قوم بفهمهم من قوله تعالى ﴿ لابثين فيها أحقابًا ﴾ إذ وهموا فظنوا أن النار تفنى في النهاية وهو خلاف الإجماع والنصوص المحكمة القطعية ، والمراد ﴿ لابثين فيها أحقابًا * لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا * إلا حميًا وغساقًا ﴾ فهناك أحقاب يكون هذا عذابهم ثم تأتي أحقاب أخرى فيجمع إلى هذا العذاب عذاب آخر قال تعالى ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا ﴾ أو أن المراد أنه كلما انتهى حقب جاء حقب آخر إلى مالا نهاية .

﴿ وَجَعَلْنَا جَهنّم للكافرين حَصيرًا ﴾ [٢] .

﴿ حصيرًا ﴾ أي سجنًا يحصرون فيه وبعضهم فسرها بأن المراد فيها أنها فراش ومهاد لهم وهذا لا ينفي كونها سجنًا لقوله تعالى ﴿ إنها عليهم مؤصدة ﴾ .

---

(١) النبأ : ٢١ ـ ٣٠ .　　(٢) الإسراء : ٨ .

﴿ والذين كَسَبُوا السَّيِّئات جزاءُ سَيِّئَةٍ بمثلِها وتَرْهَقُهم ذِلَّةٌ ما لهم منَ اللهِ من عاصمٍ كأنَّما أُغشِيتْ وُجُوهُهم قِطَعًا منَ الليلِ مُظْلِمًا أولئك أصْحابُ النَّارِ هم فيها خالدون ﴾ [1] .

قوله تعالى ﴿ ترهقهم ذلة ﴾ أي تغشاهم ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلمًا ﴾ أي لفرط سوادها وظلمتها والسواد يصيب الكافرين في الحشر وفي النار وهو في النار أشد .

﴿ إنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سلطانٌ إلا مَنِ اتَّبعكَ من الغاوين * وإن جَهَنَّمَ لَمَوعِدُهُم أجمعين * لها سبعةُ أبوابٍ لِكلِّ بابٍ منهمْ جزءٌ مَقْسومٌ ﴾ [2] .

قال البيضاوي : لها سبعة أبواب : يدخلون فيها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، ﴿ لكل باب منهم ﴾ من الأتباع ﴿ جزء مقسوم ﴾ أُفْرِزَ له ، فأعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين . اهـ .

أقول : هذا اتجاه للعلماء فهموه استقراءً وأما الجنة فلها ثمانية أبواب كما ورد في نصوص كثيرة .

﴿ أفَمَن يتَّقي بوجهِهِ سوءَ العذابِ يومَ القيامَةِ وقِيلَ للظالمِينَ : ذُوقُوا ما كنتم تكسبون ﴾ [3] .

من عادة الناس في الدنيا أنهم يحمون وجوههم بأيديهم أما في النار فإنهم يحمون أنفسهم بوجوههم ، قال البيضاوي (﴿ أفمن يتقي بوجهه ﴾ أي يجعله درقة يقي به نفسه لأنه يكون مغلولا يداه إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بوجهه) اهـ .

﴿ يستعجلونك بالعذابِ وإنَّ جهنَّمَ لَمُحيطة بالكافرين * يَوْمَ يغشَاهُمُ العَذَابُ من

---

(١) يونس : ٢٧ .
(٢) الحجر : ٤٢ ـ ٤٤ .
(٣) الزمر : ٢٤ .

فوقهم ومن تحتِ أرجُلِهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ (١) .

﴿ لمحيطة بالكافرين ﴾ أي ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب أو هي كالمحيطة بهم الآن لإحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها . ﴿ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ أي من جميع جوانبهم ﴿ ويقول ﴾ أي الله أو الملائكة بأمر الله ﴿ ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ أي جزاءه .

﴿ وسِيقَ الَّذين كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ زُمَرًا حتى إذا جاءوها فُتحتْ أبوابُها وقال لهم خزنَتُها ألم يأتِكم رُسُلٌ منكم يَتلُون عليكم آياتِ ربِّكم ويُنذِرونكم لِقاءَ يومِكم هذا قالوا بلَى ولكن حَقَّتْ كلمةُ العذابِ على الكافرين * قِيل ادْخُلوا أبوابَ جهنمَ خالدين فيها فبئسَ مَثوى المتكبرين ﴾ (٢) .

﴿ ولو ترى إذ فَزِعوا فَلا فَوْتَ وأُخِذُوا مِن مكانٍ قريبٍ * وقالوا ءامَنَّا به وأنَّى لهم التَّناوُشُ من مكانٍ بعيدٍ * وقد كفروا به من قبلُ وَيَقْذفُون بالغيبِ من مكانٍ بعيدٍ * وحِيلَ بينَهم وبينَ ما يَشْتَهون كما فُعِلَ بأشْياعِهم مِن قبلُ إنَّهم كانوا في شكٍّ مُريبٍ ﴾ (٣) .

﴿ فزعوا ﴾ خافوا عند الموت أو البعث . ﴿ فلا فوت ﴾ فلا مهرب ولا نجاة من العذاب . ﴿ مكان قريب ﴾ موقف الحساب . ﴿ التناوش ﴾ تناول الإيمان والتوبة . ﴿ مكان بعيد ﴾ هو الآخرة . ﴿ يقذفون بالغيب ﴾ يرجون بالظنون . ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ يمكن أن يراد أن مما يعذبون به أن يُحال بينهم وبين شهواتهم ويمكن أن يراد به أنهم يشتهون الإيمان والعمل الصالح لينجوا بذلك من النار وقد حيل بينهم وبينه لأن محل ذلك الدنيا . ﴿ بأشياعهم ﴾ بأمثالهم من الكفار . ﴿ مريب ﴾ مُوقع في الريبة والقلق .

﴿ هل أتاكَ حديثُ الغاشية * وُجُوهٌ يومئذٍ خاشِعَةٌ * عامِلَةٌ ناصِبةٌ * تَصْلَى نارًا حامِيَةً * تُسْقَى من عينٍ آنِيَةٍ * ليس لهم طَعَامٌ إلا من ضَرِيعٍ * لا يُسْمِن ولا يُغني من جوع ﴾ (٤) .

---

(١) العنكبوت : ٥٤ ـ ٥٥ . (٢) الزمر : ٧١ ـ ٧٢ .
(٣) سبأ : ٥١ ـ ٥٤ . (٤) الغاشية : ١ ـ ٧ .

قال صاحب « كلمات القرآن تفسير وبيان » في شرح المفردات ما يلي :

﴿ الغَاشِيَة ﴾ : القيَامَة تَغْشى النَّاس بأَهْوالها .

﴿ خَاشِعة ﴾ : ذَليلةٌ خاضِعَةٌ مِنَ الْخِزْي .

﴿ عَامِلةٌ ﴾ : تجُرُّ السَّلاسِلَ وَالأَغْلالَ فِي النَّار .

﴿ نَاصبَةٌ ﴾ : تَعِبةٌ مِمَّا تُلاقيه فيها مِنَ العذاب .

﴿ تَصْلَى نارًا حَامية ﴾ : تَدخُلُ أو تُقاسي نارًا تناهى حَرُّهَا .

﴿ عَيْنٍ آنيةٍ ﴾ : بَلغتْ أَنَاها (غايتَها) في الحَرارة .

﴿ ضَرِيعٍ ﴾ : شيء في النَّار ، كَالشوكِ مُرٌّ مُنْتن .

﴿ لا يُغني مِنْ جُوع ﴾ : لا يدْفَعُ عنهم جُوعًا . اهـ .

﴿ قل إنَّ الخاسرين الذين خَسِروا أنفسَهم وأهليهِم يومَ القيامَةِ ألا ذلك هو الخسرانُ المبين * لهم من فوقِهم ظُلَلٌ من النار ومن تحتهم ظللٌ ذلك يُخوفُ اللهُ به عبادَه يا عبادِ فاتقون ﴾ (١) .

﴿ الخاسرين ﴾ الكاملين في الخسران . ﴿ خسروا أنفسهم ﴾ بالضلال وأهليهم بالإضلال . ﴿ لهم من فوقهم ظلل ﴾ أي أطباق من النار . ﴿ ومن تحتهم ظلل ﴾ سمى ما تحتهم ظللا لأنه أطباق بالنسبة لمن تحتهم .

﴿ إن يومَ الفَصْلِ ميقاتُهم أجمعين * يَوْمَ لا يُغْني مَوْلًى عن مَوْلًى شيئًا ولا هم يُنصرُون * إلا من رَحِمَ اللهُ إنه هو العزيز الرحيم * إنَّ شجرت الزَّقُّوم * طَعامُ الأثيم * كالْمُهْلِ يَغْلي في البطون * كغَلْي الحَميم * خُذوه فاعْتِلُوه إلى سواء الجحيم * ثم صُبُّوا فوق رأسِه من عذابِ الحميم * ذُقْ إنَّك أنت العزيزُ الكريمُ * إنَّ هذا ما كنتم به تمترون ﴾ (٢) .

﴿ يوم الفصل ﴾ يوم القيامة والحساب . ﴿ شجرت الزقوم ﴾ من أخبث الشجر تنبت

---

(١) الزمر : ١٥ ـ ١٦ .

(٢) الدخان : ٤٠ ـ ٥٠ .

في النـار ، قـال عنهـا ربنـا : ﴿ إنهـا شجرة تخرج في أصـل الجحيم * طلعهـا كأنـه رؤوس الشيـاطين * فـإنّهم لآكِلـون منهـا فـمالئـون منهـا البطـون * ثم إنّ لهم عليهـا لشَـوْبًـا من حميم ﴾ [١] . ﴿ كالمهـل ﴾ كالمعـدن المـذاب . ﴿ فـاعتلـوه ﴾ فجروه بعنف وقهر . ﴿ سـواء الجحيم ﴾ وسط النار . ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ يدل على أن لأئمة الكفر عذابًا أشد من عذاب غيرهم فقرهم وسط الجحيم ﴿ به تمترون ﴾ تجادلون وتمارون .

﴿ إنّا أعْتَدْنا للظالمين نارًا أحاط بهم سُرادِقُها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمُهْل يَشوي الوجوه بئسَ الشرابُ وساءتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [٢] .

فسر بعضهم السرادق هنا بما يحيط بالبيت ، وفسرها بعضهم بالجدار وقد وردت نصوص في كثافة وعرض جدران النار ستمر معنا . ﴿ كالمهل ﴾ كالمعدن المذاب . ﴿ ساءت مرتفقا ﴾ ساءت مكانًا يقر فيه الإنسان ويسكنه وكأنه محل ارتفاقة وهذا شأنه في الهول والعذاب .

﴿ واستفتحُوا وخابَ كلُّ جبارٍ عنيـد * من ورائـه جهنمُ ويُسـقَى من مـاءٍ صَـديـدٍ * يَتَجَرّعُهُ ولا يكادُ يُسيغُـه ويـأتيـه الموتُ من كُلِّ مكانٍ ومـا هو بِمَيّتٍ ومِن ورائـه عـذابٌ غليظٌ ﴾ [٣] .

﴿ استفتحوا ﴾أي استنصر الرسل بالله على الظالمين . ﴿ خاب كل جبار ﴾ خسر وهلك كل متعاظم متكبر . ﴿ عنيد ﴾ معاند للحق مجانب له . ﴿ من ورائه ﴾ أي أمـامـه أو من وراء حيـاتـه . ﴿ ويسقى من مـاء صـديـد ﴾ أي مـا يسيـل من جلود أهـل النـار . ﴿ يتجرعـه ﴾ يتكلف بلعـه لحرارتـه ومرارتـه . ﴿ ولا يكاد يسيغـه ﴾ أي لا يكاد يبتلعـه لشدة كراهيته ونتنه . ﴿ ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ أي أمامه في كل وقت يستقبل عـذابًـا أشد مما هو فيه وقيل هو الخلود في النار .

﴿ والـذين كفروا لهم نَـارُ جهنّمَ لا يُقضَى عليهم فيموتوا ولا يُخفّفُ عنهم من عـذابهـا كذلك نَجْزي كلَّ كفور * وهم يَصْطرِخون فيها ربّنا أخرجْنـا نعمل صـالحًا غيرَ الـذي كُنّـا

---

(١) الصافات : ٦٤ ـ ٦٧ .
(٢) الكهف : ٢٩ .
(٣) إبراهيم : ١٥ ـ ١٧ .

نعمل أوَ لمْ نُعَمِّرْكُم ما يتذكر فيه مَنْ تذكّرَ وجاءكُم النذيرُ فذوقوا فما للظّالمين من نصير ﴾ [١] .

﴿ ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ رد على من كفر بقوله إن عذاب أهل النار ينقلب عليهم عذوبة فيتلذذون به وهذا من الكفر الذي اشتهر وانتشر في بعض الدوائر .

﴿ بَل كذّبوا بالساعةِ وأعْتدْنا لمن كذبَ بالساعةِ سعيرًا * إذا رأتْهم من مكانٍ بعيدٍ سَمِعُوا لها تَغيُّظًا وزفيرًا * وإذا أُلقوا منها مكانًا ضيّقًا مُقَرّنين دَعوْا هنالك ثُبُورًا * لا تَدْعُوا اليومَ ثُبُورًا واحدًا وادْعُوا ثبورًا كثيرًا ﴾ [٢] .

﴿ إذا رأتهم ﴾ أي إذا كانت بمرأى منهم وكانوا على مرأى منها . ﴿ من مكان بعيدٍ ﴾ وهو أقصى ما يمكن أن ترى منه .﴿ سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا ﴾ سمعوا لها ـ على بعد المكان ـ تغيظًا وزفيرًا أي صوت تغيظ ، شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه . ﴿ وإذا ألقوا منها مكانًا ﴾ أي في مكان . ﴿ ضيقًا ﴾ وذلك لزيادة عذابهم فكلما ضاق المكان على الإنسان كان ذلك أشد في عذابه . ﴿ دعوا هنالك ﴾ ينادون في ذلك المكان . ﴿ ثبورًا ﴾ الثبور الهلاك ، أي يطلبون الهلاك ولا يجدونه .

﴿ ألم ترَ إلى الذين يجادِلون في آياتِ اللهِ أنّى يُصْرَفُون * الذين كذّبوا بالكتابِ وبما أرسلْنا به رُسُلَنا فسوفَ يَعْلَمون * إذ الأغلالُ في أعناقِهم والسلاسلُ يُسْحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ [٣] .

﴿ أنى يصرفون ﴾ : كيف يُصرفون عن الآيات مع صدقها ووضوحها . ﴿ الأغلال ﴾ القيود ، تجمع الأيدي إلى الأعناق ، ومع الأغلال فإن هناك سلاسل يلفون بها ويسحبون بها زيادة في الإهانة والعذاب . ﴿ الحميم ﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة . ﴿ يسجرون ﴾ أي يحرقون فتزداد النار بهم إيقادًا . قال تعالى : ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ .

ونختم هذه المشاهد بذكر وصف الكافرين في الدنيا ومواقفهم من الحق فاستحقوا بذلك ما استحقوا :

---

(١) فاطر : ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) الفرقان : ١١ ـ ١٤ .

(٣) غافر : ٦٩ ـ ٧٢ .

﴿ لقد حَقَّ القولُ على أكثرِهم فهم لايؤمنون * إنَّا جعلْنا في أعناقِهم أغلالا فهي إلى الأذقانِ فهم مُقْمَحُون * وجعلنا من بين أيديهم سَدًّا ومن خلفهم سَدًّا فأغشيناهم فهم لا يُبْصِرون ﴾ [1] .

﴿ لقد حق القول على أكثرهم ﴾ أي قوله : ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾[2]. ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ﴾ أي غير مرئية حيث لاتغني عنهم الآيات والنذر ﴿ فهي إلى الأذقان ﴾ أي الأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤوسهم . ﴿ فهم مقمحون ﴾ أي رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له . ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا ﴾ أي أحاط بهم سدان من أمامهم ومن خلفهم فإن نظروا أمامهم لا يبصرون وإن نظروا خلفهم لا يبصرون وإن نظروا إلى المستقبل لا يبصرون وإن نظروا إلى ماضيهم لا يعتبرون وإن نظروا إلى ماضي الأمم لا يعتبرون . ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ أي ألبسنا أبصارهم وبصائرهم غشاوة ـ فاحمد الله يا أخي على أن كنت من أهل الإسلام ولم تكن من هؤلاء الذين تراهم واقعًا يتحرك .

---

(١) يس : ٧ ـ ٩ .

(٢) هود : ١١٩ .

٣ ـ نصوص حديثية في النار

١٣٠٣ ـ * روى أحمد عن أبي هريرةَ أن رسول الله ﷺ قال : « هـذه النـارُ جُزْءٌ من مائةِ جُزْءٍ من جهنَّمَ » .

١٣٠٤ ـ * روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « أتَدْرُونَ مَثَلَ نارِكم هـذه من نـار جهنَم لهي أشـدُّ من دُخـانِ نـارِكم هـذه بسبعين ضِعفًا » .

١٣٠٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه أن رسولَ الله ﷺ قـال : « نارُكم هذه التي توقِدون : جزء من سبعين جُزءاً من نـار جهنم » ، قـالوا : والله إنْ كانت لكافية يا رسولَ اللهِ ، قال : « فـإنهـا فُضِّلَتْ عليهـا بتسعـة وستين جُزْءاً ، كلُّهـا مثل حَرِّها » .

أقول :

نحن نعلم أن نار الدنيا ليست واحدة في الحرارة فهناك نار في الدنيا هي جزء من مـائـة جزء من نار جهنم وهناك نار في الدنيا هي جزء من سبعين جزءاً .

١٣٠٦ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : كُنَّـا مع رسول الله ﷺ ، إذْ سَمِع وَجْبَة ، فقال : « أتَدْرُونَ ما هـذا ؟ » قلنـا : اللهُ ورسولُـه أعلمُ ، قـال : « هـذا

١٣٠٣ ـ أحمد (٢ / ٣٧٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٧) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٠٤ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٠٥ ـ البخاري (٦ / ٣٣٠) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١٠ ـ باب صفة النار .

مسلم (٤ / ٢١٨٤) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١٢ ـ في شدة حر نار جهنم .

والترمذي (٤ / ٧٠٩) ٤٠ ـ كتاب صفة جهنم ، ٧ ـ باب ما جاء في صفة جهنم .

والموطأ (٢ / ٩٩٤) ٥٧ ـ كتاب جهنم ، ١ ـ باب ما جاء في صفة جهنم .

وليس في الموطأ « كلها مثل حرها » .

١٣٠٦ ـ مسلم (٤ / ٢١٨٤) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١٢ ـ باب في شدة حر نار جهنم .

(وَجْبةٌ) : الوَجْبَةُ : صوتُ وقع الشيء .

حَجَرٌ رُمِيَ به في النار منذ سبعين خَرِيفًا ، فهو يَهْوِي في النار الآن حيث انتهى إلى قعرها » زاد في رواية [١]: « فسمعتم وَجْبَتَها » .

أقول :

هذا النص يدل على أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسمعون شيئًا من أمر الغيب .

١٣٠٧ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عمرو بنِ العاص رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لو أنَّ رَصَاصةً مثلَ هذه - وأشار إلى مثل الجُمْجُمَةِ - أرسِلَتْ من السماء إلى الأرضِ - وهي مسيرةُ خمسمائةِ سنةٍ - لَبَلَغتِ الأرضَ قبل الليل ، ولو أنَّها أُرسِلَتْ مِنْ رَأسِ السّلسلة لَسَارَت أربعينَ خريفًا الليلَ والنهار ، قبل أن تَبلُغَ أصلَها ، أو قَعْرَها » .

وفي كتاب الترمذي المطبوع لو أن رُضَاضة - بالضاد المعجمة - والرضاضة فتات الشيء وفي شرح السنة : لو أن رَضْرَاضة والرَّضْرَاض : الحصى الصغار .

قال محقق الجامع : وإسناده حسن ، وقال الترمذي : هذا إسناد حسن صحيح .

وحسن إسناده أيضًا الشيخ شعيب في شرح السنة ١٥ / ٢٤٩ لكن ضعفه بعضهم ، وظني أن ذلك لوجود درَّاج أبي السمح إذ قال عنه ابن حجر في التقريب : (صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ، ضعيف) ا . هـ .

لكن الناظر في ترجمته في التهذيب يرى أنه وجد من وثقه ومن ضعفه وها أنذا أنقل ما قيل فيه :

« قال عبد الله بن أحمد عن أبيه : حديثه منكر ، وقال أبو داود لما سئل عنه : سمعت أحمد يقول : الشأن في دراج ، وقال عثمان الدارمي عن ابن معين : ثقة ، قال عثمان : دراج ومشرح بن هامان ليسا بكل ذاك ، وهما صدوقان . وقال الدوري عن ابن معين : دراج

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٨٥) في الكتاب والباب السابقين .

١٣٠٧ - الترمذي (٤ / ٧٠٩) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ١٦ - باب حدثنا سويد ... إلخ .

ثقة ، وأبو الهيثم ثقة ، وقال الآجرى عن أبي داود : أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد . وقال النسائي : ليس بالقوي . وقال في موضع آخر : منكر الحديث . وقال أبو حاتم في حديثه ضعف ، وقال الدارقطني : ضعيف . وقال في موضع آخر : متروك . وقال فضلك الرازي لما ذكر له أن ابن معين قال دراج ثقة ؛ فقال : ليس بثقة ولا كرامة . وقال ابن عدي : عامة الأحاديث التي أمليتها عن دراج مما لا يتابع عليه ، ومما ينكر من حديثه : أصدق الرؤيا بالأسحار ، والشتاء ربيع المؤمن ، والشباع حرام ، وأكثروا من ذكر الله حتى يقال : مجنون ، ولا حليم إلا ذو عثرات . وأرجو أن أحاديثه بعد هذه التي أنكرت عليه لا بأس بها . وقال ابن يونس : كان يقص بمصر ، يقال توفي سنة (١٢٦) . قلت : وذكره ابن حبان في الثقات في عبد الرحمن ، وذكر أن اسم أبيه السمح وخرج حديثه في صحيحه ، وذكر ابن أبي حاتم عن أحمد بن صالح المصري : دراج لا يعرف اسم أبيه وحكى ابن عدي عن أحمد بن حنبل أحاديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد فيها ضعف ، وقال ابن شاهين في الثقات : ما كان بهذا الإسناد فليس به بأس . اهـ تهذيب التهذيب (٣ / ٢٠٨ - ٢٠٩) .

أقول : يستأنس بهذا النص أن السموات السبع قريبة نسبيًا من الأرض بالنسبة لما نعرفه الآن من أبعاد بين النجوم من جهة وبين المجرات من جهة ، وهذا من جملة الأسباب التي حملتنا على القول بأن السموات السبع مغيبة عنا وأنها من أمر الغيب .

١٣٠٨ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عباسٍ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[1] فقال : « لو أن قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَت في الدنيا لأَفْسَدَتْ على أهل الدنيا مَعَايِشهم ، فكيف بمن يكونُ طعامَهم ؟ » .

١٣٠٨ - الترمذي (٤ / ٧٠٦) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ٤ - باب ما جاء في صفة شراب أهل جهنم .

وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

(١) آل عمران : ١٠٢ .

الزَّقُّوم : هو ما وصفه الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ الصافات : ٦٤ ، ٦٥ .

١٣٠٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اشتكتِ النارُ إلى ربها ، فقالت : ربِّ ، أكل بعضي بعضًا ، فأذن لَهَا بنَفَسَيْن : نَفَسٍ في الشتاء ، ونَفَسٍ في الصيف ، فهو أشدُّ ما تجدون من الحرِّ ، وأشدُّ ما ترون من الزمهرير » .

وللبخاري (١) : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إذا اشتد الحر فأبْرِدوا بالصلاة ، فإن شِدَّة الحر مِنْ فَيْحِ جهنمَ ، واشتكت النارُ إلى ربِّها ، فأذِن لها في كل عام بنَفَسين : نفس في الشتاء ، ونَفَس في الصيف ، فهو أشدُّ ما تجدون من الحرِّ ، وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير » .

ولمسلم (٢) قال : قال رسولُ الله ﷺ : « قالت النار : رَبِّ أكَلَ بَعضي بَعضًا ، فأْذَنْ لي أتنَفَّسْ ، فأذِن لها بِنَفَسَيْن : نَفَسٍ في الشتاء ، ونَفَس في الصيف ، فما وجدتم من بَرْدٍ أو زمهرير فمن نَفَس جهنم ، وما وجدتم من حرٍّ أو حَرور فمن نَفَس جهنم » .

وفي أخرى (٣) له : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا كان الحرُّ فأبْرِدُوا عَن الصلاة ، فإن شدَّة الحَرِّ من فَيْح جهنمَ » ، وذكَرَ : « أنَّ النّار اشتكت إلى ربِّها ، فأذِنَ لها في كلِّ عام بنَفَسَيْن : نَفَس في الشتاء ، ونَفَس في الصيف » .

أقول :

إن أمر النار غيب ومحلّها غيب وكيفية تنفسها وتأثيرها على الأرض وأهلها غيب وواجبنا في ذلك كله التسليم لأن أمر الغيب لا يدخل في دائرة البحث المادي ولا يتناقض معه بل يكمّله .

١٣٠٩ - البخاري (٢ / ١٨) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ، ٩ - باب الإبراد بالظهر .
مسلم (١ / ٤٣١) ٥ - كتاب المساجد ، ٣٢ - باب استحباب الإبراد بالظهر .

(١) البخاري (٢ / ١٨) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ، ٩ - باب في الإبراد بالظهر .

(٢) مسلم (١ / ٤٣٢) ٥ - كتاب المساجد ، ٩ - باب الإبراد بالظهر .

(٣) مسلم (١ / ٤٣٢) ٥ - كتاب المساجد ، ٩ - باب الإبراد بالظهر .

١٣١٠ - * روى البخاري ومسلم عن النعمانِ بن بشيرٍ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن أَهْوَن أَهْلِ النار عذابًا يومَ القيامة : لَرجُلٌ يُوضَعُ في أَخْمَصِ قدمَيهِ جَمرتَان ، يَغلي مِنهما دِماغُهُ » .

وفي رواية [١] : « له نَعلان وشراكان من نار يَغلي مِنهما دماغُه كما يغلي المِرجَلُ ، ما يَرَى أنَّ أحدًا أشَدُّ منه عذابًا ، وإنه لأَهْوَنُهمْ عذابًا » .

١٣١١ - * روى مسلم عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ منهم مَنْ تَأْخُذُه النارُ إلى كَعبيه ، ومنهم من تأخُذُه إلى رُكبتيه ، ومنهم من تأخذُه إلى حُجْزَتِه ، ومنهم من تأْخُذُهُ النارُ إلى تَرْقُوَته » .

وفي أخرى [٢] له : « إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى حُجْزَتِه ، ومنهم من تأخذه إلى عُنُقِه » .

وفي أخرى [٣] مثل الأولى ، وجعل مكان « حُجْزته » : « حَقوَيه » .

١٣١٢ - * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن الحميم لَيُصَبُّ على رؤوسهم ، فينفذُ حتى يَخْلُصَ إلى جوفه ، فَيَسْلُت ما في جوفه حتى يمرُقَ من قَدميهِ - وهو الصَّهْرُ - ثم يُعاد كما كان » .

١٣١٠ - البخاري (١١ / ٤١٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .
مسلم (١ / ١٩٦) ١ - كتاب الإيمان ، ٩١ - باب أهون أهل النار عذابًا .
(١) مسلم : الموضع السابق .

١٣١١ - مسلم (٤ / ٢١٨٥) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٢ - باب في شدة حر نار جهنم .
(٢) مسلم (٤ / ٢١٨٥) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٢ - باب في شدة حر نار جهنم .
(٣) مسلم : في الموضع السابق .

١٣١٢ - الترمذي (٤ / ٧٠٥) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ٤ - باب ما جاء في صفة شراب أهل النار .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .
(الحميم) : الماء الحارُّ المتناهي الحرارة .
(فينفذ) : نفذ ينفُذ : إذا خرق وجاز في الشيء .
(فيسلت) : أي : يحلق ويستأصل ما في جوفه .
(يمرق) : مرق السهم يمرق : إذا نفذ في الرميَّة .
(الصَّهْر) : الإذابة ، صَهَرْت الشحم أصْهَرُه : إذا أذبته .

١٣١٣ - * روى مسلم عن أبي هَريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ضِرس الكافر - أو ناب الكافر - مثلُ أُحُدٍ ، وغِلَظُ جلده : مسيرةُ ثلاث » .

وفي رواية الترمذي [١] قال : قال رسول الله ﷺ : « ضِرسُ الكافر يوم القيامة مثلُ أحدٍ ، وفخِذُهُ مثلُ البيضاء ، ومَقْعَدُهُ في النارِ مسيرةُ ثلاثٍ مثلُ الرَّبَذة » يعني كما بينها وبين المدينة ، والبيضاء : جبل ، وقيل : مدينة من مدائن المغرب .

وله في أخرى [٢] : « ضِرْسُ الكافرِ مثْلُ أُحُد » .

وفي أخرى [٣] قال : « إن غِلَظَ جلد الكافر : اثنان وأربعون ذراعًا ، وإن ضِرْسَه مثلُ أُحُدٍ ، وإنَّ مَجْلِسَهُ من جهنم ما بين مكّة والمدينة » .

أقول : من المعروف في الدنيا أن الأشياء تتمدّد بالحرارة والظاهر أن جسم الكافر في تمدّد دائم بسبب النار ليزداد عذابًا كلما طالت مدّة مكثه في النار .

١٣١٤ - * روى الطبراني عن سليم بن عامر الكلاعي قال : قلنا للمقدام بن معدي كَرِب الكندي : يا أبا كريمة إن الناس يزعمون أنك لم تر رسولَ الله ﷺ فقال : بلى والله لقد رأيته ولقد أخذَ بشحمة أُذُني هذه وأنا أمشي مع عم لي ثم قال لعمي : « أتُرى أنه يذكُرُه » . قلنا يا أبا كريمة حدثنا ما سمعتَ من رسول الله ﷺ . قال : سمعته يقول : « يُحَشَرُ ما بين السِّقْطِ إلى الشيخِ الفاني يوم القيامة في خلق آدمَ وقلب أيوبَ وحُسنِ يوسُفَ مُرْدًا مُكَحَّلين » فقلنا يا رسولَ الله فكيف بالكافر قال : « يَغلُظُ للنار حتى يكونَ غِلظُ جلده أربعين ذراعًا وقريضةُ الناب من أسنانه مثلَ أحدٍ » .

١٣١٣ - مسلم (٤ / ٢١٨٩) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

(١) الترمذي (٤ / ٧٠٣) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ٣ - باب ما جاء في عظم أهل النار .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) الترمذي (٤ / ٧٠٤) : في الموضع السابق .

(٣) الترمذي (٤ / ٧٠٣) : في الموضع السابق .

١٣١٤ - المعجم الكبير (٢٠ / ٢٨٠) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٢) وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، وأحدهما حسن .

١٣١٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه ، قال : « ما بين مَنكِبَي الكافر في النارِ مسيرةُ ثلاثةِ أيام للراكبِ المُسرع » . وفي رواية لم يذكر « في النار » .

١٣١٦ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا تزالُ جهنمُ يُلْقى فيها ، وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضعَ رَبُّ العِزَّة فيها قَدَمهُ ، فَيَنْزوي بعضُها إلى بعضٍ ، وتقول : قَطْ قَطْ ، بعزَّتِكَ وكَرَمِك ، ولا يزال في الجنة فَضْلٌ ، حتى يُنْشِئَ الله لها خَلْقًا ، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجنة » .

وفي رواية (١) : أن النَّبيَّ ﷺ قال : « لا تزالُ جهنَّمُ تقول : هَلْ مِنْ مزيد ؟ حتى يَضَعَ رَبُّ العِزَّة فيها قَدَمَهُ ، فتقول : قَطْ قَطْ وعِزَّتِكَ ، ويُزْوَى بعضها إلى بعض » .

أقول : أجمع أهل السنة والجماعة على أن كل ما ورد في حق الله عز وجل من صفات وأوصاف محمول على ما يليق بجلاله وتنزيهه عن مشابهة خلقه ويفضلون التسليم مع التنزيه ولا ينكرون على الراسخين في العلم من أئمة الهدى إذا أوّلوا بما يجمع بين التنزيه وما تحتمله لغة العرب في الخطاب وبما لا يتناقض مع محكم .

نقول هذا بمناسبة ذكر القدم في النص وقد مرت معنا من قبل نصوص كانت تقتضي منا مثل هذا التعليق فليكن هذا على ذكر من القارئ حيثما ورد وصف قد يحمله الغافل أو الجاهل على ما لا يليق بالله عز وجل مما يتنافى مع التنزيه أي عن مشابهة الله بخلقه .

١٣١٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَدخُلُ أهلُ الجنة الجَنَّة ، وأهلُ النارِ النار ثم يقول : انظروا مَنْ

١٣١٥ - مسلم (٤ / ٢١٨٦) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

١٣١٦ - البخاري (١٣ / ٣٦٩) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٧ باب قول الله تعالى : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٨٨) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

(١) مسلم (٤ / ٢١٨٧) : للوضع السابق .

(قطْ قطْ) : بمعنى حسبي وكفايتي .

١٣١٧ - البخاري (١ / ٧٢) ٢ - كتاب الإيمان ، ١٥ - باب تفاضل أهل الإيمان .

مسلم (١ / ١٧٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٢ - باب إثبات الشفاعة .

وجدتم في قلبه مثقالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ مِنْ إيمان فأخْرِجوه ، فَيُخرَجُون منها حُمَماً قد امْتُحِشوا ، فَيُلْقَونْ في نهر الحياة - أو الحيَا - فَيَنْبُتون فيه كما تنبتُ الحِبَّةُ إلى جانب السَّيْل ، ألم تَرَوْها كيف تَخْرُج صفراءَ ملتوية ؟ » هذا لفظ مسلم .

وعند البخاري : « فيُخرجُون منها قد اسودُّوا » وقال : « من خردلٍ من خير » .

١٣١٨ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن قومًا يُخرَجُون من النار يحترقون فيها ، إلا داراتِ وجوههم ، حتى يُدْخَلُوا الجنة » .

وقد جاء في حديث آخر[1] : « إن النار لا تأكل مواضع السجود » .

١٣١٩ - * روى الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُعذَّبُ ناسٌ مِنْ أهلِ التوحيدِ في النارِ حتى يكونوا فيها حُمَمًا ، ثم تُدرِكُهم الرَّحمةُ ، فيُخرَجون ، فَيُطْرَحُون على أبوابِ الجنة » ، قال : « فَيَرُشُّ عليهم أهلُ الجنة الماءَ ، فَيَنْبُتون كما يَنْبُتُ الغُثَاءُ في حَمَالَةِ السَّيْل ، ثم يُدْخَلُون الجنة » .

١٣٢٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال : « تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إلا أثر السُّجُوْدِ حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ » .

١٣١٨ - مسلم (١ / ١٧٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

(١) النسائي (٢ / ٢٢٩) ١٢ - كتاب التطبيق ، ٨١ - باب موضع السجود .

(دارات) : جمع دارة ، وهي ما يحيط بالوجه من جوانبه ، أراد : أن وجوههم لا تأكلها النار ؛ لأنها محل السجود .

١٣١٩ - الترمذي (٤ / ٧١٢) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ١٠ - باب منه .

وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

١٣٢٠ - البخاري (١٣ / ٤١٩) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ .

مسلم (١ / ١٦٣) ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

وابن ماجه (٢ / ١٤٤٦) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٨ - باب صفة النار .

واللفظ لابن ماجه .

أقول :

هؤلاء الذين يخرجون من النار بعد احتراق ما يحترق منهم هم أهل توحيد ، ومن رحمة الله عز وجل ببعض أهل التوحيد أنه يميتهم في النار حتى يخرجهم منها فإذا لم يبق في النار إلا كافر فعندئذ يذبح الموت بين الجنة والنار ، وإذا كان أمثال ما ذكرنا مآلهم إلى الجنة فمن باب أولى أهل الأعراف .

١٣٢١ - * روى الطبراني عن عبدِ الله بنِ عمرو وقال : أهل النار يدعون مَالِكًا فلا يُجيبُهم أربعين عامًا ثم يقول : إنكم مـاكِثون ، ثم يدعون ربَّهم فيقولون : ﴿ رَبَّنا أخْرِجْنا منها فإنْ عُدنا فإنا ظالمون ﴾ فلا يُجيبُهم مِثْلَ الدنيا ، ثم يقولُ ﴿ اخْسَئُوا فيها ولا تُكَلِّمون ﴾ ثم ييأسُ القومُ فما هو إلا الزفير والشهيقَ تُشبهُ أصواتُهم أصواتَ الحميرِ أولها شهيق وآخرُها زَفيرٌ .

١٣٢٢ - * روى الطبراني عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ في قول الله عز وجل : ﴿ زدناهم عذابًا فوق العذاب ﴾ قال : زيدوا عقاربَ أنيابُها كالنخلِ الطوال .

١٣٢٣ - * روى الطبراني في الأوسط عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قال : قالت بنو إسرائيل يا موسى يخلقُ رَبُّك عز وجل خَلْقًا ثم يُعذِّبُهم ، فأوحى اللهُ إليه : أن ازْرعْ فزرعَ ، ثم قال احصُدْ فحصَدَ ، ثم قال دَرِّه فدَرّاه فاجتمع القماش ، فقال : لأي شيءٍ يَصْلُحُ هذا ؟ قال : لِلنار ، قال : فكذلك لا أُعَذِّبُ من خَلْقي إلا مَنْ استأهلَ النارَ .

فائدة :

قال ابن كثير في النهاية ذاكرًا وجهة النظر التي تذكر أن النار طبقات ولكل طبقة اسم:

١٣٢١ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٦) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٢٢ - المعجم الكبير (٩ / ٢٥٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٤٨) . وقال : رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح .

١٣٢٣ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٠١) .

وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

قال القرطبي : قال العلماء : « أعلى الدركات جهنم . وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ ، وهي التي تخلى من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية » .

فأما المنافقون : ففي الدرك الأسفل من النار بنص القرآن لا محالة .

قال القرطبي :

« ومنْ هذه الأسماء ما هو علم للنار كلها لجملتها ، نحو جهنم ، وسعير ، ولظى . فهذه أعلام ، وليست لباب دون باب » .

وصدق فيما قال ، رضي الله عنه . اهـ (الفتن والملاحم) .

٤ ـ نصوص حديثية

في ما وصف به أهل الجنة وبعض نعيم أهلها

١٣٢٤ ـ * روى مسلم عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما أنَّ رسـولَ الله ﷺ قـال : « مَنْ يَدْخُل الجنةَ يَنْعَمُ ، ولا يَبْأسُ ، ولا تَبْلَى ثيابُهُ ، ولا يَفْنَى شَبابُه » .

١٣٢٥ ـ * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ ، ينادي مُنَـادٍ : إنَّ لكم أن تَحْيَوْا فلا تموتوا أبدًا ، وإنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبـدًا ، وإنَّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبـدًا ، وإنَّ لكم أن تَنْعَمُوا فلا تبـأسوا » ـ وفي روايـة : تبتئسـوا ـ فـذلـك قـولـه عـز وجـل : ﴿ ونُودُوا أنْ تلكم الجنةُ أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ (١) .

١٣٢٦ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « قال الله عز وجل : أَعْدَدْتُ لعبـاديَ الصـالحين مـالا عَيْنٌ رأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَر على قلبِ بشرٍ » واقرؤوا إن شئتم : ﴿ فـلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مـا أُخْفِيَ لهم مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (٢) .

وفي روايـة (٣) ، قـال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فلا تعلم نَفْسٌ مـا أُخفِيَ لهم من قُرَّةِ أعين ﴾ .

وفي أخرى (٤) ، قـال : « يقول الله عز وجل : أُعـدَدْتُ لعبـادي الصـالحين مـالا

١٣٢٤ ـ مسلم (٤ / ٢١٨١) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ٧ ـ باب في صفات الجنة وأهلها .

١٣٢٥ ـ مسلم (٤ / ٢١٨٢) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ٨ ـ باب في دوام نعيم أهل الجنة .

والترمذي (٥ / ٣٧٤) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٤١ ـ باب « ومن سورة الزمر » .

(١) الأعراف : ٤٣ .

١٣٢٦ ـ البخاري (٨ / ٥١٥) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١ ـ باب ﴿ فلا تعلم نفس ... ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ ـ كتاب الجنة ، الحديث الثاني .

(٢) السجدة : ١٧ .

(٣) البخاري : الموضع السابق .

(٤) مسلم (٤ / ٢١٧٥) ٥١ ـ كتاب الجنة ، الحديث الرابع .

عَيْنٌ رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خَطَرَ على قلب بَشَرٍ ذُخْرًا ، بَلْـهَ مـا أطلَعَكم عليه » ، ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم نَفْسٌ ما أُخفي لهم من قُرَّةِ أعين ﴾ » .

وفي رواية [١] « من قُرَّات أعين » .

وللبخاري إلى قوله : « على قلب بشر »[٢] ولمسلم نحو الثالثة ، ولم يـذكر الآيـة ، وقـال: « بَلْهَ ما أطلَعَكم اللهُ عليه » [٣] .

قال محقق الجامع : قال البخاري تعليقًا : وقال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صـالح : قرأ أبو هريرة : قرات أعين ، قال الحافظ في « الفتح » : وصله أبو عبيد القـاسم بن سلام في كتاب « فضائل القرآن » له عن أبي معاوية بهذا الإسنـاد مثلـه سواء ، وقـال ابن الجوزي في « زاد المسير » ٦ / ٣٤٠ : وقرأ أبـو الـدرداء ، وأبـو هريرة ، وأبـو عبـد الرحمن السلمي ، والشعبي ، وقتادة : قرات أعين ، وقـال الحـافـظ في « الفتح » ٨ / ٣٩٦ : وقـال أبو عبيـد : ورأيتها في المصحف الذي يقال لـه : الإمـام « قرة » بـالهـاء على الوحـدة ، وهي قراءة أهل الأمصار . اهـ .

١٣٢٧ - * روى مسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : شَهِدْتُ مِنْ رسول الله ﷺ مَجْلِسًا وصفَ فيه الجنةَ ، حتى انتهى ، ثم قال في آخِرِ حديثه : « فيها مالا عينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ » ، ثم اقترأ هـاتين الآيتين : ﴿ تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يَدْعُون ربَّهم خوفًا وطَمَعًا ومِمَّا رزقناهم ينفقون * فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعيُنٍ جَزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [٣] .

قال أبو صخر حُمَيد بن زيادٍ : فأخبرتُ بها محمدَ بنَ كعبٍ القُرَظِيَّ ، فقـال : أبو حـازم حدَّثَكَ بهذا ؟ قلتُ : نعم ، قال : إن ثَمَّ لَكَيْسًا كثيرًا ، إنهم أخفَوْا لله عَمَلا ، فأخفى الله لهم

---

(١) ، (٢) البخاري : الموضع السابق .

(٣) مسلم : (٤ / ٢١٧٤) ٥١ - كتاب الجنة ، الحديث الثالث .

١٣٢٧ - مسلم (٤ / ٢١٧٥) ٥١ - كتاب الجنة الحديث الخامس .

(٣) السجدة : ١٦ ، ١٧ .

(كَيْسًا) : عقلا وفطنة .

ثوابًا ، ولو قَدِمُوا عليه أقرَّ تلك الأعينَ .

١٣٢٨ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن موضعَ سَوطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها » واقرؤوا إن شئتم ﴿ فمن زُحْزِحَ عَنِ النار وأُدْخِلَ الجنَّةَ فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الغرور ﴾ (1) .

١٣٢٩ - *روى الطبراني عن ابنِ عباسٍ عن النبي ﷺ قال : « لما خَلَقَ الله جنةَ عَدْنٍ خَلَقَ فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ » ، وفي رواية للطبراني (2) « خلق الله جنة عدنْ بيده ودَلَّى فيها ثمارَها وشقَّ فيها أنهارها ثم نظرَ فيها فقالَ لها تكلمي فقالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ فقالَ وعزتي لا يجاوِرُني فيك بخيلٌ » .

١٣٣٠ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : قالَ رسولَ الله ﷺ : « يَدْخُلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلين » .

١٣٣١ - * روى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « يَدْخُلُ أهلُ الجنة جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِين ، أبناءَ ثلاثين ، أو ثلاثٍ وثلاثين سنةً » .

١٣٣٢ - * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قالَ النبي ﷺ : « أهل

١٣٢٨ - الترمذي (٥ / ٢٣٢) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٤ - باب « ومن سورة آل عمران » .
وقال هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(1) آل عمران : ١٨٨ .

١٣٢٩ - المعجم الكبير (١١ / ١٨٤) .

(2) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٦) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وأحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد .

١٣٣٠ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٨) .
وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده جيد .

١٣٣١ - الترمذي (٤ / ٦٨٢) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ١٢ - باب ما جاء في سن أهل الجنة .
وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن بشواهده .
(جردًا) : الجُرْد جمع أجرد ، وهو الذي لاشعر عليه .

١٣٣٢ - الترمذي (٤ / ٦٧٩) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٨ - باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة .
وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وهو حديث حسن بشواهده .

=

الجنةِ جُرْدٌ ، مرد ، كَحْلَى ، لا يَفْنَى شبابُهم ، ولا تَبلى ثيابُهم » .

١٣٣٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أوَّلَ زُمْرَةٍ يدخلون الجنة : على صُورةِ القَمَرِ ليلةَ البدرِ ، ثم الذين يلونهم عَلَى أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء إضاءةً ، لا يبولون ، ولا يَتَغَوَّطون ، ولا يَتْفُلون ، ولا يَمْتَخِطون ، أمشاطُهُم الذهب ، ورَشْحهم المسك ، ومَجامِرُهم الألُوَّةُ - الأَنْجُوج عُود الطيب - أزواجُهُمُ الحور العين ، على خَلْقِ رَجُلٍ واحدٍ ، على صورةِ أبيهم آدم ستُّونَ ذِرَاعًا في السماء » .

وفي رواية (١) قال : قال رسولُ الله ﷺ « أولُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُوَرُهُم على صورة القمر ليلةَ البدرِ ، لا يَبْصُقُون فيها ، ولاَ يَمْتَخِطون ، ولا يَتَغَوَّطون ، آنيتُهُم فيها الذَّهَبُ ، أمْشاطُهُم من الذهبِ والفضةِ ، ومجَامِرُهم الألُوَّةُ ، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ ، ولِكُلِّ واحد منهم زوجتان ، يُرى مُخُّ سوقِهما من وراء اللحم من الحُسْن ، لا اختلافَ بينهم ولا تَباغُضَ ، قُلُوبُهُمْ قلبٌ واحدٌ ، يسبِّحُون الله بُكْرَة وعَشيًّا » .

وللبخاري (٢) في رواية نحو الثانية ، وفيه « قُلُوبُهم على قلب رَجُلٍ واحدٍ » وفيه : « لا يَسْقَمون ولا يَمْتَخِطون » وفيه : « وَوَقُودُ مَجامِرِهم الألُوَّةُ » قال أبو اليمان : يعني العُودَ .

وفي أُخرى (٣) : قال النبيُّ ﷺ : « أول زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجنة : على صورة القمرِ ليلة البدرِ ، والذين على آثارِهِم كأَحْسَنِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء إضاءة ، قلوبُهم على قلبِ واحدٍ ، لا تَباغُضَ بينهم ولا تَحاسُدَ ، لكل امرئٍ زوجتان من الحورِ العينِ ، يُرى مُخُّ سُوقِهِنَّ من وراء العظمِ واللحم » .

= (كَحلى) : جمع كحيل ، مثل قتيل وقتلى ، والكحيل : الذي تبين أجفانه كأنها مكحولة من غير كحل .

١٣٣٣ - البخاري (٦ / ٣٦٢) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ، ١٠ - باب خلق آدم وذريته .

مسلم (٤ / ٢١٨٠) ٥١ - كتاب الجنة ، ٧ - باب من صفات الجنة وأهلها .

(الألوَّة) : الألنجوج : من أسماء العود الذي يتبخر به ، ومن أسمائه : الكباء .

(١) البخاري (٦ / ٣١٨) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٨ - باب ما جاء في صفة الجنة .

ومسلم : الموضع السابق

(٢) ، (٣) البخاري : الموضع السابق .

ولمسلم[١] : أن النبيَّ ﷺ قال : « أولُ زُمْرَةٍ تدخل الجنة من أُمَّتي على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشدِّ نجمٍ في السماء إضاءةً ، ثم هُمْ بعد ذَلِكَ مَنَازِلُ » .

ثم ذكرَ نحو الأولى ، وفيه قال ابن أبي شيبة : « على خُلُقِ رجل » وقال أبو كريب « على خَلْقِ رجُلٍ » .

وفي أخرى من رواية محمد[٢] بن سيرين قال : إما تفاخروا ، وإما تذاكروا : الرجالُ أكثر في الجنة ، أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : أوَ لم يَقُلْ أبو القاسم ﷺ : « إنَّ أولَ زُمْرَةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلةَ البدر ، والتي تليها على أضوأ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِا من وراء اللحم ، وما في الجنة أعزبُ » ؟ .

وفي رواية ابن عُيَيْنَة[٣] : اختَصَمَ الرجال والنساء : أيُّهم في الجنة أكثر ؟ فسألوا أبا هريرةَ ، فقال : قال أبو القاسم ﷺ ... وذكر مثلَ ذلك .

قوله « لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان » : قال النووي : إن ظاهره أن النساء أكثر أهل الجنة . وفي الحديث الآخر أنهن أكثر أهل النار فيخرج من مجموع هذا أن النساء أكثر ولد آدم . وهذا كله في الآدميات ، وإلا فقد جاء للواحد من أهل الجنة من الحور العدد الكثير . اهـ .

وقال ابن حجر :

(قوله « ولكل واحد منهم زوجتان » أي من نساء الدنيا ، فقد روى أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعًا في صفة أدنى أهل الجنة منزلة « وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا » وفي سنده شهر بن حوشب وفيه مقال ، ولأبي يعلى في حديث الصور الطويل من وجه آخر عن أبي هريرة في حديث

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٧٩) ٥١ - كتاب الجنة ، ٦ - باب أول زمرة تدخل الجنة .

(٢)، (٣) مسلم : للوضع السابق .

مرفوع « فيدخل الرجل على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وزوجتين من ولد آدم » ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد رفعه « إن أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم وثنتان وسبعون زوجة » وقال غريب ، ومن حديث المقدام بن معد يكرب عنده : « للشهيد ست خصال » الحديث وفيه : « ويتزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين » ، وفي حديث أبي أمامة عند ابن ماجه والدارمي رفعه : « ما أحد يدخل الجنة إلا زوجه الله ثنتين وسبعين من الحور العين وسبعين وثنتين من أهل الدنيا » وسنده ضعيف جدًا ، وأكثر ما وقفت عليه من ذلك ما أخرج أبو الشيخ في « العظمة » والبيهقي في « البعث » من حديث عبد الله بن أبي أوفى رفعه : « إن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء أو إنه ليفضي إلى أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب » وفيه راوٍ لم يسم ، وفي الطبراني من حديث ابن عباس : « إن الرجل من أهل الجنة ليفضي إلى مائة عذراء » وقال ابن القيم : ليس في الأحاديث الصحيحة زيادة على زوجتين سوى ما في حديث أبي موسى : « إن في الجنة للمؤمن لخيمة من لؤلؤة له فيها أهلون يطوف عليهم » قلت : الحديث الأخير صححه الضياء ، وفي حديث أبي سعيد عند مسلم في صفة أدنى أهل الجنة : « ثم يدخل عليه زوجتاه » ، والذي يظهر أن المراد أن أقل ما لكل واحد منهم زوجتان ، وقد أجاب بعضهم باحتمال أن تكون التثنية تنظيرًا لقوله جنتان وعينان ونحو ذلك ، أو المراد تثنية التكثير والتعظيم نحو لبيك وسعديك ، ولا يخفى ما فيه . واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه مسلم من طريق ابن سيرين عنه ، وهو واضح لكن يعارضه قوله ﷺ في حديث الكسوف المتقدم : « رأيتكن أكثر أهل النار » ويجاب بأنه لا يلزم من أكثريتهن في النار نفي أكثريتهن في الجنة ، لكن يشكل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الآخر : « اطلعت في الجنة فرأيت أقل ساكنها النساء » ويحتمل أن يكون الراوي رواه بالمعنى الذي فهمه من أن كونهن أكثر ساكني النار يلزم منه أن يكن أقل ساكني الجنة ، وليس ذلك بلازم لما قدمته ، ويحتمل أن يكون ذلك في أول الأمر قبل خروج العصاة من النار بالشفاعة ، والله أعلم) اهـ (الفتح) .

١٣٣٤ - * روى مسلم عن جابرِ بن عبدِ اللهِ رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إنَّ أهْلَ الجنة يأكلون فيها ويَشربون ، ولا يَتْفُلون ، ولا يبولون ، ولا يتغوَّطون ، ولا يتمخَّطون » قالوا : فما بالُ الطعام ؟ قال : « جُشَاءٌ ورَشْحٌ كرشح المِسْك ، يُلْهَمون التسبيحَ والتحميدَ ، كما يُلْهَمون النَّفَس » .

وفي رواية (١) بدل « التحميد » « الحمد » وفي أخرى (٢) « التكبيرَ » .

وأخرج أبو داود (٣) منه « إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون » لم يزد .

١٣٣٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إنَّ أهلَ الجنةِ ليتراءَوْنَ أهلَ الغُرَف من فوقهم ، كما تتراءَوْنَ الكوكَبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ في الأفق من المَشْرقِ إلى المغْربِ ، لتَفَاضُلِ ما بينهم » ، قالوا : يارسولَ الله تلكَ منازلُ الأنبياء ، لا يبلُغُها غيرُهم ؟ قالَ : « بلى ، والذي نفسي بيده ، رِجَالٌ آمَنُوا بالله وصَدَّقوا المرسلين » .

١٣٣٦ - * روى البزار عن أبي سعيدٍ عن النبي ﷺ قال : « خلقَ اللهُ تبارك وتعالى الجنةَ لَبِنَةً من ذهبٍ ولَبِنَةً من فضةٍ ومِلاطُها المِسْكُ ، وقالَ لها تكَلَّمي ، فقالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ فقالت الملائكةُ طوباكِ منزلَ الملوكِ » .

١٣٣٧ - * روى البزار عن أبي هريرةَ أن النبي ﷺ قال : « الجنةُ لَبِنَةٌ من فضةٍ

١٣٣٤ - مسلم (٤ / ٢١٨٠) ٥١ - كتاب الجنة ، ٧ - باب في صفات الجنة وأهلها .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

(٣) أبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة ، باب في الشفاعة .

١٣٣٥ - البخاري (٦ / ٣٢٠) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٨ - باب ما جاء في صفة الجنة .

مسلم (٤ / ٢١٧٧) ٥١ - كتاب الجنة ، ٣ - باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف .

١٣٣٦ - كشف الأستار (٤ / ١٨٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٧) . وقال : رواه البزار مرفوعًا وموقوفًا ، والطبراني في الأوسط إلا أنه قال عن النبي ﷺ قال : إن الله خلق جنة عدن بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة والباقي بنحوه ، ورجال الموقوف رجال الصحيح ، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف .

١٣٣٧ - كشف الأستار (٤ / ١٩٠) . .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٦) وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

=

ولبنة من ذهب ومِلاطُها المِسْكُ » .

١٣٣٨ - * روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسولَ الله مالَنا إذا كُنّا عندك رَقّتْ قلوبُنا ، وزَهِدنا في الدنيا ، وكانت الآخرةُ كأنّها رَأْيُ عَيْنٍ ؟ فإذا خَرَجْنا من عندك فآنسنا في أهالينا ، وشَمَمْنا أولادَنا : أنكَرْنا أنفسَنا ؟ قال : « لو أنّكم إذا خَرَجْتُم تكونونَ على حالِكم عندي :لزارتْكم الملائكةُ في بُيوتِكم ، ولصافحتكم في طُرُقِكم ، ولو لم تُذْنِبوا لَذَهَبَ بكم ولجاء الله بخلق جديدٍ يُذْنِبُون ، فَيَغْفِرُ لهم » ، قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، مِمَّ خُلِقَ الخلقُ ؟ قال : « من الماء » ، قلتُ : الجنةُ ما بناؤها ؟ قال : « لبنَةٌ من فِضَّةٍ ، ولَبِنَةٌ من ذهب ، ومِلاطُها المِسْكُ الأَذْفَرُ وَحصْباؤها اللؤلؤُ والياقوتُ ، وتُرْبَتُها الزعفرانُ ، مَنْ يَدْخُلْها يَنْعَمُ ، ولا يبأسُ ، ويَخْلُدُ ولا يموتُ ، لا تَبْلَى ثيابُهم ، ولا يَفْنَى شبابُهم » ، ثم قال : « ثَلاثَةٌ لا تُرد دعوتُهم : الإمامُ العادلُ ، والصائمُ حين يُفْطِرُ ، ودعوةُ المظلوم يَرْفَعُها فوقَ الغمام ، وتُفتَحُ لها أبوابُ السماء ، ويقول الرب تبارك وتعالى : وعِزّتي لأَنْصُرَنَّكِ ولو بعد حين » .

١٣٣٩ - * روى الطبراني عن ابن عمرَ قال : سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن الجنة فقال « مَنْ يَدْخُل الجنة يحيا فيها لا يموتُ وينعم فيها لا يبأسُ ، لا تَبلى ثيابُه و لا يفنى شبابه » قيل يا رسول الله ما بناؤها ؟ قال : « لَبِنَةٌ من ذهبٍ ولبنة من فضة مِلاطُها

= (المِلاط) : الطين الذي يجعل بين أحجار البناء .

١٣٣٨ - أحمد (٢ / ٣٠٤) .

والترمذي (٤ / ٦٧٢) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢ - باب ما جاء في صفة الجنة .

وقال : هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي ، وليس هو عندي بمتصل .

وقد روي هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي مدله عن أبي هريرة .

وقال محقق الجامع : لفقراته شواهد ، فهو حسن بشواهده .

وابن ماجه (١ / ٥٥٧) ٧ - كتاب الصيام ، ٤٨ - باب في الصائم لا ترد دعوته .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٥ / ١٨٠) .

(الأذفر) : مسك أذفر : إذا كان طيب الريح ، والذفر : يقال في الطيّب والكريه .

(يَبْأس) : بئس ييأس : إذا افتقر واشتدت حاجته فهو بائس .

١٣٣٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٧) وقال : رواه الطبراني بإسناد حسن .

المِسْكُ وتُرابها الزعفران حصباؤها اللؤلؤ والياقوتُ » .

١٣٤٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « جَنَّتانِ من فِضةٍ ، آنيتُهُما وما فيهما ، وجَنَّتان من ذَهَبٍ ، آنيتُهما وما فيهما ، وما بين القومِ وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رِداءُ الكِبْرِياء على وجهه في جَنَّةِ عَدْنٍ » .

وفي رواية الترمذي [١] « إن في الجنة جَنَّتَين من فضة ... » وذكر الحديث .

قال ابن حجر : ويعارضه حديث أبي هريرة : قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من ذهب ولبنة من فضة » الحديث أخرجه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان ، وله شاهد عن ابن عمر أخرجه الطبراني وسنده حسن وآخر عن أبي سعيد أخرجه البزار ولفظه : « خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة » الحديث ، ويجمع بأن الأول صفة ما في كل جنة من آنية وغيرها ، والثاني صفة حوائط الجنان كلها ، ويؤيده أنه وقع عند البيهقي في البعث في حديث أبي سعيد : « أن الله أحاط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة » وعلى هذا فقوله « آنيتها وما فيها » بدل من قوله « من ذهب » ويترجح الاحتمال الثاني اهـ (الفتح) .

١٣٤١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال : « إن للمؤمن في الجنة لَخَيْمَةً مِنْ لُؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفةٍ ، طولُها في السماء ستون ميلا - وفي رواية : عَرضُها - للمؤمن فيها أهلُونَ ، يَطوفُ عليهم المؤمن فلا يرى بعضُهم بعضًا » .

وفي رواية الترمذي [٢] « إن في الجنة خيمةً من لؤلؤة : مجوفةٍ ، عرضها ستون

١٣٤٠ - البخاري (١٣ / ٤٢٣) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ... ﴾ .

مسلم (١ / ١٦٣) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٠ - باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى .

(١) الترمذي (٤ / ٦٧٤) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٣ - باب ما جاء في صفة غرف الجنة .

١٣٤١ - البخاري (٨ / ٦٢٤) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٢ - باب ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٨٢) ٥١ - كتاب الجنة ، ٩ - باب في صفة خيام الجنة .

(٢) الترمذي (٤ / ٦٧٤) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٣ - باب ما جاء في صفة غرف الجنة .

ميلاً ، في كل زاوية منها للمؤمن أهلٌ ، ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن » .

١٣٤٢ ـ * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن المرأةَ من نساء أهل الجنّة لَيُرَى بَياضُ ساقِها مِنْ وراء سبعينَ حُلَّةً ، حتى يُرى مُخُّهَا ، وذلك بأن الله عز وجل يقول : ﴿ كأنّهن الياقوت والمرجان ﴾ [1] « فأما الياقوت ، فإنه حجَرٌ لو أدخلتَ فيه سِلْكًا ثم استصفيتَه لأُرِيتَهُ من ورائها » .

١٣٤٣ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لو اطَّلَعَتِ امرأةٌ من نساء أهلِ الجنةِ إلى الأرض لملأتْ ما بينهما ريحًا ولأضاءتْ ما بينهما ، ولَتَاجُها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها » .

١٣٤٤ ـ * روى الترمذي عن أنس (رفعه) : « غدوةٌ في سبيل الله أو روحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولَقَابُ قوسِ أحدِكم أو مَوضِعُ قَدِّهِ في الجنة خيرٌ من الدنيا

١٣٤٢ ـ الترمذي (٤ / ٦٧٦) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٥ ـ باب في صفة نساء أهل الجنة .
وقال : وروي عن ابن مسعود ، ولم يرفعه ، وهو أصح من حديث عبيدة بن حميد .
والإحسان بترتيب ابن حبان (٩ / ٢٤٤) .
(١) الرحمن : ٥٨ .
١٣٤٣ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد .
١٣٤٤ ـ الترمذي (٤ / ١٨١) ٢٣ ـ كتاب فضائل الجهاد ، ١٧ ـ باب ما جاء في فضل الغُدُوّ والرَّواح .
وقال : هذا حديث صحيح .
وروى أحمد نحوه (٣ / ١٤١) .
وللبخاري نحوه (٦ / ١٥) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ، ٦ ـ باب الحور العين .
ولمسلم نحوه (٣ / ١٤٩٩) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ، ٣٠ ـ باب فضل الغدوة والروحة .
قوله (ولقاب قوس أحدكم) قال ابن الأثير :
(القَاب والقِيبُ : بمعنى القَدْر ، وعَيْنُها واو ، من قولهم : قَوَّبوا في هذه الأرض : أي أثَّروا فيها بوَطْئهم ، وجعلوا في مَسافتها علامات . يقال : بيْني وبَيْنَه وقابُ رُمح وقاب قَوْس : أي مقدارها) اهـ.
وحكى المروي عن مجاهد : (قاب قوسين : أي مقدار ذراعين . قال مجاهد : والقوس : الذِّراع ، بلغة أزد شَنُوءَة) اهـ .
(قِدّه) : القِدّ : السوط ، والمعنى لقدر قوس أحدكم والموضع الذي يسع سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها .

وما فيها ، ولو أنّ امرأة من نساء أهل الجنة اطّلَعَتْ إلى أهل الأرض لأضاءتْ الدنيا وما فيها ، ولملأت ما بينهما ريحًا ، ولنَصيفُها ـ يعني : خِمارَها ـ خيرٌ من الدنيا وما فيها » .

١٣٤٥ ـ * روى أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « لو أنَّ ما يَقِلُّ ظُفُرٌ مما في الجنة بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ له ما بين خَوَافِقِ السموات والأرضِ ، ولو أنَّ رجلا من أهل الجنة اطلَعَ ، فبدا سِوارُه ، لَطَمَس ضوءَ الشمس ، كما تَطْمِس الشمسُ ضوءَ النجوم » .

١٣٤٦ ـ * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النّبيَّ ﷺ قال : « يُعطَى المُؤمِنُ في الجنةِ قُوَّةَ كذا وكذا من الجماع » ، قيل : يا رسول الله أوَ يُطيق ذلك ؟ قال : « يُعطى قوةَ مائة » .

١٣٤٧ ـ * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : أنُفْضي إلى نسائنا في الجنة ؟ فقال : « إي والذي نفسي بيده إن الرجلَ لَيُفْضي في اليومِ الواحدِ إلى مائة عذراءَ » .

١٣٤٥ ـ أحمد (١ / ١٦٩) .

والترمذي (٤ / ٦٧٨) ٣٦ ـ كتاب صفة الجنة ، ٧ ـ باب ما جاء في صفة أهل الجنة .

وقال : هذا حديث غريب . وهو حديث حسن .

(يَقِلّ) : أقلّ الشيء يَقلُّه : إذا حمله .

(لتزخرفت) : الزخرفة : الزّينة ، والزُّخرُف : الذّهبُ .

(خوافق) السماء : الجهات التي تخرج منها الرياح الأربع .

١٣٤٦ ـ الترمذي (٤ / ٦٧٧) ٣٦ ـ كتاب صفة الجنة ، ٦ ـ باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة .

وقال : هذا حديث صحيح غريب ، وإسناده حسن .

والدارمي (٢ / ٣٣٤) . باب في أهل الجنة ونعيمها .

وإسناده صحيح من حديث زيد بن أرقم .

١٣٤٧ ـ كشف الأستار (٤ / ١٩٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٧) وقال : رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط ، ورجال هذه الرواية الثانية رجال الصحيح غير محمد بن ثواب وهو ثقة .

قال عنه في التقريب : صدوق ضعفه مسلمة بلا حجة .

١٣٤٨ - * روى الطبراني عن زيـد بن أرقم قـال : جـاءَ رجل من اليهـود إلى النبي ﷺ فقال يـا أبـا القـاسم : تَزْعَمُ أن أهلَ الجنـة يـأكلون فيهـا ويَشْرَبون قـال : « نعم ، والـذي نفسي بيده إن الرجلَ لَيُعْطَى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجمـاع » فقال اليهودي : إن الذي يأكل ويَشْرَبُ تكون له الحاجة والجنة مُطَهَّرةٌ ، قـال : « حـاجـة أحدِهم عَرَقٌ يَفيضُ من جلده كريحِ المِسكِ فإذا بطْنُه قد ضَمَرَ » .

وفي رواية [١] : بينـا نحن عنـد النبيِّ ﷺ إذ أقْبَل رجلٌ من اليهودِ يقـال لـه ثَعْلَبـةُ بنُ الحارثِ فقال : السلام عليك يا محمدُ فقـال : « وعليكم » . فقـال : اليهودُ تَزْعَمُ أن في الجنـة طعامًا وشرابًا وأزواجًا . فقال النبيﷺ : « نعم ، تؤمن بشجرة المسك » قـال : نعم قـال « وتَجِدُها في كتابِكُم » قال : نعم قال : « فإن البولَ والجنـابـةَ عَرَقٌ يسيلُ من تحت ذوائبهم إلى أقدامهم مِسكٌ » .

١٣٤٩ - * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن ابنِ عُمرَ قال : قـال رسول الله ﷺ : « إن أزواجَ الجنَّةِ لَيُغَنِّينَ بـأحسنِ أصواتٍ سَمعهـا أحـدٌ قَـطُّ ، إن ممـا يُغنين : نحن الخَيراتُ الحِسـانُ أزواجُ قومٍ كِرامٍ يَنظرْنَ بقُرةِ أعيـان . وإن ممـا يغنين بـه : نحن الخالداتُ فلاَ نَمُتْنَه نحن الآمناتُ فلا يَخَفْنَه نحن المقيماتُ فلاَ يَظْعَنَّه » .

١٣٥٠ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنسِ بنِ مالكٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قـال « إن الحورَ في الجنة يُغَنِّينَ يَقُلْنَ : نحن الحورُ الحِسانُ هُدينا لأزواجٍ كِرام » .

١٣٥١ - * روى الطبراني عن عُقبةَ بنِ عَبْدِ السُّلَمي قـال : كنتُ جـالسًا مع النبيِّ ﷺ

١٣٤٨ - المعجم الكبير (٥ / ١٧٧) .

وكشف الأستار (٤ / ١٩٧) .

(١) المعجم الكبير (٥ / ١٧٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٦) وقال : رواه كله الطبراني في الأوسط وفي الكبير بنحوه وأحمد إلا أنه قال يا أبا القـاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، وقال لأصحابه إن أقر لي بهذه خصمتـه ، والبـاقي بنحوه . ورواه البزار ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة وهو ثقة .

١٣٤٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٩) وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٥٠ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٩) .

وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله وثقوا .

١٣٥١ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٤) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

فجاءَ أعرابيٌّ فقال يارسول الله : أسْمَعُكَ تَذْكُرُ في الجنة شجرةً لا أعلمُ أكثر شوكًا منها ـ يعني الطَّلْحَ ـ فقال رسول الله ﷺ « يَجْعَلُ مكانَ كلِّ شوكةٍ منها خُصوةَ التَّيْسِ المَلْهودِ ـ يعني الخَصِيِّ منها ـ سبعون لونًا من الطعام لا يشبه لونٌ آخَرَ » .

١٣٥٢ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما في الجنةِ شجرة إلا وساقُها من ذَهَبٍ » .

١٣٥٣ ـ * روى الطبراني عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن في الجنة شجرةً مستقلةً على ساقٍ واحدٍ ، عَرْضُ ساقِها ثنتان وسبعون » .

١٣٥٤ ـ * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ سنةٍ ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وظِلٍّ ممدود ﴾ [1] ولَقَابُ قوسِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ مما طَلَعَتْ عليه الشمسُ أو تَغْرُبُ » .

وفي رواية [2] يَبْلُغُ به النبيَّ ﷺ قال : « إن في الجنةِ شجرةً يسير الراكبُ في ظِلِّها مائة عامٍ لا يَقْطَعُها ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وظِلٍّ ممدود ﴾ » .

وفي رواية مسلم [3] مثل الأولى إلى قوله : « سنة » ومثل الثانية إلى قوله : « يقطعها » وأخرج الترمذي إلى قوله : « سنة » .

وأخرج الترمذي الأولى [4] ، وله في أخرى [5] زيادة : « وفي الجنة شجرة يسير

١٣٥٢ ـ الترمذي (٤ / ٦٧١) ٣٨ ـ كتاب صفة الجنة ، ١ ـ باب ما جاء في صفة شجر الجنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث أبي سعيد . وإسناده حسن .

١٣٥٣ ـ المعجم الكبير (٧ / ٢٦٦) .

كشف الأستار (٤ / ١٩٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٤) وقال : رواه البزار والطبراني ، وإسناد الطبراني حسن .

١٣٥٤ ـ البخاري (٦ / ٣١٩) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٨ ـ باب ما جاء في صفة الجنة .

(١) الواقعة : ٣٠ .

(٢) البخاري (٨ / ٦٢٧) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١ ـ باب ﴿ وظل ممدود ﴾ .

(٣) مسلم (٤ / ٢١٧٥) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١ ـ باب إن في الجنة شجرة .

(ولقاب) القابُ : القَدْرُ .

(٤) الترمذي (٤ / ٦٧١) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ١ ـ باب ما جاء في صفة شجر الجنة .

(٥) الترمذي (٥ / ٤٠٠) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٥٧ ـ باب « ومن سورة الواقعة » .

=

الراكبُ في ظِلّها مائة عامٍ لا يقطَعُها ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وظِلٍّ مَمْدُود ﴾ وموضعُ سَوطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها ، واقرؤوا إن شئتم ﴿ فمن زُحْزِحَ عنِ النار وأُدْخِلَ الجنّةَ فقد فازَ وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغرور ﴾ »[1] .

١٣٥٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي حازم رَحِمَه الله عن سهل بن سعدٍ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ في الجنة شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظِلّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها » قال : فحدَّثتُها النعمانَ بنَ أبي عياشٍ الزُّرَقي ، فقال : حدَّثني أبو سعيدٍ الخُدري عن النبيِّ ﷺ : « إن في الجنة شجرة يسيرُ الراكبُ الجوادَ المُضَمَّرَ السريعَ مائةَ عامٍ لا يقطعها » .

١٣٥٦ - * روى الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ - وذكر سدرَة المنتهى - قال : « يسيرُ الراكبُ في ظلِّ الفَنَنِ منها : مائةَ سنةٍ ، أو يَسْتَظِلُّ بظلِّها مائةُ راكب - شك يحيى - فيها فَراش الذهب ، كأن ثَمرَها القلالُ » .

١٣٥٧ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « في الجنة مائةُ درجةٍ ، ما بين كل درجتين مائةُ عامٍ » .

١٣٥٨ - * روى الترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال :

= وهذه الزيادة قد أخرجها البخاري ومسلم مفردة .

(١) آل عمران : ١٨٥ .

١٣٥٥ - البخاري (١١ / ٤١٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (٤ / ٢١٧٦) ٥١ - كتاب الجنة ، ١ - باب إن في الجنة شجرة .

١٣٥٦ - الترمذي (٤ / ٦٨٠) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٩ - باب ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن .

(الفَنَن) : الغُصْنُ ، وجمعه أفنان .

(القِلال) : جمع قُلّة ، وهي حُبٌّ يسع مَزادةً من الماء .

١٣٥٧ - الترمذي (٤ / ٦٧٤) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٤ - باب ما جاء في صفة درجات الجنة .

وقال هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن .

١٣٥٨ - الترمذي (٤ / ٦٧٥) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٤ - باب ما جاء في صفة درجات الجنة . =

« في الجنةِ مائةُ درجةٍ ، ما بين كلّ درجةٍ ودرجةٍ كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجةً ، منها تَفجَّرَ أنهارُ الجنةِ الأربعةُ ، ومن فوقِها يكونُ العرشُ ، فإذا سألتُم الله فاسألوه الفِردَوْس » .

١٣٥٩ ـ * روى البزار عن العِرباض بنِ سارية قال : قال رسول الله ﷺ « إن سألتم الله فسلوه الفِرْدَوْسَ » .

١٣٦٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « تكونُ الأرضُ يومَ القيامةِ خُبْزَةً واحدةً ، يَتَكَفَّؤُها الجبَّار بيده كما يتكفَّؤُ أحدُكم خبزتَهُ في السَّفَرِ ، نُزُلاً لأهلِ الجنةِ » فأتى رجلٌ من اليهود فقال : باركَ الرحمنُ عليك يا أبا القاسم ، ألا أُخْبِرُكَ بنُزُلِ أهلِ الجنة يومَ القيامة ؟ قال : « بلى » قال : تكونُ الأرضُ خُبزةً واحدةً ، كما قال النبي ﷺ ، فنظر النبيُّ ﷺ إلينا ، ثم ضَحِكَ حتى بَدَتْ نواجِذُه ، ثم قال : ألا أخبِرُكَ بإدامِهم ؟ قال : « بلى » قال : إدامُهم بالام ونون . قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونُونٌ ، يأكل من زَائدة كَبِدِها سبعون ألفًا .

١٣٦١ ـ * روى أحمد عن جابرِ بن عبدِ الله قال : قال رسول الله ﷺ لليهود : « إني سائِلُهم عن تُرْبَةِ الجنة وهي دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ » فسألَهم ، فقالوا : خُبْزَةٌ يا أبا القاسم ، فقال النبي ﷺ : « الخبز من الدَّرْمَكِ » .

= وهو حديث صحيح ، وعند البخاري أتمّ منه .

١٣٥٩ ـ كشف الأستار (٤ / ١٩١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٨) وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

١٣٦٠ ـ البخاري (١١ / ٣٧٢) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤٤ ـ باب يقبض الله الأرض يوم القيامة .

مسلم (٤ / ٢١٥١) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين ، ٣ ـ باب نزل أهل الجنة .

(يتكفؤها الجبار) : الجبّار : اسم من أسماء الله عز وجل ، ويتكفؤها أي : يَقلّبها ويُميلُها ، من قولك : كفأت الإناء : إذا قلبته وكببته .

(نُزُلا) النُّزُل : ما يُعد للضيف من الطعام والشراب .

(بالام) : قد جاء في متن الحديث أنه الثور ، ولعلّ اللفظة عبرانية . و « النون » : الحوت ، وهو عربي .

١٣٦١ ـ أحمد (٣ / ٣٦١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٩) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير مجالد ، ووثقه غير واحد ، وإسناده حسن .

=

١٣٦٢ - * روى الطبراني عن طارقِ بنِ شهابٍ قال : جاءت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : أخبِرْنا ما أولُ ما يأكلُ أهلُ الجنةِ إذا دخلوا ؟ قال : « أولُ ما يأكلون كَبِدُ الحوتِ » .

١٣٦٣ - * روى الترمذي عن معاوية : هو جدُّ بهزِ بنِ حكيم - رضي الله عنه - أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن في الجنةِ بَحْرَ العسل ، وبَحرَ الخَمْر ، وبَحْرَ اللَّبَنِ ، وبَحرَ الماء ، ثم تنشق الأنهارُ بعدُ » .

١٣٦٤ - * روى الترمذي عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : سُئل رسولُ الله ﷺ ما الكوثرُ ؟ فقال : « ذاكَ نَهرٌ أعطانيه اللهُ - يعني في الجنة - أشدُّ بياضًا من اللبن ، وأحلى من العَسَل ، فيه طيرٌ أعناقُها كأعناق الجُزُر » قال عُمَرُ : إنَّ هذه لناعمةٌ ، قال رسول ﷺ :« أكَلَتُها أنعمُ منها » .

١٣٦٥ - * روى الترمذي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « الكوثر نهر في الجنة ، حافَّتاهُ من ذهب مجراه على الياقوت والدُّرِّ ، تربته أطيب من المسك ، ماؤه أحلى من العسل وأشدُّ بياضًا من الثلج » .

١٣٦٦ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمرَ : لما نزلت ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ [1]

= (الدَّرْمَك) : الدقيق .

١٣٦٢ - المعجم الكبير (٨ / ٢٨٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٣) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن بهرام وهو ثقة .

١٣٦٣ - الترمذي (٤ / ٦٩٩) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢٧ - باب ما جاء في صفة أنهار الجنة .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

والدارمي (٢ / ٣٣٧) كتاب الرقائق ، باب في أنهار الجنة .

١٣٦٤ - الترمذي (٤ / ٦٨٠) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ١٠ - باب ما جاء في صفة طير الجنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن .

(الجُزُر) : جمع جزور ، وهو البعير ذكرًا أو أنثى ، إلا أن اللفظة مؤنثة .

١٣٦٥ - الترمذي (٥ / ٤٥٠) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٩١ - باب « ومن سورة النصر » .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو حديث صحيح .

وابن ماجه (٢ / ١٤٥٠) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٩ - باب صفة الجنة .

١٣٦٦ - الترمذي (٥ / ٤٤٩) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٩٠ - باب « ومن سورة الكوثر » . وصححه .

(١) الكوثر .

قـال رسـول الله ﷺ : « هـو نهرٌ في الجنـةِ حـافّتـاه من ذهبٍ يجري على الـدُّرّ والياقوتِ ، تُربَتُه أطيبُ من ريح المِسْك ، وطعمُه أحلى من العسل ، وماؤه أشدُّ بياضًا من الثلج » .

١٣٦٧ ـ * روى أحمد عن أنسٍ قالَ : قال رسول الله ﷺ : « إن طيرَ الجنَّـة كأمثـال البُخْتِ ترعى في شجر الجنـة » فقـال أبـو بكر : يـا رسـول الله إن هـذه لطيرٌ نـاعمـة . فقال : « أكَلَتُها أنْعمُ منها ـ قالها ثلاثًا ـ وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها » .

١٣٦٨ ـ * روى أبو يعلى عن أبي سعيدٍ الخُدري أن رسول الله ﷺ قـال : « عُرِضَتْ عليَّ الجنةُ فذهبتُ أتناول منها قِطْفًا أريكوه فحيلَ بيني وبينه » . فقـالَ رجلٌ يـا رسول اللهَ : ما مَثَلُ الحبةِ من العِنَب قال : « كأعظمِ دَلْوٍ فَرَتْ أمُّك قط » .

١٣٦٩ ـ * روى أحمـد عن أبي سعيـدٍ الخُـدري عن رسول الله ﷺ قـال : « إن الرجـل ليتكِئُ في الجنة سبعين سنـةً قبلَ أن يتحول ، ثم تـأتيـه امرأتـهُ فينظرُ وجْهَـهُ في خـدّهـا أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤةٍ عليهـا تضيء مـا بين المشرق والمغرب ، فتسلم عليه فيرد السلامَ ويسألها من أنت ؟ فتقول : أنا من المزيد . وإنـه ليكون

والدارمي (٢ / ٣٣٧) كتاب الرقاق ، باب في الكوثر .

وأخرج البخاري نحوه (١١ / ٤٦٣) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٣ ـ باب في الحوض .

وأخرج مسلم نحوه أيضًا (١ / ٣٠٠) ٤ ـ كتاب الصلاة ، ١٤ ـ باب حُجّة من قال ... إلخ .

١٣٦٧ ـ أحمد (٣ / ٢٢١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٤) وقال : رواه الترمذي باختصار ، ورواه أحمد ، ورجـالـه رجـال الصحيح غير سيـار بن حاتم وهو ثقة .

وقال عنه الحافظ في التقريب : صدوق له أوهام .

(البُخْت) : جِمال طوال الأعناق .

١٣٦٨ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٤) .

وقال : رواه أبو يعلى وإسناده حسن .

(القِطْف) : العُنْقود .

(فَرتْ) : أصل الفَرْي : القَطْع . يقـال : فَرَيْتُ الشيء أفْريـه فَرْيًـا إذا شَقَقْتُـه وقَطَعْتـه للإصـلاح ، فهـو مفريّ وفَرِيّ ، وأفْرَيْتُهُ : إذا شَقَقْتَه على وجه الإفسـاد . تقول العَرب : تَركْتـه يَفْري الفَرِيَّ : إذا عمل العمل فـأجـاده .

(من النهاية) .

١٣٦٩ ـ أحمد (٣ / ٧٥) .

عليها سبعون ثوبًا أدناها مثلُ النُّعمان ، من طوبى فيُنفذُها حتى يرى مُخَّ ساقِها من وراء ذلك ، وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتُضيء ما بين المشرق والمغرب » .

١٣٧٠ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة سُوقًا يأْتُونَها كلَّ جُمُعَةٍ ، فتَهُبُّ ريحُ الشَّمال ، فتَحْثُو في وجوهِهم وثيابهم ، فيزدادون حُسنًا وجمالا ، فيَرْجِعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسنًا وجمالا ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازْدَدْتُم بعدَنا حُسنًا وجَمَالا ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالا » .

١٣٧١ - * روى البزار عن عبدِ الله بنِ عمرو قال وقامَ آخرُ فقال : يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أَخَلْقٌ يُخلق أم نسج يُنْسَجُ فضحِكَ بعضُ القومِ . فقال رسول الله ﷺ : « ممَّ تضحكون من جاهلٍ يسألُ عالمًا ؟ » أين السائلُ ؟ قال : أنا ذا يا رسول الله . قال : « تَنْشَقُّ عنها ثِمارُ الجنةِ » .

١٣٧٢ - * روى الطبراني عن عبدِ الرحمنِ بن ساعدةَ قال كنتُ أحبُّ الخيلَ فقلت : يا رسولَ الله هل في الجنة خيل ؟ فقال : « إنْ أَدخَلَك اللهُ الجنة يا عبدَ الرحمنِ كان لك فيها فَرسٌ من ياقوتٍ له جناحان يطيرُ بك حيثُ شئتَ » .

١٣٧٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن أدنى مَقْعَدِ أحدِكُم من الجنة ، مَن يقول له : تَمَنَّ ، فيتمنى ، ويتمنى ، فيقول له : هل تمنَّيتَ ؟ فيقول ، نعم ، فيقول له : فإنَّ لكَ ما تمنَّيتَ ومِثْلَهُ مَعَهُ » .

= مجمع الزوائد : (١٠ / ٤١٩) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، وإسنادهما حسن .

(النُّعْمان) : قد يراد بالنعمان في الحديث اللون الأحمر وقد يراد به ما يَتَنَعَّمُ به .

١٣٧٠ - مسلم (٤ / ٢١٧٨) ٥١ - كتاب الجنة ، ٥ - باب في سوق الجنة .

١٣٧١ - كشف الأستار (٤ / ١٩٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٥) وقال : رواه البزار في حديث طويل ، ورجاله ثقات .

١٣٧٢ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٣) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

١٣٧٣ - مسلم (١ / ١٦٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

١٣٧٤ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالكٍ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجةً لَمَنْ يقوم على رأسه عَشْرَةُ آلافِ بَنْدٍ لكل واحدٍ صحيفتان ؛ واحدةٌ من ذهبٍ والأخرى من فضةٍ في كلّ واحدةٍ لونٌ ليس في الأخرى مِثْلُه ، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها ، يجدُ لآخرها من الطيب واللذة مثلَ الذي يجد لأولها ثم يكونُ ذلك ريحَ المِسكِ الأذْفَر ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون إخوانًا على سُرر متقابلين » .

١٣٧٥ - * روى الطبراني عن جابر بن عبد الله قال سُئل رسول الله ﷺ : فقيلَ يا رسول الله أينام أهل الجنةِ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » .

١٣٧٤ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠١) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

١٣٧٥ - كشف الأستار (٤ / ١٩٣)

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح .

٥ - في بعض ما ورد في آخر أهل النار خروجًا منها

١٣٧٦ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النار خُرُوجًا منها ، وآخِرَ أهل الجنة دخولا الجنة : رَجلٌ يَخرُجُ من النار حَبوًا ، فيقول الله له : اذْهبْ فادْخلِ الجنة ، فيأتيها ، فيخيَّلُ إليه أنها مَلأى ، فيرجعُ فيقول : يا ربِّ ، وجدتُها مَلأى ، فيقول الله عزَّ وجلَّ : اذهبْ فادخُل الجنةَ » قال : « فيأتيها ، فَيُخَيَّلُ إليه أنها مَلأى ، فيرجع فيقول : يا ربِّ وجدتُها ملأى ، فيقول الله عز وجل له : اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثلَ الدنيا ، وعَشرةَ أَمثالها ، أو إنَّ لك مثل عشرةِ أمثال الدنيا ، فيقول : أتسْخَرُ بي - أو أتضحكُ بي - وأنت الملك ؟ » قال : فلقدْ رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحكَ حتى بَدَتْ نَوَاجِذُه ، فكان يقال : ذلك أدْنَى أهلِ الجنة منزلةً .

قال محقق الجامع :

قال الحافظ في « الفتح » : قائل « وكان يقال » هو الراوي ، وأما قائل المقالة المذكورة ، فهو النبي ﷺ ، ثبت ذلك في أول حديث أبي سعيد عند مسلم ، ولفظه : « أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار» ... وساق القصة .

ولمسلم [1] قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إني لأعْرف آخرَ أهلِ النار خروجًا من النار : يَخْرُجُ منها زَحفًا ، فيقال له : انطلق فادخل الجنة » قال : « فيذهبَ فيدخُلُ الجنةَ ، فيجدُ الناسَ قد أخذوا المَنازلَ ، فيقالُ له : أتذكر الزمانَ الذي كنتَ فيه ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : تَمَنَّ ، فيتمنَّى ، فيقالُ له : لك الذي تمنَّيت ، وعشرةُ أضعاف الدنيا ، فيقول : أتسخر بي وأنت الملكُ ؟ » قال : فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يضحكُ حتى بَدَتْ نَواجذُه .

أقول : بالنسبة لآخر أهل الجنة دخولا إليها هناك آخرية مطلقة ، وهناك آخرية

١٣٧٦ - البخاري (١١ / ٤١٨) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (١ / ١٧٣) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٣ - باب آخر أهل النار خروجًا .

(١) مسلم : الموضع السابق .

نسبية ، فالآخرية المطلقة يراد بها آخر من يبقى من أهل الإيمان في النار ثم يخرج منها والآخرية النسبية متعددة فهناك آخر من يحاسب ممن يستأهل دخول الجنة ، وهناك آخر من يعبر الصراط من أهل الجنة ، وهناك آخر من يدخل الجنة ممن استحقوا دخولها وسبقهم غيرهم ، وهناك آخر من يدخل الجنة بالشفاعات . وقد مرت من قبل نصوص في شأن آخر من يدخل الجنة وههنا نصوص وبعضها محمول على آخرية مطلقة وبعضها محمول على آخرية نسبية والتفصيل في ذلك مظنة الخطأ ومظنة الخلط بين المواقف والعبرة حاصلة بدون هذا التفصيل وإنما أشرنا هذه الإشارة ليعرف القارئ أن من أسباب اختلاف الروايات في هذا الشأن هو ما ذكرناه .

١٣٧٧ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « آخِرُ مَنْ يَدْخلُ الجنةَ رَجُلٌ ، فهو يمشي مَرَّةً ، ويكْبُو مَرَّةً ، وتَسْفَعُهُ النارُ مرةً ، فإذا ما جاوَزَها التَفتَ إليها ، فقال : تبارك الذي نَجَّاني مِنْك ، لقد أعطاني اللهُ شيئًا ما أعطاه أحدًا مِنَ الأوَّلين والآخرين ، فتُرفَعُ له شجرةٌ ، فيقول : ياربِّ ، أدْنِني من هذه الشجرة فلأَسْتَظِلَّ بظلِّها ، وأشربَ من مائها ، فيقُولُ الله عزَّ وجل : يا ابنَ آدم لَعلِّي إن أعْطَيتُكَهَا سألتني غيرَها ؟ فيقولُ : لا ، ياربِّ ، ويعَاهدُه أن لا يسألَه غيرَها » قال : « وربُّه عزَّ وجل يَعْذِره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيُدْنِيه منها ، فيَستَظِلُّ بظلها ، ويشربُ من مائها ، ثم تُرفَعُ له شجرةٌ هِي أحسن من الأولى ، فيقول : أي ربِّ ، أدْنِني مِنْ هذه لأشربَ من مائها ، وأستَظِلَّ بظِلها ، لا أسألك غَيرها ، فيقول : ياابن آدم ، ألم تعاهِدْني أنْ لا تسألني غيرها ؟ فيقول : لَعلِّي إن أدْنَيتكَ منها تسألني غيرها ؟ فيُعَاهدُه أن لا يسألَهُ غيرَها ، وربُّه تعالَى يعْذِرُه ، لأنه يرى ما لا صَبْرَ له عليه ، فيُدْنِيه مِنها ، فيَسْتَظل بظلِّها ، ويشربُ من مائها ، ثم تُرفَعُ له شجرةٌ عند بابِ الجنة ، وهي أحْسَن مِنَ الأولِيين ، فيقول : أي ربِّ أدْنِني من هذه لأستَظِلَّ بظلها ، وأشربَ من مائها ، لا أسألُكَ غَيرها ، فيقولُ : يا ابنَ آدم ، ألَمْ تعاهِدني أن =

١٣٧٧ - مسلم (١ / ١٧٤) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٣ - باب آخر أهل النار خروجًا .

لا تسألني غيرها ؟ قال : بلى ، يارِبِّ ، هذه لا أسـألـكَ غيرهـا ـ وربـهُ عز وجل يَعذرُه ، لأنه مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فإذا أدنـاه منهـا سمع أصوات أهل الجنـة ، فيقول : أي ربِّ أَدْخِلْنيها ، فيقـولُ : يا ابنَ آدم ، مـا يَصريني منـك ، أيُرضيك أن أُعْطيك الدنيا ومثلَها معها ؟ قال : ياربِّ ، أتستهزئ مِني وأنتَ ربُّ العالمين » فَضَحِكَ ابن مسعود ، فقـال : ألا تسـألوني مِمَّ أضحَك ؟ فقـالوا : مِمَّ تضحَـكُ ؟ فقال : هكذا ضَحِـك رسولُ الله ﷺ ، فقـالوا : مِمَّ تَضحَـكُ يـا رسولَ الله ؟ فقـال : « مِنْ ضحك ربِّ العالمين ، حين قال : أتَسْتَهْزِئُ مني وأنت ربُّ العـالمين ؟ فيقول : إني لا أستهزئ منك ، ولكني على ما أشاء قادر » .

١٣٧٨ ـ * روى مسلم عن أبي سعيـدٍ الخـدري رضي الله عنـه أنّ رسـولَ الله ﷺ قـال : « إن أدنى أهل الجنةِ منزلةً : رَجُلٌ صَرفَ اللهُ وَجْهَـهُ عن النـارِ قِبَلَ الجنـة ، وَمَثَّل لـه شجرةً ذاتَ ظِـلٍّ ، فقـال :أيْ ربِّ ، قَرِّبني من هـذه الشجرة لأكـونَ في ظِلِّها ... » وساق الحديث بنحو حديث ابن مسعود ، ولم يذكر : فيقول : « يـا ابن آدم ، ما يَصْريني منك ؟ ... » إلى آخر الحديث .

وزاد فيه : « ويُذكِّره الله ، سَل كذا وكـذا ، فـإذا انقطعتْ بـه الأمـاني ، قـال الله : هو لك وعشرة أمثاله » قال : « ثم يدخل بيته ، فتـدخل عليـه زوجتـاه من الحور العين ، فيقـولان : الحمـد الله الـذي أحيـاك لنـا ، وأحيـانـا لـك » ، قـال : « فيقول : ما أُعْطِيَ أحدٌ مثلَ ماأعطيتُ » .

١٣٧٩ ـ * روى مسلم عن أبي ذر الغفـاري رضي الله عنـه قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « إني لأعلم آخِرَ أهل الجنة دخولا الجنـة ، وآخِرَ أهلِ النـارِ خروجًـا منهـا : رجلٌ يؤتَى بـه يـوم القيـامـة ، فيقـال : اعْرِضُوا عليـه صِغـارَ ذنـوبـه ، وارْفَعُـوا عنـه

= (مَا يَصْرِيني) : منك ، أي : ما الذي يرضيك ويقطع مسألتك ، وأصل التصرية : القطع والجمع ، ومنـه : الشـاة المصراة ، وهي التي جمع لبنها وقطع حَلْبُه .

١٣٧٨ ـ مسلم (١ / ١٧٥) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨٤ ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة .

١٣٧٩ ـ مسلم (١ / ١٧٧) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨٤ ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة .

والترمذي (٤ / ٧١٣) ٤٠ ـ كتاب صفة جهنم ، ١٠ ـ باب حدثنا هنّاد ... إلخ .

كِبَارَها ، فيُعرَضُ عليه صِغارُها ، فيقالُ له : عَمِلْتَ يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، وعَمِلتَ يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، لا يستطيعُ أن يُنْكِرَ ، وهو مُشْفِق من كِبار ذنوبه أن تُعْرضَ عليه ، فيقال له : فإن لك مكانَ كل سيئة حسنة ، فيقول : ربِّ ، قد عَلِمْتُ أشياءَ لا أراها هاهنا » قال : فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حتى بَدَتْ نَواجِذُه .

١٣٨٠ - * روى مسلم عن المغيرة بن شعبَة رضي الله عنه يَرْفَعهُ إلى النبيِّ ﷺ قال : « سأل موسى عليه السلام ربَّه : ما أدنَى أهلِ الجنة منزلة ؟ قال : هو رجلٌ يَجيءُ بعد ما أُدْخِلَ أهلُ الجنة الجنة ، فيقال له : ادْخلِ الجنة ، فيقول : أي ربِّ ، كيف وقد نَزَل الناسُ منازلَهم ، وأخذوا أَخَذاتِهم ؟ فيقال له : أما ترضى أن يكونَ لك مثلُ مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيتُ ربِّ ، فيقول : لك ذلك ومثلُه ومثلُه ومثلُه ومثلُه ، فقال في الخامسة : رضيتُ ربِّ ، فيقول هذا لك وعشرةُ أمثاله ، ولك ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ ، فيقول : رضيتُ ربِّ ، قال ربِّ : فأعلاهم منزلةً ؟ قال : أولئك الذين أردتُ ، غَرَستُ كَرامَتَهمْ بيدي ، وختمتُ عليها ، فَلَم ترَ عَيْنٌ ، ولم تسمع أُذنٌ ، ولم يَخْطُرْ على قَلْب بشر » ، قال : « ومصداقُه في كتاب الله عز وجل : ﴿ **فلا تعلم نَفْسٌ ما أُخفيَ لهم من قُرَّة أَعْيُنٍ** ... ﴾ »[1] .

١٣٨٠ - مسلم (١ / ١٧٦) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

الترمذي (٥ / ٣٤٧) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٣٣ - باب « ومن سورة السجدة » .

وقد أخرجه إلى قوله : « فيقول رضيت رب » في الثالثة .

(١) السجدة : ١٧ .

قال ابن الأثير :

(أَخَذاتِهم) : أخذ الناسُ أخذاتِهم ، أي : نزلوا منازلهم المختصة بهم ، زاد الحميديُّ في غريبه : واستَوفَوْا مراتبهم . والإخَاذة : الأرض يأخذها الرجل لنفسه يحوزها ، قاله ابن فارس . اهـ .

٦ - رؤية الله تعالى في الآخرة

مقدمة

قال تعالى عن الكفار : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ (١) .

وهذا يفيد أن ذلك عقوبة لهم ويفيد أن أهل الإيمان يرونه .

وقال تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ﴾ (٢) .

وقال تعالى عن موسى : ﴿ رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا وخر موسى صعقًا ﴾ (٣) .

فَطَلَبُ موسى الرؤية وهو العارف بربه دليل على إمكانها ، وتعليق الله عز وجل إياها على ممكن دليل على إمكانها ، ولذلك أجمع أهل السنة على أن رؤية الله تعالى ممكنة عقلاً واجبة نقلا واقعة فعلاً للمؤمنين دون الكافرين بلا كيف ولا انحصار : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (٤) ، ﴿ ولا يحيطون به علمًا ﴾ (٥) .

ومن كلام أهل السنة والجماعة أن من ادعى رؤية الله تعالى في الدنيا يقظة فقد كفر واختلفوا في ثبوت الرؤية في الدنيا لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ؛ فالجمهور على ثبوتها والمسألة خلافية منذ عصر الصحابة ، والراجح ثبوت الرؤية له عليه الصلاة والسلام .

قال النووي : « اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا ، وأجمعوا أيضًا على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين ، وزعمت طائفة من أهل البدع : المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلا ، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله

---

(١) المطففين : ١٥ .

(٢) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) الأعراف : ١٤٣ .

(٤) الشورى : ١١ .

(٥) طه : ١١٠ .

ﷺ ، وآيات القرآن فيها مشهورة ، واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقي شبههم وهي مستقصاة في كتب الكلام وليس بنا ضرورة إلى ذكرها هنا ، وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا وحكم الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري : أحدهما وقوعها ، والثاني لا تقع ، ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط . وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية ، ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة تعالى عن ذلك ؛ بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة والله أعلم » . اهـ (شرح النووي على مسلم) .

وقال ابن حجر :

وأدلة السمع طافحة بوقوع ذلك في الآخرة لأهل الإيمان دون غيرهم ، ومنع ذلك في الدنيا إلا أنه اختلف في نبينا ﷺ وما ذكروه من الفرق بين الدنيا والآخرة أن أبصار أهل الدنيا فانية وأبصارهم في الآخرة باقية جيد ، ولكن لا يمنع تخصيص ذلك بمن ثبت وقوعه له ، ومنع جمهور المعتزلة من الرؤية متمسكين بأن من شرط المرئي أن يكون في جهة ؛ والله منزه عن الجهة ، واتفقوا على أنه يرى عباده ، فهو راء لا من جهة ، واختلف من أثبت الرؤية في معناها فقال قوم : يحصل للرائي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المرئيات ، وهو على وفق قوله في حديث الباب : « كما ترون القمر » إلا أنه منزه عن الجهة والكيفية ، وذلك أمر زائد على العلم وقال بعضهم : إن المراد بالرؤية العلم . وعبر عنها بعضهم بأنها حصول حالة في الإنسان نسبتها إلى ذاته المخصوصة نسبة الإبصار إلى المرئيات ، وقال بعضهم : رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم ، إلا أنه أتم وأوضح من العلم وهذا أقرب إلى الصواب من الأول ، وتعقب الأول بأنه حينئذ لا اختصاص لبعض دون بعض ؛ لأن العلم لا يتفاوت ، وتعقبه ابن التين بأن الرؤية بمعنى العلم تتعدى لمفعولين تقول : رأيت زيدًا

فقيها أي علمته ، فإن قلت رأيت زيدًا منطلقًا لم يفهم منه إلا رؤية البصر ، ويزيده تحقيقا قوله في الخبر : « إنكم سترون ربكم عيانًا » ، لأن اقتران الرؤية بالعيان لا يحتمل أن يكون بمعنى العلم ، وقال ابن بطال : ذهب أهل السنة وجمهور الأمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة ومنع الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة ، وتمسكوا بأن الرؤية توجب كون المرئي محدثًا وحالا في مكان ، وأولوا قوله ﴿ ناظرة ﴾ بمنتظرة وهو خطأ لأنه لا يتعدى بإلى ، ثم ذكر نحو ما تقدم ثم قال وما تمسكوا به فاسد لقيام الأدلة على أن الله تعالى موجود ، والرؤية في تعلقها بالمرئي بمنزلة العلم في تعلقه بالمعلوم ، فإذا كان تعلق العلم بالمعلوم لا يوجب حدوثه فكذلك المرئي . قال وتعلقوا بقوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ وبقوله تعالى لموسى : ﴿ لن تراني ﴾ والجواب عن الأول : أنه لا تدركه الأبصار في الدنيا جمعًا بين دليلي الآيتين ، وبأن نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية لإمكان رؤية الشيء من غير إحاطة بحقيقته ، وعن الثاني : المراد لن تراني في الدنيا جمعًا أيضًا ، ولأن نفي الشيء لا يقتضي إحالته مع ما جاء من الأحاديث الثابتة على وفق الآية ، وقد تلقاها المسلمون بالقبول من لدن الصحابة والتابعين حتى حدث من أنكر الرؤية وخالف السلف ، وقال القرطبي : اشترط النفاة في الرؤية شروطًا عقلية كالبنية المخصوصة والمقابلة واتصال الأشعة وزوال الموانع كالبعد والحجب في خَبْطٍ لهم وَتَحَكُّم ، وأهل السنة لا يشترطون شيئًامن ذلك سوى وجود المرئي ، وأن الرؤية إدراك يخلقه الله تعالى للرائي فيرى المرئي وتقترن بها أحوال يجوز تبدلها والعلم عند الله تعالى . أ . هـ (فتح الباري) .

وقد مرت معنا نصوص حول الرؤية في ما مضى وهذه نصوص أخرى ولقد خصصنا لهذا البحث عنوانًا لأهميته في عقائد أهل السنة والجماعة :

النصوص

١٣٨١ ـ * روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كُنَّا عندَ رسول الله ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة البدرِ ، وقال : « إنكم سَتَرَوْن ربَّكم عَيانًا ، كما تَرون هذا القمَرَ ، لا تُضَامُّون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تُغلَبُوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، فافعلوا » ، ثم قرأ ﴿ وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشمس وقَبْلَ الغروب ﴾[1] .

١٣٨٢ ـ * روى الطبراني عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ « أتاني جبريلُ ﷺ وفي يده مرآة بيضاءُ فيها نُكْتَةٌ سوداءُ ، فقلتُ : ما هذه يا جبريلُ ؟ قال : هذه الجُمعةُ يَعْرِضُها عليك رَبُّكَ لِتكون لك عيدًا ولقومِك من بعدك ، تكون أنتَ الأولَ ، وتكونُ اليهودُ والنصارى من بعدك » قال : « ما لنا فيها ؟ قال : لكم فيها خيرٌ ، لكم فيها ساعةٌ من دعا رَبَّهُ فيها بخيرٍ هو له قَسْمٌ إلا أعطاه إياه ، أو ليْسَ له بقسْمٍ إلا ادَّخَرَ له ما هو أعظمُ منه ، أو تعوَّذ فيها من شرٍّ هو عليه مكتوب إلا أعاذه من أعظم منه ، قلت : ما هذه النُّكْتَةُ السوداءُ فيها ؟ قال : هي الساعةُ تقومُ يومَ الجمعةِ ، وهو سيِّدُ الأيام عندَنا ، ونحن ندعوه في الآخرة : يوم المزيدِ » قال : « قلتُ : لِمَ تدعونه يومَ المزيد ؟ قال : إنَّ ربَّك عز وجل اتخذَ في الجنة واديًا أَفْيَح من مسك أبيضَ ، فإذا كان يومُ الجُمعة نزلَ تبارك وتعالى مِن عليين على كُرسيِّه ثم حَفَّ الكرسي بمنابرَ مِن نورٍ ، وجاءَ النبيون

١٣٨١ ـ البخاري (٨ / ٥٩٧) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٢ ـ باب ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ .

مسلم (١ / ٤٣٩) ٥ ـ كتاب المساجد ، ٣٧ ـ باب فضل صلاتي الصبح والعصر .

وأبو داود (٤ / ٢٣٣) كتاب السنة ، باب في الرؤية .

والترمذي (٤ / ٦٨٧) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ١٦ ـ باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى .

(لا تُضَامُّون) : لا يَزدحم بكم في رؤيته .

(١) ق : ٣٩ .

١٣٨٢ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٤٢١) .

وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه ، وأبو يعلى باختصار ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم ، وإسناد البزار فيه خلاف .

حتى يَجلِسوا عليهـا ، ثم حُفَّ المنـابر بكراسيٍّ من ذهبٍ ، ثم جـاء الصِّـديقـون والشُّهـداءُ حتى يَجلسوا عليهـا ، ثم يَجيءُ أهلُ الجنـةِ حتى يَجلِسوا على الكَثيب ، فيتجلى لهم ربُّهم تَبارك وتعـالى حتى يَنظُروا إلى وجهـه ، وهو يقول : أنـا الـذي صَدَقْتُكم وعـدي ، وأتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتي ، هـذا مَحَلُّ كرامتي فسلوني ، فيسـألونـه الرضى ، فيقـولُ عـز وجـل : رضـائي أحلَّكم داري ، وأنـالَكم كَرامتي ، فسلـوني فيسـألونـهُ حتى تنتهيَ رَغْبَتُهم ، فَيُفْتَحُ لهم عنـدَ ذلـك مـا لا عين رأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قلب بشر إلى مقدارِ مُنْصَرَفِ الناس يومَ الجمعةِ ، ثم يَصْعَـدُ تبـارك وتعـالى على كرسيِّـه ، فيصعـدُ معـه الشهـداءُ والصـدِّيقـون ـ أحسَبُـه قـال ـ : ويَرْجِـعُ أهـلُ الغُرف إلى غُرفهم ، دُرةً بيضـاءَ لا فَصْمَ فيهـا ولاقَصْمَ ، أو ياقوتةً حمراءَ ، أو زَبَرْجَدَةً خضراء منها غُرَفُهـا وأبوابهـا ، مُطَّرِدَةً فيهـا أنهـارهـا ، متدلِّيةً فيها ثِمارُها ، فيها أزواجُهـا وخـدمُهـا فليسوا إلى شيءٍ أحوجَ منهم إلى يوم الجُمعةِ ليزدادوا فيه كَرامةً ، وليزدادوا فيه نظرًا إلى وجهه تبارك وتعالى ، ولذلـك دُعِي يومَ المزيد » .

١٣٨٣ ـ * روى مسلم عن صُهَيْب الرومي رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قـال : « إذا دخل أهلُ الجَنةِ الجَنةَ ، يقول تَبارك وتعالى : تريدون شيئًا أزيـدُكم ؟ فيقولون : ألم تُبيِّضْ وجـوهَنـا ؟ ألم تُـدخلنـا الجنـةَ وَتُنَجِّنـا من النـار ؟ » قـال : « فَيَكْشِفُ الحجابَ ، فما أُعْطُوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظرِ إلى ربِّهم تبـارك وتعـالى » زاد في رواية : ثم تلا هذه الآية ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادةٌ ﴾[1] .

١٣٨٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ أن النـاس قالوا : يـا رسولَ الله هل نَرى ربَّنـا يومِ القيـامـة ؟ فقـال رسولُ الله ﷺ : « هل تضـارون في القمر ليلـة البـدر » ؟

١٣٨٣ ـ مسلم (١ / ١٦٣) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨٠ ـ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه .

والترمذي (٤ / ٦٨٧) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ١٦ ـ باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى .

(١) يونس : ٢٦ .

١٣٨٤ ـ البخاري (١٣ / ٤١٩) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٢٤ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ... ﴾ .

مسلم (١ / ١٦٣) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨١ ـ باب معرفة طريق الرؤية . وهو جزء من حديث طويل .

قالوا : لا يا رسولَ الله ، قال : « فهل تضارُّون في الشمس ليسَ دونها سحاب ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناسَ يومَ القيامة ، فيقول من كان يعبد شيئًا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ ، ويتَّبعُ من كان يعبد القمرَ القمرَ ، ويتبع من كان يعبدُ الطواغيتَ الطواغيتَ ، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها ، أو مُنافِقوها ، ـ شكٌّ إبراهيم ـ فيأتيهم اللهُ فيقول : أنا ربُّكم ، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربُّنا فإذا جاء ربُّنا عرَفْناه ، فيأتيهم اللهُ في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون أنت ربُّنا فيتَّبعونه ، ويَضربُ الصرَاط بين ظَهْري جهنمَ ، فأكون أنا وأُمتي أولَ مَن يُجيزُها ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسُلُ ودعوى الرسل يومئذ : اللهمَّ سلِّم سلِّم .... » .

أقول :

فالرؤيه بلمؤمنين ثابتة وكذلك هي في بعض مواقف يوم القيامة ، وهي ثابتة لبعض المؤمنين في البرزخ ، فقد ورد في حديث صحيح أنَّ الله عز وجل كلم والد جابر بعد أن استشهد كفاحًا أي ليس من وراء حجاب .

قال الخطابي عن رؤية الله عز وجل في مواقف القيامة :

وهذه الرؤية التي في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي في الجنة لكرامة أولياء الله وإنما هذه للامتحان والله أعلم .

١٣٨٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تضارون في رؤية الشمس والقَمر إذا كانت صَحوًا ؟ » قلنا : لا ، قال : « فإنكم لا تضارون في رؤية ربِّكم يوْمئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما » ، ثم قال : « ينادي منادٍ ليَذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحابُ الصَّليبِ مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع

١٣٨٥ ـ البخاري (١٣ / ٤٢٠) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٢٤ ـ باب قول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ .

مسلم : (١ / ١٦٧) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨٠ ـ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه .

وهو جزء من حديث طويل .

أوثـانهم وأصحـاب كلّ آلهـةٍ مـع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبـدُ الله مِن برٍّ أو فـاجرٍ وغُبَرَاتٌ من أهـل الكتـاب ، ثُمَّ يـؤتى بِجَهَنَّم تعرضُ كأنهـا سَرابٌ ، فيقـال لليهود : ما كنتم تعبدُون ؟ قالوا : كنَّـا نعبـدُ عُزَيرًا ابن اللهِ ، فيقـال : كـذبتم لم يكن للهِ صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تسقينَا ، فيقـال : اشربوا فيتسـاقطون في جهنمَ ، ثم يقـال للنصـارى : مـا كنتم تعبـدون ؟ فيقولون : كنـا نعبد المسيح ابن اللهِ ، فيقال كـذبتم لم يكن للهِ صـاحبـةٌ ولا ولـدٌ ، فما تريـدون فيقولون نريد أن تسقينا ، فيقال : اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبـد الله من بَر أو فـاجرٍ ، فيقـال لهم : مـا يحبسكم وقـد ذهب النـاسُ ؟ فيقـولـون : فارقناهم ونحن أحوَجُ منا إليه اليومَ ، وإنا سمعنا منـاديًـا ينـادي : ليلحق كلُّ قوم بما كانوا يَعبدون وإنما ننتظرُ ربَّنَا » . قال : « فيأتيهمُ الجبَّارُ في صورة غير صورتـه التي رأوه فيها أوَّل مرة ، فيقولُ : أنا ربكم ، فيقولون : أنت رَبُّنا ، فلا يكلمـه إلا الأنبياء ، فيقول : هل بينكم وبينَـهُ آيـة تعرفونَـه ؟ فيقولون : السَّـاق . فيكشفُ عن ساقه ، فيسجدُ له كل مؤمن ، ويبقى مَن كان يسجُدُ لله رياءً وسمعةً فيذهب كيما يسجد فيعود ظهرُه طَبقًا واحدًا ... » .

٧ - في ذبح الموت

١٣٨٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « يؤتى بالموتِ كهيئة كَبْش أملحَ ، فينادي مناد : يا أهل الجنةِ ، فَيَشرئبُّون ويَنظرون ، فيقول لهم : هل تَعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموتُ ، وكلُّهم قد رآه ، ثم ينادي مُناد : يا أهلَ النار ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول لهم : هل تَعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموتُ وكلُّهم قد رآه ، فَيُذبَحُ بين الجنة والنار ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موتَ ، ويا أهل النار خلودٌ فلا موتَ » ، ثم قرأ : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر وهم في غَفْلَةٍ وهم لا يؤمنون ﴾ [1] وأشار بيده إلى الدنيا .

وأخرجه [2] الترمذي قال : « إذا كان يومَ القيامة أُتِيَ بالموت كالكبْش الأمْلَح ، فيوقفُ بين الجنة والنار ، فَيُذبح وهم ينظرون ، فلو أنَّ أحدًا مات فَرَحًا لمات أهلُ الجنة ، ولو أن أحدًا مات حَزَنًا لمات أهل النار » .

١٣٨٧ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إذا صار أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ ، وأهلُ النارِ إلى النارِ : جِيء بالموتِ ، حتى يُجعَلَ بين الجنةِ والنارِ ، فيذبحَ ، ثم يُنادي منادٍ : يا أهلَ الجنةِ لا موتَ ، يا أهلَ النارِ لا موت ، فيزدادُ أهلُ الجنة فَرَحا إلى فرحهم ، وأهلُ النارِ حُزْنًا إلى حُزْنِهم » .

١٣٨٦ - البخاري (٨ / ٤٢٨) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٨٨) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

(١) مريم : ٣٩ .

(٢) الترمذي (٥ / ٣١٥) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٢٠ - باب « ومن سورة مريم » .

وقال : حديث حسن صحيح .

(كبش أملح) الأملح : المختلط البياض والسواد .

(فيشرئبون) اشرأب إلى الشيء : إذا تطلع ينظر إليه ، ومالت نحوه نفسه .

١٣٨٧ - البخاري (١١ / ٤١٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (٤ / ٢١٨٩) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون ... إلخ .

=

١٤٢٥

وفي رواية [1] : أن النبيَّ ﷺ قال : « يُدْخِلُ اللهُ أهلَ الجنةِ الجنة ، وأهلَ النارِ النارَ ، ثم يقوم مؤذِّن بينهم ، فيقول : يا أهل الجنة لا موتَ ، ويا أهلَ النار لا موت ، كلٌّ خالدٌ فيما هو فيه » .

---

(١) مسلم : الموضع السابق .

٨ - في متفرقات

في الجنة والنار وبعض صفات أهلها وبعض ما يحصل لأهل كل منهما

١٣٨٨ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رَسولُ الله ﷺ : « آتي بابَ الجنة يومَ القيامة فَأَسْتَفْتِحُ ، فيقولُ الخازنُ : من أنتَ ؟ فأقول : محمدٌ ، فيقولُ : بكَ أُمِرْتُ أن لا أَفْتَحَ لأحدٍ قَبْلَكَ » .

١٣٨٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله عَز وجل يقولُ لأهلِ الجنةِ : يا أهلَ الجنة ، فيقولون : لَبَّيكَ ربَّنا وسَعدَيك ، والخيرُ في يديك ، فيقولُ : هل رَضِيتم ؟ فيقولون : ومالنا لا نرضى يا ربَّنا وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً مِنْ خَلقكَ ؟ فيقول : ألا أُعطيكم أفضلَ من ذلك ؟ فيقولون : وأيُّ شيء أفضلُ ؟ فيقول : أُحِلُّ عليكم رضواني ، فلا أسخطُ عليكم بعدَه أبداً » .

١٣٩٠ - * روى أبو يعلى عن أنس بنِ مالك قال : قالَ رسولُ الله ﷺ « سألت ربي اللاهينَ من ذُرية البشر أن لا يُعَذِّبهم فأعطانيهم » .

١٣٩١ - * روى أحمد عن مُطَرِّف قالَ : قالَ لي عِمرانُ : إني لأُحَدِّثُك بالحديثِ اليومَ

١٣٨٨ - مسلم (١ / ١٨٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٥ - باب في قول النبي ﷺ « أنا أول الناس يشفع ... » .

١٣٨٩ - البخاري (١١ / ٤١٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (٤ / ٢١٧٦) ٥١ - كتاب الجنة ، ٢ - باب إحلال الرضوان .

والترمذي (٤ / ٦٨٩) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ١٨ - باب حدثنا سويد بن نصر . وقال حديث حسن صحيح .

١٣٩٠ - مجمع الزوائد (٧ / ٢١٩) .

وقال : رواه أبو يعلى من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل وهو ثقة ، ولفظها : سألت الله اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم .

(اللاهين) : قيل هم البُلْه الغافلون وقيل الذين لم يتعمدوا الذنوب وإنما فرط منهم سهوًا ونسيانًا وقيل هم الذين لم يقترفوا ذنبًا .

١٣٩١ - أحمد (٤ / ٤٣٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٩٥) وقال : رواه أحمد موقوفًا وهو شبه المرفوع ، ورجاله رجال الصحيح .

لعل اللهَ يَنْفَعَكَ به بعدَ اليوم : اعلمْ أن خِيارَ عبادِ الله يومَ القيامة الحمّادون .

١٣٩٢ - * روى مسلم عن أبي التَّيَّاح قال : كان لمُطَرِّف بن عبدِ الله بنِ الشِّخِّيرِ امرأتان ، فخرجَ من عندِ إحْدَاهُما ، فلما رَجَعَ قالتْ له : أتيتَ من عندِ فلانة ؟ قال : أتيتُ من عندِ عِمْران بن حُصَيْنٍ ، فحدَّثنا : أنَّ رسول الله ﷺ قال « إن أَقَلَّ ساكني الجنة النساءُ » .

١٣٩٣ - * روى أحمد عن أبي بكرِ الصديق عن النبيِّ ﷺ قالَ : « لا يدخلُ الجنةَ بخيلٌ ولا خَبٌّ ولا خائنٌ ولا سَيِّئُ المَلَكَة ، وأوّلُ من يَقْرَعُ بابَ الجنةِ المملوكون إذا أحسنوا فيما بينهم وبين اللهِ عز وجل ، وفيما بينهم وبين مواليهم » .

١٣٩٤ - * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « عُرِضَ عَلَيَّ أولُ ثلاثةٍ يَدْخُلون الجنةَ : شهيدٌ ، وعفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ، وعبدٌ أحسَنَ عبادةَ الله ونَصَح لمواليه » .

١٣٩٥ - * روى البخاري عن طريفِ أبي تميمة قال : شهدتُ صفوانَ وجُندبا وأصحابهُ وهو يوصيهم فقالوا : هل سمعتَ من رسول الله ﷺ شيئًا ؟ قال : سمعتهُ يقول : « من سمَّع سمَّع اللهُ به يومَ القيامة » ، قال : « ومن شاقَّ شقَّق اللهُ عليه يومَ القيامة » فقالوا : أوصنا ، فقال : « إنَّ أولَ ما ينتنُ من الإنسان بَطنه ، فمن استطاع أن لا يأكلَ إلا طيِّبًا فليفعل ، ومن استطاع أن لا يُحالَ بينه وبين الجنَّة بملءِ كفٍّ

١٣٩٢ - مسلم (٤ / ٢٠٩٧) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢٦ - باب أكثر أهل الجنة الفقراء .

١٣٩٣ - أحمد (١/ ٤) .

والترمذي (٤ / ٣٤٣) ٢٨ - كتاب البر والصلة ، ٤١ - باب ما جاء في البخيل .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١١) وقال : قلت رواه الترمذي وابن ماجه باختصار - رواه أحمد وأبو يعلى وقد حسنه الترمذي بهذا الإسناد .

(الخَبّ) : الخدّاع .

(سيئ الملكة) : أي سيئ المعاملة لمملوكيه .

١٣٩٤ - الترمذي (٤ / ١٧٦) ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد ، ١٣ - باب ما جاء في ثواب الشهداء .

قال محقق الجامع : ورواه أيضًا أحمد في المسند والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن . وهو كما قال .

١٣٩٥ - البخاري (١٣ / ١٢٨) ٩٣ - كتاب الأحكام ، ٩ - باب من شاقّ شقّ الله عليه .

من دم هراقِه فليَفعلْ » . قلتُ [أي راوي كتاب البخاري] لأبي عبد الله : من يقولُ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ ، جندَب ؟ قال : نَعم جندب .

مما قاله ابن حجر في شرحه : (قوله : « من شاق شقَق الله عليه » : من أدخل على الناس المشقة أدخل الله عليه المشقة فهو من : الجزاء من جنس العمل . قوله : « من سمَّع سمَّع الله به » : من عمل عملاً على غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جُوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه ، وقيل من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ... وقيل من شهّر بغيره ... فيكون أيضًا من : الجزاء من جنس العمل ، والمراد في الحديث النهي عن القول القبيح في المؤمنين وكشف مساويهم وعيوبهم وترك مخالفة سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم والنهي عن إدخال المشقة عليهم والإضرار بهم وكانت وصية صفوان هذه لمجموعة من الخوارج) .

وزِيدَ في رواية : قال : فبكى القوم فقال جندب : لم أر كاليوم قط قومًا أحق بالنجاة من هؤلاء إن كانوا صادقين ـ ولقد صدقت فراسته لذا قال : إن كانوا صادقين فإنهم لما خرجوا بذلوا السيف في المسلمين وقتلوا الرجال والأطفال وعظم البلاء بهم .

وفي رواية [1] : عن جندب بن عبدِ الله قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « من استطاعَ أن لا يحولَ بينه وبين الجنةِ مِلءُ كَفٍّ من دَمٍ يُهْرِيقُه كأنما يَذبحُ دجاجةً كلما يَعرضُ لباب من أبواب الجنة حال بينه وبينه ، ومن استطاع منكم أن لا يجعلَ في بطنه إلا طيبًا فإنَّ أولَ ما ينتنُ من الإنسانِ بَطْنُه » .

١٣٩٦ ـ * روى أحمد عن أبي هريرةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « سألتُ ربي عز وجل فوعدني أنْ يَدخُلَ الجنةَ من أمتي سبعون ألفًا على صورة القمر ليلةَ البدر ، فاسْتَزَدْتُه فزادَني مع كل ألفٍ سبعين ألفًا ، فقلتُ : أي ربِّ إن لم يكن هؤلاء

---

(١) المعجم الكبير (٢ / ١٦٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٩٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٩٦ ـ أحمد (٢ / ٢٥٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٤) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

مُهاجِرَ أُمتي قال إذًا أُكْمِلُهم لكَ من الأعراب » .

١٣٩٧ ـ * روى أحمد عن معاوية بنِ حَيدة أن رسول الله ﷺ قال : « أنتم توفون سبعين أمة أنتم آخرُها وأكرمُها على الله عز وجل » .

١٣٩٨ ـ * روى أحمد عن حُذيفةَ قال : غابَ عنا رسولُ الله فلم يَخْرُجْ حتى ظننا أنه لن يَخْرُجَ ، فلما خرجَ سجد سجدةً حتى ظننا أن نفسه قد قُبضَتْ فيها ، فلما رفع رأسَه قال : « إن ربي عز وجل استشارني في أمتي ماذا أفعلُ بهم ؟ قلت : ما شئتَ ربي هم خَلْقُكَ وعبادُكَ . فاستشارني الثانية ، فقلتُ له : كذلك ، فقالَ لا نخزيكَ في أمتك يا محمدُ ، وأخبرني أن أولَ من يدْخُلُ الجنةَ من أمتي سبعون ألفًا مع كل ألف سبعون ألفًا ليس عليهم حسابٌ ، ثم أرسل إليَّ ، فقال ادعُ تُجَبْ وسَلْ تُعطَه ، فقلتُ لرسوله : أو مُعطيَّ ربي عز وجلَّ سؤلي ؟ قال : ما أرسلني إليك إلا ليعطيك ، ولقد أعطاني ربي عز وجل ولا فخر ، وغَفَرَلي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حيًا صحيحًا وأعطاني أن لا تجوعَ أمتي ولا تُغْلَبَ ، وأعطاني الكوثَرَ من الجنةِ يَسيلُ في حوضي ، وأعطاني العِزَّ والنَّصْرَ والرعْبَ يسير بين يدي ولأمتي شهرًا ، وأعطاني أني أولُ الأنبياء أدخُلُ الجنةَ وطَيَّبَ لي ولأمتي الغنيمةَ وأحلَّ لنا كثيرًا مما شَدَّدَ على مَنْ قَبْلَنا ولم يَجْعَل علينا من حَرَج » .

١٣٩٩ ـ * روى أحمد عن أنسٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن اللهَ عز وجل وعَدَني أن يُدْخِلَ الجنةَ من أمتي أربَعَمائةَ ألْف » فقال أبو بكر زدنا يا رسولَ الله ، قال : « وهكذا »وجمع كفيه فذكر نحوه .

١٤٠٠ ـ * روى أحمد عن أنس أن النبي ﷺ قال : « وَعَدَني ربي عز وجل أن

١٣٩٧ ـ أحمد (٥ / ٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٧) وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

١٣٩٨ ـ أحمد (٥ / ٣٩٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٨٦) وقال : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

١٣٩٩ ـ أحمد (٣ / ١٦٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٤) وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١٤٠٠ ـ أحمد (٣ / ١٩٣) .

=

يَدخِل الجنةَ من أمتي مائةَ ألفٍ » فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه : زدْنا يارسول الله ، قال : « وهكذا » وأشار بيده ، قال : يا نبي الله زدنا قال « وهكذا » قال عمر : قطكَ يا أبا بكر قال : مالنا ولكَ يا ابنَ الخطاب . قال عمر : إن الله إن شاءَ يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ كلَّهم بحَفْنةٍ . قال النبي ﷺ : « صَدَّقَ اللهُ عُمرَ » .

١٤٠١ ـ * روى أحمد عن ابنِ مسعودٍ قال : قال لنا رسولُ الله ﷺ « كيف أنتم ورُبُعَ أهلِ الجنةِ ، لكم رُبُعُها ولسائر الناسِ ثلاثةُ أرباعها » ، فقلنا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « فكيف أنتم وثُلُثُها » قالوا : فذاك أكثرُ . فقال رسول الله ﷺ : « أهلُ الجنةِ يومَ القيامة عشرون ومائةُ صف أنتم منها ثمانون صفًا » .

١٤٠٢ ـ * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسولِ الله ﷺ أنه قال : « هل تَدرُون أولَ من يَدخُلُ الجنةَ مِنْ خَلْقِ الله عز وجل ؟ » قالوا : اللهُ ورسوله أعلَمُ . قالَ : « الفقراءُ المهاجرون الذين تُسَدُّ بهم الثغور ، وتُتَّقى بهم المكارهُ ، ويموتُ أحدهم وحاجتُهُ في صدره لا يستطيع لها قضاءً ، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته : ائتوهم فحيوهم . فتقولُ الملائكة : نحن سُكّانُ سمائِك وخيرتُك من خَلْقك أفتأمُرُنا أن نأتيَ هؤلاء فَنُسلم عليهم » قال : « إنهم كانوا عبادًا يَعْبدُوني لا يُشْركون بي شيئًا ، وتُسَدُّ بهم الثغورُ ، وتُتَّقى بهم المكارهَ ، ويموتَ أحدُهم وحاجتُهُ في صدره لا يستطيعُ لها قضاءً » . قالَ : « فتأتيهم الملائكة عند

= مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٤) وقال رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

(قطكَ) : حسبك .

١٤٠١ ـ أحمد (١ / ٤٥٣) .

والمعجم الكبير (١٠ / ٢٠٨) .

وكشف الأستار (٤ / ٢٠١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٣) وقال : قلت : هو في الصحيح باختصار رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الثلاثة ، ورجالهم رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة وقد وثق .

وفي التقريب : صدوق يخطئ .

١٤٠٢ ـ أحمد (٢ / ١٦٨) .

وكشف الأستار (٤ / ٢٥٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٩) وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات .

ذلك فيدْخُلون عليهم من كل بابٍ ﴿ سلامٌ عليكم بما صَبَرتم فَنِعْم عُقبى الدار ﴾[(1)] » .

١٤٠٣ - * روى أحمد عن عبدِ الله بن عمرو قالَ : سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : « إن أولَ ثُلَّةٍ تدخُلُ الفقراءُ المهاجرون الذين تُتَّقى بهم المَكارهُ ، وإذا أُمِروا سَمِعوا وأطاعوا ، وإذا كانتْ لرجلٍ منهم حاجةٌ إلى السلطان لم تقضَ حتى يموتَ وهي في صدرهِ ، واللهُ عز وجل يدعو يومَ القيامة الجنة فتأتي بزخرُفها وزينَتها ، فيقولُ : إن عبادِي الذين قاتلوا في سبيلي وقُتِلوا وأُوذوا في سبيلي وجاهدوا ادْخُلوا الجنةَ فيدْخُلُونها بغيرِ حسابٍ » .

١٤٠٤ - * روى الطبراني عن عبدِ الله بن عُمرَ قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « تَدْخُلُ فقراءُ أمتي الجنةَ قبلَ أغنيائهم بأربعينَ خريفًا » ، فقيل : صفْهم لنا . فقال : « الدَّنِسة ثِيابُهم ، الشَّعِثَةُ رؤوسُهم ، الذين لا يؤذَنُ لهم على السُّدَّاتِ ، ولا ينْكِحون المتنعماتِ ، تُوكَلُ بهم مَشارقُ الأرض ومَغاربُها ، يُعطُونَ كلَّ الذي عليهم ولا يُعْطَوْن كلَّ الذي لهم » .

١٤٠٥ - * روى أحمد عن أبي سعيدٍ الخُدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن المتحابين في الله لتُرى غرَفُهم فِي الجنةِ كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي ، فيقالُ : مَنْ هؤلاء ؟ فَيقال هؤلاء المتحابون في الله عز وجل » .

---

(١) الرعد : ٢٤ .

١٤٠٣ - أحمد (٢ / ١٦٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٩) وقال : رواه أحمد والطبراني وزاد فيه : « ادخلوا الجنة بلا عذابٍ ولا حسابٍ وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبِّحُكَ الليلَ والنهار ونقدسُ لك ، مَنْ هؤلاء الذين آثرتَهم علينا ؟ فيقولُ اللهُ جلَّ ذكرهُ : عبادي الذين قاتلوا في سبيلي فأوذوا في سبيلي ، فتدخُلُ عليهم الملائكةُ من كل بابٍ سلامٌ عليكم بما صَبَرتُم فنعم عقبى الدار » ، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عَشّانة وهو ثقة .

(ثُلَّة) : الجماعة من الناس .

١٤٠٤ - المعجم الكبير : (١٢ / ٣١٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦٠) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله ثقات .

(السُّدّات) : جمع سُدة بالضم : باب الدار .

١٤٠٥ - أحمد (٣ / ٨٧) .

مجمع الزوائد : (١٠ / ٢٧٤) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٤٠٦ - * روى مسلم عن أبي هريرة رفعه : « يدخل الجنةَ أقوامٌ أفئدتُهم مثلُ أفئدة الطير » .

قال النووي : (قيل مثلها في رقتها وضعفها كالحديث الآخر أهل اليمن أرق قلوبا وأضعف أفئدة وقيل في الخوف والهيبة ، والطير أكثر الحيوان خوفًا وفزعًا كما قال الله تعالى : ﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾ وكان المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف في شدة خوفهم ، وقيل المراد متوكلون) اهـ (شرح النووي على مسلم) .

١٤٠٧ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال : قال رسُولَ الله ﷺ : « ألا أُخبِرُكم بمن يَحرُم على النار ، وبمن تَحرُم عليه النار ؟ على كلِّ قريبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ » .

١٤٠٨ - * روى البزار عن ابنِ عباسٍ أن النبيِ ﷺ سُئِلَ مَنْ في الجنةِ ؟ قال : « النبي في الجنة ، والشهيدُ في الجنة والمولودُ في الجنة ، والموءودةُ في الجنة » .

١٣٠٩ - * روى أحمد عن أبي أمامة قالَ : استَضْحكَ رسولَ الله ﷺ يومًا ، فقيلَ له : يا رسولَ الله ما يُضحِكُكَ ؟ قال : « قَوْمٌ يُسَاقون إلى الجنةِ مقرنين في السَّلاسِلِ » .

أقول : المراد بهؤلاء والله أعلم الأسرى الذين يسلمون بعد أسرهم .

١٤١٠ - * روى الطبراني عن شريكِ بنِ طَرِيفٍ قال : قالَ : رسولَ الله ﷺ : « لن

١٤٠٦ - مسلم (٤ / ٢١٨٣) ٥١ - كتاب الجنة ، ١١ - باب يدخل الجنة أقوام ... إلخ .

١٤٠٧ - الترمذي (٤ / ٦٥٤) ٣٨ - كتاب القيامة ، ٤٥ - باب حدثنا هنّاد .

وقال : هذا حديث حسن غريب ، وهو كما قال .

١٤٠٨ - كشف الأستار (٣ / ٣٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢١٩) وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن معاوية بن مالج ، وهو ثقة . وفي التقريب : صدوق ربما وهم .

١٤٠٩ - أحمد (٥ / ٢٥٦) .

ومجمع الزوائد (٥ / ٣٣٣) وقال : رواه أحمد والطبراني ، وأحد إسنادَيْ أحمد رجاله رجال الصحيح .

١٤١٠ - المعجم الكبير (٧ / ٣٠٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٧) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال أحدها رجال الصحيح .

يَدْخُلَ الجنةَ أحَدٌ منك بعملٍ » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يَتَغمَّدني اللهُ برحمةٍ منه وفضلٍ » .

١٤١١ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يَدْخُلَ الجنةَ أحدٌ إلا برحمة الله » قالوا : ولا أنت ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله » وقال بيده فوق رأسه .

١٤١٢ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ كان يَتحدَّثَ - وعنده رَجُلٌ من أهل البادية - « أنَّ رَجلا استأذَنَ ربَّه في الزرع ، فقال : ألستَ فيما شئتَ ؟ يقول : بلى ، ولكن أُحبُّ ذلك ، فيؤذَنُ له ، فيبْذُرُ ، فَيبادِرُ الطرْفَ نباتُه واستحصادُه ، وتكويرُه أمثالَ الجبَال ، فيقولُ الرب سبحانه : دونَكَ يا ابنَ آدم ، فإنه لا يشبِعُكَ شيء » فقال الأعرابيُّ : إنك لَنْ تجدَه إلا قرشيًا أو أنصاريًا ، فإنهم أصحابُ زرعٍ ، فأما نحن : فَلَسْنَا بأصحابِ زرعٍ ، فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بَدَت نواجذُه .

١٤١٣ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ المؤمنَ إذا اشتهى الولدَ في الجنة ، كان حملُهُ ووضعُهُ وسِنُّهُ في ساعةٍ واحدة كما يشتهي » .

١٤١٤ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « صِنفَان من أهل النار ، لم أرهما : قومٌ معهم سِياط كأذناب البقر ، يَضْرِبون بها

١٤١١ - أحمد (٣ / ٥٢) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٦) وقال : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

١٤١٢ - البخاري (١٣ / ٤٨٧) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٣٨ - باب كلام الرب مع أهل الجنة .

١٤١٣ - الترمذي (٤ / ٦٩٥) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢٣ - باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

وأحمد (٣ / ٩) .

وابن ماجه (٢ / ١٤٥٢) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٩ - باب صفة الجنة .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٩ / ٢٤٧) .

والدارمي (٢ / ٣٣٧) كتاب الرقاق ، باب في ولد أهل الجنة .

وقال محقق الجامع : إسناده حسن .

١٤١٤ - مسلم (٣ / ١٦٨٠) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٣٤ - باب النساء الكاسيات العاريات .

=

الناس ، ونساءٌ كاسياتٌ عاريـاتٌ ، مُميلات مـائلات ، رؤوسهن كأَسْنِـمَةِ البُخْتِ المائلة ، لا يدخُلنَ الجنة ، ولا يجِدْن رِيحَها وإنَّ رِيحها لَتُوجَدُمِنْ مَسيرةِكَذا وكَذا » .

١٤١٥ ـ * روى أحمد عن عُمارة بنِ خُزَيمة قال : بينما نحن عند عمرو بن العـاص في حجٍّ أو عُمرةٍ قـال : بينما نحن مـع رسـولِ الله ﷺ في هـذا الشِّعْبِ : إذ قـال : « انظروا هـل ترون شيئًا » فقلنا نَرىَ غِرْبانًا منهـا غُرابٌ أعصَمُ أحمرُ المِنْقَـارِ والرِّجْلين . فقـال رسول الله ﷺ : « لا يدخُلُ الجنَّـة من النسـاء إلا من كان منهن مثلَ هـذا الغراب في الغِرْبـان » .

أقول : المؤمنات من النساء كثيرات بفضل الله تعالى ، ومآلهن الجنـة ، ولكن قسمًـا كبيرًا منهن يدخلن النار بما يفعلنه من موجبات دخول النار ، ثم يكون المآل إلى الجنة بفضل الله تعالى ، فالنص يتحدث عن مرحلة متقدمة بالنسبة للجنة .

١٤١٦ ـ * روى أحمـد عن عبـدِ الرحمنِ بنِ شِبْـلٍ قـال : قـالَ رسـولُ الله ﷺ : « إن الفُسّاقَ أهلُ النار » ، قالوا يارسول الله : ومن الفُسّاقُ ؟ قال : « النساء » قـال رجـل : يا رسولَ الله أو لسن أمهـاتنـا ونسـاؤنـا وأزواجُنـا وبنـاتُنـا ؟ قـال : « بلى ! ولكنهن إذا أعطين لم يَشْكُرْنَ وإذا ابتلين لم يصبِرْنَ » .

١٤١٧ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أسـامـةَ بنِ زيـدٍ رضي الله عنـه قـال : قـال النبيُّ

= (كاسيات عاريات) : أي يكشفْن بعضَ أجسامِهنّ وقيل : هو أن يَلْبسنَ ثيابًا رقاقًا تصف ما تحتها ، فهن كاسيـات في ظاهر الأمر ، عاريات في الحقيقة .

(مائلات مميلات) : مائلات ، أي : زائغـات عن طـاعة الله وعمـا يلزمهن من حفـظ الفروج ، ومميلات : يعلّمن غيرهن الـدخول في مثل فعلهن ، وقيل : مـائلات ، أي : متبخترات في مشيهن ، مميـلات ، أي : يُملْنَ أعطـافهن وأكتافهن وقيل : مائلات إلى الشر ، مميلات للرجال إلى الفتنة .

(رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ) : البخت : جِمالٌ طِوالُ الأعناقِ .

١٤١٥ ـ أحمد (٤ / ١٩٧) .

مجمع الزوائـد (١٠ / ٣٩٩) وقال : وفي رواية كنا مع عمرو بن العـاص في حجٍّ أو عمرة حتى إذا كنـا بمر الظهران إذا امرأة في هودجها فذكر نحوه . رواه أحمد ورجاله ثقات .

(الظهران) : موضع بالقرب من مكة

١٤١٦ ـ أحمد (٣ / ٤٢٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) وقال : ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي راشد الحبراني ،وهو ثقة .

١٤١٧ ـ البخاري (١١ / ٤١٥) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥١ ـ باب صفة الجنة والنار . =

ﷺ : « قُمتُ على باب الجنةِ ، فكان عامَّةَ من دَخَلها المساكينَ ، وأصحابُ الجَدِّ مَحْبُوسون ، غير أن أصحابَ النارِ قد أُمِرَ بهم إلى النار ، وقمتُ على باب النار ، فإذا عامَّةُ من دَخَلها النساء » .

١٤١٨ - * روى أحمد عن عبد الله بن عباس قال قالَ رسولُ الله ﷺ : « اطَّلَعْتُ في الجنةِ فرأيتُ أكثرَ أهلها الفقراءَ ، واطلعت في النار فرأيتُ أكثرَ أهلها النساء » .

١٤١٩ - * روى البخاري ومسلم عن حارثَة بن وهبٍ رضي الله عنه سمعَ رسولَ الله ﷺ : يقول « ألا أخبرُكم بأهل الجنة ؟ كلُّ ضعيف متضعِّف ، لو أقسمَ على الله لأبَرَّهُ ، ألا أُخبِرُكم بأهل النار ؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظ مُسْتَكْبِر» .

ولمسلم [1] في رواية : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ » قالوا : بلى ... وذكره ، وكذلك في أهل النار ، قالوا : بلى . وله في أخرى [2] مثله ، وقال في ذكر أهل النار : « كلُّ جَوَّاظ زَنيم متكبِّر» .

١٤٢٠ - * روى مسلم عن عِياض بن حِمَاد المُجَاشعي رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قالَ ذاتَ يوم في خُطبته : « ألا إن رَبِّي أمَرَني أن أُعَلِّمَكم ما جَهِلْتُم مما علمني يومي هذا ، كُلّ مال نَحَلْتُه عبدًا حلالٌ ، وإني خَلَقْتُ عِبَادي حنفاءَ كلَّهم ، وإنهم أتَتْهُمُ

= مسلم (٤ / ٢٠٩٦) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢٦ - باب أكثر أهل الجنة الفقراء .

الجَدّ : الحَظُّ والسَّعادة .

١٤١٨ - أحمد (١ / ٢٣٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦١) وقال : رواه أحمد ، وإسناده جيد .

١٤١٩ - البخاري (٨ / ٦٦٢) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب ﴿ عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٩٠) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

والترمذي (٤ / ٧١٧) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ١٣ - باب حدثنا محمود .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

(عتل) : العُتُلّ : الغليظ الجافي الذي لا ينقاد إلى الخير .

(جوّاظ) : الغليظ الفظ .

(زنيم) : الزَّنيم : الدَّعِيُّ الملصَق بالقوم وليس منهم ، وقيل : هو اللئيم .

١٤٢٠ - مسلم (٤ / ٢١٩٧) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٦ - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ... إلخ .

الشياطين فاجتالَتْهم عن دِينهم ، وحَرّمَتْ عليهم ما أحللتَ لهم ، وأَمَرَتْهُم أن يُشركوا بي ما لم أُنـزِّلْ به سلطانًا ، وإنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرض ، فمَقَتَهم ، عَربهُم وعَجَمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بَعَثْتُك لأَبْتليَكَ وأَبْتليَ بكَ ، وأنزلتُ عليك كِتابًا لاَ يَغْسِلهُ الماءُ ، تقرؤه نائمًا ويقظانَ ، وإن الله أمرني أن أُحَرِّقَ قريشاً ، فقلت : ربِّ إذًا يَثْلَغُوا رَأْسي ، فيَدَعُوهُ خُبزَةً ، قال : استَخْرِجْهم كما أخرجوك ، واغزُهم نُغزِك ، وأنفِقْ فَسَنُنفقَ عليك ، وابعثْ جيشًا نبعثْ خمسةً مثله ، وقاتلْ بمن أَطاعَك ، قال : وأهلُ الجنة ثلاثةٌ : ذو سلطان مُقسطٌ مُتَصدِّقٌ مُوفَّقٌ ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قُربى ومسلم ، وعفيفٌ مُتَعَفِّف ذو عيال . وأهلُ النار خمسةٌ : الضعيف الذي لا زَبْرَ له ، الذين هم فيكم تبعًا لا يَتبَعون أهلا ولا مالا ، والخائن الذي لا يَخفى له طمعٌ وإن دَقَّ إلا خَانَهُ ، ورجلٌ لا يصبح ولا يُمسي إلا وهو يُخادِعُك عن أهلك ومالك » وذكر البخل أو الكذب « والشِّنْظِير الفَحَّاش » .

زاد في [1] رواية : « وإن الله أوحى إليَّ : أن تَواضَعوا حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أحدٍ ، ولا يبغي أحدٌ على أحد » .

وقال في حديثه : « وهم فيكم تبعًا ، لا يبغون أهلا ولا مالا » فقلتُ : فيكون ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : نعم ، والله لقد أدركتُهم في الجاهلية ، وإن الرجل ليرعى على الحي مابه إلا وليدتهم يَطَؤها .

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٨) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١٦ ـ باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ... إلخ .

(اجتالتهم الشياطين) : أي : استخفَّتهم ، فجالوا معهم ، ويقال للقوم إذا تركوا القصد والهدى : اجتالتهم الشياطين ، أي : جالوا معهم في الضلالة .

(أمرني أن أُحَرِّقَ قريشاً) : كناية عن القتل ، ومثله في ذكر قتال أهل الرِّدَّةِ ، فلم يزل يحرق أعضاءهم حتى أدخلهم من الباب الذي خرجوا منه ، ومنه حديث المواقع في رمضان : « احترقتُ » أي : هلكتُ .

(الثَّلغ) : الشَّدخ ، وقيل : هو فَضْخُكَ الشيء الرطب بالشيء اليابس .

(لا زَبْرَ له) : أي : لا عقل له ، ولا تماسك ، وهو في الأصل مصدر .

(الشِّنْظِير) : من الأ... سيئ الخُلق ، والفحّاش : المبالغ في الفحش .

١٤٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « حُجِبَت النارُ بالشهوات ، وحُجِبَتِ الجنةُ بالمكاره » .

١٤٢٢ - * روى البخاري عن عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « الجنةُ أقربُ إلى أحدِكم من شراكِ نَعْلِه ، والنارُ مثلُ ذلك » .

١٤٢٣ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال : رسولُ الله ﷺ : « حُفَّت الجَنَّةُ بالمكارِه ، وحُفَّتِ النار بالشهوات » .

١٤٢٤ - * روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجنةَ ، قالَ لجبريلَ : اذهب فانظرْ إليها ، فذهبَ فنظر إليها ، فقال : وعِزَّتِك لا يسمع بها أحدٌ إلا دَخَلها . فَحَفَّها بالمكاره ، فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب إليها ثم جاء فقال : وعزَّتك لقد خَشيتُ أن لا يدْخُلها أَحَدٌ » قال : « ولما خلقَ اللهُ النارَ ، قال لجبريلَ : اذهبْ فانظر إليها ، فذهبَ فنظرَ إليها ، ثم جاءَ فقال : وعِزّتك لا يَسمَعُ بها أحد فيدخُلها ، فَحَفَّهَا بالشهوات ، فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فلما رجع ، قال : وعزَّتك لقد خشيتُ أن لايبقى أحدٌ إلا دَخَلها » .

وزاد النسائي [1] في ذكر الجنة بعد قوله : « قال لجبريل : اذهب إليها » : « وإلى

١٤٢١ - البخاري (١١ / ٣٢٠) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٢٨ - باب حجبت النار بالشهوات .

مسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ - كتاب الجنة ، الحديث الثاني .

وله « حُفَّتْ » بدل « حُجِبَتْ » .

١٤٢٢ - البخاري (١١ / ٣٢١) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٢٩ - باب الجنة أقرب إلى أحدكم ..إلخ .

١٤٢٣ - مسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ - كتاب الجنة ، الحديث الأول .

والترمذي (٤ / ٦٩٣) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢١ - باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره .

وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه صحيح .

١٤٢٤ - أبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة ، باب في خلق الجنة والنار .

والترمذي (٤ / ٦٩٣) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢١ - باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(١) النسائي (٧ / ٣) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣ - باب الحلف بعزة الله تعالى .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٩ / ٢٤٣) .

والمستدرك (١ / ٢٧) .

ما أعدَدتَ لأهلها فيها » وكذلك زاد في ذكْر النار مثله .

١٤٢٥ - * روى مسلم عن أنس بن مـالـكٍ رضي الله عنـه أنّ رسـولَ الله ﷺ قـال : « يَخرُجُ من النار أربعةٌ ، فيُعْرضون على اللهِ عز وجل ، فيلتَفتُ أحدهُم فيقول : أي ربِّ ، إذْ أخرجتني منها فلا تُعِدْني فيها ، فينجيه اللهُ منها » .

١٤٢٦ - * روى أحمد عن أبي هريرةَ قـالَ : قـال رسول ﷺ : « كلُّ أهلِ النـار يَرى مَقْعَدهُ مِنَ الجنةِ فيقولُ : لو أن الله هداني فتكونُ عليه حَسْرَةً » قـال : « وكلّ أهلِ الجنة يرى مَقْعَدهُ من النار فيقولُ : لولا أن الله هداني فيكونُ له شكرًا » .

وفي روايـة [(١)] : « لا يـدخُـلُ أحـدٌ النـارَ إلا رأى مقعـدهُ من الجنـةِ لـو أحسنَ ليكونَ عليـه حسرةً ، ولا يـدخُلُ أحـدٌ الجنـة إلا رأى مقْعَـدهُ من النـار لو أسـاء ليزدادَ شكرًا » .

١٤٢٧ - * روى مسلم عن أنس بن مـالـك رضي الله عنـه قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « يُؤتَى بأنعم أهلِ الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فَيُصبَغُ في النَـار صَبغَـةً ، ثم يقال : يا ابنَ آدمَ ، هل رأيت خيرًا قطُّ ؟ هل مَرَّ بـك من نعيم قَـطُّ ؟ فيقولُ : لا والله يـاربِّ ، ويؤتَى بـأشـدِّ النـاس بؤسًـا من أهلِ الجنـة ، فَيُصبَـغُ صَبغَـةً في الجنة ، فيقَال لـه : يـا ابنَ آدمَ ، هل رأيتَ بؤسًـا قـط ؟ هل مَرَّ بـك مِنْ شِـدَّةٍ قَطُّ ؟ فيقول : لا والله ياربِّ ، مامرَّ بي بُؤس قَطُّ ، ولا رأيتُ شِدَّةً قَطُّ » .

١٤٢٨ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « تَحاجَّتِ الجنةُ والنـار ، فقـالت النـارُ : أُوثِرْتُ بـالمتكَبِّرين والمتجبرين ،

١٤٢٥ - مسلم (١ / ١٨٠)١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

١٤٢٦ - أحمد (٢ / ٥١٢) .

(١) أحمد (٢ / ٥٤١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٩) وقال : رواه كله أحمد ، ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح .

١٤٢٧ - مسلم (٤ / ٢١٦٢)٥٠ - كتاب صفات المنافقين ، ١٢ - باب صبغ أنعم أهل الدنيا ... إلخ .

(فيُصبَغ) : أي : يُغمس في النار أو الجنة غمسةً ، كأنه يدخل إليها إدخالةً واحدة .

١٤٢٨ - البخاري (٨ / ٥٩٥) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾ .

وقالت الجنةُ : فمالي لا يدخُلُني إلا ضُعفاءُ الناس وسَقَطُهُم ؟ » .

زاد في رواية [١] : « وغِرَّتُهُم فقال الله عز وجل للجنة : أنت رَحْمَتي ، أَرْحَمُ بك مَن أشاءُ منْ عبادي ، وقال للنار : إنما أنت عذابي ، أُعذِّبُ بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدةٍ منهما ملْؤُها ، فأما النارُ : فلا تمتلئُ حتى يضَع رجلَه » .

وفي رواية [٢] : « حتى يضعَ اللهُ تبارك وتعالى رِجْلَهُ فتقول : قطْ قَطْ قَطْ ، فَهنالكَ تمتلئُ ، ويُزْوَى بعضها إلى بعض ، ولا يظلمُ الله مِنْ خَلْقِه أحدًا ، وأما الجنةُ فإن الله يُنشئ لها خَلْقًا » .

وللبخاري [٣] قال : « اختَصَمَتِ الجنةُ والنار إلى ربِّهما ، فقالت الجنةُ : يارَبِّ مَالَها لا يَدْخُلُها إلا ضعفاءُ الناس وسَقَطُهُمْ ؟ وقالت النارُ : يعني أُوثرت بالمتكبرين ، فقال الله للجنة : أنت رحمتي ، وقال للنار : أنتِ عذابي أصيبُ بك من أشاء ، ولكلٍّ واحدةٍ منهما ملؤها ، فأما الجنةُ ، فإن الله لا يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِه أحدًا ، وإنه يُنْشِىءُ للنار من يشاء ، فَيُلْقَونَ فيها ، فتقول : هل من مزيد ؟ ويُلقون فيها ، فتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضعَ قَدَمه فيها ، فتمتلئَ ، ويُزْوَى بعضُها إلى بعض ، وتقول : قطْ قطْ قطْ » .

قال معلق فتح الباري :

جزم ابن القيم بأن هذا غلط من الراوي ، صوابه « ينشئ للجنة » كما تقدم برقم ٤٨٥٠ من طريق عبد الرزاق عن همام عن أبي هريرة ، وكما في رقم ٧٣٨٤ من طريق قتادة عن أنس ، فتبين منها أن الراوي هنا سبق لفظه من الجنة إلى النار ، ويسمونه في مصطلح الحديث (المنقلب) اهـ .

وقال ابن حجر : قال أبو الحسن القابسي المعروف في هذا الموضع إن الله ينشئ للجنة

= مسلم (٤ / ٢١٨٦) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١٣ ـ باب النار يدخلها الجبارون ... إلخ .

(١)، (٢) مسلم (٤ / ٢١٨٧) : الموضع السابق .

(٣) البخاري (١٣ / ٤٣٤) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٢٥ ـ باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ إن رحمة الله قريب .... ﴾ .

(قط) : حسبي وكفاني .

خلقًا وأما النار فيضع فيها قدمه قال : ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقًا إلا هذا . اهـ .

١٤٢٩ - * روى أحمد عن عليِ بنِ خالدٍ أن أبا أمامةَ مرَّ على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعَها من رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا كلُّكم يدخُل الجنةَ إلا من شَرَدَ على الله شِرادَ البعيرِ على أهلِه » .

١٤٣٠ - * روى أبو داود عن حارثةَ بن وهبٍ رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « لا يدخلُ الجنةَ الجَوَّاظُ ، ولا الجَعْظَرِيُّ » ، قال : والجَوَّاظ : الغليظ الفظ .

١٤٣١ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أن رسول الله ﷺ قال عند ذكر أهل النار : « وكل جعظري جَوَّاظٍ مستكبرٍ جَمّاعٍ مَنّاعٍ ، وأهلُ الجنة الضعفاءُ المغلوبون » .

١٤٣٢ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنسِ بن مالكٍ أن رسولَ الله ﷺ قال : « أتيتُ ليلةَ أسري بي على رجال تُقْرَضُ شِفاههم بمقَارِيضَ من نار قلتُ : من هؤلاء يا جبريلُ ؟ قال : هؤلاء خطباءُ أمتك الذين يأمرون الناسَ بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتابَ أفلا يعقلون » .

١٤٣٣ - * روى أحمد عن أبي سعيد قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « يَخرُجُ عُنُقٌ منَ

١٤٢٩ - أحمد (٥ / ٢٥٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٢) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير علي بن خالد المدني ، وهو ثقة .

١٤٣٠ - أبو داود (٤ / ٢٥٢) كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق .

وإسناده حسن .

(الجَوَّاظ) : المنوع ، وقيل : السمين المختال في مشيته ، وقيل : القصير البطين .

(الجعظري) : الفظ الغليظ المتكبر .

١٤٣١ - أحمد (٢ / ٢١٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٢) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٤٣٢ - كشف الأستار (٤ / ١١٢) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٦) وقال بعد أن ذكر نحو هذا الحديث : رواها كلها أبو يعلى والبزار ببعضها والطبراني في الأوسط ، وأحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح .

١٤٣٣ - أحمد (٢ / ٣٣٦) . وروايته مختصرة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

=

النار يومَ القيامة فتكلمَ بلسانٍ طَلْقٍ ذَلْقٍ لها عينان تبْصرُ بها ولها لسانٌ تكلمُ به فتقولُ : إني أُمرتُ بمن جعلَ مع اللهِ إلهًا آخر ، وبكل جبارٍ عنيد ، وبمن قتل نفسًا بغير نفسٍ ، فتنطلقُ بهم قبل سائر الناسِ بخَمسمائة عام » .

١٤٣٤ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ أَصْحَابَ الصُّوَرِ يُعذَّبُونَ يَوْمَ القِيامةِ يقالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُم » .

١٤٣٥ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يقولُ الله تعالى لأَهْونِ أهل النار عذابًا : لو كانتْ لك الدنيا كلُّها ، أكُنتَ مُفْتَديًا بها ؟ فيقولُ : نعم ، فيقولُ : قد أردتُ منْك أَيْسَرَ مِنْ هذا ، وأنت في صُلْبِ آدم : أن لا تُشركَ بي ولا أُدْخِلَكَ النَّار ، وأُدْخِلَكَ الجنة ، فأبيتَ إلا الشّركَ » .

وفي رواية له [(١)] وللبخاري قال : « يُجَاءُ بالكافرِ يومَ القيامةِ ، فيقُالُ له : أرأيتَ لو كان لك مِلءُ الأرض ذَهبًا ، أكُنْتَ تَفتدي به ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : لقد كنتَ سُئلتَ ما هو أيسرُ من ذلك : أن لا تشركَ بي » .

= وكشف الأستار (٤ / ١٨٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٢) وقال : وفي رواية : « فتنطوي عليهم فتقذفهم في جهنم » رواه البزار واللفظ له وأحمد باختصار وأبو يعلى بنحوه ، والطبراني في الأوسط ، وأحد إسنادى الطبراني رجاله رجال الصحيح .

١٤٣٤ - البخاري (١٣ / ٥٢٨) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٥٦ - باب قول الله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ .

مسلم (٣ / ١٦٦٩) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٢٦ - باب تحريم تصوير صورة الحيوان ... إلخ .

وأحمد (٦ / ٨٠) .

وابن ماجه (٢ / ٧٢٨) ١٢ - كتاب التجارات ٥ - باب الصناعات .

١٤٣٥ - مسلم (٤ / ٢١٦٠) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين ، ١٠ - باب طلب الكافر الفداء ... إلخ .

(١) مسلم (٤ / ٢١٦١) : الموضع السابق .

والبخاري (١١ / ٤٠٠) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٩ - باب من نوقش الحساب عذب .

ط ـ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان

قال ابن كثير في كتاب النهاية رادًا على من زعم أن الجنة والنار ستخلقان وليستا موجودتين الآن :

قال تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إلى مَغفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَواتُ وَالأَرضُ أعِدَّتْ لِلمُتَّقِين ﴾ [١] .

وقال تعالى :

﴿ سَابِقُوا إلى مَغفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجنَّةٍ عَرضُهَا كَعَرْض السَّماء والأَرْض أُعِدَّتْ للَّذين آمَنُوا بالله وَرُسُلِهِ ذلك فَضْلُ الله يؤتيه مَنْ يَشاءُ والله دو الفَضْل العظيم ﴾ [٢] .

وقال تعالى :

﴿ واتَّقوا النَّار التي أُعِدَّتْ للكَافِرين ﴾ [٣] .

وقال في حق آل فرعون :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوا وَعَشِيًّا وَيَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرعَوْنَ أَشَدَّ العَذَاب ﴾ [٤] .

وقال تعالى :

﴿ فلا تَعلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِي لَهُم مِنْ قرةِ أَعْيُنٍ جزاءً بما كانوا يَعْمَلون ﴾ [٥] .

وثبت في الصحيحين [٦] ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على

(١) آل عمران : ١٣٣ .
(٢) الحديد : ٢١ .
(٣) آل عمران : ١٣١ .
(٤) غافر : ٤٦ .
(٥) السجدة : ١٧ .
(٦) البخاري (٨ / ٥١٥ ، ٥١٦) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، تفسير سورة السجدة .

=

قلب بشر ، ذخرًا بَلْه مـا أطلعتم عليـه » . ثم قرأ : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِي لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ . الآية .

[بله : تأتي هنا بمعنى فضلاً عما أطلعتم عليه ، ومعناها في الأصل : دعْ] .

وفي الصحيحين [١] ، من حديث مالك ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا ماتَ . عُرِضَ عليهِ مَقعدُه بالغداة والعشي . إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فمن أهل النار ، فقيل : هذا مَقْعَدُكَ حتى يبعثَكَ اللهُ يَومَ القيامة » .

وفي صحيح مسلم [٢] ، عن أبي مسعود : « أرواحُ الشهداء في حواصل طير خُضْر ، تَسْرَحُ في الجنة حيث شاءتْ ، ثم تأوي إلى قناديل معلقةٍ في العرش » .

وروينا من حديث الإمام أحمد بن حنبل [٣] ، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي ، عن مالك ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنما نَسَمَةُ المؤمن في طائر معلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم يبعثه » .

وتقدم الحديث المتفق عليه [٤] : من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « حُفّت الجنةُ بالمكاره ، وحفت النارُ بالشهوات » .

وذكر الحديث المروي [٥] من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن

= مسلم (٤ / ٢١٧٥) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث ٤ .

(١) البخاري (٣ / ٢٤٣) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٩ ـ باب الميت يعرض عليه مقعده ... إلخ .
مسلم (٤ / ٢١٩٩) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ ـ باب عرض مقعد الميت ... إلخ .

(٢) مسلم (٣ / ١٥٠٢) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ، ٣٣ ـ باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ... إلخ .
وهو مرفوعٌ إلى النبي ﷺ .

(٣) أحمد (٣ / ٤٥٥) .

(٤) البخاري (١١ / ٣٢٠) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٢٨ ـ باب حجبت النار بالشهوات .
مسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث ١ .

(٥) الترمذي (٤ / ٦٩٣ ، ٦٩٤) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٢١ ـ باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره ... إلخ . =

أبي هريرة مرفوعًا : « لما خلق اللهُ الجنـة قـال لجبريلَ : اذهبْ فـانظرَ إليهـا » الحـديث .

وتقدم الحديث الآخر [١] : « لما خلقَ اللهُ الجنةَ ، قال لها : تكلمي : فقالتْ : قـد أفلح المؤمنون » .

وفي الصحيحين [٢] : عن أبي هريرة ، وعنـد مسلم : عن أبي سعيـد ، عن النبي ﷺ ، قال : « تَحَاجَّت الجنة والنار » . الحديث .

وفيهما [٣] : عن ابن عمر ، مرفوعًا : « الحُمَّى من فَيْحِ جهنم » .

وفيهما [٤] : عن أبي ذر ، مرفوعًا : « إذا اشتـد الحرُّ فـأبْرِدُوا بـالصلاة ، فـإن شـدة الحرِ من فَيْحِ جهنمَ » .

وفي الصحيحين [٥] : « إذا دخـل شَهرُ رمضـان فُتحَتْ أبـوابُ الجنـة ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النارِ » .

وقد ذكرنا في حديث الإسراء : أن رسول الله ﷺ ، رأى الجنةَ والنار ليلتئذٍ .

وقال الله تعالى [٦] : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ .

وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧ / ٣ ، ٤) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٣ ـ باب الحلف بعزة الله تعالى .

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٧) .

(٢) البخاري (٨ / ٥٩٥) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، سورة « ق » .

مسلم (٤ / ٢١٨٦ ، ٢١٨٧) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٣ ـ باب النار يدخلها الجبارون ... إلخ .

(٣) البخاري (٦ / ٣٣٠) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١٠ ـ باب صفة النار وأنها مخلوقة .

مسلم (٤ / ١٧٣١) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٢٦ ـ باب لكل داء دواء واستحباب التداوي .

(٤) البخاري (٢ / ١٨) ٩ ـ كتاب المواقيت ، ٩ ـ باب الإبراد بالظهر في شدة الحر .

مسلم (١ / ٤٣١) ٥ ـ كتاب المساجد ، ٣٢ ـ باب استحباب الإبراد بالظهر ... إلخ .

(٥) البخاري (٤ / ١١٢) ٣٠ ـ كتاب الصوم ، ٥ ـ باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ... إلخ .

مسلم (٢ / ٧٥٨) ١٣ ـ كتاب الصيام ، ١ ـ باب فضل شهر رمضان .

(٦) النجم : ١٣ ـ ١٥ .

وفي الصحيحين [١]« ثم أُدخلتُ الجنةَ ، فإذا جَنَابِذُ اللؤلؤ ، وإذا تُرابُها المِسكُ ».

[جَنَابِذ اللؤلؤ : قِباب اللؤلؤ واحدتها جُنْبُذَة] .

وفي صحيح [٢] مسلم : من طريق قتادة : عن أنس ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « بينا أنا أسيرفي الجنة ، إذا أنا بنهر حافتاه قِباب اللؤلؤ المجوف ، فقلت : ما هذا ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك » .

وفي مناقب عمر : أنه ﷺ قال : « أُدخلتُ الجنة فرأيت جاريةً تتوضأ عند قصرٍ ، فقلتُ : لمن أنتِ؟ قالتْ : لعُمَرَ بنِ الخطابِ . فأردتُ أن أُدْخُلَهُ ، فذكرتُ غَيْرَتَكَ » . فبكى عمرُ وقال : أَوعليك أغارُ يا رسول الله ؟ !

والحديث في الصحيحين [٣] ، عن جابر .

وقال لبلال [٤] : « دخلتُ الجنة فسمعتُ خَشْفَ نعليك بين يدي في الجنةِ ، فأخبرني بأرجى عملٍ عَمِلْتَه في الإسلام » ،فقال : ما عملت عملا في الإسلام أرجى عندي منفعةً من أني لا أتطهر طَهورًا تامًّا في ساعةٍ من ليل ولا نهار ، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصليَ .

وأخبرني عن الرميصاء أنه رآها في الجنة .

أخرجاه [٥] عن جابر بن عبد الله .

---

(١) البخاري (٦ / ٣٧٥) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ، ٥ ـ باب ذكر إدريس عليه السلام ... إلخ .
مسلم (١ / ١٤٩) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٤ ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ ... إلخ .

(٢) وهو في البخاري (١١ / ٤٦٤) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٣ ـ باب في الحوض ... إلخ .
وأحمد (٣ / ١٩١) .

(٣) البخاري (٩ / ٣٢٠) ٦٧ ـ كتاب النكاح ، ١٠٧ ـ باب الغيرة .
مسلم (٤ / ١٨٦٢) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ٢ ـ باب من فضائل عمر رضي الله عنه .

(٤) مسلم (٤ / ١٩١٠) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ٢١ ـ باب من فضائل بلال رضي الله عنه .
أحمد (٢ / ٣٣٣) .

(٥) البخاري (٧ / ٤٠) ٦٢ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ٦ ـ باب مناقب عمر بن الخطاب .
مسلم (٤ / ١٩٠٨) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ١٩ ـ باب من فضائل أم سليم .

[الرميصاء : قال ابن الأثير : (يقال غَمِصَت العَين ورَمِصَت ، من الغَمَص والرمَص ، وهو البياض الذي تَقْطعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان ، والرمص : الرطْب منه ، والغمص : اليابس ، والغُمْص والرُّمْص : جَمْع أغْمَص وأرْمَص ، وانتصبا على الحال لا على الخَبر ، لأن أصبح تامّة ، وهي بمعنى الدُّخول في الصباح . قاله الزمخشري) اهـ من النهاية] .

وأخبر في يوم صلاة الكسوف [١] ، أنه عُرِضَتْ عليه الجنةُ والنارُ ، وأنه دَنَتْ منه الجنةُ ، وأنه همّ أن يأخُذَ منها قَطْفًا من عنب .

وفي الصحيحين [٢] : من طريق الزهري : عن سعيد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت عَمرو بنَ عامرِ بن لُحَيٍّ الخُزَاعِيَّ ... يَجرُّ قُصْبَه في النار » .

[قُصْبه : القُصْب : المِعَى] .

وقال في الحديث الآخر [٣] : « ورأيتُ فيها صاحبَ المِحْجَن » .

وقال رسول الله ﷺ [٤] : « دخلت امرأةٌ النارَ ، في هرةٍ حَبَسَتْها حتى ماتَتْ ، فلا هي أطعمتها وسقتها ، ولا هي تركتها تأكلُ من خَشاش الأرض » « ولقد رأيتها تَخمِشُها » .

وأخبر [٥] عن الرجل الذي ينَحّي غُصْنَ شَوكٍ عن طريق المارةِ ، فقال : « فلقد رأيتُهُ يستظلُ به في الجنةِ » .

وفي الحديث : في صحيح مسلم [٦] : عن أبي هريرة ، بلفظ آخر .

---

(١) البخاري (٢ / ٥٤٠) ١٦ ـ كتاب الكسوف ، ٩ ـ باب صلاة الكسوف جماعة .
ومسلم (٢ / ٦٢٦) ١٠ ـ كتاب الكسوف ، ٣ ـ باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف ... إلخ .
وابن ماجه (١ / ٤٠٢) ٥ ـ كتاب إقامة الصلاة ، ١٥٢ ـ باب ما جاء في صلاة الكسوف .
والنسائي (٣ / ١٣٧ ـ ١٣٩) ١٦ ـ كتاب الكسوف ، ١٤ ـ باب نوع آخر .
(٢) البخاري (٦ / ٥٤٧) ٦١ ـ كتاب المناقب ، ٩ ـ باب قصة خزاعة .
مسلم (٤ / ٢١٩٢) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٣ ـ باب النار يدخلها الجبارون ... إلخ .
(٣) النسائي (٣ / ١٣٩) ١٦ ـ كتاب الكسوف ، ١٤ ـ باب نوع آخر .
(٤) البخاري (٥ / ٤١) ٤٢ ـ كتاب المساقاة ، ٩ ـ باب فضل سقي الماء .
(٥) مسند أحمد (٣ / ١٥٤) .
(٦) مسلم (٤ / ٢٠٢١) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة ، ٣٦ ـ باب فضل إزالة الأذى عن الطريق .

وفي الصحيحين [١] : عن عِمران بن حُصين ، أن رسـول الله ﷺ قـال : « اطَّلعْتُ في الجنة ، فرأيت أكثرَ أهلِهـا الفقراءَ ، واطلعتُ في النـار ، فرأيتُ أكثر أهلِهـا النسـاء » .

وفي صحيح مسلم [٢] : من طريق المختار بنِ فُلْفُل المخزومي : عن أنسٍ ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « والذي نفسي بيـده ، لو رأيتم مـا رأيتُ ، لضَحِكْتُم قليلا ، ولَبَكيتُم كثيرًا » قالوا : يا رسول الله فما رأيتَ ؟ قال : « رأيتُ الجنةَ والنارَ » .

وأخبر [٣] أن المتوضئَ إذا تشهد بعد وضوئه فإنه تُفْتَح له أبوابُ الجنـةِ ، يـدخُلُ من أيها شاء .

وفي صحيـح البخـاري [٤] : من حـديث شُعبـةَ ، عن عَـدي بن ثـابتٍ ، عن البَراء بن عَازبٍ ، قال : لما توفي إبراهيمُ ابنُ رسولِ الله ﷺ قال : « إن له لَمُرْضِعًا في الجنة » .

وقال البيهقي [٥] : أخبرنا الحاكم :... [وساقَ سنده] .

عن أبي هريرةَ [٦] ، قـال : قـال رسول ﷺ : « أولادُ المؤمنين في جبلٍ في الجنـة ، يَكفُلُهم إبراهيمُ وسارةُ حتى يَرُدَّهم إلى آبائهم يومَ القيامة » .

وكذا رواه وكيع : عن سفيان ـ وهو الثوري ـ . والأحاديث في هذا كثيرة جدًا .

وقال الله تعالى [٧] : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ .

والجمهور على أن هذه جنة المأوى اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

---

(١) البخاري (٩ / ٢٩٨) ٦٧ ـ كتاب النكاح ، ٨٨ ـ كفران العشير .

ومسلم (٤ / ٢٠٩٦) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٢٦ ـ باب أكثر أهل الجنة الفقراء .

وهو عند مسلم عن ابن عباس ، وليس عن عمران .

(٢) مسلم (١ / ٣٢٠) ٤ ـ كتاب الصلاة ، ٢٥ ـ باب تحريم سبق الإمام .

(٣) مسلم (١ / ٢١٠) ٢ ـ كتاب الطهارة ، ٦ ـ باب الذكر المستحب عقب الوضوء .

(٤) البخاري (٦ / ٣٢٠) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٨ ـ باب ما جاء في صفة الجنة .

(٥) السنن الكبرى (٤ / ٩) كتاب الجنائز ، باب السقط يغسل ويكفن .

(٦) أحمد (٢ / ٣٢٦) .

والمستدرك (١ / ٣٨٤) وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٧) البقرة : ٣٥ .

الفقرة الحادية عشرة

﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾

في تاريخ العالم ظهرت ممالك ودول وإمارات وظهر ملوك ورؤساء وأمراء ، وكل ذلك يخلقه جل جلاله بعلمه وإرادته وقدرته وكل ما خلقه الله عز وجل إنما خلقه ليتعرف المُكَلَّفون على مملكته وأسمائه ، فمن خلال معرفة الحكم والملك تعرف اسْمَي الله : الحَكَم والمَلِك ، ومن خلال سعة الكون تعرف عظمة الله وتعرف اسم الله : العظيم ، ولكن مهما تأمل الإنسان وتفكر فإنه لا يقدر الله حق قدره ، قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ ولا يحيطون به علمًا ﴾ [2] . انظر إلى اسم الملك وتدبر ما مَرّ معنا في هذا القسم فهل تقدر هذا الاسم حق قدره ؟

انظر إلى سعة هذا الكون وما فيه من مخلوقات غيبية وحسية تعرف سعة مملكته وهو قادر على أن يخلق ما لا يتناهى من أمثالها وغير أمثالها ، ثم انظر إلى انتظام مملكته وحسن تقديره وبديع صنعه ولطيف حكمته وجميل إحسانه ، ثم انظر إلى أنّ كل ما قضاه أنْ يكون مسجلا في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ ، وأنّ كل ما يجري لا يخرج عما سجله القلم ، وأنت ترى عجز الملوك والحكام عن التخطيط الشامل ، وترى عجزهم عن تنفيذ كل ما سطروه ، ثم انظر إلى ترتيبات شؤون الملائكة لتعرف أي جند جنده ، ثم انظر إلى اصطفاء الرسل وإنزال الشرائع لتعرف أي كال في رسله ورسالاته ، ثم انظر إلى قهره في الدنيا وإمداده لتعرف انتقامه وحلمه ، ثم تأمل أي سجن أعده للمخالفين عن أمره : ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا ﴾ [3] . وتأمل مكافأة أوليائه بالجنة ، ثم تأمل كيف يقيم الحجة على خلقه بالإشهاد والكتابة والحساب لتعرف عدله ، ثم تأمل هول الموقف إذ يقف الناس صافين أقدامهم رافعي رؤوسهم غاية الاستعداد والخوف ، وكيف تأتي الملائكة صفًّا صفًّا وكيف تحفُّ الملائكة بالعرش لتعرف أي جلال جلاله . ثم انظر إلى قبوله شفاعة الشفعاء لتعرفَ أي إكرام إكرامه .

---

(١) الأنعام : ٩١ .
(٢) طه : ١١٠ .
(٣) الإسراء : ٨ .

إن غـايـة مـا ذكر من جـلال الملـوك ومن ترتيبـاتهم ومن عـدلهم ومن قهرهم ومن سعـة سلطـانهم ومن أعمـالهم أن تتعرف من خلال نقصهم على كمالـه ومن خلال كمالاتهم على حقـارة ذلك بالنسبة لكمالاته .

فاعرف أيها المسلم أن الملك الحق هو الله عز وجل وكن له عبدًا بكل ما تقتضيـه صفـات العبودية وترنم مع الحداة :

لا تَـدْعُنِـي إلا بِيَـاعَبْـدَهُ فـإنَّـهُ أَشْـرَفُ أَسْمَـائِـي

* * *



خاتمة الباب الثاني

ذكرنا في فصل اليوم الآخر بعض ما يكون بين يدي الساعة ، كما ذكرنا شيئًا عن الموت والحياة البرزخية .

وذكرنا بعض ما يكون يوم القيامة وما بعد ذلك ، وما ذكرناه في هذا الفصل هو بعض ما ورد في اليوم الآخر ، فالنصوص في شأن اليوم الآخر أوسع ؛ لأن الكلام عن اليوم الآخر نجده من الكثرة في نصوص الكتاب والسنة بحيث يحتاج الإنسان لاستكمال المعرفة الممكنة إلى دراسة الكتاب والسنة ، ولكن الحاجة إلى التعليم تقتضي التبويب .

والمطلوب من المسلم أن يكون عنده تصور إجمالي عن اليوم الآخر ، ويندب له أن يعرف التفصيلات ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، كما يطالب المسلم بالتصديق والتسليم ، وألا يفر إلى التأويل في شأن اليوم الآخر ، إلا إذا وجد الراسخين في العلم من أهل السنة والجماعة يؤولون ، فله بهم أسوة ، والتفويض أسلم وأحكم وأدل على الإيمان ، كما أنّ مما يندب للمسلم أن يتأمل في ما هو كائن من أحداث اليوم الآخر فيتأمل ما أخبر به الرسول ﷺ ووقع ، ليزيده ذلك يقينًا فيما أخبر عنه ولم يقع ، أنه واقع ، فيتذكر قرب الساعة ويتذكر ما يكون بين يديها من أهوال وفتن ، فينوي ويدعو أن يكون ظاهرًا وباطنًا على ما هو الأحبّ لله تعالى .

ثم ليتذكر الموت وليتأمل ما ورد في الحياة البرزخية ويجدد مع الله نية ، ثم يتذكر النفخة الأولى وما يكون فيها فيتذكر ما يحدث للأرض والسموات ، وما يحدث للمخلوقات ، ثم يتذكر النفخة الثانية وما يكون بعدها من نشر وحشر ، وموقف وشفاعة لرسول الله ﷺ لفصل الخطاب ، وما يكون بعد ذلك من جدال ومعاذير ، وإقامة حجة وتميُّز لأهل التوحيد والإيمان عن أهل الشرك والكفر ، وليتذكر بعث النار ، وليتذكر قبل ذلك الجنة والنار وقد جيء بهما ثم ليتذكر حال العطش ، وأن الريّ لا يكون إلا مِنَ الحوض ، وليحذر أن يُرَدَّ عن الحوض ، ثم ليتذكر الحساب والميزان وليطلب من ربه أن يكون من الذين يدخلون الجنة بغير حساب . وليتذكر انحباس الناس دون الصراط فلا يعبرون إلا

بشفاعة جديدة من رسول الله ﷺ ، ثم ليتذكر المرور على الصراط ، ويتذكر أن على الصراط قناطر ، فيتذكر هول المرور وهول المُقاصّة ، ثم ليتذكر أنه حتى إذا تجاوز الصراط فإنه لا دُخول إلى الجنة إلا بعد أن يتطهر من أمراضه القلبية كلها ، ليكون مؤهلا لهيئة أهل الجنة في طولهم وحسنهم وعرضهم ، ثم ليتذكر أنه لا دخول إلى الجنة إلا بشفاعة جديدة من رسول الله ﷺ ، فيعرف لهذا الرسول ﷺ بعض قدره ، ثم ليتذكر الجنة وما أعده الله فيها ، وليذكر تفاوت الناس في منازلهم فيطلب ويعمل ليكون من أهل عليين وليتذكر النار وأهلها الباقين فيها ، وأهلها الذين يخرجون بشفاعات الشافعين ، فينوي ويعمل ويدعو ويبكي من أجل أن يكون من الشافعين ، وهكذا فلتكن لك يا أخي المسلم جولات من التأملات اليومية فيما سيكون ، فهذا باب كثرت عنه الغفلة ، فقل داخلوه وهو الذي لو عقل الناس ما نسوه طرفة عين ، ومع هذا كله فإنه مما ينبغي أن يكون له من يومك نصيب تلاوة القرآن الكريم والتأمل في كل آية ، فإن فيه علم الأولين والآخرين ، وتأمل الآيات التي تتحدث عن اليوم الآخر وتدبرها وأعطها حقها من الرهبة والرغبة ، فتلك من سنن المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، ثم ليكن لك نظرك في السنة النبوية وما فيها من تذكير بما يستقبل الإنسان ، فإن استطعت أن تبكي فتلك علامة على سلامة القلب وعلى تشربه العلم والحكمة ، ولينبثق عن ذلك كله قيام بحق الله ابتداءً بكثرة العبادة والذكر ، وتوسطًا بالقيام بحقوق الله ، وحقوق العباد في المعاملة وانتهاءً بتعلق القلب بالله وبيعًا للنفس في مرضاته .

ولننتقل الآن إلى الباب الثالث من قسم العقائد وهو تحت عنوان : (مباحث عقدية) .

الباب الثالث

في:

مباحث عقدية

وفيه:

مقدمة وفصول



المقـدمـة

ذكرنـا في قسم السيرة النبويـة الكثير من معجزاتـه عليـه الصلاة والسلام ، ونـدر أن يمر معنا قسم إلا وفيه من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، وأثنـاء تفسيرنا للقرآن مرت معنـا معجـزات كثيرة ، والمعجـزة القرآنيـة هي أعظم المعجـزات على الإطـلاق في كل العصـور لظهورها وديمومتها ، وظهور المعجزة على يد الرسول علامة الرسالة .

ولقد كان من سنة الله عز وجل ليتأصل الإيمان ويتعمق ولتبقى حجج الله على خلقـه متوالية أن جعل الكرامات على يد أوليائه استمرارًا للمعجزات وتثبيتًا لأهل الإيمان .

ومع الكرامات نجد المعونات والتأييدات والتوفيقات التي يكرم الله عز وجل بها عبـاده المؤمنين على مقتضى الأسباب ولكن بما يظهر معه توفيق الله للمؤمنين أو بركته .

ومن الكرامات أو المعونات استجابة الدعـاء ، وإنمـا جعل جلّ جلالـه المعجزات بـالقـدر الذي تقوم به الحجة حتى لا تصبح عادة فتضعف بذلك حجيتهـا ، ومن نـاحيـة أخرى فـإن الذين يكذبون بالآيات بعد ظهورها يستحقون العذاب :

قال الله تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بـالآيـات إلا أن كـذب بهـا الأولون وآتينـا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا ﴾ [1] .

ولقـد جعل الله عز وجـل ظـواهر الكـون ومظـاهره بحيث يعرف بهـا الله عـز وجـل ، وجعل عز وجل في المعجزات والكرامات والمعونـات مزيـدًا من الحجج وعلامـة على قـدرتـه جل جلالـه ، ومن خلال ذلـك يعرف المكلف ربـه عز وجل ويعرف رسل ربـه وأوليـاءَه ، ويقتضي ذلك منه إيمانًا والتزامًا بوحي الله عز وجل ، وإجلالاً لله ولرسله وأوليائه .

وهذا هو دين الله الإسلام ، الذي هو معرفة الله ورسوله والتصديق بقول الله ورسولـه ، والالتزام بأمر الله ورسوله ، وإذا كان الكون وقوانينه وما فيـه من روائع وخـدمـات مسخرًا للإنسان :

---

(١) الإسراء : ٥٩ .

﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ﴾ [١] .

﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ [٢] .

﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً ﴾ [٣] .

وإذا كان الإنسان باحثا عن المصلحة والمنفعة حريصا عليها لايني يبحث عن أمور دنياه ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى ﴾ [٤] .

فقد جعل الله عز وجل أمر استكشاف الدنيا للإنسان ومن ههنا جاء قوله عليه الصلاة والسلام : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » [٥] .

وقال جل جلاله : ﴿ يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا ﴾ [٦] .

ومن هذا وغيره قسم علماء العقائد الأحكام التي يصدرها الإنسان إلى ثلاثة :

فهناك الحكم العقلي الذي يدرك بمحض العقل .

وهناك الحكم العملي الذي يدرك بالتجربة والاستقراء والاستنتاج وهو الذي يسمونه بالحكم العادي .

وهناك الحكم الشرعي الذي يعرف بواسطة الوحي .

ولكلٍّ مجاله ، ولكل وسائل البحث فيه ومن لم يعرف أنه لا يتناقض حكم عادي مع حكم عقلي أو شرعي ولا حكم عقلي مع حكم عادي أو شرعي ، ولا حكم شرعي مع عقلي أو عادي فقد أخطأ التصور ، ومن طلب من الشرع أن يعرفه على الحكم العادي إلا بقدر ما يحتاجه الحكم الشرعي ، أو طلب من الشرع أن يعرفه بالحكم العقلي إلا الأحكام العقلية

---

(١) البقرة : ٢٩ .
(٢) هود : ٦١ .
(٣) لقمان : ٢٠ .
(٤) الأعلى : ١٦ ، ١٧ .
(٥) مسلم (٤ / ١٨٣٦) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٣٨ ـ باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا ...
(٦) الروم : ٧ .

التي تحتاجها إقامة الحجة على صحة الشرع فإنه يأتي البيوت من غير أبوابها ، نعم فقد يخرق الله الحكم العادي بمعجزةٍ أو كرامةٍ لتقوم الحجة على الخلق أو ليزداد أهل الإيمان إيمانًا .

وهناك حالة من خرق العوائد تأتي استدراجًا لأصحابها كما يظهر على يد المسيح الدجال وذلك لا يكون إلا إذا كانت حجة الله على أصحاب ذلك قائمة بأنهم كاذبون في دعواهم .

إن معرفة هذه القضايا تأتي بالدرجة العليا من الأهمية في قسم العقائد ولذلك أحببنا الإشارة إليها هنا مؤكدين ما مر معنا من قبل ، وبمناسبة أننا ضمّنّا هذا البابَ كلامًا عن المشوشات على المعجزات والكرامات والمعونات .

إن في المعجزات والكرامات حجة لله على خلقه ، ويشوش على ذلك في حق بعض الناس الخوارق التي هي من باب الاستدراج كما يظهر على يد المسيح الدجال ، وإنما جعل الله عز وجل هذا النوع من الخوارق ليبقى للعقل وللشرع دوره في الإثبات والنفي . فالاستقامة على الشرع شرط وجود الكرامة وإلا فهي استدراج ، وموافقة الدعوى للحكم العقلي شرط وجود الخارقة التي هي حجة لصاحبها ، فعندما يدعي المسيح الدجال الألوهية وهو أعور ، وهو جسد فدعواه تنقضها العقول ، فالعقول تثبت أن لله صفات الكمال وأنه تنزه عن صفات الحوادث .

ومن ههنا كان هذا النوع من الخوارق تشويشا على المعجزة والكرامة في حق الجاهلية والسفهاء ، وهناك مشوشات أخرى على المعجزات والكرامات :

فهناك الكهانة والتنجيم اللذان يشوشان على النبوءة والكشف ، واللذان هما أثر عن إيحاء الشياطين وإنما يُعْرَفُ أصحاب ذلك من الكذب وعدم الاستقامة .

ومن المشوشات على المعجزة والكرامة السحر ، وهناك فارق بين السحر والخارق : أن السحر يجري على مقتضى عالم الأسباب ، بينما المعجزة والكرامة خرق لعالم الأسباب .

ومن ههنا أدخلنا في هذا الباب فصولاً حول هذه المشوشات :

وقد وقع أهل الجاهلية في إسفافات خطيرة من جملتها قضية تحكيم الأزلام والطيرة التي تعني في النهاية تحكيم الجماد والطير في قرار الإنسان ، وقد أبدلنا الله بها الاستخارة فلا

أروع ولا أشرف .

ومن طبيعة الإنسان التفاؤل والتشاؤم ، ولذلك تأثيره على سلوك الإنسان وهو بشكل من الأشكال له علاقة بالتوكل ، فالتفاؤل يرافقه توكل والتشاؤم إضعاف للتوكل .وضعف فيه .

والإنسان بطبيعته إذا أصابته مصيبة يفر إلى غيره فإذا كان الفرار إلى الله فما أحلاه ، ولكنه يفر أحيانًا إلى عالم الأسباب ، فإذا كان فراره مقيدًا بالحكم الشرعي فلا حرج ، ومما يفر إليه الإنسان أن ينسب أشياء إلى عالم الأسباب ناسيًا خالقها ، ومما يفر إليه الإنسان التمية والرُّقى ، فإذا فر إلى مباح شرعًا فذلك له وجهه وإلا فقد وقع في المحظور ، وقد أدخلنا هذه الأبحاث في هذا الباب لأن لها صلة بالعقائد .

ولا زال هذا الإنسان مجهولاً ، ولا زال بعض الناس لهم خاصيات ، ومن الخواص التي ذكرها الشارع خاصية العين ، ولورودها في كلام الشارع ولأن فيها جانبًا غيبيًا أدخلناها في هذا الباب .

وانتقال المرض من إنسان لإنسان ومن حيوان لحيوان أو من حيوان لإنسان أو من إنسان لحيوان مشاهد معروف ، ولكن هذه قضية متداخلة ومتسلسلة وخفية ولذلك أهدرها الشارع ، وعلى هذا نفهم قوله عليه الصلاة والسلام : « لاعدوى »[1] فليس المراد بذلك أن أحدًا لا يُعدي أحدًا بمرض فذلك منفي بالمشاهدة ومنفي في أحاديث أخرى لرسول الله ﷺ ؛ وإنما المراد أن العدوى لا يترتب عليها حكم ولا مسألة ، ولالتباس هذا الأمر أدخلناه في العقائد .

وكان أهل الجاهلية ينذرون لأصنامهم وأوثانهم ، والنذر عبادة ، ثم إن النذر يعني في النهاية إنشاءً لعبادة يوجبها الإنسان على نفسه ، وهي قضية يختلف فيها الحكم الفقهي بالحكم الاعتقادي ويقع فيها لبس قد يوصل إلى شرك أو إثم فأدخلنا موضوع النذر هنا ، واليمين

---

(١) البخاري (١٠ / ١٧١) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٢٥ ـ باب لا صفر .

ومسلم (٤ / ١٧٤٢) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٣ ـ باب لا عدوى ولا طيرة .

بالله فيه معنى التعظيم لله واليمين بغيره فيه تعظيم لـذلـك الغير ، وفي كل الأحوال فـإن الأمر مرتبط بالعقائد بشكل من الأشكال وإن كانت تفريعات من مسائل الإيمان تـدخل في كتب الفقه ، فأدخلنا هذا الموضوع هنـا .

فهذه موضوعات هذا الباب الذي أسميناه : مباحث عقدية :

السحر والكهانة والتنجيم وقطع نسبـة الأشيـاء إلى الله والطيرة والفـأل والشؤم والعـدوى والعين والرُّقى والنذور والأيمان وقد جعلناها في فصول ، وهذه هي فصول هذا الباب :

الفصل الأول : في بعض المشوشات الزائفة على النبوة : السحر والكهانة والتنجيم .

الفصل الثاني : في نسبة الحادثات إلى الأسباب مقطوعة عن الله عز وجل .

الفصل الثالث : في الطيرة والفأل والشؤم والعدوى وما يجري مجراها .

الفصل الرابع : في العين والتمائم والرُّقى .

الفصل الخامس : في النذر .

الفصل السادس : في اليمين .

* * *



الفصل الأول

في:

بعض الشوشات الزائفة على النبوة

السحر والكهانة والتنجيم

وفيه:

مقدمة ونقول ونصوص


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

إذا أردت أن تقيم الحجة على الناس برسالات الرسل ، فإن من جملة ما تحتج به خوارق العادات التي تظهر على أيديهم أو معهم ، وهي التي تسمى بالمعجزات ومن جملة ذلك : إخبار الرسل عن مستقبل لم يقع فيقع كما أخبروا فإذا ما احتججت على الناس بهذا فرّ بعض الناس من هذه الحجج : فتحدثوا عن السحر وعن الكهانة وعن التنجيم وكأنهم يعتبرون أن ما يظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام هو من هذا القبيل .

قال تعالى : ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ [1] .

وغاب عن هؤلاء أن المعجزة لا دخل لعالم الأسباب بها ، أما السحر فهو جزء من عالم الأسباب ، عرفه من عرفه ، وجهله من جهله ، وكذلك قل فيما يحصل من غرائب بسبب رياضة روحية أو تدريبات خاصة ، فما هي إلا من عالم الأسباب ، أما المعجزة فليست كذلك ، ولذلك كان من المهم جداً أن يكون عند المسلم معرفة يفرق بها بين ما هو سحر وخارق للعادة سواء كان معجزة لرسول أو كرامة لولي ، كذلك من المهم جداً أن تكون عند المسلم معرفة يفرق بها بين ما هو كهانة أو تنجيم ، وبين ما هو نبوءة نبي ، فنبوءات الأنبياء حق خالص فما أخبروا به أنه واقع ، فإنه كائن حتماً ، أما الكهانة والتنجيم فإنها يختلط فيها الحدس والتوسم والكذب والاحتمال ، فالفارق كبير بين وحي هو أثر عن علم الله المحيط ، وبين إيحاءات الشياطين وهواجس الكاذبين ، وإذا صَدَقَ الكاهن يوماً فهي مرة مختلطة بأكاذيب ، وهي إما بالحدس أو من باب إلقاءات الشياطين الذين قد يسمعون الكلمة من الملائكة حال استراقهم السمع فيخلطون بها ما يخلطون .

المهم أن يكون عند المسلم معرفة يميز بها بين ما هو سحر وتنجيم وكهانة ، وبين ما هو معجزة وكرامة ونبوءة صادقة ، والإسلام إذ ذكر المعجزة والكرامة ، وأنباء الغيب لم ينفِ أن يكون هناك سحر وكهانة وتنجيم ، إلا أنه حرم السحر والكهانة والتنجيم ، وحرم على المسلم أن يكون ساحرًا أو يتبع الساحر أو يصدق الكاهن والمنجم ، ومن ههنا فإن التعرف

---

(١) القمر : ٢ .

على السحر والكهانة والتنجيم له ثلاثة آثار عملية .

الأثر الأول : التمييز بين ذلك ، وما يصدر عن الأنبياء والأولياء .

الأثر الثاني : ينأى المسلم بنفسه أن يدخل في دائرة دعاوى السحرة والكهنة والمنجمين .

الأثر الثالث : أن يعتقد أن السحر والكهانة لهما وجودهما ، فلقد نص القرآن في أكثر من مكان على أن للسحر وجودًا قال تعالى : ﴿ يعلّمون الناس السحر ﴾ [1] ، والكهانة ذكرت في السنة النبوية وإذا كان الأمر كذلك فقد عقدنا هذا الفصل ليكون المسلم على ذكر لهذه الأمور ، وهذه نقول ونصوص تشير إلى بعض ما ذكرناه :

---

(١) البقرة : ١٠٢ .

نُقولٌ

في :

السحر والكهانة والتنجيم

قال فريد وجدي في دائرة معارفه عن السحر :

... قال العلماء هو ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشياطين مما لا يقدر عليه الإنسان .

قال ابن خلدون في مقدمته : هو علم بكيفية الاستعدادات ، تقتدر النفوس البشرية به على التأثيرات في عالم العناصر ...

ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره ؛ كانت كتبها كالمفقودة بين الناس إلا ما وجد في كتب الأمم والأقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين ، وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين ، وفي أهل مصر من القبط وغيرهم ، وكان لهم فيها التآليف والآثار ، ولم يترجم لنا كتبهم فيها إلا القليل مثل الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم ، وتفننوا فيه ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرهم .

[و] اعلم أن وجود السحر لامرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ **ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** ﴾ [1] .

وقد شاهد الأوربيون أن في الأقيانوسية عقيدة تأثير الساحر على الإنسان منتشرة كل

---

(١) البقرة : ١٠٢ .

الانتشار ، ويكفيه للاستيلاء عليه أن يملك خصلة من شعره أو أي قطعة من جسمه وقد لا يعوزه غير خرقة كانت له .

وللسحرة في أفريقيا شأن يذكر ؛ فأين يتوجه السائح يجد الساحر معتبرًا كأنه شخص إلهي عنده الأسرار الملكوتية يشفي من الأمراض ويطرد المردة والجنة وينزل الأمطار على الأماكن الجدبة . فلا يتحول ملك الصقع الذي هو فيه لمحاربة عدو أو لسكنى جهة أو للبحث عن أنعام ضالة إلا استشاره ، وجعل رأيه متنزلا من حكيم حميد ، ويدعونه هناك مانجانا أو نيانجا .

[و] تكثر عند الأفريقيين التمائم والتعاويذ والطلاسم فإنهم يعزون لها أمورا خارقة للعادة تحفظ من الحسد وتشفي من الأمراض وتجلب الرزق وتوجب المحبة والانعطاف فإذا بدا لأحدهم أن طلسما أخطأ غرضا ولم ينتج النتيجة المنتظرة منه لا يشك في أصله ولا يزيد على أن يبدله بسواه معتقدًا فيه العقيدة عينها التي كانت عنده لسابقه .

ولما احتل الإسبانيون أمريكا وجدوا للسحر الاعتبار نفسه الذي لأمثالهم في جميع بقاع الأرض . رأوهم منقطعين في الفيافي يأوون إلى الغيران صائمين متقشفين محافظين على رسوم محدودة من الرياضة النفسية يزعمون أنها أوصلتهم إلى مناجاة الأرواح والتسلط على نواميس الطبيعة .

ورأوا أن للسحرة في أمريكا الشمالية اطّلاعًا واسعًا على خواص النباتات ، فكانوا يصفونها للأمراض المختلفة ، وكانوا يزعمون أنهم بالتأثير على صورة الشخص أو تمثاله ينتقل ذلك التأثير إلى صاحب الصورة أو التمثال فيضره أو ينفعه كما يريد الساحر .

وقد دلت المخطوطات المصرية القديمة التي وجدت على ورق البردى أن السحر كان له في مصر الاعتبار الأعلى عند جميع الطوائف حتى رُتبت له رسوم وطقوس وجعلت له وظائف يقوم بها رجال الدين .

[و] الأمم التي تعتبر أنبغ الأمم في السحر والنجامة هم الكلدانيون .

وقد ذكر القرآن الكريم السحر في مواضع كثيرة وقد مضى متقدمو الأمة معتقدين

وجوده وأنه من العلوم السرية التي يُتحصل عليها بالرياضة وغيرها . ومال بعضهم وكثير من المتأخرين إلى زعم أن السحر سرعة في اليد وصناعة في التمويه وليس لها سبب مما وراء الطبيعة . وهو قول ليس له دليل يسنده ، كما أنه ليس لنا دليل على إثبات السحر إلا ما نص عليه القرآن ، ثم ما نقرؤه في كتب الخوارق التي ظهرت في أوروبا من منذ تسعين سنة باسم اسبرتزم وغيره مما يرينا جليا أن هنالك عالما روحانيًا وفيه من الكائنات ما لا نتصوره وأننا نستطيع أن نناجي تلك الكائنات وتناجينا بوسائل خاصة . ومتى كان هذا ممكنا وتقرر أن الوجود عامر بالآيات المغيبة عنا فلا يبعد أن يكون السحر تابعا لقوى روحانية وأنه ليس بمجرد صناعة أو سرعة في يد الساحر . اهـ .

وقال فريد وجدي في دائرة معارفه عن التنجيم :

قال العلامة ابن خلدون في مقدمته :

هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة .

ثم إنه يشترط مع العلم بقوى النجوم وتأثيراتها مزيد حَدْسٍ وتخمين وحينئذ يحصل عنده الظن بوقوع الكائن .

وقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع ، وضعف مداركها مع ذلك عن طريق العقل مع مالها من المضار في العمران الإنساني بما تبعث في عقائد العوام من الفساد ، إذا اتفق الصدق من أحكامها في بعض الأحايين اتفاقًا لا يرجع إلى تعليل ولا تحقيق فيلهج بذلك من لا معرفة له ويظن اطراد الصدق في سائر أحكامها وليس كذلك فيقع في رد الأشياء إلي غير خالقها . ثم ما ينشأ عنها كثيرًا في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول الأعداء والمتربصين بالدولة إلى الفتك والثورة ، وقد شاهدنا من ذلك كثيرًا فينبغي أن تحظر هذه الصناعة على جميع أهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول .

ولكن لا يجوز لنا الانتقال من هذه المادة حتى نورد تاريخ علم التنجيم من المصادر

الأوربية ليكون المبحث تامًا من كل وجه فنقول :

يطلق التنجيم عند الأوربيين على صناعة الإنباء بالحوادث المستقبلة من النظر في الكواكب والحوادث العلوية . وقد رأى العلماء الباحثون في أساطير كل أمة أقوالا عن هذه الصناعة وإن لم تكن بالغة من الإتقان مبلغًا يرفعها إلي درجة العلوم المقررة . أول أمة رقت هذا العلم إلى درجته المعروفة هي أمة الكلدانيين ، ثم أخذه عنهم المصريون الأقدمون وعن هؤلاء أخذه اليونان فنقله عنهم الهنديون والرومانيون . وانتقل هذا العلم من العالم القديم إلى القرون الوسطى ، واشتغل به ناس كثيرون وعكفوا عليه وما زال آخذًا من الأذهان محلا إلى القرن الماضي حيث انتشرت العلوم الكونية وعرف الناس حقائق الأجرام السماوية فقل الاشتغال به وكاد يزول لولا أن العالم لا يخلو في كل زمان من رؤوس لا ترى لها لذةً إلا في التمسك بكل قديم وإنْ ناقض العقل والحس معًا ، ولا تزال هذه الصناعة تأوي إلى رؤوس في الشرق والغرب فيتلقف بعض الناس ما يقوله أهلها كأنه الوحي ، ويذهبون في النظر فيه وتأويله وتوجيهه كل مذهب ويلتمسون لقائليه الأعذار مهما كذبتهم الحوادث حتى إننا لنرى أن من الناس من يسهل عليه أن يتهم عقله في فهم أقوال أولئك الأفاكين ولا يسهل عليه أن يتهمهم بالإفك .

على أن مبنى هذه الصناعة ظاهر البطلان ، لا يحتاج إلى إطالة بيان ، وذلك أن أكثر الأقدمين كانوا يؤلهون الكواكب ويعبدونها وكانوا يتخيلون أن لكل منها نصيبًا من إدارة الكون ، وكان الكلدانيون والمصريون من أكثر الأمم تشبثًا بهذه العقيدة ، فلا عجب أن تكون صناعة التنجيم نتيجة لازمة لهذه العقائد الباطلة ، فما دامت الكواكب آلهة وأبناء آلهة وأن لها أرواحا وحياة وتصريفا في الكون فما الذي يمنع من تعرف إرادتها ، بوجهة حركاتها ، أو بوقت اقترانها بسواها ، فلما جاء الإسلام وأسقط الآلهية الخيالية والحسية وقرر عبادة الخالق الحق وحده لم يبق لصناعة التنجيم مجال لأن طبيعة الإسلام تنافي التأثير لغير الله اهـ

وقال فريد وجدي في دائرة معارفه عن الكهانة :

والكهانة هي استخدام الجن في معرفة الأمور المغيبة ، وقد كانت هذه الصناعة معروفة عند العرب فكان إذا ناب أحدهم أمر يريد معرفة دخيلته أو مستقبله منه ذهب إلى الكاهن

فأخبره بما يهمه منه . وكان لكل كاهن منهم صاحب من الجن يحضر إليه فيخبره بما يريد ، وليس هذا الاستخدام ببعيد عن العقل ؛ فإن ما يحصل في أوروبا من استحضار الأرواح يسهل فهمه على الباحثين اهـ .

وقال البغوي في شرح السنّة :

« فالكاهن : هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ، ويدّعي معرفة الأسرار ، ومطالعة علم الغيب ، وكان في العرب كهنةٌ يدّعون معرفة الأمور ، فمنهم من كان يزعُمُ أن له رئيسًا من الجنّ ، وتابعة تُلقي إليه الأخبار ، ومنهم من كان يدّعي أنه يستدرك الأمور بفهم أُعطيه . والعرّاف هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها ، كالمسروق من الذي سرقها ، ومعرفة مكان الضالة ، وتُتهم المرأة بالزنى ، فيقولُ : من صاحبها ، ونحو ذلك من الأمور . ومنهم من يسمي المنجّم كاهنًا » اهـ .

وقال البغوي في شرح السنة [1] مثبتًا السحر وإمكانية تأثيره على أجساد الأنبياء وأن ذلك لا يترتب عليه ضرر في مهات الرسل :

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [2] وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [3] وَقَالَ سُبْحَانه وَتَعَالَى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ ﴾ [4] . وقَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [5] .

فنفيُ السحرِ جهلٌ ، والرد على من نفاهُ لغوٌ وفضلٌ .

فأما ما زعموا من دخول الضرر في الشرع بإثباته ، فليس كذلك ، لأن السحر إنما يعمل في أبدانهم [أي في أبدان الأنبياء] وهم بشرٌ يجوز عليهم من العلل والأمراض ما يجوز على

---

(١) شرح السنة (١٢ / ١٨٤) .　　(٢) البقرة : ١٠٢ .

(٣) طه : ٦٩ .

(٤) الفلق : ٤ .　(والنفاثات) : السواحر تنفث ، أي : تتفل بلا ريق .

(٥) طه : ٦٦ .

(يُخَيَّلُ) : أي . يُشَبَّه ، والتخاييل : كل ما لا أصل له .

غيرهم ، وليس تأثير السحر في أبدانهم بأكثر من القتل ، وتأثير السمّ ، وعوارض الأسقام فيهم ، وقد قتل زكريا وابنه وسُمّ نبيُّنا ﷺ بخيبر . فأما أمر الدين ، فإنهم معصومون فيما بعثهم الله جل ذكره ، وأرصدهم له ، وهو جلّ ذكره حافظ لدينه ، وحارس لوحيه أن يلحقه فسادٌ أو تبديلٌ ، وإنما كان خُيِّلَ إليه أنه يفعلُ الشيء من أمر النساء خصوصًا ، وهذا من جملة ما تضمّنهُ قوله : ﴿ فيتعلمون منهما ما يُفرقون به بين المرء وزوجه ﴾[1] فلا ضرر إذًا يلحقه فيما لحقه من السحر على نبوته وشريعته والحمد لله على ذلك ، والسحر من عمل الشيطان يفعله في الإنسان بنفثهِ ، ونفخهِ ، وهمزهِ ، ووسوسته ، ويتلقاه الساحر بتعليمه إياه ، ومعونته عليه ، فإذا تلقاه عنه ، استعمله في غيره بالقول والنفث في العُقَدِ ، وللكلام تأثير في الطباع والنفوس ، ولذلك صار الإنسان إذا سمع ما كره يحمى ويغضب ، وربما حُمّ منه ، وقد مات قوم بكلام سمعوه ، ويقول امتعضوا منه ، ولولا طول الكتاب لذكرناهم . هذا كلام الخطابي في كتابه اهـ .

وقال النووي رحمه الله في شرح مسلم[2] :

عمل السحر حرام ، وهو من الكبائر بالإجماع ، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات ، ومنه ما يكون كفرًا ، ومنه ما لا يكون كفرًا ، بل معصية كبيرة ، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر ، كفر واستتيب منه ، ولا يقتل ، فإن تاب ، قبلت توبته ، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر ، عزر ، وعن مالك : الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ، بل يتحتم قتله كالزنديق ، قال عياض : وبقول مالك قال أحمد وجماعة من التابعين . اهـ .

---

(١) البقرة : ١٠٢ .

(٢) شرح مسلم (١٤ / ١٧٦) .

نصوص
في :
السحر والكهانة والتنجيم

١٤٣٦ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سُحِرَ رسولُ الله ﷺ حتى إنه لَيُخَيَّلُ إليه فَعَلَ الشيءَ وما فعلَه ، حتى إذا كان ذاتَ يومٍ وهو عندي ، دعَا اللهَ ودعاهُ ، ثم قال : « أشَعَرْتِ يا عائشةُ ، أن اللهَ قد أفْتاني فيما استَفْتَيتُه فيه ؟ » قلتُ : وماذاك يا رسولَ الله ؟ فقال : « جاءني رجلان ، فَجَلَسَ أحدُهما عند رأسي ، والآخرُ عند رِجليّ ، ثم قال أحدُهما لصاحبِه : ما وَجَعُ الرَّجُلِ ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طَبَّهُ ؟ قال : لَبيدُ بن الأعْصَم اليهوديّ ، من بني زُرَيق ، قال : فيماذا ؟ قال : في مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ وجُفِّ طَلْعَة ذَكَر ، قال : فأين هو ؟ قال : في بئرِ ذِي أرْوَان - ومن الرُّواة من قال :في بئر ذَرْوَان ، قال : وذَرْوَان : بئرٌ في بني زُرَيقٍ - فذهب النبيُّ ﷺ في أناسٍ من أصحابه إلى البئرِ فنظرَ إليها ، وعليها نَخْلٌ ، قال : ثم رجع إلى عائشةَ ، فقال : « والله لكأنَّ ماءَها نُقَاعَةُ الحِنَّاء ، ولكأنَّ نخلَها رُؤوسُ الشياطين » ، قلت : يا رسول الله ، أفأخرجتَه ؟ قال : « لا ، أمَّا أنا فقد عافاني الله وشفاني ، وخشيتُ أن أُثَوِّرَ على الناس منه شَرًّا ، وأمر بها فَدُفِنتْ » .

وفي رواية[1] : كان رسول الله ﷺ سُحِر ، حتى كان يَرَى أنه يأتي النِّساءَ ولا يأتيهنَّ .

وفيها : رجل من بني زريق حليف ليهودي وكان منافقًا .

قال محقق الجامع : قال النووي في شرح مسلم : قال القاضي عياض : كل ما جاء في

١٤٣٦ - البخاري (١٠ / ٢٣٥) ٧٦ - كتاب الطب ، ٥٠ - باب السحر .

مسلم (٤ / ١٧١٩) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٧ - باب السحر .

(١) البخاري (١٠ / ٢٣٢) ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٩ - باب هل يستخرج السحر ؟ .

(مَطْبُوبٌ) المَطْبُوبُ : المَسحُورُ ، سُمّي بذلك تَفَاؤلا بالطِّبِّ الذي هو العِلاج ، كما قيل للَّديغ : سليمٌ تَفَاؤلا بالسلامة .

(جُفّ طَلْعَةٍ) الجفُّ : وعاءُ الطَّلْع وغشاؤه الذي يَكُنُّه .

(أثوِّرَ) بمعنى : أُثيرُ ، أي : أُظهِرُ وأُهَيِّجُ .

الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر ، لا لخلل تطرق إلى العقل ، وليس في ذلك ما يدخل لبسًا على الرسالة ولا طعنًا لأهل الضلالة ، قال : وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه ، لا على عقله وقلبه واعتقاده .

١٤٣٧ - * روى النسائي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : سَحَرَ النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود ، فاشْتَكى لذلك أيامًا ، فأتاه جبريلُ فقال : إن رجلا من اليهود سَحَرَكَ ، عقدَ لك عُقَدًا في بئرِ كذا وكذا ، فأرسل رسولُ الله ﷺ فاستخرجها فحلَّها ، فقام رسولُ الله ﷺ كأنما أُنْشِطَ من عِقَالٍ ، فما ذكر ذلك لذلك اليهوديِّ ولا رآه في وجهه قطُّ .

أقول : والظاهر أن هذه حادثة أخرى غير التي ذكرتها الروايةُ السابقةُ .

١٤٣٨ - * روى مالك عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا أَعْتَقَتْ جَارِيَةً لَهَا عَنْ دُبُرٍ مِنْهَا ، ثُمَّ إِنَّ عَائِشَةَ مَرِضَتْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا سِنْدِيٌّ ، فَقَالَ : إِنَّكِ مَطْبُوبَةٌ ، فَقَالَتْ : من طَبَّبَنِي ؟ قال : امرأة مِنْ نَعْتِهَا كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَالَ فِي حَجْرِهَا صَبِيٌّ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : ادْعُ لِي فُلَانَةَ ، لِجَارِيَةٍ لَهَا تَخْدُمُهَا ، فَوَجَدُوهَا فِي بَيْتِ جِيرَانٍ لَهَا ، فِي حَجْرِهَا صَبِيٌّ قَدْ بَالَ ، فَقَالَتْ : حَتَّى أَغْسِلَ بَوْلَ هَذَا الصَّبِيِّ ، فَغَسَلَتْهُ : ثُمَّ جَاءَتْ فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ : أَسَحَرْتِينِي ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ ، فَقَالَتْ : لِمَ ؟ قَالَتْ : أَحْبَبْتُ العِتْقَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : وَاللهِ لا تَعْتِقِي أَبَدًا ، فَأَمَرَتْ ابْنَ أَخِيهَا أَنْ يَبِيعَهَا مِنَ الأَعْرَابِ مِمَّنْ يُسِيءُ مَلَكَتَهَا ، ثُمَّ ابْتَعْ بِثَمَنِهَا رَقَبَةً حَتَّى أُعْتِقَهَا ، فَفَعَلَتْ . قَالَتْ عَمْرَةُ : فَلَبِثَتْ عَائِشَةُ مَا شَاءَ اللهُ مِنَ الزَّمَانِ ، ثُمَّ إِنَّهَا رَأَتْ فِي النَّوْمِ أَنِ اغْتَسِلِي مِنْ ثَلَاثِ أَبْؤُرٍ يَمُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَإِنَّكِ تُشْفَيْنَ فَاغْتَسَلَتْ ، فَشُفِيَتْ » .

١٤٣٧ - النسائي (٧ / ١١٢) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ، ٢٠ - سحرة أهل الكتاب .

وإسناده صحيح .

١٤٣٨ - رواه مالك وإسناده صحيح .

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على شرح السنة للبغوي (١٢ / ١٨٩) : وهو مما انفرد بروايته أبو مصعب الزهري العوفي قاضي المدينة أحد رواة الموطأ عن مالك ، وقد قالوا : إن في موطئه زيادة نحو مائة حديث عن سائر الموطآت ، وهو من آخر الموطآت التي عُرضت على مالك رحمه الله .

أقول : إن كلام السندي لعائشة يدل على أن هناك ناسًا يكتشفون السحر والساحر ، وقد وجد في البيئات الإسلامية من يحلون السحر إذا وقع بطريق مشروع ، مثل هذا لا حَجْرَ عليه ولا إنكار فيه ، وهناك فارق بين الساحر وبين من يحل السحر أو يكتشفه .

١٤٣٩ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَنِ اقْتَبسَ عِلْمًا من النُّجوم اقْتَبسَ شُعْبَةً من السِّحْرِ ، زاد مازاد » .

١٤٤٠ - * روى البخاري عن قَتَادةَ بن دِعَامة قال : خلق الله هذه النجومَ لثلاثٍ ، جعلَها اللهُ زينةً للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلاماتٍ نهتدي بها ، فمن تأوّلَ فيها غيرَ هذا ، فقد أخطأ حظَّه ، وأضاعَ نصيبَهُ ، وتكلَّفَ ما لا يعنيه ، وما لا علم له به ، وما عَجَزَ عن عِلمهِ الأنبياءُ والملائكةُ ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وعن الرَّبيع مثله ، وزاد : والله ما جعل الله في نجمٍ حياةَ أحدٍ ولا رِزقَةَ ولا موتَه ، وإنما يَفْتَرون على الله الكذبَ ، ويَتعلَّلون بالنجوم .

قال محقق الجامع :

ذكره البخاري تعليقاً ٦ / ٢١١ في بدء الخلق ، باب في النجوم إلى قوله : ولا علم له به ، قال الحافظ في « الفتح » : وصله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه به ، وزاد في آخره : وإن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة ، من غرس بنجم كذا كان كذا ، ومن سافر بنجم كذا كان كذا ، ولعمري ما من النجوم نجم إلا ويولد به الطويل والقصير ، والأحمر والأبيض ، والحسن و الدميم ، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر شيء من هذا الغيب . اهـ .

أقول : إنما ترمى الشياطين بالشهب ، والشهب جزء من عالم النجوم ، فأُطْلِقَ ههنا الكلُّ وأريد الجزءُ وذلك من باب قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إنّ الناسَ قد جمعوا لكم

١٤٣٩ - أبو داود (٤ / ١٥) كتاب الطب ٢٢٠ - باب في النجوم .

وابن ماجه(٢ / ١٢٢٨) ٣٣ - كتاب الأدب ، ٢٨ - باب تعلم النجوم .

وهو حديث حسن .

١٤٤٠ - البخاري (٦ / ٢٩٥) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٣- باب في النجوم .

فاخشوهم فزادهم إيماناً ﴾ [١] .

قال ابن الأثير :

(الرُّجوم) جمع رَجْم ، وهو مصدر سُمِّيَ به ما يُرْجَم به ، ومعنى كونها رجوماً لهم : أن الشهب التي تنقضُّ لرمي الشياطين ، منفصلة من نار الكواكب ، لا أنهم يرجون بالكواكب أنفسها ، لأنها ثابتة في الفَلَك على حالها ، وما ذاك إلا كقَبسٍ يؤخذ من نار ، والنار ثابتة في مكانها . اهـ .

أقول : ليس شرطاً أن تكون الشهب منفصلة عن الكواكب المرئية ، بل قد تكون قطعًا من كواكب منفجرة ، والمعروف أن في مجموعتنا الشمسية كوكبًا متفجرًا أضحت أجزاؤه مبعثرة ، وموقعه بين المريخ والمشترى .

١٤٤١ - * روى مسلم عن صفية بنت أبي عبيد رحمها الله عن بعض أزواج رسول الله ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « مَن أتى عرَّافًا فسأله عن شيءٍ فصدَّقهُ ، لم تُقبل له صلاةٌ أربعين يومًا » .

١٤٤٢ - * روى الطبراني عن ابنِ عُمَرَ قال : قال رسول الله ﷺ : « من أتى عَرَّافًا لم تُقْبَلْ له صلاة أربعين ليلة » .

١٤٤٣ - * روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أتى كاهناً فصدَّقهُ بما يقول ، أو أتى امرأةً في دُبُرِها - وفي رواية : امـرأةً حائضًا - فقد برِئَ مِمَّا أُنْزِلَ على محمد » .

---

(١) آل عمران : ١٧٣ .

١٤٤١ - مسلم (٤ / ١٧٥١) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٥ - باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

(عرَّافًا) العرَّافُ كالكاهن ، وقيل : هو الساحر .

١٤٤٢ - مجمع الزائد (٥ / ١١٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

١٤٤٣ - أبو داود (٤ / ١٥) كتاب الطب ، باب في الكاهن .

وأحمد (٢ / ٤٠٨) .

والترمذي (١ / ٢٤٣) كتاب الطهارة ، ١٠٢ - باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض .

=

أقول : هناك نـاس لهم صلـة بجن مؤمنين ، فهؤلاء يمكن أن يعرفوا بواسطـة هؤلاء الجن بعض أحداثٍ وقعت ، فإذا ثبت صدقهم فإن هؤلاء لا يـدخلون في بـاب الكهـانـة والعرافـة ومـا يقـدمونـه من خـدمـات ليس بمستنكر إذا كانوا لا يَلَبِّسـون على النـاس ، ولا يقربـون محرمًا ، وأمرهم مستقيم ولا يستعملون وسيلة حرمها الشارع .

١٤٤٤ ـ * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قـال : « إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماء ضَرَبَت الملائكةُ بأجنحتها خُضْعانًا لقولـه ، كأنـه سِلسِلـةٌ على صَفْوَانٍ ، فإذا فُزِّعَ عن قُلُوبِهِم ، قالوا : مَاذَا قال رَبُّكُمْ ؟ قالوا : الحَقَّ ، وهو العَلِيُّ الكَبيرُ ، فَيسْمعها مُسْتَرِقُ السَّمع ـ ومُستَرِقُو السمع هكذا ، بعضـه فوق بعـض ـ ووصف سفيان بكَفِّه ، فَحَرَّفها ، وبَدَّد بين أصـابعـه ـ فَيسمعُ الكلمـةَ ، فيُلقيهـا إلى من تحتَه ، ثم يُلقيها الآخر إلى مَنْ تحته ، حتى يُلقيَها على لِسان السَّـاحر أو الكاهن ، فَرُبَّما أدركها الشِّهابُ قبلَ أَنْ يُلقيَها ، وربمـا ألقـاهـا قبل أن يُـدْرِكَـه ، فَيكـذِبُ معها مائةَ كَذْبَةٍ فيقال : أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا ، كذا وكـذا ؟ فَيُصَـدَّقُ بتلـك الكلمـــة التي سُمِعتْ من السماء » وذكر في روايـةٍ : قراءة مَن قَرأ (فُرِّغَ) وقـال سفيان عن عمرو : (فُزِّعَ) قال : وهي قراءتنا .

أقول : إن الناقل إلى الكاهن هو شيطـان من الشيـاطين ، وهو غير مؤتمن على النقل عن الملائكـة أو غيرهم ، وهـذا فـارق كبير بين وحي الأنبيـاء وكهـانـة الكُهَّـان ، وحي الأنبيـاء معصوم ، لأنه يصل إلينا بواسطة معصومين من الملائكـة والنبيين ، وغير ذلـك محلـه الاتهام

= وابن ماجه (١ / ٢٠٩) ١ ـ كتاب الطهارة ، ١٢٢ ـ باب النهي عن إتيان الحائض .

والدرامي (١ / ٢٥٩) كتاب الصلاة والطهارة ، باب من أتى امرأته في دبرها .

وهو حديث صحيح .

١٤٤٤ ـ البخاري (٨ / ٥٣٧) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١ ـ باب ﴿ حتى إذا فُزِّعَ عَنْ قلوبهم قالوا ... ﴾ .

والترمذي (٥ / ٣٦٢) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٣٥ ـ باب ومن سورة سبأ . وقال حديث حسن صحيح .

(خُضعانًا) الخاضِعُ : المُطيع المُنقادُ الذليل ، وخُضْعانًا جمعُه .

(صَفْوَان) الصَّفْوانُ : الحجرُ الأملس .

(فُزِّعَ عن قُلوبِهِمْ) أي : كُشِفَ عنهـا الفَزَعُ ، ومن قرأ (فُرِّغَ) بـالراء والغين المعجمـة ، أراد : فُرِّغَت قلوبُهم من الخوف .

(فَحَرَّفها) حَرَّفَها : أي أمالَها عن جِهَتِهَا المستقيمة .

والتكذيب ، وقد يَصْدُقُ الكذوب .

١٤٤٥ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سئل رسولُ الله ﷺ عن الكُهّان ؟ فقال : « ليسُوا بشيءٍ » قالوا : يا رسولَ الله إنهم يُحَدِّثُونا أحيانًا بالشيء ، فيكون حقًا ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « تلك الكلمةُ من الحق يخطَفُها الجِنِّيُّ ، فيقذِفُها في أُذُن وَليِّه ، فيخلِطُون معها مائة كذبة » .

زاد في رواية [١] : « فَيَقَرقِرُها في أُذُنِ وَلِيِّه كقَرقَرةِ الدَّجاجة » .

وفي رواية [٢] « فيَقُرُّها في أُذن وَلِيِّه قرَّ الدَّجاجةَ » .

وفي رواية [٣] ، قالت : سألتُ أنا رسول الله ﷺ ... وذكرت مثله .

وللبخاري في رواية [٤] ، قال : « الملائكةُ تُحَدِّثُ في العَنَان - والعَنانُ : الغَمامُ - بالأمر يكون في السماء ، فتسمعُ الشياطينُ الكلمة ، فتُقرُّها في أُذُنِ الكاهنِ كما تَقُرُّ

١٤٤٥ - البخاري (١٠ / ٢١٦) ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٦ - باب الكهانة .

مسلم (٤ / ١٧٥٠) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٥ - باب تحريم الكهانة .

(الكُهّانُ) : جمع كاهن ، وهو الذي يُخبِرُ عن بعض المضمرات فيصيبُ بعضًا ويُخطئُ أبعاضًا ، يَزْعُمُ أنَّ الجِنَّ تخبره بذلك كما كان يفعله في الجاهليةِ شِقٌّ وسَطيح ، وغيرهما من الكهان ، وهو مما أبطله الإسلام وحَرَّمهُ ، ونهى عن الذهاب إليه ، واستماع كلامه وتصديقه بما يخبر به .

(يَخْطَفُها) : أي : يَسلُبُها بسرعة .

(فيقذفها) يَقْذِفُها : أي يُلقيها إليه .

(١) البخاري (١٢ / ٥٣٥) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٥٧ - باب قراءة الفاجر والمنافق .

(كقرقرة الدَّجاجة) القرقرة : تَرْدِيدك الكلام في أُذُن الأصَمّ حتى يفهم كما يُستخرج ما في القَارُورَةِ شيئًا بعد شيءٍ إذا أُفْرِغَتْ ، ومَنْ رواه كَقَرّ الدجاجة ، أراد : صوتَها إذا قطعته ، يقال : قَرَّت الدجاجة تَقُرُّ قَرًّا وقريرًا : إذا قطعت صوتها ، فإن رَدَّدَتهُ قيل : قَرقَرَتْ قَرقَرةً ، ومنه صَرَّ البابُ : إذا صَوَّتَ ، وصَرصَرَ البَازي ، لما في صَوتهِ من الترديد ، والمعنى : أن الجِنّي يقذف تلك الكلمة إلى وَلِيِّه الكاهن فيتسامع به الشياطين ، كما تُؤذِنُ الدجاجة بصوتها صاحِبَاتِها فتَتَجاوبُ ، ومن شأنها : أن الواحدة منهن إذا صاحَت صَاحَ سَائِرُهن . قال الخطابي : ويجوز أن تكون الرواية « كقَرّ الزُّجَاجة » بالزَّاي ، وتَعَضُدُها الرواية الأخرى « كما تقر القارورة » والقارورة : الزُّجاجة . يقول : فيَقُرُّه في أُذُنِ الكاهن ، كما يقر الشيء في القارورة وفي الزجاجة ، والله أعلم .

(٢) مسلم (٤ / ١٧٥٠) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٥ - باب تحريم الكهانة .

(٣) مسلم : نفس الموضع السابق .

(٤) البخاري (٦ / ٣٣٨) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

القَارُورَةُ ، فيزِيدُون معها مائة كذبة » .

وفي أخرى له نحوه ، وزاد في آخره ، « من عند أنفُسهم » .

قال البغوي في شرح السُّنّة في تفسير الخطف :

يخطفها الجنّي . أي : يأخذها ويستلبها بسرعة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إلا من خطِف الخَطْفة ﴾ (١) أي استَرَقَ السمع بسرعة اهـ .

أقـول : لابـد من التفريـق بين مـا هـو إخبـار عن المستقبـل وبين مـا هـو إخبـار عن حاصل ، وبين صلة إنسان مسلم بجني مسلم ، وبين صلـة بـالشيـاطين ، فصلـة الإنسـان المسلم بجني مسلم ثابتة وواقعة ، وقد يترتب عليها شيء من نفع .

١٤٤٦ - * روى مسلم عن عبـد الله بن عبـاس رضي الله عنهما قـال : أخبرني رجـل من أصحـاب النبي ﷺ من الأنصـار : أنهم بينـا هم جلوسٌ ليلـةً مع رسـول الله ﷺ رُمِيَ بنَجْمٍ واسْتَنَـارَ ، فقـال لهم رسولُ الله ﷺ : « مـا كنتم تقولـون في الجـاهليـة إذا رُميَ بمثـل هـذا ؟ » قـالوا : الله ورسولـه أعلم ، كنـا نقول : وُلِـدَ الليلـةَ رجـلٌ عظيم ، ومـاتَ رجـلٌ عظيم ، فقال رسولُ الله ﷺ : « فـإنهـا لا يُرمَى بهـا لموتِ أحـدٍ ولا لحيـاتـه ، ولكنَّ ربَّنا - تبارك اسمه - إذا قضى أمرًا سَبَّحَ حملـةُ العرش ، ثم سبحَ أهلُ السماء الـذين يَلُونَهم ، حتى يَبْلُغَ التَّسبيحُ أهلَ هذه السماء الـدنيـا ، ثم قـال الـذين يلُون حملـةَ العرشِ لحملةِ العرشِ : ماذا قـال ربُّكم ؟ فيخبروهم مـا قـال ، فَيَسْتَخبرُ بعضُ أهل السموات بعضًا ، حتى يبلغَ الخبرُ هذه السماء الدنيا ، فيخطِف الجنُّ السَّمع فيَقْذفُون إلى أوليائهم ، ويـرمون ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حقّ ، ولكنهم يُفرِّقون فيـه ويزيدُون » .

---

(١) الصافات : ١٠ .

١٤٤٦ - مسلم (٤ / ١٧٥٠) ٣٩ - كتاب السلام، ٣٥ - باب تحريم الكهانة .

والترمذي : (٥ / ٣٦٢) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٣٥ - باب ومن سورة سبأ .

وقال : حديث حسن صحيح .

وفي روايـة [١] : رجـال من أصحـاب رسول الله ﷺ » وزاد « وقـال الله : ﴿ حتى إذا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وهو العليُّ الكبيرُ ﴾ [٢] .

وللترمذي [٣] في أخرى : أن ابن عبـاس قـال : بينمـا رسولُ الله ﷺ جـالسٌ .... وذكر الحديث ، ولم يذكر فيه : عن رجل من الأنصار .

١٤٤٧ ـ * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قالَ : من أتى كاهنًا أو عرافًا وتيقنَ بمـا يقولُ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .

* * *

(١) مسلم (٤ / ١٧٥١) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٥ ـ باب تحريم الكهانة .

(٢) سبأ : ٢٣ .

(٣) الترمذي (٥ / ٣٦٢) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٣٥ ـ باب « ومن سورة سبأ » . وقال : حديث حسن صحيح .

١٤٤٧ ـ المعجم الكبير : (١٠ / ٩٢) .

مجمع الزوائد : (٥ / ١١٨) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط إلا أنه قال فصـدقـه . وكـذلـك روايـة البزار ورجال الكبير والبزار ثقات .

الفصل الثاني

في:

نسبة الحادثات إلى الأسباب

مقطوعة عن الله عز وجل

وفيه:

مقدمة ونصوص



مقدمة

الإيمان بالأسباب جزء من عقيدة المسلم . ولكن الجزء الآخر من عقيدة المسلم ألا يعتمد عليها ، فهذا ينافي التوكل ، وألا يجعل لها تأثيرًا فهذا يتنافى مع الإيمان بشمول تعلق الإرادة الإلهية بالحوادث وشمول تعلق القدرة الإلهية بما تعلقت به الإرادة ، وذلك قول بالقوة المودَعة التي ذهب إليها المعتزلة وهو نوع شرك يصل بصاحبه إلى ضلال أو كفر ، ولذلك قال علماؤنا : من عطّل الأسباب فقد كفر ، ومن جعل لها تأثيرًا فقد أشرك .

فالمسلم لا ينفي ارتباط الأسباب ببعضها ولكن يعتقد أن كل ما جرى ويجري إنما هو بعلم الله وإرادته وقدرته ولذلك كان من أذكار المسلم : لا حول ولا قوة إلا بالله . وكنموذج على ماقلناه لنأخذ حادثة المطر ، فأن يتعرف الإنسان على احتمالات نزول المطر فهذا شيء مُقَرٌّ والله عز وجل قال : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته ﴾ [١] ، ومن القديم كان العربي من خلال شمه للرياح ورؤيته للسحاب يدرك إمكانية نزول المطر ، فهذا جزء من عالم الأسباب لا اعتراض ولا إنكار بل ينبغي إثباته وقد طُوِّرت في عصرنا وسائل لاستكشاف احتمالات ما يجري ولكن ما تقدمه هذه الوسائل يبقى في حدود الاحتمالات ، ولكن الشيء الذي يكمل هذا التصور أن نعتقد أن ما يحدث هو بإرادة الله وعلمه وقدرته ، وأن إنزال المطر النافع هو أثر رحمته وعنايته ، فمن غفل عن ذلك مع صحة الاعتقاد فلا إثم عليه ، ومن اعتقد أنه لا تدخل لله في ما يجري ، ونسب ما يحدث إلى الأسباب قاطعًا إياها عن المسبب فهو ضال إن كان يقول بالقوة المودعة ، وكافر إن كان يؤمن بأنه لا دخل ابتداءً وانتهاءً لله فيما يجري .

وهذا موضوع مباحثه طويلة وأدلته كثيرة وقد وُفِّقَ أهل السنة والجماعة فيه للحق ، وضل عنه كثيرون ، وكنموذج على بعض ما ورد في هذا الشأن ما ورد في موضوع نزول المطر ، فالله عز وجل قال : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ [٢] ، وقال ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا فترى الودق يخرج

---

(١) الأعراف : ٥٧ .
(٢) فاطر : ٢٧ .

من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون * وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين * فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يُزْجِي سحابًا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركامًا فترى الوَدْق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ﴾ [٢] .

ومن ههنا لفت رسول الله ﷺ النظر إلى أن المسلم يستقبل المطر بنسبته إلى الله كدأب المسلم في كل شيء ، وهذا لا ينفي الإيمان بعالم الأسباب .

وهذه نصوص في هذه المسألة تعرف منها موقف الإسلام بالقول بالأسباب ، وألا يجعل لها تأثيرًا بل المؤثر هو الله ، قال تعالى : ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ [٣] .

---

(١) الروم : ٤٨ ـ ٥٠ .

(٢) النور : ٤٣ .

(٣) الرحمن : ٢٩ .

النصوص

١٤٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن زيد بن خالد رضي الله عنه ، قال : صَلّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبح بالحديبية في إثر سماءٍ كانت من الليل ، فلما انصرف ، أقبل على الناس ، فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قال : قال : « أصبح من عبادي مؤمنٌ بي ، وكافرٌ ، فأما من قال : مُطِرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمنٌ بي ، كافرٌ بالكوكبِ ، وأما من قال : مُطِرْنا بِنَوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، مؤمن بالكوكب » .

وفي رواية [1] النسائي قال : مُطِرَ الناسُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ ، فقال : « ألم تسمعوا ما قال ربُّكم الليلةَ ؟ قال : ما أَنْعَمْتُ على عبادي من نعمة إلا أصْبَحَ طائفةٌ منهم بها كافرين ، يقولون : مُطِرْنَا بِنَوء كذا ، ونَوْء كذا ، فأما من آمن بي وحَمدَني على سُقْيَاي ، فذلك الذي آمن بي ، وكفر بالكوكب ، ومن قال : مُطِرْنا بِنَوء كذا وكذا ، فذلك الذي كفر بي ، وآمن بالكوكب » .

قال ابن الأثير :

(إثر سماء) السماء هاهنا : المطر ، سُمّي بذلك ، لأنه ينزل من السماء .

(النَّوْء) : واحد الأنواء ، وهي ثمان وعشرون منزلة ، ينزل القمر كلَّ ليلة في منزلةٍ منها ، ويسقط في الغرب كلَّ ثلاث عشرة ليلة منزلةٌ مع طلوع الفجر ، وتطلع أخرى مقابِلَها ، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة ، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة ، وطلوع رقيبها : يكون مَطرٌ ، فينسبون المطر إلى المنزلة ، ويقولون : « مُطِرنا بِنَوء كذا » وإنما سُمّي نوءًا ، لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ، ينوء نوءًا ، أي :

١٤٤٨ - البخاري (٢ / ٣٣٣) ١٠ - كتاب الأذان ، ١٥٦ - باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم .
مسلم (١ / ٨٣) ١ - كتاب الإيمان ، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .
وأبو داود (٤ / ١٦) كتاب الطب ، ٢٢ - باب في النجوم .
والموطأ (١ / ١٩٢) ١٣ - كتاب الاستسقاء ، ٣ - باب الاستمطار بالنجوم .

(١) النسائي (٣ / ١٦٤) ١٧ - كتاب الاستسقاء ، ١٦ - باب كراهية الاستمطار بالكوكب .

نهض وطلع ، وقيل : إن « النوء » : هو الغروب ، فهو من الأضداد ، قال أبو عبيد : لم نسمع في النوء أنه السقوط ، إلا في هذا الموضع ، وإنما غلّظ النبيُّ ﷺ في أمر الأنواء ، لأن العرب كانت تنسب المطر إليها ، فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى ، وأراد بقوله : « مُطِرنا بنوء كذا » أي : في وقت كذا ، وهو هذا النوء الفلانيُّ ، فإن ذلك جائز ، فقد قيل : « إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أراد أن يستسقيَ ، فنادى بالعباس بن عبد المطلب : كم بقي من نَوْء الثريا ؟ فقال : إنّ العلماءَ بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعًا بعد وقوعها » فما مضت تلك السبع حتى غِيثَ الناس ، وأراد عمر : كم بقي من الوقت الذي قد جَرَتِ العادة أنه إذا تمّ أتى الله بالمطر ، وأما قوله : « كافر بي » فيحتمل أنه أراد به الكفر الذي هو ضد الإيمان ، ويحتمل أنه أراد به الكفر الذي هو ضد الشكر ، يعني أنه كَفَر نعمةَ الله ، حيث نسبها إلى غيره .

وعلم النجوم المنهي عنه : هو ما يدّعيه أهل التنجيم من علم الكائنات والحوادث التي لم تقع وستجيء في المستقبل ، وأنهم يدركون معرفتها بتسيير الكواكب ، وانتقالاتها واجتماعها وافتراقها ، وأنّ لها تأثيرًا اختياريًا في العالم ، فأما من يعرف من النجوم لمعرفة الأوقات ، والاهتداء بها في الطرقات ، ومعرفة القبلة ، وأشباه ذلك ، فليس به بأس . اهـ .

١٤٤٩ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ألم تَرَوْا إلى ما قال ربُّكم ؟ قال : ما أنعمتُ على عبادي من نعمة إلا أصبحَ فريقٌ منهم بها كافرين ، يقولون : الكوكبُ ، وبالكوكب » .

وفي رواية [١] : أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبحَ فريقٌ من الناس بها كافرين ، يُنْزِلُ اللهُ الغيثَ ، فيقولون : الكوكبُ كذا وكذا » .

وفي رواية النسائي [٢] ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « قال الله عزوجل ما أنعَمْتُ

١٤٤٩ ـ مسلم (١ / ٨٤) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٣٢ ـ باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

(١) مسلم : نفس الموضع .

(٢) النسائي (٣ / ١٦٤) ١٧ ـ كتاب الاستسقاء ، ١٦ ـ باب كراهية الاستمطار بالكوكب .

على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين ، يقولون : الكوكبُ ، وبالكوكب » .

١٤٥٠ - * روى النسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لو أمْسَكَ الله القَطْر عن عباده خمس سنين ، ثم أرسله لأصْبَحَتْ طائفةٌ من الناس كافرين ، يقولون : سُقينا بِنَوءِ المِجْدَح » .

١٤٥١ - * روى الطبراني عن العباس بن عبدِ المطلب قال : خرجت مع رسول الله ﷺ من المدينة فالتفت إليها فقالَ : « إن الله قد بَرَّأ هذه الجزيرةَ من الشِّرْكِ ولَكِنْ أخافُ أن تُضِلَّهم النجومُ » ، قال : « يَنْزل الغيثُ فيقولونَ مُطِرْنا بنوء كذا وكذا » .

* * *

١٤٥٠ - النسائي (٣ / ١٦٥) ١٧ - كتاب الاستسقاء ، ١٦ - باب كراهية الاستمطار بالكوكب .

وفي سنده عتاب بن حنين ويقال ابن أبي حنين : المكي ، لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات .

(المِجْدَح) : بكسر الميم : نجم يقال له : « الدَّبران » وبعضهم يضم الميم .

١٤٥١ - مجمع الزوائد (٨ / ١١٤) . وقال : رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط باختصار ، وإسناد أبي يعلى حسن .



الفصل الثالث

في:

الطيرة والفأل والشؤم والعدوى

ومَا يجري مجراها

وفيه:

مقدمة ونصوص


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

للوهم تأثيره على الإنسان حتى قالوا : ما قادك شيء مثل الوهم . وكثيرًا ما تعصف الأوهام بالإنسان ، فتخرجه من دوائر الطمأنينة والتعقل إلى دوائر القلق والحيرة والخَرَق ، وجاءت شريعة الإسلام وأعطت الإنسان التثبت والتعقل والطمأنينة من خلال الذكر والتوكل والتشريع بحيث غدا حرًّا من تعبد الأوهام .

ومن مظاهر تعبد الإنسان للوهم أن يُحكِّمَ في تصرفاته الجمادات والحيوانات ، فترى أهل الجاهلية يستقسمون بالأزلام بأن يضعوا أقلامًا في شيء ما ، وبعض هذه الأقلام مكتوب عليها : نعم أو لا ، فإذا أراد الإنسان السفر أو غيره أدخل يده هو أو غيره فإذا خرج سهم يقول له : لا ، ترك ، وإذا خرج سهم يقول : نعم ، فعل ، فهذا مظهر من تحكيم الجماد بالإنسان ، وكان من عاداتهم الطيرة التي نهى عنها الشرع ، ومن صورها : إذا أراد إنسان أن يسافر أو يعمل عملا أرسل الطير ، فإن رجعت عن يمينه تفاءل فأقدم ، وإن رجعت عن شماله تشاءم وأحجم ، فهذا مظهر من مظاهر تحكيم الحيوان بالإنسان ، وعدا عن كون هذا وهذا استخفافًا في العقل البشري فهو كذلك تحكيم للوهم في إرادة الإنسان ، ولذلك تأثيراته على أعصاب الإنسان وجسمه وقلبه ، ولا زال بعض الناس يفعلون شبيهًا بهذا فترى بعضهم يبحث عن حظه بضربة نرد أو بإلقاء علبة أو بغير ذلك من صور ، كلها تحوي فكرة تعبيد النفس للوهم ، والتشاؤم كله تعبيد للنفس للوهم ، وما يترتب على ذلك من انعكاسات تظهر في أمراض نفسية شتى ، وما أكثر أمراض النفس التي تعد في عصرنا من اكتئاب إلى السويداء إلى الخوف إلى القلق وللتشاؤم دخل في هذه الأمراض ، وللعدوى دخل كبير في الوهم مع أنها حاصلة إلا أن كثرة الخشية من العدوى تورث التوهم الذي يؤدي إلى خلل مع علاقات الناس ، كما أنها قد تؤدي إلى شرور بين الناس خاصة إذا أخذ الناس يرفعون دعاوى على بعضهم بأن فلانًا أعداني ، أو أن إبل فلان أعدت إبلِي ، وهي قضايا ظنية ، ومن الناحية الطبية ، فالعدوى في كثير من الأحيان إنما توجد إذا وجد عند الجهة الأخرى استعداد للعدوى .

ومن ههنا أقر الشارع العدوى كحقيقة ، وعلّم الإنسان الاحتياط ولكنه أهدر آثارها ،

وهكذا عالج الإسلام الذي أنزله الله طبًّا للإنسان في كل شيء ، عالج الوهم في حياة الإنسان وحرره من أن يتعبد للجمادات أو الحيوانات أو للأوهام بأي شكل من أشكال التعبد والطاعة ، ومن هنا حَرَّم الإسلام الاستقسام بالأزلام وحرم الطيرة وعالج التشاؤم وأهدر العدوى ، فلم يعلق عليها أية مسؤولية ، وأبدلنا بذلك كله توكلا على الله وطمأنينة قلب لقضائه ، واستخارة حيث تندب الاستخارة ، واستشارة حيث تندب الاستشارة ، وحسن ظن بالله ، وحسن ظن في الخلق في محله ، وغير ذلك مما يكون عليه المسلم السوي في اعتقاده وأعماله وفي نفسه وقلبه وعقله ، وهذه قضايا لا يعرف قيمتها إلا من عرف كيف تتمزق النفس بالأوهام عندما يكون إسلام أو عندما لا يكون إسلام ، لم يصل بعد إلى القلب فيجعله يستقر باليقين ، ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [1] .

ولارتباط هذه المعاني بالعقيدة والإيمان فقد عقدنا هذا الفصل في هذا الباب .

---

(١) الرعد : ٢٨ .

النصوص

١٤٥٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن النبيَّ ﷺ قال : « لا عدوى ، ولاصفرَ ، ولا هامةَ » ، فقال أعرابيٌّ : يا رسولَ الله ، فما بالُ إبلٍ تكون في الرمل كأنها الظِّبَاءُ ، فيأتي البَعيرُ الأجْرَبُ ، فيدخل فيها فيُجْرِبُها كلَّها ؟ فقال : « فَمن أعْدَى الأولَ ؟ » .

قال البخاري : ورواه الزهريُّ عن أبي سلمة عن عبد الرحمن ، وسنان بن أبي سنان ، وفي رواية سنان وحده : بنحو ذلك .

وفي رواية لأبي سلمة [١] : أنه سمع أبا هريرة بعدُ يقول : قال النبيُّ ﷺ : « لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ » . وأنكر أبو هريرة حديثَ الأول ، قلنا : ألم تُحدِّثْ : أنه « لا عدوى ؟ » فَرَطن بالحبشية ، قال أبو سلمة : فما رأيتُه نَسِيَ حَديثًا غيرَه .

وفي رواية أخرى [٢] عن أبي سلمةَ : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا عدوى » وتحدَّث : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا يُوردُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ » . قال الزهري : قال أبو سلمة : كان أبو هريرة يحدِّث بها كليهما عن رسولِ الله ﷺ ، ثم صمت أبو هريرة بعد ذلك عن قوله : « لا عدوى » ، وأقام على أن « لا يُوردُ مُمرِض على مصِحٍّ » . قال : فقال الحارث بن أبي ذُبَاب ـ وهو ابن عمِّ أبي هريرة ـ قد كنتُ أسمعك يا أبا هريرة تحدِّثنا مع هذا الحديث حديثًا آخرَ قد سكَتَّ عنه ، كنتَ تقول : قال رسولُ الله ﷺ : « لا عدوى »؟ فأبى أبو هريرةَ أن يعرف ذلك ، وقال : « لا يوردُ ممرض على مصح » . فَماراه الحارث في ذلك حتى غضب أبو هريرة فَرَطن بالحبشية ، فقال للحارث : أتدري ماذا قلتُ ؟قال : لا ، قال أبو هريرة : إني قلت : « أُبيتَ » . قال أبو سلمة : ولعَمْري ، لقد كان أبو هريرة يحدِّثنا : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا عدوى » . فلا

١٤٥٢ ـ البخاري (١٠ / ١٧١) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٢٥ ـ باب لاصفر .

مسلم (٤ / ١٧٤٢) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٣ ـ باب لا عدوى ولا طيرة .

(١) البخاري (١٠ / ٢٤١) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٥٣ ـ باب لا هامة .

(٢) مسلم (٤ / ١٧٤٣) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٣ ـ باب لا عدوى ولا طيرة .

أدري : أنسِيَ أبو هريرة ، أو نَسَخَ أحَدُ القولين الآخر ؟ .

وفي روايـة أخرى [١] قـال : سمعت رسـولَ الله ﷺ يقـول : « لا طِيَرَة ، وخيرهـا الفأْلُ » . قيل : يا رسولَ الله ، وما الفألُ ؟ قال : « الكلمةُ الصالحةُ يسمعُها أحدُكم » .

وعند البخاري [٢] : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا عدوى ، ولا طِيَرَةَ ، ولا هامـةَ ، ولا صفرَ » .

وله في أخرى [٣] زيادة : « وفِرَّ من المَجْذُومِ كما تَفِرُّ من الأسد » .

وفي رواية لمسلم [٤] : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا عدوى ، ولا هـامـةَ ، ولا نَوْءَ ، ولا صفرَ » .

وفي أخرى [٥] : « لا عدوى ، ولا هامة ، ولا طِيَرَة ، وأُحِبُّ الفألَ الصالحَ » .

قال أبو داود : قال بقيَّةُ : سألت محمد بن راشد عن قوله : « ولا هامة » ؟ فقـال : كان أهل الجـاهليـة يقولون : ليس أحـدٌ يموتُ فيُـدفَن إلا خرج من قبره هـامـةٌ . وعن قـولـه : « ولا صفر» ؟ قـال : كانوا يَسْتَشْئِمُونَ بـدخـول صفر ، فقـال النبيُّ ﷺ : « لا صفر» . قال : وسمعتُ من يقول : هو وَجَع يأخذ في البطن ، يزعمون أنـه يُعْـدِي . قـال أبو داود : وقال مالك : كان أهل الجاهليـة يُحِلُّونَ صفرَ عـامًـا ، ويُحرِّمونـه عـامًـا ، فقـال رسولُ الله ﷺ : « لا صفر» .

(ولا هَامَة) الهَامُ جمع هامَة ، وهو طائر كانت العرب تزعم أن عِظَـامَ الميت تصير هـامـةً فتطير ، وكانوا يقولون : إن القتيل تخرج من هامته ـ أي : رأسه ـ هامـةٌ ، فلا تزال تقول : اسْقُوني ، حتى يُقْتَلَ قاتِلُه .

---

(١) البخاري (١٠ / ٢١٢) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٤٣ ـ باب الطيرة .
ومسلم (٤ / ١٧٤٥) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٤ ـ باب الطيرة والفأل .
(٢) البخاري (١٠ / ٢١٥) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٤٥ ـ باب لا هامة .
(٣) البخاري (١٠ / ١٥٨) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ١٩ ـ باب الجذام .
(٤) مسلم (٤ / ١٧٤٤) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٣ ـ باب لا عدوى ولا طيرة .
(٥) مسلم (٤ / ١٧٤٦) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٤ ـ باب الطيرة والفأل .

(لا يُورِدُ مُمْرِض على مُصِحٍّ) المُمْرِض : هو الذي إبله مِرَاضٌ ، والمُصِحُّ : الذي إبله صِحَاح ، فنهى أن يُورِد صاحبُ الإبل المِراض إبلَه على إبلِ ذِي الإبل الصحاح .

(فَرَطن) الرَّطانَةُ : التكلُّم بالعجمية أي لغة كانت .

(فَمَارَاهُ) المُمَارَاةُ والمُجادَلةُ : المُخاصمة .

(أُتِيتَ) أي : دُهِيت وتغيَّر عليك حِسُّكَ ، فتوهمتَ ما ليس بصحيحٍ صحيحًا .

(خَيْرُها الفَـأْلُ) هو مثل أن يكون الرجل مريضًـا ، فيسمعَ آخرَ يقول : يـا سـالم . أو يكون طالبًـا ، فيسمع آخرَ يقول : يـا واجـد . فيقع في ظنـه أن يَبْرأ من مرضـه ، ويَجِـد ضَالَّتَه ، فيتوقَّع صحة هذه البشرى ، ويتنفَّس بذلك نفَسهُ ؛ لأنه وقع من القـائل على جهـة الاتفاق ، تقول منه : تفَاءَلْتَ ، والافْتئالُ : افْتِعـالٌ منـه ، فـالفـأل : فيما يُرجى وقوعـه من الخير ، ويَحسن ظـاهرُه ويَسُرُّ ، والطِّيَرَةُ : لا تكـون إلا فيما يَسـوءُ ، وإنمـا أحبَّ النبيُّ ﷺ الفأل ؛ لأن الناس إذا أمَّلُوا فائدةً من الله ،ورَجَوْا عائـدتـه عنـد كل سبب ضعيفٍ أو قوي : فهم على خير ، وإن لم يُدركوا ما أمَّلوا ، فقد أصابوا في الرجاء من الله وطلب مـاعنـده ، وفي الرجـاء لهم خيرٌ مُعَجَّـل ، ألا ترى أنهم إذا قطعـوا أمَلَهم ورجـاءهم من الله كان ذلـك من الشر ؟ . فـأمَّـا الطِّيَرَة : فـإن فيها سوءَ الظَّنِّ ، وقطعَ الرجـاء ، وتوقعَ البلاء وقُنُوطَ النفس من الخير ، وذلك مذموم بين العُقَلاء ، منهيٌّ عنه من جهة الشرع .

(و لا نَوءَ) النَّوْءُ : واحـدُ الأَنـواء ، وهي ثمـانيـة وعشرون نجمًـا ، هي منـازل القمر ، تسقط كلَّ ثلاث عشرةَ ليلةً ، منها منزلـةٌ من طلوع الفجر وتطلع أخرى مُقـابِلَهـا ، فتنقضي هذه الثمانيـة والعشرون مع انقضـاء السنـة ، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلـة وطلوع نظيرها يكون مطرٌ ، فَيَنْسُبُون المطر إلى المنزلة ، ويقولون : مُطِرنـا بِنَوْء كـذا ، وإنمـا سُمِّي نَوءًا لأنه إذا سقط السـاقط منها بالمغرب نـاء الطالع بالمشرق ، أي : طلع ونهض ، وقيل : إن النوء هو الغروب ، وهو من الأضداد ، قال أبو عبيد : ولم يُسمع في النوء أنـه السقوط إلا في هذا الموضع .

وإنما غلَّـظ النبيُّ ﷺ في أمْر الأنواء ، لأن العرب كانت تَنْسُب المطر إليهـا ، فـأمَّـا مَن

جعل المطر من فعل الله عز وجل ، وأراد بقوله : مُطِرنا بنوء كذا ، أي : في وقت كذا ، وهو هذا النوء الفلاني ، فإن ذلك جائز .

وفي معنى النوء قال البغوي في شرح السنة :

قوله : « ولا نَوءَ » أراد به ما كانت العرب تنسبُ المطر إلى أنواء الكواكب الثانية والعشرين التي هي منازل القمر ، وتقول : مُطرنا بنوء كذا ، فأبطل الشرعُ أن يكون بنوء النجوم شيء إلا بإذن الله ا . هـ .

أقول : لقد لاحظنا في الحديث الذي مرّ معنا إثبات العدوى ، ولذلك ورد : لايوردن ممرض على مصح . كما رأينا أن فيه نفي العدوى ، والجمع بينهما أن الشارع أثبت العدوى كواقع ، وطالب بالاحتياط منها ، ونفى أن يترتب على العدوى مسؤولية قضائية .

وقد مرّ في الحديث النهي عن التشاؤم بذكر ما جرت عادة العرب أن تتشاءم منه ، ومن ذلك التشاؤم من صفر ، وأبطل الحديث خرافة الهامة التي كانت موجودة عند العرب في الجاهلية ولا زالت بعض الشعوب تتشاءم حيث لا ينبغي التشاؤم ، ومن ذلك تشاؤم الغربيين بالعدد رقم ـ ١٣ ـ ، وهو من قبيل تشاؤم الجاهلية .

١٤٥٣ ـ * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قام فينا رسولُ الله ﷺ مقامًا ، فقال : « لا يُعدِي شيءٌ شيئًا » . فقال أعرابيٌّ : يا رسول الله ، فما بالُ الإبل يأتيها البعيرُ الأجربُ الحشَفَةَ بذنبه فيُجربُها كلَّها ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « فَمَنْ أجربَ الأولَ منها ؟ ألا لا عَدْوى ولا صَفَر ، إن الله خَلَقَ كلَّ نَفْسٍ وَكَتَبَ حياتَها وَرِزْقَها ومصائبها ومحابَّها » .

١٤٥٤ ـ * روى مسلم عن عمرو بن الشريد رضي الله عنه ، عن أبيه قال : كان في وَفْدِ ثَقيفٍ رجلٌ مجذوم ، فأرسل إليه النبي ﷺ : « إنَّا قد بايَعناك ، فارْجِعْ » .

١٤٥٣ ـ الترمذي (٤ / ٤٥٠ ، ٥٤١) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ٩ ـ باب ما جاء لا عدوى .وهو حديث حسن .

قال ابن الأثير :

(يُعْدِي) : أعدى المريض : إذا تجاوز من واحدٍ إلى آخر ، كما يتعدى الجَرَبُ .

١٤٥٤ ـ مسلم (٤ / ١٧٥٢) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٦ ـ باب اجتناب المجذوم ونحوه .

أقول : هذا الحديث أحد الأدلة على أن العدوى ثابتة بالشرع ، وإنما المنفي هو إثبات المسؤولية المادية بسببها .

١٤٥٥ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : قال رَسولُ الله ﷺ : « لا عدوى » . فقال أعرابي : يا رسول الله فإنّا نأخذ الشاةَ الجربة فنطرحُها في الغنمِ فتجرَبُ . فقالَ رسول الله ﷺ : « يا أعرابي من أجرب الأولى » .

١٤٥٦ - * روى أبو داود عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، الطِّيرة شرك ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ » - ثلاثًا - « وما منّا إلا ، ولكنَّ الله يُذهبُه بالتوكلِ » .

وفي رواية الترمذي [1] قال : قال رسولُ الله ﷺ : « الطِّيرة من الشِّرْك ، وما مِنَّا إلا ، ولكنَّ اللهَ يُذْهبه بالتوكل » .

ورواه أيضًا ابن حبان [2] .

(الطِّيَرةُ) ما يُتَشَاءَمُ به من الفأْل الرديء وغيره ، واشتقاقها من الطَّيْر ، وكانت العرب تتطيَّر من الغراب والأخيل ونحوهما من الطَّيرِ ، وتتشاءَم به ، وترى أن ذلك مانع من الخير ، فنفى الإسلام ذلك ، وقال : « ولاطِيَرةَ » : وهو مصدر ، كالتَّطيُّر ، تطيَّر الرجل تَطَيُّرًا وطِيَرَةً ، كما قالوا : تَخَيَّرْتُ الشيء تَخيُّرًا وخِيَرَةً ، ولم يجيء من المصادر على هذا القياس غيرُهما .

وقال البغوي في شرح السنة مبينًا ماهية الطيرة :

وذلك أن العرب كانت تتطير ببروح الطير وسنوحها ، فيصدهم ذلك عما يمّموه من مقاصدهم ، فأبطل النبي ﷺ أن يكون لشيء منها تأثير في اجتلاب نفعٍ ، أو ضرٍ ، ويقال :

١٤٥٥ - المعجم الكبير : (١١ / ٢٣٨) .

مجمع الزوائد : (٥ / ١٠٢) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح .

١٤٥٦ - أبو داود (٤ / ١٧) كتاب الطب ، باب في الطيرة .

(١) الترمذي (٤ / ١٦٠ ، ١٦١) ٢٢ - كتاب السير ، باب ماجاء في الطيرة وقال : هذا حديث حسن صحيح

(٢) الإحسان بترتيب ابن حبان : (٧ / ٦٤٢) .

الطيرةُ أن يخرج لأمر ، فإذا رأى ما يحبُّ ، مضى ، وإن رأى ما يكره انصرف ، فأما ما يقع في قلبه من محبوب ذلك ومكروهه ، فليس بطيرة ، إذا مضى لحاجته ، وتوكل على ربه . قال ابن عباس : إن مضيتَ ، فتوكل ، وإن نكصتَ فتطير . وقال إبراهيم : قال عبد الله : لا تَضرُّ الطِّيرةُ إلا من تطير . اهـ .

(وما مِنّا إلا) في هذا الكلام محذوف ، تقديره : وما منّا إلا ويَعْتَريه التَّطَيُّر ، ويسبق إلى قلبه الكراهة له ، فحذف ذلك اختصارًا واعتمادًا على فهم السامع ، وقد جاء في كتاب الترمذي : أن هذا من كلام ابن مسعود ، وليس من الحديث ، والله أعلم .

١٤٥٧ - * روى أحمد عن بُرَيْدَة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ كان لا يَتَطيَّرُ من شيءٍ ، وكان إذا بَعَثَ عامِلاً سأَلَ عن اسمِهِ ؟ فإذا أعْجبَهُ فَرِحَ به ، وَرُئي بِشْرُ ذلك في وجهِهِ ، وإن كَرِه اسمَهُ رُئِيَ كَرَاهيةُ ذلك في وجهه .

قال ابن الأثير :

(بِشْرُ) البِشْرُ : طَلاقَة الوجه وأمَاراتُ الفرح التي تظهر على الإنسان عند رؤيةِ ما يَسُرُّ ، أو سماعه . ا هـ .

قال البغوي : وينبغي للإنسان أن يختار لولده وخدمه الأسماء الحسنة ا . هـ .

١٤٥٨ - * روى مسلم عن مُعَاوِيَة بْنِ الحَكَمِ ، قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ : مِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ ؟ قَالَ : « ذَلِكَ شَيءٌ تَجِدُونَهُ في أَنْفُسِكُمْ ، فَلا يَصُدَّنَّكُم » . قَالَ : قُلْتُ : وَمِنَّا رِجَالٌ يَأْتُونَ الكُهَّانَ ؟ قَالَ : « فَلا تَأْتُوهُم » . قَالَ : قُلْتُ : ومِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ . قَالَ : « خَطَّ نَبِيٌّ ، فَمَنْ وَافَقَ عِلْمَهُ عَلِمَ » .

١٤٥٧ - أحمد (٥ / ٣٤٧) .

وأبو داود (٤ / ١٩) : كتاب الطب ، ٢٤ - باب في الطيرة .

١٤٥٨ - مسلم (١ / ٣٨٢) ٥ - كتاب المساجد ، ٧ - باب تحريم الكلام في الصلاة .

قال البغوي في شرح السنة في تفسير قوله عليه السلام « يخطون » :

قال الخطابي : فقد يحتمل أن يكون معناه : الزجر عنه ، إذ كان من بعده لا يوافق خطه ، ولا ينال حظه من الصواب ؛ لأن ذلك إنما كان آية لذلك النبي ، وعَلَمًا لنبوته ، فليس لمن بعده أن يتعاطاه طمعًا في نيله والله أعلم . روي عن طاووس قال : سمعتُ ابن عباس يقول : إن قومًا يحسبون بأبي جادٍ ، وينظرون في النجوم ، وما أرى لمن فعل ذلك من خلاق اهـ .

أقول : أبي جاد : المراد بها الأحرف الأبجدية نسبة إلى (أبجد هوز) والمعروف أن العرب تعطي لكل حرف منها عددًا ، وبعض الناس يحسبون أعداد الأحرف لشيء ما وعلى ضوء ذلك يقدمون أو يحجمون . وهذا الذي نهى عنه ابن عباس وسفَّه أهله لأنه تحكم وتحكيم لغير العاقل بالعاقل ، وهو في الأصل شيء غير معقول المعنى ولم يأت به شرع .

١٤٥٩ - * روى البخاري ومسلم ، عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا عَدْوى ، ولا طِيَرَة ، ويُعْجِبُني الفَأْلُ » . قالوا : وما الفَأْلُ ؟ قال : « كلمةٌ طيِّبة » .

وروى البخاري مثله ، وقال [١] : « ويعجبني الفأْلُ الصَّالحُ : الكلمةُ الحسنةُ » .

وروى مسلم مثله ، وقال [٢] : « ويُعجبني الفأْلُ : الكلمةُ الحَسنةُ ، الكلمةُ الطيبةُ » .

قال ابن الأثير :

(لا عَدْوَى) يقال : أعداه المريض : إذا أصابه منه بمُقَارَنَتِه ومُجَاوَرَتِه أو مُؤَاكَلَتِه ومُبَاشَرَتِه .

١٤٥٩ - البخاري (١٠ / ٢٤٤) ٧٦ - كتاب الطب ، ٥٤ - باب لا عدوى .

مسلم (٤ / ١٧٤٦) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .

(١) البخاري (١٠ / ٢١٤) ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٤ - باب الفأل .

(٢) مسلم (٤ / ١٧٤٦) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .

١٤٦٠ - * روى الطبراني ، عن عقبةَ بن عامرٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ يُبَلِّغُنَا من لِقاحِنا » . فقام رَجلٌ فقال : أنا . فقالَ لـه رسول الله ﷺ : « ما اسمك » ؟ قال : صخرٌ أو جَنْدَلٌ . فقال له رسول الله ﷺ : « اجلِسْ » . ثم قال : « من يبلِّغنا لبنَ لقاحِنا » ؟ فقامَ رَجلٌ آخر فقال له رسول الله ﷺ : « مَا اسمك » قال : يعيشُ . قال : « بلغْنا من لقاحنا » .

١٤٦١ - * روى الترمذي ، عن أنسَ بنِ مالك رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ كان يُعْجِبُه إذا خرجَ لحاجة : أن يسمعَ : يا راشدُ ، يا نجيحُ .

وفي الصحيحين [1] معناه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٤٦٢ - * روى الطبراني ، عن أبي الدرداء قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « لن ينالَ الدرجاتِ العُلى من تَكَهَّن أو استقسم أو رَجَعَ من سفر تَطيرًا » . وفي رواية : « أو تطير طَيرة ترده عن سفرٍ لم ينظر إلى الدرجاتِ العُلى » .

١٤٦٣ - * روى أبو داود عن قَطَنَ بن قَبيصة عن أبيه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « العِيَافَةُ والطِّيرةَ والطَّرْقُ : من الجِبْتِ » .

قال ابن الأثير :

(العِيافة) : زجرُ الطير والتفاؤل بها ، كما كانت العرب تفعله ، عَافَ الطيرَ يَعيفُه : إذا زَجَرَه .

١٤٦٠ - المعجم الكبير : (١٧ / ٢٩٢) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٦) وقال : رواه الطبراني ، وفيه سعيد بن أسد بن موسى ، روى عنه أبو زرعة الرازي ولم يضعفه أحد ، وبقية رجاله ثقات .

١٤٦١ - الترمذي (٤ / ١٦١) ٢٢ - كتاب السير ، ٤٧ - باب ما جاء في الطيرة .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(١) البخاري (١٠ / ٢١٤) ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٤ - باب الفأل .

مسلم (٤ / ١٧٤٥) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .

١٤٦٢ - مجمع الزوائد (٥ / ١١٨) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، ورجال أحدهما ثقات .

١٤٦٣ - أبو داود (٤ / ١٦) كتاب الطب ، باب في الخط وزجر الطير . وهو حديث حسن . وقال أبو داود : الطَّرْقُ : الزَّجْرُ ، والعِيافةُ : الخطّ .

(الطَّرْقَ) : الضرب بالعصا ، وقيل : هو الخطُّ في الرمل ، كما يفعله المنجم لاستخراج الضمير ونحوه ، وقد جاء في كتاب أبي داود : أن الطَّرق : الزَّجر ، والعِيافة : الخط .

(الجِبْتَ) كل ما عُبِدَ من دون الله ، وقيل : هو الكاهن والشيطان .

قال البغوي في شرح السنة :

وأراد بالعِيافة : زجرَ الطَّير . والطَّرقُ : هو الضرب بالحصى ، وأصل الطرق : الضرب ، ومنه سميت مِطرقةُ الصائغ والحداد ؛ لأنه يَطرقُ بها . وقال ابن سيرين : الجبتُ : الساحرُ ، والطارقُ : الكاهنُ .

قال ابن جرير في (جامع البيان) ٨ / ٤٦٥ :

والصواب من القول في تأويل ﴿ **يؤمنون بالجبت والطاغوت** ﴾ أن يقال : يصدقون بمعبودَيْنِ من دون الله يعبدونهما من دون الله ، ويتخذونهما إلهين ، وذلك أن « الجبت » و « الطاغوت » اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له كائنًا ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان ، وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها ، كانت معظمة بالعبادة من دون الله ، فقد كانت جبوتًا وطواغيت ، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله ، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالا في أهل الشرك بالله . اهـ .

أقول : الحاصل أن الحديث نهى عن ضرب الرمل الذي عرفنا فيما مضى أن الخط فيه لاستخراج أمر كان معجزة لنبي ، وقد حرم في شريعتنا ، كما حرم في الحديث الطيرة التي هي زجر الطير والبناء على خط سيرها سلبًا أو إيجابًا من العمل ، كما نهى الحديث عن ضرب الحصى للبناء على ذلك ، كأن يضرب الإنسان حصاةً فإذا وقعت في مكان مضى لشأنه وإلا أحجم ، فكل ذلك وكل ما أدخله الشراح في شرح الحديث من صور على اختلاف تفسيراتهم ، كل ذلك يدخل في اتباع خطوات الشيطان ، فهي من الجبت الذي هو عبادة غير الله والخضوع له .

١٤٦٤ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « لا عدوى ، ولا صفر ، ولا غول » .

قال ابن الأثير :

(ولا غُول) الغُول : هذا الحيوان الذي كانت العرب تزعم أنه يَعْرِضُ لها في بعض الأوقات والطُّرُقِ ، فيَغْتَالُ الناس ، وإنه ضَرْبٌ من الشياطين ، وليس قوله : « ولا غُول » نَفْيًا لعين الغول ووجوده ، وإنما فيه إبْطَالُ زعم العرب في اغتياله وتَلَوُّنه في الصور المختلفة ، يقول : لا تُصَدِّقُوا بذلك . ا .هـ .

أقول : إن النصوص أثبتت إمكانية تشكل الجن ببعض الصور ، فهذه الحيثية ليست منفية في الحديث ، ولكن تصورًا وهميًا من تصورات الجاهلية عن شيء يسمونه الغول فيتوهمون بسببه ، قد أبطله الإسلام .

وقد قال الله عز وجل عن الإنسان : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ﴾ [1] فالإنسان ، محفوظ إلا إذا قضى الله عليه قضاء ، ولذلك فإن المسلم يغلب عليه حال التوكل فلا يخشى إلا الله ، فإذا داهمه أمر عمل بمقتضى أمر الله .

١٤٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بنِ عُمرَ رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا عَدوى ، ولا طِيَرَةَ ، وإنما الشؤم في ثلاث : في الفرسِ ، والمرأةِ ، والدَّارِ » .

وفي رواية [2] قال : ذكروا الشؤم عند النبيِّ ﷺ ، فقال : « إن كان الشؤم : ففي الدَّارِ ، والمرأة ، والفرس » .

١٤٦٤ - مسلم (٤ / ١٧٤٥) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٣ - باب لا عدوى ولا طيرة .

(١) الرعد : ١١ .

١٤٦٥ - البخاري (١٠ / ٢١٢) ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٣ - باب الطيرة .

مسلم (٤ / ١٧٤٧) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .

(٢) البخاري (٦ / ٦٠) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٤٧ - باب ما يذكر من شؤم الفرس .

مسلم (٤ / ١٧٤٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .

ولمسلم (١) : « في المرأة والفرس والمسْكَن » .

١٤٦٦ - * روى أبو داود عن سعد بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا هامةَ ، ولا عدوى ، ولا طِيَرة ، وإن تكنْ الطِّيَرَةُ في شيء : ففي الفرسِ ، والمرأةِ ، والدَّارِ » .

١٤٦٧ - * روى أبو داود عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه ، قال : قال رجل : يا رسولَ الله ، إنَّا كنَّا في دارٍ ، كثُر فيها عددنا ، وكثر فيها أموالنا ، فتحوَّلْنا إلى دارٍ أخرى ، فقلَّ فيها عددُنا ، وقلَّتْ فيها أموالنا ؟ فقال رسولُ الله ﷺ « ذَرُوها ذَمِيمَةً » .

قال ابن الأثير :

(ذَرُوها ذَمِيمَةً) أي : اتركوها مذمومةً ، وإنما أمرهم بالتحوُّل عنها إبْطالاً لما وقع في نفوسهم من أنَّ المكروهَ إنما أصابهم بسبب الدَّار وسُكناها ، فإذا تحوَّلوا عنها انقطعت مَادَّةُ ذلك الوَهْم ، وزال ما خَامَرَهم من الشُّبهة والوَهم الفاسد ، والله أعلم .

١٤٦٨ - * روى أحمد عن أبي حسان نحوه وفيه : قالت عائشة : والذي أنزل القرآن على محمد ما قالها رسول الله ﷺ قط إنما قال : « كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك » .

وفي رواية (٢) : « كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في الدار والمرأة والدابة » . ثم قرأت عائشة : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب** ﴾ (٣) الآية .

---

(١) مسلم الموضع السابق .

١٤٦٦ - أبو داود (٤ / ١٩) كتاب الطب ، باب في الطيرة .

وهو حديث صحيح .

١٤٦٧ - أبو داود (٤ / ٢٠) كتاب الطب ، باب في الطيرة .

وإسناده حسن .

١٤٦٨ - مسند أحمد (٦ / ٢٤٠) .

(٢) مسند أحمد (٦ / ٢٤٦) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٤) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) الحديد : ٢٢ .

١٤٦٩ - * روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنْ كان في شيءٍ : ففي الفرس والمرأةِ والمسْكَن » . يعني : الشؤمَ .

وفي رواية مسلم والنسائي عن جابر مثله [١] .

قال ابن الأثير :

(إنْ كان الشؤم في شيء) يعني : إن كان ما يكره ويخاف عاقبته ففي هذه الثلاثة ، وتخصيصه المرأة والفرس والرَّبْع والدَّار ؛ لأنه لما أبْطَل مذهب العرب في التطير بالسَّوانح والبَوَارح من الطير والظِّباء ونحو ذلك ، قال : فإن كان لأحدكم دارٌ يكره سُكْناها ، أو امرأة يكره صحبتها ، أو فرسٌ لا يُعجِبُه ارْتِبَاطُه ، فَلْيُفَارِقْها ، بأن ينتقلَ عن الدار ، ويبيعَ الفرس ، ويُطلِّقَ الزوجة ، وكان مَحَلُّ هذا الكلام محل استثناء الشيء من غير جنسه ، وسبيلُه سبيلُ الخروج من كلام إلى غيره .

وقد قيل : إن شُؤْمَ الدار . ضِيقُها وسُوءُ جارِها ، وشؤمُ الفرس : أن لا يُغزَى عليها ، وشؤم المرأة : أن لا تَلِدَ .

قال ابن حجر حول هذا الحديث :

قال ابن قتيبة : ووجهه أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون فنهاهم النبي ﷺ وأعلمهم أن لا طيرة ، فلما أبوا أن ينتهوا بقيت الطيرة في هذه الأشياء الثلاثة . قلت : فمشى ابن قتيبة على ظاهره ، ويلزم على قوله : أن من تشاءم بشيء منها نزل به ما يكره ، قال القرطبي : ولا يظن به أنه يحمله على ما كانت الجاهلية تعتقده بناء على أن ذلك يضر وينفع بذاته فإن ذلك خطأ ، وإنما عنى أن هذه الأشياء هي أكثر ما يتطير به الناس ، فمن وقع في نفسه شيء أبيح له أن يتركه ويستبدل به غيره .

١٤٦٩ - البخاري (٦ / ٦٠) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٤٧ - باب ما يذكر من شؤم الفرس .
مسلم (٤ / ١٧٤٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .
والموطأ (٢ / ٩٧٢) ٥٤ - كتاب الاستئذان ، ٨ - باب ما يتقى من الشؤم .

(١) مسلم (٤ / ١٧٤٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل ...
والنسائي (٦ / ٢٢٠) ٢٨ - كتاب الخيل ، ٥ - باب شؤم الخيل .

قال ابن العربي : معناه إن كان خلق الله الشؤم في شيء مما جرى من بعض العادة فإنما يخلقه في هذه الأشياء ، قال المازري : مجمل هذه الرواية : إن يكن الشؤم حقا فهذه الثلاث أحق به ، بمعنى أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر مما يقع بغيرها . وجاء عن عائشة أنها أنكرت هذا الحديث ، فروى أبو داود الطيالسي في مسنده عن محمد بن راشد عن مكحول قال : قيل لعائشة إن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الشؤم في ثلاثة » . فقالت : لم يحفظ ، إنه دخل وهو يقول :« قاتل الله اليهود ، يقولون الشؤم في ثلاثة » . فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله . قلت : ومكحول لم يسمع من عائشة فهو منقطع ، لكن روى أحمد وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن أبي حسان ، أن رجلين من بني عامر دخلا على عائشة فقالا : إن أبا هريرة قال : إن رسول الله ﷺ قال : « الطيرة في الفرس والمرأة والدار » . فغضبت غضبًا شديدًا وقالت : ما قاله ، وإنما قال : « إن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك » . انتهى . ولا معنى لإنكار ذلك على أبي هريرة مع موافقة من ذكرنا من الصحابة له في ذلك ، وقد تأوله غيرها على أن ذلك سيق لبيان اعتقاد الناس في ذلك ، لا أنه إخبار من النبي ﷺ بثبوت ذلك ، وسياق الأحاديث الصحيحة يبعد هذا التأويل لأنه ﷺ . إنما بعث ليعلمهم ما يلزمهم أن يعتقدوه .

قال عبد الرزاق في مصنفه عن معمر : سمعت من يفسر هذا الحديث يقول : شؤم المرأة إذا كانت غير ولود ، وشؤم الفرس إذا لم يغز عليه ، وشؤم الدار جار السوء . وروى أبو داود في الطب عن ابن القاسم عن مالك ، أنه سئل عنه فقال : كم من دار سكنها ناس فهلكوا . قال المازري : فيحمله مالك على ظاهره ، والمعنى أن قدر الله ربما اتفق ما يكره عند سكنى الدار فتصير في ذلك كالسبب فتسامح في إضافة الشيء إليه اتساعًا . وقال ابن العربي : لم يرد مالك إضافة الشؤم إلى الدار ، وإنما هو عبارة عن جري العادة فيها فأشار إلى أنه ينبغي للمرء الخروج عنها صيانة لاعتقاده عن التعلق بالباطل . وقيل : معنى الحديث أن هذه الأشياء يطول تعذيب القلب بها مع كراهة أمرها لملازمتها بالسكنى والصحبة ولو لم يعتقد الإنسان الشؤم فيها ، فأشار الحديث إلى الأمر بفراقها ليزول التعذيب . ا . هـ (فتح الباري) .

أقول : في النصوص التي ذكرت الشؤم في الدار والمرأة والفرس حض على حسن الاختيار للمرأة والمسكن والفرس وإباحة لمفارقة ما يكرهه الإنسان منها ، فكأن هذه النصوص تبين أن هذا النوع الذي يمكن أن يدخل في مسمى الطيرة لا يعتبر من الطيرة المنهي عنها والتي كان عليها أهل الجاهلية ، ويبدو أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون في بعض الأحوال من مجرد رؤية المرأة أو الفرس أو الدار ، فهذا النوع من الطيرة منفي في الإسلام وعلى هذا يحمل كلام عائشة رضي الله عنها ، وعلى الأول تحمل الروايات الأخرى .

* * *

الفصل الرابع

في:

العين والتمائم والرقى

وفيه:

مقدمة ونصوص



المقدمة

لم تزل في الإنسان عوالم مجهولة ، ولم تزل تستكشف في الإنسان خواص وخصائص ، ولم يزل الإنسان يستكشف من دقائق أسرار الكون ما يقرب إليه فهم الكثير من المغيبات ، فتأثير الإشعاعات المختلفة على الجسم البشري مثلاً يقرب إلينا فكرة أن يكون لبعض أعين الناس خاصية التأثير في إنسان آخر أو في شيء ما ، وهذا كلام نقوله لتقريب فكرة الإصابة بالعين التي أثبتها الشارع ، إنه من خلال استقراء لحوادث كثيرة نجد أن إنسانًا ما تعرض لنوع من الضرر أو المرض بسبب رؤية من إنسان رافقتها كلمة أو لم ترافقها وهذا الموضوع أثبته الشارع وتكلم عنه وفيه جانب غيبي ، ولذلك رأينا الحديث عنه وإثباته في هذا الباب ، ونحن وإن كنا قد حاولنا في ما مرّ آنفًا أن نقرب موضع الإصابة بالعين إلى الأذهان بما ذكرناه ، إلا أن أصل الموضوع لا يُبْحَث هكذا في العادة ، فالله عز وجل إذا أراد أن يصيب إنسانًا بإصابة ، أصابه بها عن طريق عالم الأسباب أو بشكل مباشر ، وقد جعل الله عز وجل جزءًا من عالم الأسباب أن يصيب أناسًا بأعين ناس ، وجعل لهذا النوع من الإصابات وقاية كي لا يقع وعلاجًا إن وقع .

وبعض نصوص هذا الفصل تتحدث عن هذه الشؤون . والإنسان إذا وقع في مأزق يفر في العادة فرارين ، فرارًا إلى الله بالدعاء ، وفرارًا إلى عالم الأسباب بالأخذ بها ، فمثلاً إذا مرض المريض دعا وبحث عن العلاج ، واجتماع هذين الفرارين مباح للمسلم بل مطلوب منه ، ومن ههنا نجد أن الإسلام حض على الوقاية كما حض على التداوي وأذن مع التداوي بالرقية وهي نوع دعاء من الأخ لأخيه أو من الإنسان لنفسه أو هي طلب استشفاء أو شفاء من الله تعالى لنفس الإنسان أو لأخيه .

ومن ههنا وجدت نصوص في الرقية وإذا كان للرقية دخل في أمر الغيب لأنها طلب شفاء من الله مباشرة فقد أدخلناها في أبحاث هذا الفصل ، وقد ذهب بعض العلماء إلى جواز حمل نوع من المكتوبات يعلقها الإنسان على نفسه وعلى أهله ، ليحرزهم من شرّ وهي ما يسمى بالتمائم ، والذين أجازوها إنما أجازوها بشروط من مثل أن تكون مفهومة وأن لا يكون فيها

شرك وأن تكون بشيء مشروع ؛ وإذ كان الأمر يختلط فيه ما هو مخل بالاعتقاد بما هو مباح فقد رأينا لذلك أن ندخل هذا البحث ههنا وهكذا كان عنوان الفصل : في : العين والتمائم والرقى .

النصوص

١ - في : العين

١٤٧٠ - * روى مسلم عن عبـد الله بنِ عبـاسٍ رضي الله عنهما عن رسـول الله ﷺ : « العَينُ حقٌ ، ولو كان شيءٌ سَابقَ القَدَرَ سَبَقَتْهُ العينُ ، وإذا استُغْسِلتم فاغْسِلوا » .

(إذا استُغْسِلْتم فاغسلوا) كان من عادتهم : أن الإنسان إذا أصابته العين من أحدٍ جاء إلى العائن ، فجُرِّدَ من ثيابه وغُسِلَ جسده ومعاطفه ووجهه وأطرافه ، وأخذ المَعِينُ ذلك الماءَ فصبَّه عليه ، فيَبْرأ بإذنِ الله تعالى .

قال الشوكاني في نيل الأوطار :

ظاهره : إثبات العين التي تصيب إما بما جعل الله تعالى فيها من ذلك وأودعه إياها ، وإما بإجراء العادة بحدوث الضرر عند تحديد النظر .

قال المازري : أخذ الجمهور بظاهر الحديث وأنكره طوائف من المبتدعة لغير معنى ؛ لأن كل شيء ليس محالا في نفسه ولا يؤدي إلى قلب حقيقة ولا فساد دليل فهو من مجوزات العقول فإذا أخبر الشرع بوقوعه لم يكن لإنكاره معنى . وهل من فرق بين إنكارهم هذا وإنكارهم ما يخبر به في الآخرة من الأمور . اهـ .

١٤٧١ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها ، قالتْ : كان يُؤمَرُ العَائِنُ ، فيتوضأُ ، ثم يغتسِلُ منه المَعينُ .

١٤٧٢ - * روى أحمد عن أبي هريرة ، قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « العينُ حق

١٤٧٠ - مسلم (٤ / ١٧١٩) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٦ - باب الطب والمرضى والرقى .

١٤٧١ - أبو داود (٤ / ٩) كتاب الطب ، باب ما جاء في العين .

وإسناده حسن .

(العائن) : الذي تُصيبُ عينُه .

(المعين) : المُصابُ بالعين .

١٤٧٢ - مسند أحمد (٢ / ٤٣٩) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

ويحضرها الشيطان وحسدُ ابنِ آدمَ » .

أقول : ذكر الحسد بمناسبة الإصابة بالعين فيه إشارة إلى التأثير النفسي ، فالإنسان يمكن أن يؤثر نفسيًا في إنسان آخر ، وتختلف قوة التأثير من إنسان لآخر ، وكم كلمة أمرضت إنسانًا ، فكيف إذا اجتمع على نفسٍ التأثير النفسي والكلمة الحاسدة ووسوسة الشيطان ، وما يمكن أن يكون في أعين بعض الناس من خواص .

١٤٧٣ ـ * روى البزار عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثر من يموت من أمتي بعد كتابِ الله وقضائِه وقدرِه بالأنفسِ » . قال البزار : يعني بالعين .

أقول : ذكرت هذا الحديث هنا لتفسير البزار الأنفس بالأعين ، وعندي أن النفس هنا قد يراد بها معنى آخر ، فقد يراد بالنفس الدم ، ومن عناوين الفقهاء : (ما لا نفس سائلة له) أي ما لا دم سائلاً له ، فإذا كان المراد بالنفس هنا الدم ففي الحديث معجزة طبية ، فما عُرف في عصرنا أن أمراض الدم وما يطرأ عليه هي من أكثر مسببات الموت .

١٤٧٤ ـ * روى أبو داود عن شَيْبان القِتْباني أن مَسلمةَ بنَ مُخَلَّدٍ استعملَ رُوَيْفِعَ بنَ ثابتٍ على أسْفَلِ الأرضِ ، قال شَيْبان : فَسِرنا معه من كُومِ شَريك إلى عَلْقَماءَ ـ أو من عَلْقَماءَ إلى كُومِ شَريك ـ يريد : عَلْقام ، فقال رُوَيْفِعٌ : إنْ كان أحدُنا في زمن رسول الله ﷺ لَيأخُذُ نِضْوَ أخيه ، على أن له النِّصْفَ مما يَغْنَمُ ولنا النصفُ ، وإنْ كان أحدُنا لَيَطيرُ له النَّصْلُ والرِّيشُ ، وللآخرِ القِدْحُ ، ثم قالَ : قالَ لي رسولُ الله ﷺ : « يارُوَيْفِعُ ، لعلَّ الحياة ستطولُ بكَ بعدي ، فأخْبِرِ الناسَ أنه من عَقَدَ لِحْيَتَه ، أو تقلَّدَ وَتَرًا أو استنجى برجيعِ دابة أو عظمٍ ، فإن محمدًا منه بَريءٌ » .

١٤٧٥ ـ * روى أحمد عن أبي ذرّ قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إن العينَ لَتُولِعُ

١٤٧٣ ـ كشف الأستار (٣ / ٤٠٣) . وقال : لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٦) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا طالب بن حبيب بن عمرو وهو ثقة .

١٤٧٤ ـ أبو داود (١ / ٩) كتاب الطهارة ، باب ما ينهى عنه أن يستنجي به .

(تَقَلَّدَ وَتَرًا) : كانوا يتقلدون الأوتار ، ويزعمون أنها تَرُدُّ العين ، وتَدْفَع عنهم المكاره ، فَنُهوا عن ذلك .

١٤٧٥ ـ أحمد (٥ / ١٦٧) .

=

الرجلَ بإذن اللهِ حتى يَصعدَ حالقًا ثم يتردَّى منه » .

١٤٧٦ - * روى مالك عن محمد بن أبي أمامةَ بنِ سهلِ بنِ حُنَيفٍ أنه سمع أباه يقول : اغْتَسلَ أبي - سَهْلُ بنُ حُنَيف - بالخَرّار ، فنزع جُبَّة كانتْ عليه ؛ وعامرُ بنُ ربيعةَ ينظرُ إليه . وكان سهلٌ شديدَ البَيَاضِ ، حَسَنَ الجِلْدِ ، فقال عامرٌ : ما رأيتُ كاليومِ ، ولا جِلْدَ مُخَبَّأةٍ عَذْرَاءَ ، فوُعِك سهلٌ مكانَه ، واشْتَدَّ وَعْكُه ، فأُخبِرَ رسولُ الله ﷺ بوَعْكِه ، فقيلَ له : ما يَرْفَعُ رأسَه . وكان قد اكْتُتِبَ في جيشٍ . فقالوا له : هو غيرُ رائحٍ معك يا رسولَ الله ، والله ما يرفعُ رأسَه . فقال : « هل تتَّهمونَ أحدًا ؟ » قالوا : عامرَ بنَ ربيعةَ . فدعاه رسولُ الله ، فتَغَيَّظَ عليه ، وقال : « عَلامَ يَقْتُلُ أحدُكم أخاه ؟ ألا برَّكتَ ؟ اغْتَسِلْ له » . فغسل عامرٌ وجهَهُ ، ويديه ، ومِرْفَقَيْه ، ورُكْبَتَيْه ، وأطْرَافَ رجليه ، ودَاخِلَةَ إزاره ، في قَدَحٍ ، ثم صَبَّ عليه من ورائه ، فَبَرأ سهل من ساعته .

وفي رواية [1] نحوه إلى قوله : واشْتَدَّ وَعْكُه وبعده : فأَتى رسولَ الله ﷺ ، فأخبره بالذي كان من شأن عامر ، فقال رسولُ الله ﷺ : « عَلامَ يقتلُ أحدُكم أخاه ؟ ألا برَّكْتَ ؟ إن العينَ حقٌّ ، توضَّأْ له » . فتوضأ له عامرٌ ، وصَبَّ عليه من خلفه ، فَرَاحَ سَهْلٌ مع رسولِ الله ﷺ ليس به بأسٌ .

وفي بيان ما ينبغي فعله للمصاب قال البغوي :

قال الزهريُّ : يؤتى الرجلُ العائن بقدح ، فيُدخِلُ كفه فيه ، فيُمضمِض ، ثم يَمجُّهُ في القدح ، ثم يغسل وجهَه في القدح ، ثم يُدخل يده اليسرى ، فيصبُّ على كفه اليمنى في

= وكشف الأستار (٢ / ٤٠٣) . وقال : لا نعلم صحابيًا رواه غير أبي ذرّ ، ولا نعلم له إلا هذا الطريق .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٦) . وقال : رواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد ثقات .

١٤٧٦ - الموطأ (٢ / ٩٣٩) ٥٠ - كتاب العين ، ١ - باب الوضوء من العين .

(مُخَبَّاة عذراء) : الخبَّاة : المخدَّرة ، والعذراءُ : البكرُ ، والجمع : العَذَارى .

(ألا بَرَّكت) : من البركة ، وهي الزيادة والنماء ، أو الثبات والدوام ، أي : هلاّ دعوتَ له بالبركة .

(دَاخِلَة إزَاره) : هي الطرف الذي يلي جسد المؤتزر . وقيل : أراد موضع داخلة إزاره من جسده ، لا إزاره .

(١) الموطأ (٢ / ٩٣٨) الموضع السابق .

قال محقق الجامع : وهو حديث حسن .

القدح ، ثم يُدخل يده اليمنى ، فيصب على يـده اليسرى ، ثم يُـدخل يـده اليسرى ، فيصبُّ على مرفقـه الأيمن ، ثم يُـدخـل يـده اليمنى ، فيصبُّ على مرفقـهِ الأيسر ، ثم يُـدخـل يـده اليسرى ، فيصبُّ على قدمـهِ اليمنى ، ثم يُـدخل يـده اليمنى ، فيصبُّ على قـدمـه اليسرى ، ثم يدخل يده اليسرى ، فيصبُّ على ركبتـه اليمنى ، ثم يُـدخل يـده اليمنى ، فيصبُّ على ركبتـه اليسرى ، ثم يغسِل داخِلـة إزاره ، ولا يوضع القـدح في الأرض ، ثم يُصبُّ على رأس الرجلِ الذي أصيب بالعين من خلفهِ صَبّةً واحدة .

واختلفوا في غسل داخلةِ الإزار : قال أبو عبيد : إنما أراد بـداخلـةِ إزاره ، طرف إزاره : الذي يلي جسده ، مما يلي جانب الأيمن ، فهو الذي يُغسل قـال : ولا أعلمـه إلا جـاء مفسرًا في بعض الحديث هكذا . اهـ .

وقال البغوي في شرح السنة مبيّنًا أدب الرؤية لما يُعْجِب :

وروي عن هشام بن عروة ، عن أبيه أنه كان إذا رأى من مالـه شيئًـا يُعجبُـه ، أو دخل حائطًا من حيطـانـه قـال : مـا شـاء الله ، لا قوة إلا بـالله . وروي عن عـائشـة أنهـا كانت لا ترى بأسًا أن يُعوَّذَ في المـاء ، ثم يُعـالج بـه المريض . وقـال مجـاهـد : لا بـأس أن يكتب القرآن ويغسله ، ويسقيه المريض ، ومثله عن أبي قلابة ، وكرهه النخعي ، وابن سيرين .

وروي عن ابن عباس أنـه أمر أن يكتب لامرأة تعسر عليهـا ولادتهـا ، آيتين من القرآن وكلمـات ، ثم يُغسل وتسقى . وقـال أيوب : رأيت أبـا قـلابـة كتب كتـابًـا من القرآن ، ثم غسله بماء ، وسقاه رجلاً كان به وجعٌ ، يعني : الجنون اهـ .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار :

أرشـد الشـارع إلى مـا يـدفعـه بقولـه في قصـة سهل بن حنيف المـذكـورة « ألا بركت عليه » وفي رواية ابن ماجه : « فليدع بالبركة » . ومثله عند ابن السني من حديث عامر ابن ربيعة . وأخرج البزار وابن السني من حديث أنس رفعه : « من رأى شيئًـا فـأعجبـه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره » . وقـد اختلف في القصـاص بـذلـك ، فقـال القرطبي : لو أتلف العائن شيئًا ضمنه ، ولو قتل فعليه القصـاص أو الـديـة إذا تكـرر ذلـك

منه بحيث يصير عادة وهو في ذلك كالساحر . قال الحافظ : ولم تتعرض الشافعية للقصاص في ذلك بل منعوه وقالوا : إنه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا . وقال النووي في الروضة : ولا دية فيه ولا كفارة ؛ لأن الحكم إنما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس في بعض الأحوال مما لا انضباط له كيف ولم يقع منه فعل أصلا وإنما غايته حسد وتمنٍ لزوال نعمة ، وأيضًا فالذي ينشأ عن الإصابة حصول مكروه لذلك الشخص ولا يتعين المكروه في زوال الحياة فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من أثر العين . ونقل ابن بطال عن بعض أهل العلم أنه ينبغي للإمام منع العائن إذا عرف بذلك من مداخلة الناس وأن يلزم بيته ، فإن كان فقيرًا رزقه ما يقوم به فإن ضرره أشد من ضرر المجذوم الذي أمر عمر بمنعه من مخالطة الناس ، وأشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع آكله من حضور الجماعة . قال النووي : هذا القول صحيح متعين لا يعرف عن غيره تصريح بخلافه . اهـ .

١٤٧٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ العينَ حقٌّ » . ونهى عن الوَشْمِ .

١٤٧٨ ـ * روى ابن ماجه عن أبي سعيد ، قال : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الجانّ ثُمَّ أَعْيُنِ ٱلإِنْسِ ، فَلَمَّا نَزَلَ ٱلْمعَوِّذَتَانِ أَخَذَهُمَا وَتَرَك مَا سِوَى ذَلِكَ .

١٤٧٩ ـ * روى مسلم عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال : رخَّص رسولُ الله ﷺ في الرُّقيةِ من العين ، والحُمَةِ ، والنَّملة .

وفي رواية أبي داود (١) قال : قال رسول الله ﷺ : « لا رُقْيَةَ إلا من عيْنٍ أو حُمَةٍ

١٤٧٧ ـ البخاري (١٠ / ٢٠٣) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٣٦ ـ باب العين حق .

مسلم (٤ / ١٧١٩) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ١٦ ـ باب الطب والمرض والرقى .

(الوَشْم) : هو الذي يُغَيِّرُ به لون موضع الجسم ، بنيلٍ أو كُحل ، بأن يُغرَز الجلدُ بإبرةٍ ويُحشى مغارزها بذلك ، فيبقى أثره أبدا .

١٤٧٨ ـ ابن ماجه (٢ / ١١٦١) ٣١ ـ كتاب الطب ، ٣٣ ـ باب من استرقى من العين .

١٤٧٩ ـ مسلم (٤ / ١٧٢٥) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٢١ ـ باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

والترمذي (٤ / ٣٩٣) ٢٩ ـ كتاب الطب ، ١٥ ـ باب ما جاء في الرخصة في ذلك . وقال : حديث حسن غريب.

(١) أبو داود (٤ / ١١) كتاب الطب ـ باب ما جاء في الرقى .

أو دَمٍ يرقأ » .

وفي رواية لم يذكر العين .

قال ابن الأثير :

(النَّملة) : قُروحٌ تخرج في الجنبين ، وقد تخرج في غير الجنب ، تُرقى فتذهب بإذن الله تعالى .

(لا رُقْيَة إلا من عين أو حُمَة) تخصيصه العين والحُمَة لا يمنع جواز الرقية في غيرهما من الأمراض ، لأنه قد ثبت أنه رَقى بعض أصحابه من غيرها ، وإنما معناه : لا رُقْيَة أولى وأنْفعُ من رُقْيَة العين والسُّمّ ، كما قيل في المثل : لا فتى إلا عليٌّ ، ولا سيف إلا ذو الفقَار .

١٤٨٠ - * روى البخاري ومسلم عن أم سلمةَ رضي الله عنها ، أن رسولَ الله ﷺ قال لجاريةٍ في بيتِها رأى في وجْهِها سَفْعَةً - يعني : صُفْرَةً - فقال : « بها نظرةٌ ، اسْتَرْقُوا لها » .

١٤٨١ - * روى مالك عن عروة بن الزبير رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ دخلَ بيتَ أُمِّ سَلَمةَ وفي بيتها صَبيٌّ يبكي ، فذكروا أن به العينَ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « ألا تَسْتَرْقُون له من العين ؟ » .

١٤٨٢ - * روى الترمذي عن عِمران بن حصين رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا رُقْيَةَ إلا من عَيْنٍ أو حُمَةٍ » .

١٤٨٠ - البخاري (١٠ / ١٩٩) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٥ - باب رقية العين .

مسلم (٤ / ١٧٢٥) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

(نظرة) : يقال به نظرة : إذا أصابته العين من الجنّ ، وقد يطلق أيضاً على الإنس .

١٤٨١ - الموطأ (٢ / ٩٤٠) ٥٠ - كتاب العين ، ٢ - باب الرقية من العين

وهو مرسل ، فإن عروة بن الزبير لم يدرك رسول الله ﷺ ، قال أبو عمر بن عبد البر : مرسل عند جميع رواة الموطأ ، وهو حديث صحيح .

١٤٨٢ - الترمذي (٤ / ٣٩٤) ٢٩ - كتاب الطب ، ١٥ - باب ما جاء في الرخصة في ذلك .

وأبو داود (٤ / ١١) كتاب الطب ، باب ما جاء في الرُّقى .

١٤٨٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يأمُرُ أنْ نَستَرْقِيَ من العين . وفي رواية [1] : « أمرني » .

١٤٨٤ ـ * روى الترمذي عن عبيد بن رَفاعة الزُّرَقي رضي الله عنه ، أن أسماءَ بنت عُمَيْسٍ قالَت : يارسولَ اللهِ ، إن وَلَدَ جعفرٍ تُسرع إليهم العينُ . أفأستَرقي لهم ؟ قال : « نعم ، فإنه لو كان شيء سابَقَ القَدَرَ لسبَقَتهُ العينُ »

١٤٨٣ ـ البخاري (١٠ / ١٩٩) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٣٥ ـ باب رقية العين .

مسلم (٤ / ١٧٢٥) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٢١ ـ باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

(١) البخاري : الموضع السابق .

١٤٨٤ ـ الترمذي (٤ / ٣٩٥) ٢٩ ـ كتاب الطب ، ١٧ ـ باب ما جاء في الرقية من العين .

وقال : حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

٢ ـ في : التمائم

قال البغوي في شرح السنة :

التمائم : جمع التميمة ، وهي خَرزات كانت العربُ تعلقهـا على أولادهم يتقـون بهـا العين بزعمهم ، فأبطلها الشرعُ ، ويقال : التميمةُ : قلادة يعلق فيها العود .

وقـال عطـاء : لا يعـد من التمائم مـا يكتب من القرآن . وسئـل سعيـد بن المسيِّب عن الصحف الصغار يكتب فيه القرآن ، فيعلق على النساء والصبيان ؟ فقال : لا بـأس بـذلـك إذا جعل في كير من وَرِق ، أو حديد ، أو يخرز عليه . اهـ .

١٤٨٥ ـ * روى الترمذي عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العـاصِ رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ قال :« إذا فَزِعَ أحدُكم في النوم فَليَقل : أعوذ بكلمـات الله التّـامَّـة من غضبـه وعذابـهِ وشرِّ عِبـادِه ، ومن همزات الشيـاطين وأنْ يَحضُرونِ ، فـإنهـا لَنْ تَضُرَّهُ » . وكان عبـد الله يُلقِّنُهـا مَن بلغ من أولاده ، ومن لم يبْلُـغ منهم ، كتبهـا في صَـكٍّ وعَلَّقهـا في عُنُقِهِ .

قال محقق الجامع :

هذا عمل صحابي ، وقد اختلف العلماء من الصحابة والتـابعين فمن بعـدهم في تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته ، فقالت طائفة : يجوز ذلك ، وهو عمل عبد الله بن عمرو ابن العـاص وغيره من الصحـابـة والتـابعين ، وحملـوا حـديث « إن الرقى والتمائم والتـولـة شرك » على التمائم التي فيها شرك ، وقالت طـائفـة : لا يجوز ذلـك ، وهو قول عبـد الله بن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحـابـة والتـابعين ، والأفضل ترك تعليق التمائم من القرآن وغيره ، واستعمال الترقيـة بـالمعوذات وغيرهـا كما ورد ذلـك عن الصـادق المصـدوق ﷺ في

١٤٨٥ ـ الترمذي (٥ / ٥٤١) ٤٩ ـ كتاب الدعوات ٩٤ ـ باب حدثنا محمود بن غيلان ...إلخ . وقال : هـذا حـديث حسن غريب .

وأبو داود (٤ / ١٢) كتـاب الطب ، بـاب كيف الرقي ؟ ولم يـذكر « النوم » إنمـا قـال : إنّ رسولَ الله ﷺ كان يُعَلِّمهم من الفَزَع كلماتٍ ... ، وذكر الحديث ، وهو حسن بشواهده .

(صَكٍّ) : الصَّكُّ : الكتاب يُكتَب به وثيقةٌ بشيء .

أحاديث كثيرة .

١٤٨٦ - * روى أحمد عن مالِك بن أنسٍ رحمه الله سئل عن تعليق التمائم والخَرزِ فقال : ذلك شِرْكٌ ، وقال : بلغني أن ابنَ عمرَ قالَ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مايُبَالي ماأتى مَن شَرِبَ تِرْياقًا ، أو تَعلق تميمةً » .

١٤٨٧ - * روى الترمذي عن عيسى بن حمزة قال : دخلت على عبْدِ اللهِ بنِ عُكيم - أبي مَعْبَدٍ الجُهَني - أعودُه وبه حُمرةٌ ، فقلت : ألا تُعَلِّقُ تَميمَةً ؟ فقال : نَعوذُ بالله من ذلك ، قال رسولُ الله ﷺ : « من تعلَّق شيئًا وُكِلَ إليه » .

١٤٨٨ - * روى أبو داود عن جابرِ بن عبدِ الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن النُّشْرَةِ ، فقال : « هو من عملِ الشيطانِ » .

قال ابن الأثير : .

(النُّشْرة) كالتَّعويذ والرُّقْيَة ، يقال : نشرتُه تَنْشِيرًا : إذا رَقَيتَه وعَوَّذْتَه ، وإنما سميت نُشْرة ، لأنها يُنْشَر بها عن المريض ، أي : يُحَلُّ عنه ماخامره من الداء .. اهـ .

والنشرة المنهي عنها : هي النوع الذي كان أهل الجاهلية يعالجون به .

قال البغوي في شرح السُّنَّة :

والنشرة : ضرب من الرقية يعالج بها من كان يُظن به مس الجن ، سميت نشرة لأنه يُنشر بها عنه ، أي : يُحلُّ عنه ماخامره من الداء ، وكرهها غير واحد ، منهم إبراهيم . وحكي عن الحسن أنه قال : النُّشرةُ من السحر ، وقال سعيد بن المسيِّب : لا بأس بها . اهـ .

١٤٨٦ - أحمد (٢ / ٢٢٣) بنحوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص . وأخرجه رزين ، وهو حديث حسن .

(ترْياقًا) : التِّرْيَاقُ والدِّرْيَاقُ معروف ، وليس شربه مكروهًا من أجل أن التداوي به حرام ، ولكن من أجل ما يقع فيه من لُحُوم الأفاعي وغيرها من النجاسات ، وهي محرَّمة ، وما لم يكن فيه حرام ولا نجس فلا بأس به .

١٤٨٧ - الترمذي (٤ / ٤٠٣) ٢٩ - كتاب الطب ، ٢٤ - باب ما جاء في كراهية التعليق. وهو حديث حسن بشواهده .

١٤٨٨ - أبو داود (٤ / ٦) كتاب الطب ، باب في النُّشرة . وإسناده صحيح .

١٤٨٩ ـ * روى ابن ماجة عن عمران بن الحصين أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حَلْقةً مِنْ صُفْرٍ فقال : « ما هذه الحَلْقَةُ » ؟ قال : هذه من الواهنة ، قال : « انزعْها فإنَّها لا تزيدك إلا وَهْنًا .

١٤٩٠ ـ * روى أحمد عن عمرانَ بنِ حُصينٍ أن رسول الله ﷺ : أبصر على عَضُدِ رجلٍ حَلْقةً أراه قال : من صُفْرٍ قال : « ويحك ماهذه ؟ » قال : من الواهنة . قال : « أما إنها لا تَزِيدُك إلا وهنا انْبِذْها عنك فإنك لو مُتَّ وهي عليك ماأفلحتَ أبدًا » .

١٤٩١ ـ * روى أحمد عن عقبةَ بنِ عامرٍ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « من يُعَلِّقُ تَميةً فلا أتمَّ اللهُ له ومن يعلق وَدَعَةً فلا وَدَعَ اللهُ له » .

١٤٩٢ ـ * روى أحمد عن عُقبةَ بن عَامرٍ الجُهني أن رسول الله ﷺ أقبلَ إليه رَهْطٌ فبايعَ تسعةً وأمسكَ عن واحدٍ فقيلَ له يارسولَ الله بايعت تسعة وتركتَ هذا ؟ قال : « إن عليه تَميةً » فأدخلَ يَدَهُ فقطعَها فبايَعهُ . وقال : « من عَلَّقَ تَميةً فقد أشرك » .

١٤٨٩ ـ ابن ماجه (٢ / ١١٦٧) ٣١ ـ كتاب الطب ، ٣٩ ـ باب تعليق التمائم .

وفي الزوائد : إسناده حسن .

١٤٩٠ ـ أحمد (٤ / ٤٤٥) .

ومجمع الزوائد (٥ / ١٠٣) . وقال : رواه أحمد والطبراني وقال : إن مُتَّ وهى عليك وُكلت إليها : قال وفي رواية موقوفة : انبذها عنك ؛ فإنك لو مت وأنت ترى أنها تنفعك لمتَّ على غيرالفطرة » . وفيه مبارك بن فضالة وهو ثقة وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات .

(الواهنة) : في النهاية : عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها ، فيُرقى منها . وقيل : هو مرض يأخذ في العضد وربما عُلِّق عليه جنس من الخرز يقال له خرز الواهنة . وهي تأخذ الرجال دون النساء . وإنما نهاه عنها ؛ لأنه إنما أخذها على أنها تعصمه من الألم ، فكانت عنده في معنى التمائم المنهيّ عنها .

(انبِذْها) : نَبَذَه : ألقاه ، من باب ضرب .

١٤٩١ ـ أحمد (٤ / ١٥٦) .

والمعجم الكبير (١٧ / ٢٩٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٣) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، ورجالهم ثقات .

(الوَدَعَ) : جمع وَدَعة ، وهو شيء أبيض يُجلَبُ من البحر يُعلق في حلوق الصبيان وغيرهم ، وإنما نهى عنها ؛ لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العَيْن .

١٤٩٢ ـ أحمد (٤ / ١٥٦) .

والمعجم الكبير (١٧ / ٢٩٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٣) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد ثقات .

٣ - في : الرقى

قال البغوي في شرح السنة :

والمنهي من الرقى ماكان فيه شرك ، أو كان بذكر مردة الشياطين ، أو ماكان منها بغير لسان العرب ، ولا يُدرى ماهو ، ولعله يدخله سحر ، أو كفر ، فأما ماكان بالقرآن ، وبذكر الله عز وجل ، فإنه جائز مستحب . اهـ .

قال الشوكاني في نيلِ الأوطار :

قال الربيع : سألت الشافعي عن الرقية فقال : لا بأس أن ترقى بكتاب الله وبما تعرف من ذكر الله . قلت : أيرقي أهلُ الكتاب المسلمين ؟ قال : نعم إذا رقوا بما يُعرفُ من كتاب الله وبذكر الله . اهـ .

أقول : وللشافعي فيما ذهب إليه من جواز رقية أهل الكتاب للمسلمين مايستدل به كما سنرى ، وإذا حدث شفاء فإن ذلك ليس من باب الكرامة للراقي ، وإنما هو من باب المعجزة لرسوله .

١٤٩٣ - * روى مسلم عن عِمران بن حُصينٍ رضي الله عنه قال : قال نبيُّ الله ﷺ : « يَدْخُلَ الجنَّةَ من أُمَّتي سبعون ألفًا بغير حساب » قالوا : ومَن هم يارسولَ الله ؟ قال : « هم الذين لا يَكْتَوُون ، ولا يَسْتَرْقُون ، وعلى ربهم يتوكَّلون » ، فقام عُكَّاشَةُ فقال : ادْعُ الله أن يجعلَني منهم ، فقال : « أنت منهم » ، فقام رجلٌ فقال : يانبيَّ الله ، ادْعُ الله أن يجعلني منهم ، قال : « سبَقَك بها عُكَّاشَةُ » .

وفي رواية [1] نحوه ، وزاد فيه « ولا يَتَطَيَّرُون » ولم يذكر فيها قول عكاشة إلى آخره .

١٤٩٣ - مسلم (١ / ١٩٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٩٤ - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب .

(١) مسلم : الموضع السابق .

١٤٩٤ - * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بنِ مسعود قال التزمنا الحديثَ عندَ رسول الله ﷺ ذاتَ ليلةٍ ثم غدونا إليه فقال : « عُرِضَتْ عليَّ الأنبياءُ الليلةَ بأتمها فجعل النبي يمر ومعه الثلاثةُ والنبيّ يمرّ ومعه العِصابةُ ، والنبي يَمرّ ومعه النَّفَرُ ، والنبي ليس معه أحدٌ ، حتى مر عليَّ موسى ﷺ معه كبكبةٌ من بني إسرائيلَ فأعجبوني فقلتُ : من هؤلاء ؟ فقيل هذا أخوك موسى معه بنو إسرائيلَ » ، قال : « فقلت فأين أمتي ؟ فقيل : لي : انظر عن يمينك فنظرت فإذا الأفق قد سُدَّ بوجوه الرجال فقيل لي أرضيت ؟ فقلت : رضيتُ ربِّ » قال : « فقيل لي إن مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب » . فقال النبي ﷺ : « فدى لكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين الألف فافعلوا ، فإن قصرتم فكونوا من أهل الضِّراب ، فإن قَصَّرتُم فكونوا من أهل الأُفق فإني قد رأيتُ ثمَّ ناسًا يتهاوشون » : فقام عكاشة بن محصن فقال : ادعُ الله لي يارسولَ الله أن يجعلني من السبعين ، فدعا له ، فقام رجل آخر فقال : ادعُ الله يارسولَ الله أن يجعلني منهم فقال : « سبقك بها عكاشة » . ثم تحدثنا فقلنا : من ترون هؤلاء السبعين الألف ؟ فقال : قوم ولدوا في الإسلام ثم لم يشركوا بالله شيئًا حتى ماتوا ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » .

١٤٩٥ - * روى البخاري عن عامرٍ عن عِمرانَ بن حُصَينٍ قال : لا رُقْيَةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ ، فذكرته لسعيدِ بن جُبيرٍ ، فقال : حدثنا ابنُ عباسٍ قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « عُرِضَت عليَّ الأمم ، فجعل النبيُّ والنَّبِيَّانِ يَمُرُّون معهم الرَّهْطُ ، والنبيُّ ليس معه أحدٌ ، حتى رُفع لي سوادٌ عظيم ، فقلت : ماهذا ؟ أمتي هذه ؟ قيل : بل هذا موسى وقومُه ، قيل : انْظُر إلى الأُفق ، فإذا سواد عظيمٌ قد ملأَ الأُفقَ ، ثم

١٤٩٤ - أحمد (١ / ٤٠١) .

والمعجم الكبير (١٠ / ٦) .

وكشف الأستار (٤ / ٢٠٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٥) . وقال : رواه أحمد بأسانيد ، والبزار أتم منه ، والطبراني وأبو يعلى باختصار كثير ، وأحد أسانيد أحمد والبزار رجاله رجال الصحيح .

١٤٩٥ - البخاري (١٠ / ١٥٥) ٧٦ - كتاب الطب ، ١٧ - باب من اكتوى أو كوى غيره ، وفضل من لم يكتو .

قيل لي : انظر هاهنا وهاهنا في آفاقِ السماء ، فإذا سواد قد ملأ الأفق ، قيل : هذه أمتك ، ويدخلُ الجنة من هؤلاء سبعون ألفًا بغير حساب » ثم دخل ولم يُبَيِّنْ لهم ، فأفاضَ القومُ ، وقالوا : نحن الذين آمنا بالله ، واتَّبَعْنا رسولَه ، فنحن هم ، أم أولادنا الذين وُلِدوا في الإسلام ، فإنَّا وُلِدْنَا في الجاهلية ، فبلغ النبيَّ ﷺ ، فخرجَ فقالَ : « هم الذين لا يَسْتَرْقُون ، ولا يتطيَّرون ، ولا يَكْتَوون ، وعلى ربهم يتوكلون » ، فقال عُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ : أمِنْهم أنا يارسولَ الله ؟ فقال :« نعم » ، فقال آخر : أمنهم أنا ؟ فقال : « سبقك بها عُكَّاشة » .

وللبخاري في أخرى [1] عن ابنِ عباسٍ قالَ : خرجَ علينا رسول الله ﷺ يومًا ، فقال : « عُرِضت عليَّ الأمم ، فجعل يَمُرُّ النبيُّ معه الرجلُ ، والنبيُّ معه الرجلان ، والنبيُّ معه الرَّهْطُ ، والنبيُّ ليس معه أحدٌ ، ورأيتُ سَوَادًا كثيرًا سَدَّ الأفق ، فَرَجوتُ أن تكون أمتي ، فقيل : هذا موسى ، ثم قيل : انظر ، فرأيت سوادًا كثيرًا سَدَّ الأفق ، فقيل : انظر هكذا وهكذا ، فرأيت سواداً كثيراً سَدَّ الأفق ، فقيلَ : هؤلاء أُمَّتُكَ ، ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخُلُون الجنة بغير حِساب » فتفرَّق الناسُ ، ولم يُبَيِّنْ لهم ، فتذاكرَ أصحابُ النبيِّ ﷺ ، فقالوا : أمَّا نحن فولدنا في الشِّرْكِ ، ولكنَّا آمنَّا بالله ورسوله ، ولكنّ هؤلاء هم أبناؤنا ، فبلغَ النبيَّ ﷺ ، فقال : « هم الذين لا يتطيَّرون ، ولا يَسترقون ، ولا يكْتَوون ، وعلى ربهم يَتوكَّلون » فقام عُكَّاشةُ ابنُ مِحْصَنٍ ، فقال : أمِنهم أنا يارسولَ الله ؟ قال : « نعم » ، فقام آخر ، فقال : أمِنهم أنا ؟ فقال : « سبقك بها عُكَّاشة » .

أقول : الرُّقْيَةُ في حق بعض الناس ليست هي الأكمل ؛ لأن لهم قدمًا عظيمًا في التوكل ، والإشارة في هذه الأحاديث إلى فضل ترك الاسترقاء من أمثال هؤلاء لا ينفي جواز الرقية فقد فعلها رسول الله ﷺ .

قال البغوي عند قوله : « لا رُقْيَةَ إلا من عين أو حمة أو نملة » :

---

(١) البخاري (١٠ / ٢١١) للوضع السابق .

ولم يُردِ به نفيَ جواز الرقية في غيرها ، بل تجوز الرقيةُ بذكر الله سبحانه وتعالى في جميع الأوجاع .

ومعنى الحديث : لا رقية أولى وأنفع منها . اهـ .

١٤٩٦ - * روى الترمذي عن المغيرة بن شُعْبةَ رضي الله عنه ، قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « مَنِ اكْتَوى أو اسْتَرْقَى ، فقد بَرِئَ من التَّوَكُّلِ » .

أقول : التقدير : فقد برئ من التوكل الكامل ، بدليل ماسيأتي من أن بعض الصحابة قد استرقوا وبعضهم قد اكتوى ففعلهم لا ينفي أن أصل التوكل موجود عندهم لكن كال التوكل يقتضي عدم الاكتواء والاسترقاء وهو مقام أصحابه في الأمة الإسلامية قلة .

١٤٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسولَ الله ﷺ رخَّص لأهل بيتٍ من الأنصار في الرُّقْيَةِ من كلّ ذي حُمَةٍ .

وفي رواية [١] قال : سألتُ عائشةَ عن الرُّقْيةِ من الحمة ؟ فقالت : رخص رسولُ الله ﷺ في الرقية من كلّ ذي حُمَةٍ .

أقول : لقد رأينا كلام العلماء أكثر من مرة : في أن الترخيص في الرقية المقيدة لا ينفي الإطلاق بدليل فعل الرسول ﷺ والصحابة كما سنرى .

١٤٩٨ - * روى البخاري عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه ، قالَ : أَذِنَ رسولُ الله ﷺ لآل بيتٍ من الأنصار أن يرقُوا من الْحُمَةِ والأُذُنِ ، قال أنسٌ : كُوِيتُ من ذاتِ الجَنبِ

١٤٩٦ - الترمذي (٤ / ٣٩٣) ٢٩ - كتاب الطب ، ١٤ - باب ما جاء في كراهية الرقية . وقال : حديث حسن صحيح .

وأحمد (٤ / ٢٤٩) .

وابن ماجه (٢ / ١١٥٤) ٣١ - كتاب الطب ، ٢٣ - باب الكي .

وابن حبان (٧ / ٦٢٩) .

١٤٩٧ - البخاري (١٠ / ٢٠٥) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٧ - باب رقية الحية والعقرب .

مسلم (٤ / ١٧٢٤) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

(١) البخاري : الموضع السابق .

١٤٩٨ - البخاري (١٠ / ١٧٢) ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٦ - باب ذات الجنب .

ورسولُ الله ﷺ حَيٌّ ، وشَهِدَني أبو طلحةَ ، وأنسُ بنُ النَضْر ، وزيد بنُ ثابتٍ ، وأبو طلحةَ كَوَاني .

قال ابن الأثير :.

(الحُمَة) بالتخفيف : سُمُّ العقرب ونحوها ، كالزُّنبُور وغيره ، وقد تُسمى إبرة العقرب والزنبور حُمَةً .

١٤٩٩ - * روى أبو داود عن الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها ، قالتْ : دخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وأنا عندَ حفصةَ ، فقالَ : « ألا تُعلِّمين هذه رُقْيَةَ النَّملة كما علَّمْتِيها الكتابةَ ؟ » .

١٥٠٠ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالتْ : كانَ رسولُ الله ﷺ إذا اشْتكى الإنسانُ الشيءَ منه ، أو كانت به قَرْحةٌ أو جرْحٌ ، قال بأصبعه هكذا - وضع سفيان سبَّابتَه بالأرض ثم رفعها - وقال : « بسم الله تُرْبةُ أرْضنا ، بريقَةِ بعضِنا ، يُشْفى به سقيمُنا ، بإذن ربِّنا » .

١٥٠١ - * روى الترمذي عن أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ كان يتعوَّذ ويقول: « أعوذ بالله من الجانّ ، ومن عين الإنسان » فلما نزلت المعوِّذتان ، أخذَ بها ، وترك ماسواها .

١٥٠٢ - * روى البخاري عن عبد العزيز بن صهيب قال : دخلتُ أنا وثابتٌ على أنسِ ابن مالك ، فقال ثابت ياأبا حمزةَ ، اشتكيتُ ، فقال أنسٌ : ألا أُرْقيك بُرقية رسول الله

١٤٩٩ - أبو داود (٤ / ١١) كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقى .

(النملة) : قروح في الجنب

١٥٠٠ - البخاري (١٠ / ٢٠٦) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٨ - باب رقية النبي .

مسلم (٤ / ١٧٢٤) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

١٥٠١ - الترمذي (٤ / ٣٩٥) ٢٩ - كتاب الطب ، ١٦ - باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين . وقال : حديث حسن غريب.

قال محقق الجامع ، وهو كما قال .

١٥٠٢ - البخاري (١٠ / ٢٠٦) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٨ - باب رقية النبي .

وأبو داود (٤ / ١١) كتاب الطب ، باب كيف الرقى .

=

ﷺ ؟ قال : بلى ، قال : « اللهمَّ ربَّ الناسِ ، مُذْهِبَ البـاسِ ، اشفِ ، أنتَ الشـافي ، لا شافِيَ إلا أنت ، شفاءً لا يغادِرُ سَقَمًا » .

١٥٠٣ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان يعوذُ بعضَ أهلـه ، يمسحُ بيده اليمنى ويقول : « اللهم رب الناس ، اذهب البأس ، اشف أنت الشافي ، لا شافي إلا أنت ، شفاء لا يغادر سقمًا » .

وفي روايـة [1] : فلما مرض ﷺ وثقل ، أخـذت بيـده لأصنع بـه نحو مـاكان يصنـع ، فانتزع يده من يدي ، ثم قال : « اللهم اغفر لي ، واجعلني مع الرفيق الأعلى » فذَهبتُ أنظر فإذا هو قد قضى .

١٥٠٤ - * روى مسلم عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنـه أن جبريل عليـه السلام أتى النبيَّ ﷺ ، فقال : يامحمد ، اشْتكيتَ ؟ فقال : « نعم » . قال : باسم الله أرقيـك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أرقيك .

١٥٠٥ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنهـا قـالت : كان رسولُ الله ﷺ إذا اشْتكى رَقَاهُ جبريلُ ، يقول : باسم الله يُبْرِيك ، ومن كل داءٍ يشفيك ، ومن شرِّ حاسدٍ إذا حَسد ، ومن شرِّ كلِّ ذي عين .

١٥٠٦ - * روى مسلم عن عثمان بن أبي العـاص الثقفي الطـائفي رضي الله عنـه أنـه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده مُنْذُ أَسْلَمَ ، فقـال لـه : « ضَعْ يـدَكَ على الـذي يَأْلم من جَسدِكَ ، وقل : بـاسم الله ، ثلاثَ مراتٍ ، وقُلْ سَبْعَ مَراتٍ : أَعُوذُ بـالله

= والترمذي (٣ / ٣٠٢) ٨ - كتاب الجنائز ، ٤ - باب ماجاء في التعوذ للمريض . وقال حديث حسن صحيح .

١٥٠٣ - البخاري (١٠ / ٢٠٦) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٨ - باب رقية النبي ﷺ .

مسلم (٤ / ١٧٢٢) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٩ - باب استحباب رقية المريض .

(١) مسلم (٤ / ١٧٢٢) الموضع السابق .

١٥٠٤ - مسلم (٤ / ١٧١٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٦ - باب الطب والمرض والرقى .

والترمذي (٣ / ٣٠٢) ٨ - كتاب الجنائز ، ٤ - باب ما جاء في التعوّذ للمريض . وقال : حديث حسن صحيح .

١٥٠٥ - مسلم (٤ / ١٧١٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٦ - باب الطب والمرض والرقى .

١٥٠٦ - مسلم (٤ / ١٧٢٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢٤ - باب استحباب وضع يده على موضع الألم ، مع الدعاء .

وقُدْرَتِه من شَرِّ ماأجد وأُحَاذِرُ » .

وعند الموطأ [١] « بعزة الله وقدرته من شرِّ ماأجد » قال : فقلتُ ذلك ، فأذهبَ اللهُ ما كان بي ، فلم أَزَلْ آمُرُ بها أهلي وغيرَهم .

وفي رواية الترمذي [٢] وأبي داود [٣] مثل الموطأ ، وأول حديثهما : أتاني رسولُ الله ﷺ وبي وجَعٌ قد كاد يُهلكني ، فقال رسولُ الله ﷺ : « امْسَحْ بيمينك سَبْعَ مَرَّات ، وقل : أَعُوذُ بعزَّةِ الله وقدرته » ... الحديث .

١٥٠٧ - * روى الترمذي عن محمد بن سالم الربعي البصري قالَ : قالَ لي ثابتُ البُنَاني : يامحمدُ ، إذا اشتكيتَ فضَعْ يدَك حيث تَشتكي ، ثم قلْ : « باسم الله ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ الله وقُدرتِه من شرِّ ماأجد من وجعي هذا » ، ثم ارْفَعْ يدَك ، ثم أَعِدْ ذلك وِترًا ، فإنَّ أنس بن مالكٍ حدَّثني : أن رسولَ الله ﷺ حدَّثه بذلك .

١٥٠٨ - * روى البخاري عن عبد اللهِ بن عباسٍ رضي الله عنهما أن نفرا من أصحاب رسولِ الله ﷺ مَرُّوا بماءٍ فيهم لَديغٌ - أو سَليم - فعرَض لهم رجلٌ من أهل الماء ، فقال : هل منكم من رَاقٍ ، فإن في الماء رجلاً لديغًا أو سليمًا ؟ فانطلقَ رجلٌ منهم ، فقرأ بفاتحةِ الكتابِ على شاءٍ ، فبرأ ، فجاء بالشاء إلى أصحابه ، فكَرِهُوا ذلك ، وقالوا : أخذتَ على كِتَابِ الله أجرًا ، حتى قَدِمُوا المدينةَ ، فقالوا : يارسولَ الله ، أخذ على كتابِ الله أجْرًا ، فقال رسولُ الله ﷺ : « إن أَحقَّ ماأَخذتم عليه أَجرًا كتابُ الله » .

١٥٠٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال : كنا في مسيرِ

---

(١) الموطأ (٢ / ٩٤٢) ٥٠ - كتاب العين ، ٤ - باب التعوذ والرقية في المرض .

(٢) الترمذي (٤ / ٤٠٨) ٢٦ - كتاب الطب ، ٢٩ - باب حدثنا إسحاق بن موسى ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) أبو داود (٤ / ١٢) ٢٧ - كتاب الطب ، باب كيف الرق .

١٥٠٧ - الترمذي (٥ / ٥٧٤) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ١٢٦ - باب في الرقية إذا اشتكى .

وقال حسن غريب من هذا الوجه ، قال محقق الجامع : وهو كما قال .

١٥٠٨ - البخاري (١٠ / ١٩٨) ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٤ - الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب .

١٥٠٩ - البخاري (٩ / ٥٤) ٦٦ - فضائل القرآن ، ٩ - باب فضل فاتحة الكتاب .

مسلم (٤ / ١٧٢٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢٣ - باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار .

لنا ، فنزلنا منزلا ، فجاءت جاريةٌ ، فقالت : إن سَيِّدَ الحيِّ سَلِيمٌ ، وإن نفَرنا غَيَبٌ ، فهل منكم رَاقٍ ، فقامَ معها رجلٌ ماكنا نأبُنَهُ برُقْيَة ، فَرَقاه فَبَرَأ ، فأمر له بثلاثين شاةً ، وَسقَانا لَبنًا ، فلما رجع قلنا له : أكنتَ تَحْسِنُ رُقْيةً ؟ أوْ : كنتَ ترقي ؟ قال : لا ، مارقيتُ إلا بأمِّ الكتاب ، قلنا : لا تُحْدثوا شيئًا حتى نأتيَ - أو نسأل - رسولَ الله ﷺ ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبيِّ ، فقال : « وما كانَ يُدْريه أنها رقية ، اقْسِمُوا ، واضْرِبُوا لي بسهم » .

وفي رواية [1] قالَ : انطلقَ نفرٌ من أصحابِ رسول الله ﷺ في سَفْرةٍ سافرُوها ، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العربِ ، فاسْتَضَافُوهُم ، فأبَوْا أن يُضيِّفُوهم ، فلُدغَ سيِّدُ ذلك الحيِّ ، فَسَعَوْا له بكل شيءٍ لا ينْفَعُه شيءٌ ، فقالَ بعضُهم : لو أتيتُم هؤلاء الرَّهْطَ الذين نزلوا بكم ، لعلهم عندهم بعضُ شيء ؟ فأتَوْهم ، فقالوا : ياأيها الرَّهْطُ ، إنَّ سيِّدَنا لُدغَ ، وسَعَيْنا له بكل شيءٍ لا ينفعه شيء ، فهل عند أحدٍ منكم من شيءٍ ؟ فقال بعضهم : إني والله لأرْقي ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضَيِّفُونا ، فما أنا براقٍ لكم حتى تَجْعَلُوا لنا جُعْلاً ، فصَالَحُوهم على قَطِيعٍ من الغَنَم ، فانطلق يَتْفُلُ عليه ويقرأ : ﴿ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمين ﴾ فكأنما أُنْشِطَ من عِقالٍ ، فانطلق يمشي ، وما به قَلَبَةٌ ، قال : فأوفَوْهم جُعْلَهُم الذي صَالحوهم عليه ، وقال بعضهم : اقْتَسِمُوا ، فقال الذي رَقَى : لا تفعلوا حتى نأتيَ النبيَّ ﷺ فنذكرَ له الذي كان ، فننظر الذي يأمرنا به ، فقَدِموا على النبيِّ ﷺ فذكروا له ، فقال : « وما يدريكَ أنَّها رُقْيَة ؟ » ثم قال : « قد أَصَبْتُم ، اقْسِمُوا ، واضْرِبوا لي معكم سهمًا » ، وضحك النبيُّ ﷺ .

وفي رواية الترمذي [2] قال : بعثَنا رسولُ الله ﷺ في سَرِيَّةٍ ... وذكر نحوه ، وفيه « أن أبا سعيد هو الذي رقاه ، وفيه : أنه قرأ ﴿ الحمد ﴾ سَبعَ مَرَّاتٍ ، وأن الغنم كانَتْ ثَلاثينَ شَاةً .

---

(١) البخاري (٤ / ٤٥٣) ٣٧ - كتاب الإجارة ، ١٦ - باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب .

(٢) الترمذي (٤ / ٣٩٨) ٢٩ - كتاب الطب ، ٢٠ - باب ما جاء في أخذ الأجرة على التعويذ .
وقال هذا حديث حسن .

قال ابن الأثير : .

(سَلِيم) السَّلِيم : اللَّدِيغ ، سُمِّيَ به تفاؤلا له بالسلامة .

(النَّفَر) هاهنا : الرجال خاصة ، أرادت : أن رجالنا غَيَبٌ ، والغَيَبُ : الغائبون عن الحي ، جمع غائب .

(نَأْبِنُهُ) أَبَنَه بكذا يَأْبِنُه ويَأْبُنُهُ : إذا اتَّهمَهُ به .

(جُعْلاً) الجُعْل : الأجرة التي تُجْعل لك على أمر تفعله .

(يَتْفُل) التَّفْل : أكثر من النفث ، فإن النفث لا يكون معه بزاق يُرَى ، والتفل لا بد له من ذلك .

(أُنْشِط من عِقَال) العِقَال : الحبل الذي تشد به ركبة البعير لئلا يَسْرَحَ ، وأَنْشَطتُ البعير : إذا حَلَلْتَ عِقَاله ، ونشطتُه : إذا شددته ، وقد جاء في بعض الروايات : « كأنما نُشِط من عِقال ، والمعروف : أُنشط .

(قَلَبَةَ) ما به قلبة ، أي : ما به عِلَّة ، قيل : هو مأخوذ من القُلاب وهو داءٌ يأخذ البعير ، فيشتكي منه قَلْبَه ، فيموت من يومه .

١٥١٠ - * روى أبو داود عن خارجة بنِ الصلتِ التيمي عن عمه علاقة بن صحار قال : أَقْبَلْنا من عند رسولِ الله ﷺ ، فأتينا على حيٍّ من العرب ، فقالوا : إنا قد أُنْبِئْنا أنكم قد جئتم من عند هذا الرجل بخير ، فهل عندكم من دواءٍ ، أو رُقْيَةٍ ، فإن عندنا مَعْتوهًا في القُيُودِ ؟ قال : فقلنا : نعم ، قال : فجاؤوا بِمعْتُوهٍ في القُيُودِ ، فقرأتُ عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام غُدْوَةً وعَشِيَّةً ، كُلَّما ختمتُها أَجْمَعُ بُزَاقي ، ثم أَتفُلُ ، قال : فكأنما أُنْشِطَ من عِقَال ، فأعْطَوني جُعلاً ، فقلتُ : لا ، حتى أسأل النبيَّ ﷺ فقال : « كُلْ ، فلَعمري مَن أكل برقيةِ باطل ، لقد أكلتَ برقيةِ حق » .

١٥١٠ - أبو داود (٤ / ١٤) كتاب الطب ، باب كيف الرُّقى ؟ .

(مَعتُوه) : المعتوه : المجنون .

وفي رواية [١] عن عمّه أنه أتى النبيَّ ﷺ فأسْلَمَ ، ثم أقبل راجعًا من عنده ، فمرّ على قومٍ عندهم رجلٌ مجنونٌ موثَقٌ بالحديد ، فقال أهلُه : إنَّا حُدِّثنا أنَّ صاحبكم هذا جاءكم بخير ، فهل عندك شيء تُداويه ؟ فَرَقَيْتُه بفاتحة الكتاب ، فَبَرَأ ، فأعطَوْني مائةَ شاةٍ ، فأتيت رسولَ الله ﷺ ، فأخبرته قال : « هل إلا هذا ؟ » - وفي رواية [٢] : « هل قلتَ غير هذا ؟ » - قلتُ : لا ، قال : « خُذها ، فَلَعَمْري لَمن أكل برُقيةِ باطلٍ ، لقد أكلتَ برقيةِ حق » .

١٥١١ - * روى مسلم عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما قال : أرْخَصَ رسولُ الله ﷺ في رُقْيَةِ الحَيَّةِ لبني عمرو بنِ حزمٍ ، قال أبو الزبير : فسمعتُ جابرَ بنَ عبدِ الله يقول : لَدَغَتْ رجلاً منا عقْرَبٌ ، ونحنُ جلوسٌ مع رسولِ الله ﷺ ، فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ، أرْقي ؟ قال : « مَن استطاع منكم أن ينفعَ أخاه فَلْيفْعَلْ » .

وفي رواية [٣] قال : رخَّص النبيُّ ﷺ لآل حزمٍ في رقية الحية ، وقال لأسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ : « مالي أرى أجسام بني أخي ضَارِعةً ، تُصيبُهم الحاجةُ » ، قالت : لا ، ولكنِ العَيْنُ تُسْرِعُ إليهم ، قال : « ارْقِيهم » ، قالت : فعرضتُ عليه ، فقال : « ارقيهم » .

وفي أخرى [٤] قال جابر : كان لي خالٌ يَرْقِي من العقرب ، فنهى رسولُ الله ﷺ عن الرُّقَى ، قال : فأتاه ، فقالَ ، يا رسولَ الله ، إنَّك نَهيْتَ عن الرُّقى ، وإني أرْقِي من العقرب ؟ فقال : « مَن استطاع منكم أن ينفعَ أخاه فليفعلْ » .

وفي أخرى [٥] قال : نهى رسولُ الله ﷺ عن الرُّقى ، فجاء آلُ عمرو بنِ حزمٍ إلى رسولِ الله ﷺ ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إنه كانت عندنا رُقْيَةٌ نرقي بها من العقرب ، وإنك نهيتَ

---

(١) أبو داود (٤ / ١٣) الموضع نفسه .

(٢) أبو داود (٤ / ١٣) الموضع نفسه .

١٥١١ - مسلم (٤ / ١٧٢٦) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

(٣) ، (٤) ، (٥) مسلم : الموضع السابق .

(ضَارِعة) : رجل ضارع الجسم ، أي : ضعيف الجسم ، ناحل الجسم .

عن الرُّق ، قال : فعرضوها عليه ، فقال : « ما أرى بأسًا ، من استطاع منكم أن ينفعَ أخاه فليفعلْ » .

١٥١٢ ـ * روى ابن ماجة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : لَدَغَتْ عَقْرَبٌ رَجُلاً فَلَمْ يَنَمْ لَيْلَتَهُ . فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ فُلاَنًا لَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ فَلَمْ يَنَمْ لَيْلَتَهُ . فَقَالَ : « أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَالَ ، حِينَ أَمْسَى : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، مَا ضَرَّهُ لَدْغُ عَقْرَبٍ حَتَّى يُصْبِحَ » .

قال في النهاية :

(أعوذ بكلمات الله التامات) : إنما وصف كلامه بالتام لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب . كما يكون في كلام الناس . وقيل : معنى التمام ههنا أنها تنفع المتعوِّذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه .

١٥١٣ ـ * روى ابن ماجه عن عائشة ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ فِي ٱلرُّقْيَةِ .

١٥١٤ ـ * روى الترمذي عن أبي خزامة عن أبيه قال : قلتُ : يا رسولَ الله أرأيْتَ رُقَاةً نَستَرقي بها ، ودَوَاءً نتَداوى به ، وتُقَاةً نَتَّقيها : هل تَرُدُّ من قَدَرِ الله شيئًا ؟ قال : « هو من قَدَرِ الله » .

١٥١٥ ـ * روى مالك عن عائشة رضي الله عنها قالتْ : دخل عليَّ أبو بكر ويهوديةٌ ترْقيني ، فقال : ارقيها بكتاب الله .

أخرجهَ الموطأ عن عَمْرَة : أن أبا بكرٍ دخل على عائشة وهي تشتكي ويهوديةٌ ترقيها ..

١٥١٢ ـ ابن ماجه (٢ / ١١٦٢) ٣١ ـ كتاب الطب ، ٣٥ ـ باب رقية الحية والعقرب .

في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

١٥١٣ ـ ابن ماجه (٢ / ١١٦٦) ٣١ ـ كتاب الطب ، ٣٨ ـ باب النفث في الرقية . وإسناده صحيح .

١٥١٤ ـ الترمذي (٤ / ٣٩٩) ٢٩ ـ كتاب الطب ، ٢١ ـ باب ما جاء في الرُّقى والأدوية . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(تُقَاةً) : التُّقاةُ : ما يُتَّقى ويُحذَر .

١٥١٥ ـ الموطأ (٢ / ٩٤٣) ٥٠ ـ كتاب العين ، ٤ ـ باب التعوذ والرقية في المرض . ورجال إسناده ثقات .

١٥١٦ ـ * ابن مـاجـة عن شقيـق بن سلمـة قـال : سمعت عبـد الله يقـول : عليكم بالشِّفَاءَيْنِ : القرآنِ ، والعسلِ .

١٥١٧ ـ * روى أحمد عن محمد بنِ حاطبٍ قـال : دَنيتُ إلى قِـدْرٍ وهي تغلي ، فـأدخلتُ يدي فيها فـاحترقت ، أو قـال فورمَتْ . فـذهبتْ بي أمي إلى رجلٍ بـالبطحـاء فقـال شيئًـا ونفثَ ، فلمـا كان في إمرة عثمانَ قلت لأمي : من كان ذلـك الرجـلُ ؟ قـالتْ : رسـولُ الله ﷺ . ورواه الطبـراني بنحوه [١] ، إلا أنها قالت : يا محمدُ احترقت يد محمدٍ .

وفي رواية [٢] عنده : فانطلقت بي أمي إلى رجل جالس في الجبانـةِ فقـالتْ : يـا رسولَ الله ، فقـالَ : يـالبيـك وسعـديـك ، ثم أدنتني منـه ، فجعـلَ ينفثُ ويتَكلّمَ بكـلام لا أدري ما هو ، فسألت أمي بعد ذلك ما كان يقولُ ؟ قـالت : كان يقول : « أذهب البـاس ربَّ الناسِ اشفِ أنتَ الشافي لا شَافِيَ إلا أنت » .

١٥١٨ ـ * روى أحمـد عن محمـدِ بنِ حـاطبٍ قـالَ : انصبَّ علي يـدي شيء من قِـدرٍ ، فـذهبتْ بي أمي إلى رسـولِ الله ﷺ وهـو في مكان : قـال : فقـال كـلامًـا فيـه : « أذهب الباس ربَّ الناسِ » أحسبُه قال : « واشفـ أنت الشافي » قال : وكان يتفَلُ .

١٥١٩ ـ * روى الطبراني عن عليٍّ قـال : لـدغت النبيَّ ﷺ عقربٌ وهو يُصلي فلمـا فَرَغَ قال : « لعن اللهُ العقربَ لا تدع مصليًا ولا غيره » ثم دعا بماء وملح فجعلَ يمسَحُ عليها

١٥١٦ ـ ابن ماجه (٢ / ١١٤٢) ٣١ ـ كتاب الطب) ، ٧ ـ باب العسل .

في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

والحاكم (٣ / ٢٠٠)وصححه ، ووافقه الذهبي .

وفيض القدير (٤ / ٣٤٢) وقال المناوي : قال البيهقي في « شعب الإيمان » : الصحيح موقوف على ابن مسعود .

١٥١٧ ـ أحمد (٣ / ٤١٨) ،

ومجمع الزوائد (٥ / ١١٢) . وقال ورجال أحمد ، ورجال هذه الطريق رجال الصحيح .

(١) مجمع الزوائد (٥ / ١١٣) .

(٢) أحمد : الموضع السابق .

١٥١٨ ـ أحمد (٤ / ٢٥٩) ، (٣ / ٤١٨) .

مجمع الزوائد (٥ / ١١٢) . وقال : رجال أحمد رجال الصحيح .

١٥١٩ ـ الروض الداني (٢ / ٨٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ١١١) ، قال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير و إسناده حسن .

ويقرأ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ و﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ .

١٥٢٠ - * روى مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كنا نَرقي في الجاهلية ، فقلنا : يا رسولَ الله ، كيف ترى في ذلك ؟ قال : « اعْرِضُوا عليَّ رُقاكم » ، ثم قال : « لا بأس بما ليس فيه شِرْكٌ » .

١٥٢١ - * روى الطبراني عن عبادةَ بنِ الصامتِ قال : كنت أرقي من حُمَةِ العين في الجاهلية ، فلما أسلمت ذكرتُها لرسول الله ﷺ ، فقال : « اعرضها عليّ » فَعَرَضْتُها عليه فقال : « ارق بها فلا بأس بها » ولولا ذلك ما رقيتُ بها إنسانًا أبدًا .

١٥٢٢ - * روى أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالتْ زينبُ امرأتُه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن الرُّقَى والتَّمائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ » ، قالت : قلت : لِمَ تقولُ هذا ؟ والله ، لقد كانت عيني تَقْذِفُ ، وكنت أَخْتَلِفُ إلى فلانِ اليهوديِّ فيَرْقِيني ، فإذا رَقَاني سَكَنَتْ ، فقال عبدُ الله : إنما ذلك عملُ الشيطان ، كان يَنْخَسُها بيده ، فإذا رَقَاها كَفَّ عنها ، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقولُ : « أذهِبِ الباسَ ، ربَّ الناسِ ، اشْفِ أنتَ الشَّافي ، لا شِفَاءَ إلا شِفَاؤكَ ، شِفَاءً لا يُغادرُ سَقَمًا » .

قال البغوي في شرح السنّة :

والتوِلَةُ : ضرب من السحر . قال الأصمعي : وهو الذي يحبب المرأة إلى زوجها ، وهو بكسر التاء ، فأما التُولةُ بضم التاء : فهو الداهية اهـ .

١٥٢٠ - مسلم (٤ / ١٧٢٧) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢٢ - باب لا بأس بالرُّقى ما لم يكن فيه شرك .

وأبو داود (٤ / ١٠) كتاب الطب - باب ما جاء في الرُّقي .

١٥٢١ - مجمع الزوائد (٥ / ١١١) وقال الهيثمي : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٥٢٢ - أبو داود (٤ / ٩) كتاب الطب - باب في تعليق التمائم .

(التِّوَلة) : بكسر التاء وفتح الواو : ما يُحَبِّبُ المرأة إلى زوجها من أنواع السحر ، وقيل : التِّوَلَة - بكسر التاء وضمها - شبيه بالسحر .

١٥٢٣ - * روى أبو داود عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنه ، رفعه : « من عـادَ مريضًـا لم يحضر أَجَلُـهُ فقـالَ عنـده سبعَ مرات » : « أسـألُ الله العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يَشْفيَك ، إلا عافاه الله من ذلك المرضِ » .

١٥٢٤ - * روى الطبراني عن رافع بن خديج قـال دخل رسول الله ﷺ على ابنِ نُعيمـانَ فقال : « أذهب الباس رب الناس إلهَ الناس » .

* * *

١٥٢٣ - أبو دواد (٣ / ١٨٧) كتاب الجنائز - باب الدعاء للمريض عند العيادة .

والترمذي (٤ / ٤١٠) ٢٩ - كتاب الطب ، ٢ - باب حدثنا محمد بن المثنّى ... وقال : حديث حسن غريب .

والمستدرك : (٢ / ٢١٣) وصححه ، ووافقه الذهبي .

١٥٢٤ - مجمع الزوائد (٥ / ١١٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

الفصل الخامس

في:

النذر

وفيه:

عرض إجمالي وفقرات ومسائل وفوائد



عرض إجمالي

أدخلْنا فصل النذر في مباحث العقائد ؛ لأن النذر في الأصل إنشاء عبادة ، وقد وقع بعض الناس في صور من الغلو في النذر تقتضي تصحيحًا ، ومن ههنا أدخلناه في مباحث العقيدة ، وإن جرت عادة الفقهاء أن يدخلوه في أبواب الفقه . ونحن إذ أدخلناه ههنا فإنّا سنتحدث عن بعض مسائله في الأقسام التالية : فأول ما نتكلم به عن النذر هو أن الأصل في المسلم أن يبتعد عن النذور ، وأن يفعل الخير ما استطاع دون أن ينذر ؛ لأنه إذا نذر ما يجب الوفاء به فقد يدخله ذلك في دائرة الحرج ؛ لأنه قبل النذر يكون في فسحة ، فإذا نذر ما يجب الوفاء به افترض عليه الوفاء لقوله تعالى : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ (١) ، ﴿ يوفون بالنذر ﴾ (٢) ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ (٣) ، ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ (٤) ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾ (٥) ، والنذر نوع من العهد من الناذر مع الله عز وجل ويدخل في العقود والعهود .

ومن ثم قال الشافعية والحنابلة : النذر مكروه كراهة تنزيه لا تحريم : وقال الحنفية : هو مباح في الطاعات . وفرّق المالكية بين النذر المطلق واعتبروه مندوبًا ، وبين النذر المكرر ، كصوم كل يوم خميس مثلا فمكروه .

ولا يصح النذر من الصبي أو المجنون أو الكافر . والنذر على أنواع : الأول : قربة ، فيجب الوفاء بها على تفصيل بين المذاهب ، الثاني : معصية ، فيحرم الوفاء بها ، وهناك خلاف حول وجوب كفارة اليمين بمثل هذا النذر ، الثالث : المكروه : فيكره الوفاء به ، وهو كسابقه في وجوب كفارة اليمين في الخلاف ، والنوع الرابع : النذر المباح ، فيباح الوفاء به وتركه وفيه تفصيلات :

أما بالنسبة للنذر بقربة ، فيفرق الحنفية بين القربة المقصودة لذاتها من جنسها واجب ، وبين القربة التي ليست مقصودة بذاتها وليس من جنسها واجب .

---

(١) الحج : ٢٩ .
(٢) الإنسان : ٧ .
(٣) المائدة : ١ .
(٤) الإسراء : ٣٤ .
(٥) النحل : ٩١ .

فالشافعيـة : أوجبوا الوفـاء بكل قربـة كعيـادة المريض والسلام والزيـارة والصوم والحج والاعتكاف ، وأما الحنفيـة : فلم يوجبوا الوفـاء إلا بنـذر عبـادة مقصودة لـذاتهـا من جنسهـا واجب : كصلاة وصيـام ، أمـا مـا لم يكن من جنسهـا واجب فلا يجب الـوفـاء بـه كعيـادة المرضى والوضوء وتكفين الميت ومس المصحف والأذان وبناء المساجد ومن نـذر المعصيـة يحرم عليه الوفاء بها ولا يجب عند الجمهور على الناذر شيئًـا ، وقـال أبو حنيفـة والحنـابلـة : عليـه كفارة يمين .

وكذلك النذر بالمكروه : يكره الوفاء به وعلى صاحبه كفارة يمين عند الحنفية .

وأمـا إذا نـذر المبـاح ، فيبـاح لـه أن يفعلـه أو أن يتركـه ، وقـال الحنفيـة والمـالكيـة والشافعية : في الأصح لا كفارة عليه إن لم يفـِ بنـذره ، وقـال الجنـابلـة : إن لم يفـِ فعليـه كفارة يمين .

والصيغة التي ينعقد بها النذر عند الحنفية هو النذر لله صراحـة أو ضمنًـا مثل قولـه : لله عليّ كذا ، أو عليّ كذا ، أو عليّ نذر أو هذا هدي أو صـدقـة ، أو مـالي صـدقـة أو مـا أملك صدقة .

والنـذر في العـادة على نوعين : مطلق ومقيـد ، فـالمطلق مثل أن يقول : عليّ أن أصـوم كـذا ، أو أصلي كـذا ، وأمـا المقيـد فهو المعلـق بشرط كقـولـه : إن قـدم فـلان أو شفى الله مريضي فعليّ كذا .

وكلا النوعين يجب الوفاء به إذا تحققت شروط وجوب الوفاء .

ولا يعتبر النذر بالفريضة أو الواجب سواءً عينيًا أو كفائيًا من باب النذر ؛ لأنه واجب في أصل الشرع ، ولكنه يتأكد القيام به .

ومن كلام الشافعية : أن نذر اللجـاج يسمى أيضًـا يمين اللجـاج والغضب ويمين الغلق ، وهو الذي قصد به الناذر حث نفسه على فعل شيء أو منعها غير قاصـد للنـذر ولا القربـة ، مثل قوله : إن لكمت فلانًا فللّه عليّ صوم ، فالأظهر عندهم في هذا النوعَ أن الناذر بـالخيـار إن شاء وفّى بما التزم ، وإن شاء كفّرَ كفارة يمين . وقال الحنابلةُ مثلَ ذلك .

١٥٣٧

وإن نذر صلاة ركعتين في المسجد الحرام فأداها في ما هو أقل شرفًا منه أو في أرض عادية أجزأه عند أئمة الحنفية ما عدا زفر ، وقال المالكية : يلزمه أن يؤدي الصلاة والاعتكاف في المكان الذي سمّى ، وقال الشافعية إذا نذر الصلاة أو الاعتكاف في المساجد الثلاثة : المسجد الحرام أو مسجد المدينة أو مسجد الأقصى ، لزمه الأداء في المكان وكذلك قال الحنابلة .

* * *



الفقرات



الفقرة الأولى

في :

حكم النذر ومتى يجب الوفاء به

١٥٢٥ - * روى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لا يَأْتِي ابنَ آدَمَ النَّذْرُ بَشيءٍ لَمْ أَكُنْ قَدَّرتُه لَهُ ، وَلكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إلى القَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ ، فَيَسْتَخرَج بهِ مِن البَخِيلِ ، فيؤْتِيني عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِيني عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ » .

وفي روايةٍ[1] : أنَّ النبي ﷺ قَالَ : « لا يأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بَشيءٍ لَمْ يَكُنْ قَدَّرْتُهُ له ، وَلَكِنْ يُلْقِيه النَّذْرُ وَقَدْ قَدَّرْتُه لَهُ ، يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ » .

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ[2] : أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ : « إنَّ النَّذْرَ لا يُقَرِّبُ مِن ابنِ آدم شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ ، وَلَكِنَّ النَّذرَ يُوَافِقُ القَدَر ، فَيُخْرَجُ بذلِك مِن البخيلِ مَا لَمْ يكُنِ البَخِيل يُرِيدُ أَنْ يُخرجَ » .

وفي أخرى له[3] عن النبيِّ ﷺ أنه نهى عن النذر ، وقال : « إنَّه لا يردُّ من القَدَرِ شيئًا ، وإنما يستخرَج به من البخيل » .

وفي أخرى[4] أن النبيَّ ﷺ قال : « لا تنذِروا ، فإن النذرَ لا يغني من القَدر شيئًا ، وإنما يستخرَج به من البخيل » .

١٥٢٥ - البخاري (١١ / ٥٧٦) ٨٣ - كتاب الإيمان والنذور ، ٢٦ - باب الوفاء بالنذر ، وقول الله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ﴾ .

قال ابن حجر في (فتح الباري) : هذا من الأحاديث القدسية لكن سقط منه التصريح بنسبته إلى الله عز وجل .

(١) البخاري (١١ / ٤٩٩) ٨٢ - كتاب القدر ، ٦ - باب إلقاء العبد النذر إلى القدر .

(٢) مسلم (٣ / ١٢٦٢) ٢٦ - كتاب النذر ، ٢ - باب النهي عن النذر وأنه لا يردُّ شيئًا .

(٣) مسلم : الموضع السابق .

(٤) مسلم : الموضع السابق .

قال ابن الأثير :

(النهي عن النذر) إنما هو تأكيد لأمره ، وتحذير عن التهاون به بعد إيجابه ، ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل ، لكان في ذلك إبطال حكمه ، وإسقاط لزوم الوفاء به ، إذ كان بالنهي يصير معصية ، فلا يلزم الوفاء به ، وإنما وَجْهُ الحديث : أنه قد أعلمهم أن ذلك أمر لا يَجُرُّ لهم في العاجل نفعًا ، ولا يصرف عنهم ضرًّا ، ولا يرد قضاءً ، فلا تنذروا على أنكم تدركون بالنذر شيئًا لم يقدّره الله لكم ، أو يصرف به عنكم ما جرى به القضاء عليكم ، فإذا فعلتم ذلك فاخرجوا عنه بالوفاء ، فإن الذي نذرتموه لازم لكم .

١٥٢٦ - * روى الطبراني عن ابن عمر : نهى النبي ﷺ عن النذر وأمر بالوفاء به .

وفي أصل النذر قالت المذاهب الأربعة ما يلي :

الحنابلة - قالوا : النذر مكروه ولو عبادة لنهيه عليه الصلاة والسلام عنه وقال : « إنه لم يأت بخير » « وإنما يُستخرَج به من البخيل » ، والنذر لا يَرد قضاء ولا يملك الناذر به شيئًا جديدًا ولا يَرفع واقعًا ، فإذا وقع منه وجب الوفاء به ... [على تفصيل] .

المالكية - قالوا : النذر المطلق مندوب ، وهو ما أوجبه على نفسه شكرًا لله تعالى على ما حصل ووقع فعلا من نعمة أو دفع نقمة ، كمن نجّاه الله من كربة أو شفى مريضه أو رزقه مالاً أو علمًا فنذر لله قربة يفعلها شكرًا ، فالإقدام على مثل هذا النذر مندوب والوفاء به فرض لازم . أما النذر المعلق : وهو أن ينذر قربة معلقا على شيء في المستقبل محبوب وليس للعبد فيه مدخل كقوله : إن شفى الله مريضي فعليّ كذا فاختلف فيه ؛ فبعضهم يقول بالكراهة وبعضهم يقول بالجواز ، ومحل هذا فيمن لا يعتقد أن مثل هذا النذر نافع في حصول غرضه ، وإلا كان محرمًا والناذر الذي يعتقد أن نذره ينفع يخالف قول النبي ﷺ ، إنه لا ينفع فإذا وقع يجب الوفاء به ، وإذا علق النظر على أمر من فعل العبد كقوله : إن فعلت كذا فعليّ كذا فإنه مكروه بلا خلاف وكذا إذا نذر نذرًا مكروهًا كأن نذر أن يصوم كل يوم فإنه يثقل على النفس فعله فيكره ويجب الوفاء بها بعد وقوعها على أي حال . أما

١٥٢٦ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨٥) وقال : رواه الطبراني في الكبير بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح .

نذر مالا طاقة له به فهو حرام .

الحنفية ـ قالوا : النذر الصحيح المستكمل للشروط الآتية قربة مشروعة ، أما كونه قربة فلِمَا يلازمه من القرب كالصلاة والصوم والحج ونحوهما ، وأما كونه مشروعًا فللأوامر الواردة بإيفائه .

الشافعية ـ قالوا : الإقدام على النذر قربة في نذر التبرر ، لأنه مناجاة لله تعالى ، ولذلك لا يصح من الكافر . مكروه في نذر اللجاج . اهـ (من الفقه على المذاهب الأربعة) . وها نحن ننقل لك من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ما تعرف به شروط وجوب النذر عند الحنفية :

قال صاحب كتاب الفقه على المذاهب الأربعة معرفًا النذر وذاكرًا شروط وجوب الوفاء به على مذهب الحنفية :

النذر هو أن يوجب المكلف على نفسه أمرًا لم يلزمه به الشارع .

وحكمه وجوب الوفاء به متى كان صحيحًا مستكملا للشرائط الآتي بيانُها لقول الله تعالى : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ .

ولابد للناذر من أن ينذر لله تعالى ، فلا يحل النذر لولي ولا لمقرب وإن وقع يكون باطلاً . ويشترط لصحة النذر سبعة شروط :

الأول : أن يكون من جنس المنذور فرض أو واجب اصطلاحي على الأصح كالصوم والصلاة والصدقة ، فإذا نذر أن يصوم تطوعًا فإنه يجب عليه الوفاء ؛ لأن الصوم من جنسه فرض وهو صوم رمضان . وكذا إذا نذر أن يصلي نافلة فإنه يجب عليه الوفاء ؛ لأن الصلاة من جنسها واجب هو الصلوات الخمس . وكذا إذا نذر أن يتصدق فإن الصدقة من جنسها واجب وهو الزكاة إلا الاعتكاف فإنه يجب عليه الوفاء بنذره ، مع أنه ليس من جنسه واجب على التحقيق ، لأن الإجماع منعقد على وجوب الوفاء بنذره .

وإذا لم يكن من جنس المندور فرض أو واجب اصطلاحي فإنه لا يجب على الناذر الوفاء به كعيادة المريض ، ودخول المسجد ولو مسجد الرسول ﷺ ، أو المسجد الأقصى . أو

الحرم المكي ، لأنه ليس من جنسها فرض مقصود . وكذا لو نذر تسبيحًا أو دعاء عقب الصلاة فإنه لا يجب الوفاء به ؛ لأنه ليس من جنسه فرض . أما إذا نذر تكبيرًا فإنه يجب الوفاء به ؛ لأن التكبير من جنسه فرض وهى تكبيرة الإحرام . وكذا إذا نذر الصلاة على النبي ﷺ فإنه يجب الوفاء به على الصحيح ؛ لأنه من جنسها فرضٌ وهو الصلاة عليه في العمر مرة .

الثاني : أن يكون المنذور عبادة مقصودة ، فلا يصح النذر بما هو وسيلة كالوضوء ، والاغتسال ، ومس المصحف ، والأذان ، وتشييع الجنازة وعيادة المريض ، وبناء المساجد وغير ذلك ، فهذه الأمور وإن كانت قربة إلا أنها غير مقصودة لذاتها ، بل المقصود هو ما يترتب عليها ، فالضابط الكلي في صحة النذر : أن يكون المنذور عبادة مقصودة من جنسها فرض .

الثالث : أن لا يكون المنذور معصية لذاته ، فإذا نذر أن يقتل فلانا أو يشرب الخمر أو يزني كان يمينًا ولزمته الكفارة بالحنث . أما إذا نذر أن يصوم يوم عيد الفطر أو الأضحى فإنه يكون قد نذر محرمًا لعارض لا لذاتها ، فإن الصيام في ذاته طاعة ، وتحريمه في هذا اليوم عارض بنهي الشارع ، فيصح نَذره ويلغو لأنه يوم العيد فيجب قضاؤه في يوم آخر . ومثله ما إذا نذر أن يصلي ركعتين من غير وضوء ، فإنه يصح نذره ؛ لأن نذر الصلاة صحيح ويلغو قيد من غير وضوء ، فيجب أن يصلي ركعتين بوضوء ، لأن التزام المشروط وهو الصلاة التزام الشرط وهو الوضوء ، وكذا نذر أن يصلي ركعة واحدة فإنه يلزمه أن يصلي ركعتين . وكذا نذر أن يصلي ثلاثة فإنه يلزم بأربعة .

الرابع : أن لا يكون فرضًا عليه قبل النذر ، فلو نذر حَجة الإسلام لم يلزمه شيء غيرها .

الخامس : أن لا يكون ما التزمه أكثر مما يملكه ، فلو نذر ألفا وهو لا يملك إلا مائة يلزم بالمائة فقط .

السادس : أن يكون ممكن الوقوع ، فلو نذر مستحيلاً كأن يصوم أمس فإنه لا يصح نذره ، وكذا إذا نذرت الحائض أن تصوم أيام حيضها فهو باطل ؛ لأن صوم أيام الحيض

مستحيل شرعًا ، وكذا إذا نذرت أن تصوم غدًا ثم أصبحت حائضًا فإن نذرها باطل ، وهذا عند محمد ، وقال أبو يوسف : يجب عليها القضاء في الصورة الثانية .

السابع : أن لا يكون ملكًا للغير .

واعلم أن النذر المطلق لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا دراهم ولافقير ، فإذا نذر أن يتصدق يوم الجمعة بهذا الدرهم على فلان فتصدق يوم الخميس أو يوم السبت بغير هذا الدرهم على شخص آخر جاز . وكذا لو عين شهرًا للاعتكاف أو للصوم فعجل صح ، وكذا إذا نذر أن يحج سنة كذا فحج سنة قبلها صح ، أما النذر المعلق فإنه يتعين فيه الوقت فقط : إذ لا يصح تقديمه على وقوع المعلق عليه بخلاف تأخيره عنه فإنه جائز . أما تعيين الفقير والدرهم.والمكان فيه فليس بلازم ، فيصح أن يدفع غير الدرهم المنذور لفقير آخر غير الذي ذكره ، فلو نذر لفقراء مكة جاز الصرف لفقراء غيرها ، سواء كان النذر مطلقًا أو معلقًا .

والنذر عمل اللسان ، والقياس يقتضي أنه لا ينعقد إلا بلفظ : لله عليّ كذا ، أو عليّ كذا ، أما إذا قال : إن عوفيت صمت كذا ، فإنه لا ينعقد به النذر قياسًا ، وينعقد استحسانًا . اهـ .

* * *

الفقرة الثانية

في :

النذر فيما لا يطيق

١٥٢٧ - * روى البخاري ومسلم عن عُقْبة بن عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : نَذَرَتْ أُخْتِي أَنْ تَمْشِي إلى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ حَافِيَة ، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أَسْتَفْتِيَ لَهَا رَسُول اللهِ ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُهُ ، فَقَالَ : « لِتَمْشِ و لْتَرْكَبْ » .

وفي رواية الترمذي [١] : حافيةً غير مُختمِرةٍ ، فقال : « مُرُوْهَا فلتختمر ولتركَبْ ولْتَصُمْ ثلاثة أيام » .

وأخرج أبو داود الروايتين [٢] ، وأخرج النسائي [٣] الثانية .

قال البغوي في شرح السنة :

« نذرها ترك الاختمار معصية ، لأن ستر الرأس واجب على المرأة ، فلم ينعقد فيه نذرها ، وكذلك الحَفاء ، ولو نذر رجل أن يحجَّ حافيًا ، فلا يلزم الحفاء أيضاً لما فيه من إتعاب البدن ، ولو نذر أن يحج ماشيًا يلزمه المشي إلا أن يعجز ، فيركب من حيث عجز ، ويلزمه المشي من دُويرة أهله ، وقيل : من الميقات ، وإذا ركب لعجز هل يلزمه شيء أم لا ؟ اختلف أهل العلم فيه ، فذهب أكثرهم إلى أن عليه دمَ شاة ، وهو قول مالك ، وأظهرُ قولي الشافعي ، وأصحها ، وذهب بعضهم إلى أنه لا يجب إلا على وجه الاحتياط لحديث أنس أنه أمره بالركوب مَطلقًا ، ولم يأمره بفدية وحيث أمر ، فاستحباب ، كما رُوي : « وَلْتُهْدِ بَدَنَةً » ، ولا تجب البَدَنَةُ لزومًا » اهـ .

١٥٢٧ - البخاري (٤ / ٧٩) ٢٨ - كتاب جزاء الصيد ، ٢٧ - باب من نذر المشي إلى الكعبة .

مسلم (٣ / ١٢٦٤) ٢٦ - كتاب النذر ، ٤ - باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة .

(١) الترمذي (٤ / ١١٦) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، باب حدثنا محمود بنُ غيلان ... إلخ . وقال : حديث حسن.

(٢) أبو داود (٣ / ٢٣٣) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية .

(٣) النسائي (٧ / ١٩) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ٣٢ - باب من نذر أن يمشي إلى بيت الله تعالى .

١٥٢٨ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عَباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إنَّ أُخْتِي نَذَرَت أن تَمْشِي إلى البَيْتِ - أَوْ قَالَ : أَنْ تَحجَّ مَاشِيَةً - فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ لا يَصْنَعُ بشَقَاءِ أُخْتِكَ شَيْئًا ، فَلْتَحُجَّ رَاكِبَةً ، ولْتُكَفِّرْ يَمِينَهَا » .

أقول : إن على المسلم أن يحتاط فلا ينذر ، وإذا نذر فبما يطيق ويتورط كثيرون من الناس ، فينذرون ما لا يطيقون ، والحديث يفتيهم أن يدفعوا كفارة يمين عما عجزوا عن الوفاء به .

١٥٢٩ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما قَالَ : إنَّ أختَ عُقبة بن عامرٍ نَذَرَتْ أن تَحجَّ مَاشِيَةً ، وَإنَّهَا لا تُطِيقُ ذلِكَ ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « إنَّ الله لَغَنِيٌّ عَنْ مَشْيِ أُخْتِكَ ، فَلْتَرْكَبْ ، وَلْتُهْدِ بَدَنَةً » .

وفي أخرَى [(١)] : « إنَّ اللهَ تَعَالَى لا يصْنَعُ بِمَشْيِ أُخْتِكَ إلى البَيْت شَيْئًا » .

أقول : مر معنا قول البغوي : إن قوله عليه الصلاة والسلام : « ولتهد بدنة » ليس محمولا على اللزوم ، وإذن فهو محمول على الاستحباب .

١٥٣٠ - * روى البخاري ومسلم عن أَنس بن مالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابنَيْه ، فَقَالَ : « مَا بَالُ هذَا ؟ » قَالُوا : نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ ، قَالَ : « إنَّ الله عَنْ تَعْذِيبِ هذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ » ، وَ أَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ » .

١٥٢٨ - أبو داود (٣ / ٢٣٤) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية . وهو حديث صحيح .

١٥٢٩ - أبو داود (٣ / ٢٣٤) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية . وهو حديث صحيح .

(١) أبو داود (٣ / ٢٣٦) : الموضع السابق . وهو عن عقبة بن عامر في هذه الرواية .

١٥٣٠ - البخاري (٤ / ٧٨) ٢٨ - كتاب جزاء الصيد ، ٢٧ - باب من نذر المشي إلى الكعبة .

مسلم (٣ / ١٢٦٣) ٢٦ - كتاب النذر ، ٤ - باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة .

وأبو داود (٣ / ٢٣٥) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية .

والترمذي (٤ / ١١١) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٩ - باب ماجاء فيمن يحلف بالمشي ولا يستطيع .

والنسائي (٧ / ٢٠) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤٢ - باب ما الواجب على من أوجب على نفسه نذرًا فعجز عنه .

وابن ماجه (١ / ٦٨٩) ١١ - كتاب الكفارات ، ٢٠ - باب من نذر أن يحج ماشيا .

قال ابن الأثير : (يُهادى) جاء فلان يُهادى بين رجلين ، أي : يمشي متكئًا عليهما من ضعفه .

١٥٣١ - * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبي ﷺ أدْرَكَ شيْخًا يَمْشِي بَيْنَ ابنَيْهِ ، يَتَوَكَّأُ عَلَيْهِما ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « مَا شَأْنُ هـذَا ؟ » قَـالَ ابنَـاهُ : يَـا رَسُولَ اللهِ ، كَانَ عَلَيْـهِ نَـذْرٌ ، فَقَـالَ النبيُّ ﷺ : « ارْكَبْ أَيُّهـا الشَّيْخُ ، فَـإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عنْـكَ وعَنْ نَذْرِكَ » .

١٥٣٢ - * روى الترمذي عن أَنس رَضِيَ اللهُ عَنْه قَـالَ : نَـذَرَتِ امْرَأَةٌ أَنْ تَمْشِيَ إلى بَيْتِ اللهِ ، فَسُئِـلَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ عَنْ ذلِـك ؟ فَقَـالَ : « إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ مَشْيِهَـا ، مُروهَـا فَلْتَرْكَبْ » .

أقول : هذه نذرت حجًا والحج فريضة وعبادة مقصودة ، ونذرت مشيًا ، وهو ليس من جنسه واجب ، وليس عبادة مقصودة ، وقد رأينا قول الحنفية : أن النذر في كل من هـاتين الحالتين لا يجب .

ولـذلـك نجـد النص ألغى المشي وأوجب الحـج ، ولكن لاحترام كلمـة النـذر لله أوجبت بعض النصوص لمن عجز عن الوفاء بنذر أن يعتبر كلامـه يمينًـا ويكفر عن يمينـه ، وبعضهم حمل ذلك على الندب حيث لا يجب الوفاء ، وعلى الوجوب حيث يجب الوفاء وعجز .

١٥٣٣ - * روى مالك عن عُرْوَةَ بنِ أُذَيْنَةَ اللَّيْثِي قال : خَرَجْتُ مع جَدَّةٍ لي عَلَيْهَـا مَشْيٌ إلى بَيْتِ اللهِ ، حَتَّى إذَا كُنَّـا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَجَـزَتْ ، فَـأَرْسَلَتْ مَـوْلًى لَهـا يَسْـأَلُ ابنَ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ ، فَسَأَلَ ابنَ عُمر ؟ فَقَالَ لَهُ : مُرْهـا فَلْتَرْكَبْ ثُمَّ لْتَمْشِ ، مِنْ حَيْثُ عَجَزَتْ .

أقول : الظاهر أن ابن عمر أفتى بـأن تجمع بين المشي والركوب بعـد المكان الـذي عجزت فيه ، وذلك مذهبه لكن صاحب كتاب الفقه الإسلامي وأدلته قـال : من قـال : لله علي أن

١٥٣١ - مسلم (٣ / ١٢٦٤) ٢٦ - كتاب النذر ، ٤ - باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة .

وأبو داود : (٣ / ٢٣٥) كتاب الأيمان والنذور ، ٢١ - باب ماجاء في النذر في المعصية .

١٥٣٢ - االترمذي (٤ / ١١١) ٢١ - كتاب الأيمان والنذرو ٩ - باب ما جاء فين يحلف بالمشي ولا يستطيع .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وقال : وفي الباب عن أبي هريرة ، وعقبة بن عامر ، وابن عباس .

١٥٣٣ - الموطأ (٢ / ٤٧٣) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٢ - باب فين نذر مشيًا إلى بيت الله فعجز . ورجاله ثقات .

أحج ماشيًا يلزمه الحج ماشيًا ... فإن عجز عن المشي ركب وعليه دم عند الحنفية والمالكية والشافعية وفي رواية عن أحمد ، والدم عند المالكية بدنة أو بقرة أو شاة إن لم يجد بدنة أو بقرة ، والأرجح عند الحنابلة أنه إذا عجز عن المشي ركب وعلية كفارة .

* * *

الفقرة الثالثة

في :

حكم مراعاة المكان في النذر

١٥٣٤ - * روى أبو داود عن ثابت بن الضَّحاك رَضِيَ اللهُ عنهُ قال : نَذَرَ رَجُلٌ على عهد رَسُول الله ﷺ أنْ ينحر إبلاً ببُوَانَة ، فأتى رسولَ الله ﷺ فأخْبَرَهُ، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « هَلْ كَانَ فيها وَثَنٌ منْ أوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعبَدُ ؟ » قالوا: لا ، قال : « هَلْ كَانَ فيها عِيدٌ منْ أعْيَادِهِم » ؟ قالوا : لا ، فقَالَ رَسُول الله ﷺ : « أوْفِ بنَذْرِكَ ، فإنَّهُ لا وَفَاءَ لنَذْرٍ في مَعْصِيَةِ الله ، ولا فيما لا يملك ابنُ آدم » .

أقول : نص فقهاء الحنفية أن تعيين المكان والفقير والدرهم ليس بلازم ، وعلى هذا فإن الذبح ببُوانةَ يحمل الحنفية الوفاء به على الندب لا على اللزوم .

١٥٣٥ - * روى أبو داود عن عَمْرو بن شُعَيب عَن أبيه عَنْ جَدِّهِ أنْ امْرَأةً أتَتْ رَسُولَ الله ﷺ ، فقَالَتْ : يَا رَسُولَ الله ، إنِّي نَذَرْتُ إنْ انْصَرَفْتَ مِنْ غَزوَتِك سَالِمًا غَانِمًا أن أضْرِبَ عَلَى رَأْسِكَ بِالدُّفِّ ؟ قَالَ : « إنْ كُنْت نَذَرْتِ فأوْفِي بِنَذْرِك ، وإلا فَلا » ، قَالَتْ : وَنَذَرتُ أن أذْبَحَ لِمَكَان كَذَا وَكَذَا - مَكَانٍ يَذْبَحُ فيه أهلُ الجَاهِلِيَّة - فقَالَ : « هَلْ كَانَ بذلِك المَكَانِ وثَنٌ مِنْ أوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعبَدُ ؟ » قَالَتْ : لا ، قالَ : « هَلْ كَانَ فيهِ عِيدٌ مِن أعْيَادِهِم ؟ » قَالَتْ : لا ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أوْفِي بنَذْرِك » .

أقول : الضرب بالدف ليس من جنسه فريضة أو واجب وعلى هذا ففتوى الحنفية أنه لا يجب الوفاء به والأمر بالوفاء هنا محمول على الندب .

١٥٣٤ - أبو داود (٣ / ٢٣٨) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما يؤمر به من الوفاء للنذر . وإسناده صحيح .
(بُوَانَة) : اسم موضع في أسفل مكة دون يلملم .

١٥٣٥ - أبو داود (٣ / ٢٣٧) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر . وإسناده حسن .
وأحمد (٥ / ٣٥٦) . وإسناده حسن أيضًا .

ومسلم (٤ / ١٩٣٥) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٣٤ - باب فضائل حسان بن ثابت ، رضي الله عنه .

وقال البغوي ـ وهو شافعي ـ في شرح السنة :

قال أبو سليمان الخطابي : ضرب الدُّف ليس مما يعدُّ في باب الطاعات التي يتعلق بها النذور ، وأحسن حاله أن يكون من باب المباح غير أنه لما اتصل بإظهار الفرح بسلامة مقدم رسول الله ﷺ حين قدِم من بعض غزواته ، وكانت فيه مساءةُ الكفار ، وإرغامُ المنافقين ، صار فعله كبعض القرب ، ولهذا استحبَّ ضرب الدُّف في النكاح لما فيه من إظهاره ، والخروج به عن معنى السفاح الذي لا يظهر ، ومما يشبه هذا المعنى قولُ النبي ﷺ في هجاء الكفار : « اهجوا قريشًا فإنَّه أشدُّ عليها من رَشْقِ بالنَّبلِ » أخرجه مسلم [١] . اهـ .

أقول : لا كفارة على مَنْ نذر مباحًا ، ولا يجب عليه الوفاء عند الحنفية والمالكية والشافعية في الأصح ، وقال الحنابلة عليه كفارة يمين إذا لم يفِ بنذر مباح .

ومن كلام صاحب الفقه الإسلامي : لو نذر صدقة ما لا يملك لا يصح نذره بالاتفاق ، فإذا قال : كل ما أملك في المستقبل فهو صدقة ، وكل ما أشتريه أو أرثه فهو صدقة صح النذر خلافًا للشافعية .

* * *

(١) مسلم (٤ / ١٩٣٥) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ٣٤ ـ باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه .

الفقرة الرابعة

في :

قضاء الحي نذر الميت

١٥٣٦ - * روى مالك عن عبدِ الله بن أبي بَكْرِ بنِ عمرو بن حزم عَنْ عَمَّتِهِ أَنَّها حَدَّثَتْهُ عَنْ جَدَّتِهِ أَنَّها كَانَتْ جَعَلَتْ عَلَى نَفْسِهَا مَشْيًا إلى مَسْجِدِ قُبَاءَ ، فَمَاتَتْ وَلَمْ تَقْضِه ، فَأَفْتَى عَبْدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ابْنَتَها أَنْ تَمْشِيَ عَنْهَا .

أقول : أصل هذا النذر لا يجب الوفاء به إلا على الاستحباب ، ولا يجب على أحد وفاء نذر الميت إلا إذا تطوع ، فإذا تطوع إنسان بذلك فالمرجو أن يسقط النذر عن صاحبه .

١٥٣٧ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : اسْتَفْتَى سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ رَسُولَ الله ﷺ في نَذْرٍ كَانَ عَلى أُمِّهِ ، فَتُوفِّيَتْ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَهُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْضِيَه عَنْهَا .

وفي أخرى للنسائي [(١)] : « أَنَّ سَعْدًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : إنَّ أُمِّي مَاتَتْ وعليها نذر ، أفيَجْزِئ عَنْهَا أن أُعْتِقَ عَنْهَا ؟ قال : « أعتِقْ عَنْ أُمِّكَ » .

١٥٣٨ - * روى الطبراني عن مروان بن قيسٍ - وكان قد أخذ الرَّغْبَةَ عن أهله على عهد

١٥٣٦ - الموطأ (٢ / ٤٧٢) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ١ - باب ما يجب من النذور في المشي . ورجاله ثقات .

١٥٣٧ - البخاري (٥ / ٣٨٩) ٥٥ - كتاب الوصايا ، ١٩ - باب ما يستحب لمن توفي فجاءة أن يتصدقوا عنه .

مسلم (٣ / ١٢٦٠) ٢٦ - كتاب النذر ، ١ - باب الأمر بقضاء النذر .

وأبو داود (٣ / ٢٣٦) كتاب الأيمان والنذور ، باب في قضاء النذر عن الميت .

والترمذي (٤ / ١١٧) ٢١ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٨ - باب ما جاء في قضاء النذر عن الميت .

وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧ / ٢٠) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣٥ - باب من مات وعليه نذر .

وابن ماجه (١ / ٦٨٩) ١١ - كتاب الكفارات ، ١٩ - باب من مات وعليه نذر .

(١) النسائي (٦ / ٢٥٣) ٣٠ - كتاب الوصايا ، ١ - باب الكراهية في تأخير الوصية .

١٥٣٨ - للمعجم الكبير (٢٠ / ٣٥٩) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٩٢) وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

النبي ﷺ - قال : جاء رجل إلى رسولِ الله ﷺ فقال : يـا رسولَ الله ، إن أبي تُوفِي وقـد جعل عليه أن يمشيَ إلى مكةَ وأن ينحرَ بَدَنَةً ولم يتركْ مـالا فهل يُقضى عنـه أن يُمشى عنـه وأن يُنْحَرَ عنه بدنة من مالي ؟ فقـال النبي ﷺ : « نعم اقضِ عنـه وانحر عنـه ، وامشِ عنـه أرأيت لو كان على أبيـك دين لرجل فقضيت عنـه من مـالـك أليس يرجـع الرجل راضيًا ؟ فإن الله تعالى أحق أن يُرضى » .

أقول : يلاحـظ أن الرسول ﷺ كان يعمق فكرة الوفـاء بـالنـذر سـواء كان الـوفـاء بـه مباحًا أو مندوبًا ، أو مفروضًا ، وذلك لتعميق الأدب مع الله ألا يعد الإنسانُ رَبَّهُ وعـدًا إلا وفّى بـه ، وهـذا يقتضي من المربين شيئين ، أولاً : أن يعظمـوا على المسلم فكرة الالتزام مـع الله ، وأن يؤدبوه على عدم الإقدام على ذلك فيما لا مندوحة عنه . ثانيًا : إذا التزم بنـذر أو وعد مع الله أن يفي به ، فإذا كان الالتزام مع المخلوق أو الوعد له يطلب الوفـاء بـه ، فحق الله أولى .

* * *

الفقرة الخامسة

في :

نذر الجاهلية إذا وافق عبادة إسلامية

١٥٣٩ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما أنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : يَا رَسُولَ الله ، إنِّي نَذَرتُ في الجَاهِلِيَّةِ أنْ أعتَكِفَ يَومًا في المَسْجِدِ الحَرَامِ ؟ قَالَ : « أَوفِ بِنَذْرِكَ » .

قال المالكية : يندب للكافر بعد إسلامه فعل النذر المشروع في الإسلام الذي نذره حال كفره ، وذهب بعض الفقهاء إلى وجوب الوفاء لهذا النذر ، حتى إن بعضهم ذهب إلى أنه يجب الوفاء به أسلم أو لم يسلم ، وهذا مبني على القول بأن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة كما أنهم مخاطبون بأصولها .

* * *

١٥٣٩ - البخاري (٤ / ٢٧٤) ٣٣ - كتاب الاعتكاف ، ٥ - باب الاعتكاف ليلاً .

مسلم (٣ / ١٢٧٧) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٧ - باب نذر الكافر ، وما يفعل فيه إذا أسلم .

وأبو داود (٣ / ٢٤٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب من نذر في الجاهلية ثم أدرك الإسلام .

والترمذي (٤ / ١١٢) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١١ - باب ما جاء في النذر وجعله عن ابن عمر عن عمر . وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧ / ٢١) كتاب الأيمان والنذور ، ٣٦ - باب إذا نذر ثم أسلم قبل أن يفي .

الفقرة السادسة

في :

متى يكون للنذر حكم اليمين

قال الحنابلة وهم يذكرون الصور التي ينقلب فيها النذر إلى يمين :

ينقسم النذر المنعقد إلى ستة أقسام :

الأول : النذر المطلق وهو أن يقول : على نذر ، أو لله عليَّ نذر ولم ينو بنذره شيئًا معينًا سواء قال : إن فعلت كذا ، أو لم يقل ، فيلزمه بهذا كفارة يمين .

الثاني : نذر اللجاج والغضب ، وهو تعليق النذر بشرط يقصد منه الناذر المنع من المعلق عليه ، أو الحث عليه ، أو التصديق عليه إن كان خبرًا كقول : إن كلمتك فعليّ صوم كذا ، يريد منع نفسه من كلامه وكقول : إن لم أضربك فعليّ صلاة كذا ، يريد حث نفسه على ضربه . وكقول : إن لم أكن صادقًا فعليّ صوم كذا يريد تحقيق الخبر ، وحكم هذا النذر أن الناذر مخير بين كفارة اليمين إذا وجد الشرط وبين فعل المنذور .

الثالث : نذر المباح كقوله : لله عليّ أن ألبس ثوبي أو أركب دابتي ، وحكم هذا أن الناذر مخير أيضًا بين فعل المنذور وكفارة اليمين . فنذر المباح كالحلف بفعله ، فإنه إذا حلف أنه يأكل أو يشرب فإنه يكفر أو يفعل .

الرابع : نذر المكروه كالطلاق وأكل الثوم والبصل وترك السنة ونحو ذلك ، وحكم هذا أنه يستحب للناذر أن يكفر كفارة اليمين ، فإذا فعل المكروه فلا كفارة عليه ؛ لأنه وفّى بنذره .

الخامس : نذر المعصية كشرب الخمر ، وصوم يوم الحيض والنفاس ، ويوم العيد ، وأيام التشريق ، وحكم هذا أنه لا يجوز الوفاء به ، ويقضي الصوم في أيام أخرى وعليه كفارة ، فإن وفّى أثم ولا كفارة بنذره عليه .

وقال الحنفية :

ينقسم النذر إلى قسمين : نذر معلق على شرط ، ونذر مطلق . والنـذر المعلق ينقسم إلى قسمين :

الأول : معلق على شيء يراد وقوعه كقوله : إن شفى الله مريضي فللّه عليّ كذا ، فـإنـه معلق على شفاء المريض وهو مرغوب في حصولـه للنـاذر.، وحكم هـذا لزوم الوفـاء بـه عنـد تحقيق المعلق عليه متى استوفى الشروط ...

الثـاني : معلق على شيء لا يراد حصولـه كقولـه : إذا دخلت الـدار فعليّ كـذا نـذر ، أو إن كلمت فلانا . وهذا القسم هو يسمى نذر اللجاج عند الشـافعيـة ، لأن المقصود منـه المنع عن الفعل . وحكمه أن ناذره مخير بين فعل المنذور وبين كفارة اليمين .

وقال المالكية :

تجب الكفارة بأربعة أمور : الأول : النـذر المبهم ، وهو الـذي لم يعين فيـه المنـذور كأن يقول : لله عليّ نذر ، أو نـذر لله علي إن فعلت كـذا ، أو إن لم أفعل كـذا فـإنـه تجب فيـه الكفارة إن حنث ، وكـذا إذا قـال : إن شفى الله مريضي عليّ نذر ، أو لله عليَّ نـذر فشفى الله مريضه ، فإنه يجب عليه كفارة اليمين اهـ من (الفقه على المذاهب الأربعة) .

وقال الشافعية :

مَنْ نذر يريد البر فيجب عليـه الوفـاء ، ومن نـذر اللجـاج ويسمى نـذر الغضب ويمين الغلق ، وهو النذر المرتبط بمـا لا يريـد وقوعـه بـأن يقصـد النـاذر حث نفسـه على شيء أو منعها مثل : إن كلمت فلانًا فللّه عليّ صوم ، فالناذر هاهنا بالخيار إن شـاء وفّى وإن شـاء كَفّر كفارة يمين .

١٥٤٠ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عباس رَضِيَ الله عنهُمَا أن رسول الله ﷺ قَالَ : « مَنْ نَذَرَ نَذْرًا لم يُسَمِّه ، فكَفَّارتهُ كَفارةُ يمين ، ومَنْ نَذَرَ نَذْرًا لا يُطيقُه ، فكَفَّارَتُه كفَّارَةُ يمين ، ومَنْ نَذَرَ نَذْرًا أطَاقَهُ ، فَلْيَفِ بهِ » وفي رواية : إنه موقوف .

١٥٤١ - * روى مسلم عن عُقبة بن عَامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « كفَّارَةُ النَّذْرِ إذا لَمْ يَسَمِّ شَيْئًا ، كَفَّارَةُ اليَمِينِ » .

١٥٤٢ - * روى مالك عن عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا سُئِلَتْ عَن رَجُلٍ ، قَال : مَالِي في رِتَاج الكَعبةِ؟ فَقَالَتْ : يُكَفِّرُهُ مَا يُكفِّر اليَمِينَ .

أقول : نص فقهاء الحنفية على أن نذر العبادة غير المقصودة لذاتها لا ينعقد به النذر ، ومن ذلك ما هو وسائل للعبادة كبناء المساجد ، ومن ههنا كان نذر الإنسان مالا للكعبة لا ينعقد نذرًا وفيه كفارة يمين على مذهب عائشة رضي الله عنها ، واعتبر هذا النذر الوارد في النص فقهاء الشافعية وآخرون أنه نذر لجاج وغضب وكفارته كفارة يمين .

١٥٤٣ - * روى أبو داود عن سعيدِ بن المُسَيِّب رَحِمه اللهُ أنَّ أخَوَيْنِ منَ الأنصَارِ كَانَ بَيْنَهُما مِيراثٌ ، فَسَأَلَ أحَدُهُما أخَاه القِسْمَةَ ، فَقَالَ لهُ الآخَرُ : إنْ عُدتَ تَسْأَلُني القِسْمَةَ فَكُلُّ مَالي في رِتَاج الكَعْبة ، فَعَادَ يَسأَلُه ، فَأَتَى عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ : إنَّ الكَعْبَةَ لَغَنيةٌ عَنْ مَالِك ، كفِّرْ عَنْ يَمينِك ، و كَلِّمْ أخَاكَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لا يَمينَ عَلَيْكَ ، وَ لا نَذْرَ في مَعصِيَةِ الرَّب ، و لا في قَطِيعَةِ الرَّحِمِ ، وَ لا فِيمَا لا تَمْلِكُ » .

١٥٤٠ - أبو داود (٣ / ٢٤١) كتاب الأيمان والنذور ، باب من نذر نذرًا لا يطيقه .

روى هذا الحديث وكيع وغيره عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، أوقفوه على ابن عباس ، والموقوف أصح .

١٥٤١ - مسلم (٣ / ١٢٦٥) ٢٦ - كتاب النذر ، ٥ - باب في كفارة النذر . ولم يقل : « إذا لم يسم شيئًا » .

وأبو داود (٣ / ٢٤١) كتاب الأيمان والنذور ، باب من نذر نذرًا لم يسمه . ولم يقل : « إذا لم يسم شيئًا » .

والترمذي (٤ / ١٠٦) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٤ - باب ما جاء في كفارة النذر إذا لم يسمَّ .

وقال : حديث حسن صحيح غريب .

والنسائي (٧ / ٢٦) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤١ - باب كفارة النذر . ولم يقل : « إذا لم يسم شيئًا » .

١٥٤٢ - الموطأ (٢ / ٤٨١) كتاب النذور والأيمان ، ٩ - باب جامع الأيمان .

١٥٤٣ - أبو داود (٣ / ٢٢٧) كتاب الأيمان والنذور ، باب اليمين في قطيعة الرحم .

قال ابن الأثير :

(الرِّتاج) : الباب ، يقال : جعلت مالي في رتاج الكعبة ، أي : جعلته لها ، وليس المراد الباب نفسه ، وإنما المعنى : أن يكون ماله هَدْيًا إلى الكعبة أو في كسوتها والنفقة عليها .

أقول : في هذه الرواية نموذج على ما يسمى بنذر اللجاج وهي إحدى الصور التي نص عليها فقهاء الحنابلة والشافعية أنها تنقلب يمينًا .

١٥٤٤ - * روى النسائي عن عِمْران بن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا نَذْرَ في مَعصِيَةٍ ، و لا فيما لا يملِكُ ابنُ آدم » .

وَفي أُخْرَى [(١)] لَهُ قَالَ : « لا نَذْرَ في مَعْصِيَةٍ ، و كَفَّارَتُهُ كفَّارَةُ يمينٍ » .

وفي أُخْرَى [(٢)] « لا نَذْر في غَضَبِ اللهِ ، وَكَفَّارَتُه كَفَّارَةُ يمينٍ » .

وهذا طرف من حديث طويل أخرجه مسلم وأبو داود [(٣)] .

١٥٤٥ - * روى أبو داودِ عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَال : « لا نَذرَ في مَعْصِيَةٍ ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ » .

١٥٤٦ - * روى مالك عن يَحيَى بن سَعيدٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ سَمِعَ القَاسِمَ بنَ محمدٍ يقُولُ :

١٥٤٤ - النسائي (٧ / ١٩) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣١ - باب النذر فيما لا يملك .

(١) النسائي (٧ / ٢٦) الموضع السابق .

النسائي (٧ / ٢٨) الموضع السابق .

(٣) مسلم (٣ / ١٢٦٢) ٢٦ - كتاب النذر ، ٣ - باب لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك العبد .

أبو داود : (٣ / ٢٣٩) كتاب الأيمان والنذور ، ٢٧ - باب في النذر فيما لا يملك .

١٥٤٥ - أبو داود (٣ / ٢٣٢) كتاب الأيمان والنذور ، ٢١ - باب ماجاء في النذر في المعصية .

والترمذي (٤ / ١٠٣) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١ - باب ما جاء عن رسول الله ...

وقال : هذا حديث لا يصح .

والنسائي (٧ / ٢٨) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤١ - كفارة النذر .

(الكفارة) معروفة ، وأصلها من : التغطية والستر ، وهي فَعَّالة من ذلك .

١٥٤٦ - الموطأ (٢ / ٤٧٦) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٤ - باب مالا يجوز من النذور في معصية الله . وإسناده صحيح .

١٥٥٩

أَتَتْ امْرَأَةٌ إِلَى عَبْدِ اللهِ بن عَبّاسٍ ، فَقَالَتْ : إِنِي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ ابْنِي ، فَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ : لاتَنْحَرِي ابنَكِ ، وكَفِّرِي عَنْ يَمِينِكِ ، فَقَالَ شَيخٌ عِنْدَ ابْنِ عبَّاسٍ : إِنَّ اللهَ تَعَالى قَالَ : ﴿ الذِيْنَ يُظَاهِرُوْنَ مِنْكُم مِنْ نِسَائِهِم ﴾ [المجادلة : ٢] ثم جَعَلَ فيهِ مِنَ الكَفَّارَةِ ما رَأَيْت .

أقول : من نذر أن يذبح ولده نَحَرَ شاةً عند أبي حنيفة وجزورًا عند مالك ، وقال الشافعية : لا شيء عليه . وقال أحمد في رواية عنه : عليه كفارة يمين ، ومن نذر ذبح نفسه أو أجنبي فهو نذر معصية ولا قياس فيه ، وعليه كفارة يمين عند أحمد أو ذبح كبش ويطعمه المساكين ، ولا شيء عليه عند الشافعية وآخرين .

١٥٤٧ - * روى الطبراني عن مسروقٍ قالَ : أُتِيَ عبدُ اللهِ بِضَرْعٍ فأخذ يأكل منه فقال للقوم : ادنوا ؛ فدنا القوم وتَنَحّى رجل منهم ، فقال عبدُ اللهِ : ما شأنُك ؟ قال : إني حَرَّمْتُ الضَّرْعَ . قال : هذا من خُطُواتِ الشيطانِ : ادْنُ وكلْ وكَفِّرْ يمينك ، ثم تلا ﴿ يا أيُّها الذين آمنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبات ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ ﴾ .

أقول : لا يعتبر فقهاء الحنفية نذر المعصية منعقدًا ولا يوجبون فيه شيئًا ، وما ورد من أن كفارته كفارة يمين فمحمول على الندب . ونص فقهاء الحنابلة على أن نذر المعصية يحرم الوفاء به وتجب به كفارة يمين ، أما تحريم الحلال ففيه كفارة يمين بنص القرآن قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي لِمَ تحرم ما أحل الله لك ﴾ [١] ، ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ [٢]

* * *

١٥٤٧ - المعجم الكبير (٩ / ٢٠٦) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٩) . وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

(١) التحريم : ١ .

(٢) التحريم : ٢ .

الفقرة السابعة

في :

نذر صيام يوم النحر

١٥٤٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا ، سألَهُ رَجُلٌ فقَالَ : نَذَرْتُ أنْ أصُومَ كلَّ يوم ثلاثاء ، أو أرْبعَاءَ ، مَا عِشْتُ ، فَوَافَقْتُ هذَا اليَوْمَ يَوْمَ النَّحْرِ ، قَالَ : أمَرَ الله بوَفاء النَّذْرِ ، وَنَهَانَا أنْ نَصُومَ يَوْمَ النَّحْرِ ، فَأعَادَ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ مِثْلَهُ ، لا يَزِيدُ عَلَيْه .

وفي رِوَايَةٍ [(١)] قال : أمَرَ النبيُّ ﷺ بوَفَاء النَّذْرِ ، وَنَهَى عَنْ صَوْم هذا اليَوْمِ .

وللبُخَاري [(٢)] مِنْ حَديثِ حَكِيم بنِ أبي حُرَّةَ الأسْلَمِي ، أنَّهُ سَمِعَ ابنَ عُمَرَ في رَجُلٍ نَذَرَ أنْ لا يَأْتِي عَلَيْه يَوْمٌ ـ سَمَّاهُ ـ إلا صَامَ ، فَوَافَقَ يَومَ أضْحَى أوْ فِطرٍ ، فقَالَ : لَقَدْ كَانَ لَكَ في رَسُولِ اللهِ أسْوَةٌ حسنَةٌ ، لَمْ يَكُنْ يَصُومُ يَوْمَ الأضْحَى والفِطْرِ ، وَ لا يَرَى صِيَامَهُمَا .

وَفِي أخْرَى [(٣)] ، أنَّه سُئِلَ عَمَّنْ وافق نَذْرَهُ في الصَّوم أضْحَى أوْ فِطْرًا ؟ فَقَالَ : أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بوَفَاء النَّذْرِ ، وَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَن صَوْمِ هذين اليَوْمَيْن ، فَأعَادَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَزد عَلَى هَذا .

أقول : فتوى الحنفية أنه يجب على الناذر أن يفطر وأن يقضي يومًا بدله ، وكذلك صوم أيام التشريق ويوم الفطر ، والحنابلة أنه يجب عليه أن يفطر وعليه كفارة يمين ، وعلى كل من المذهبين فإنه إن صام أجزأ عنه وأثم . وجمهور العلماء على أنه لا يصح نذره ولا يجوز له أن يصوم ولا يجب عليه أن يقضيه .

١٥٤٨ ـ البخاري (١١ / ٥٩١) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٣٢ ـ باب من نذر أن يصوم أيامًا فوافق النحر أو الفطر .

مسلم (٢ / ٨٠٠) ١٣ ـ كتاب الصيام ، ٢٢ ـ باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى .

(١) البخاري (٤ / ٢٤٠) ٣٠ ـ كتاب الصوم ٦٧ ـ باب صوم يوم النحر .

(٢) البخاري (١١ / ٥٩٠) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ٣٢ ـ باب من نذر أن يصوم أيامًا .. .

(٣) البخاري (١١ / ٥٩١) الموضع السابق .

الفقرة الثامنة

في :

نذر المقيم بمكة أو بالمدينة المنورة الصلاة ببيت المقدس

١٥٤٩ - * روى الطبراني عن عطاء بنِ أبي رباحٍ قالَ : جاء الشريدُ إلى رسولِ الله ﷺ يومًا فقال : يا رسولَ الله إني نَذَرْتُ إنِ اللهُ عز وجل فتح عليك مكة أن أصلّيَ في بيتِ المقدس . فقال النبي ﷺ : « ههنا فصل » . ثلاثَ مرات

١٥٥٠ - * روى مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنَّ أمرأةً شكَتْ شكْوى ، فَقَالتْ : إنْ شَفَاني اللهُ لأخْرُجَنَّ فلأُصَلينَّ في بَيْتِ المقدِسِ فَبَرأَتْ ، ثُمَّ تجهَّزَتْ تُريدُ الخُرُوجَ ، فَجَاءَتْ مَيْمُونَةُ تُسَلِّمُ عَلَيْهَا ، فَأَخْبَرَتْها بذَلِكَ ، فَقَالَتْ : اجْلِسِي فَكُلِي ما صَنَعْتِ ، وَصَلِّي في مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ فإني سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « صَلاةٌ فيهِ أَفْضَلُ مِنْ ألفِ صَلاةٍ فِيما سِوَاه من المَساجِدِ ، إلا مَسْجِدَ الكَعْبَةِ » .

١٥٥١ - * روى أبو داود عن جابرِ بن عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أنَّ رَجُلاً قَامَ يَوْم الفَتْحِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، إني نَذَرْتُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ إنْ فَتَحَ الله عَلَيْكَ مَكَّةَ : أنْ أُصَلِّيَ صَلاةً في بَيْتِ المَقْدِسِ - زَادَ في رِوَايَةٍ : رَكْعَتَيْنِ - فَقَالَ : « صَلِّ هَا هُنَا » ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « صَلِّ هَا هُنَا » ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ : فَقَالَ : « فَشَأْنَكَ إذًا » .

أقول : من نذر أن يصلي في مكان أو يتصدق في مكان حيث ما صلى أو تصدق جازت صلاته وصدقته ، فكيف إذا كان في المكان الذي صلى فيه فضل على غيره ، إلا أنه لو فعل فلا حرج عليه ، وهذا مذهب الحنفية .

وقد مرّ معنا أن مَنْ نَذَرَ أن يصلي ركعتين في المساجد الثلاثة ، فصلاها في أي مكان

١٥٤٩ - مجمع الزوائد (٤ / ١٩٢) ، وقال : رواه الطبراني في الكبير مرسلاً ورجاله ثقات .

١٥٥٠ - مسلم (٢ / ١٠١٤) ١٥ - كتاب الحج ، ٩٤ - باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة .

١٥٥١ - أبو داود (٣ / ٢٣٦) كتاب الأيمان والنذور ، باب من نذر أن يصلي في بيت المقدس .

والدارمي (٢ / ١٨٤) - ومن كتاب النذور والأيمان ، باب من نذر أن يصلي في بيت المقدس ...

أجزأ عنه عند أبي حنيفة وصاحبيه ، وقال المالكية لزمه أن يصلي حيث أَلْزَمَ نفسه .

وقال الشافعية : من نذر صلاة في مكان جاز له أن يصلي في غيره إلا إذا نـذر الصلاة في مسجد من المساجد الثلاثة فيجب عليه الوفاء كما نذر وكذلك قال الحنابلة .

* * *

الفقرة التاسعة

في :

موضوعات متعددة

١٥٥٢ - * روى الطبراني عن عليِّ بنِ أبي طـالبٍ قـال : حفظتُ لكم من رسول الله ﷺ ستًا : « لا طَلاقَ إلا من بعد نِكاحٍ ، ولا عِتاقَ إلا من بعد مُلْكٍ ، ولا وفـاءَ لنَـذْرٍ في مَعصيـةٍ ، ولا يُتْمَ بَعد حُلُمٍ ، ولا صُماتَ يـومٍ إلى الليل ، ولا وصال في الصيامِ » .

١٥٥٣ - * روى أحمد عن جابر عن النبي ﷺ قال : « لا وفاء لنـذر في معصيـة الله عز وجل » .

قال البغوي في شرح السنة - وهو شافعي - :

فيه بيانٌ أن النذر لا ينعقد في المعصية ، ولا يلزمُه به شيءٌ حتى لو نذر صومَ يوم العيد لا يجب عليه شيء . ولو نذر نحر ولـده ، فبـاطل ، وإليـه ذهب جمـاعـة من أصحـاب النبي ﷺ ، منهم ابنُ عمر ، وهو قولُ مـالـك ، والشـافعي ، وذهب قـوم إلى أن من نـذر معصيـة يلزمه كَفارةُ يمين ، وهو قول الثوري ، وأصحاب الرأي ، وأحمد ، وإسحاق اهـ .

١٥٥٤ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا نـذر إلا فيما أُطيعَ اللهُ عـز وجـل فيـه ، ولا نَـذْرَ في قَطيعـةِ رَحِمٍ ، ولا طَـلاقَ ولا عِتـاقَ فيما لا يَمْلِكُ » .

١٥٥٢ - الروض الداني (١ / ١٦٩) .

مجمع الزوائد (٤ / ٣٣٤) وقال : رواه الطبراني في الصغير ، ورجاله ثقات .

١٥٥٣ - أحمد (٣ / ٢٩٧) .

مجمع الزوائـد (٤ / ١٨٦) وقـال . رواه أحـد ، وسليمـان بن موسى قيل : إنـه لم يسمع من جـابر . ورواه برجـال الصحيح وهو موقوف على جابر .

١٥٥٤ - المعجم الكبير (١١ / ٢٧) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٨٦) . قال : ورواه الطبراني في الأوسط وزاد : « ولا يمين في غضب » وأسقط : « ولا نـذر في قطيعة رحم » ورجال الكبير ثقات .

١٥٥٥ - * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بن عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ ، فَسَأَلَ عَنهُ ؟ فَقَالُوا : أَبو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ في الشَّمْسِ وَلاَ يَقْعُدَ ، وَيَصُومَ وَلا يُفْطِرَ بِنَهَارٍ ، وَلا يَسْتَظِلَّ وَلا يَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مُروهُ فَلْيَسْتَظِلَّ ، وَلْيَقْعُدْ ، وَلِيَتَكَلَّمْ ، وليُتِمَّ صَوْمَهُ » .

قَالَ مَالِكٌ : فَأَمَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ بإتْمامِ مَا كَانَ للهِ طَاعَة ، وَتَرْكِ مَا كَانَ مَعْصِيَةً ، وَ لم يَبْلُغْنِي أَنَّه أَمَرَهُ بكَفَّارَة .

أقول : من مثل هذا الحديث نعرف موقف الإسلام من تعذيب الجسد لمجرد التعذيب ، وهي قضية كانت تراها بعض الأديان عبادة ، وحرَّمها الإسلام ، قال تعالى : ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [1] ، وهذا من مظاهر قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [2] .

١٥٥٦ - * روى الترمذي عن ثابتِ بن الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ عَلَى العبْدِ نَذْرٌ فيمَا لا يَمْلِكُ » .

١٥٥٧ - * روى أبو داود عن عَبْدِ اللهِ بن عمرو بن العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول : « لا نَذْرَ إلا فِيمَا يُبْتَغى بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى ، وَ لا يَمينَ في قَطِيعَةِ رَحِمٍ » .

١٥٥٥ - البخاري (١١ / ٥٨٦) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣١ - باب النذر فيما لا يملك وفي معصية .

وأبو داود (٣ / ٢٣٥) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية .

(١) الأعراف : ١٥٧ .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

١٥٥٦ - الترمذي (٤ / ١٠٥) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٣ - باب ما جاء لا نذر فيما لا يملك ابن آدم .

وهو طرف من حديث طويل قد أخرجه الجماعة إلا الموطأ .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، قال : وفي الباب عن عبد الله بن عمرو ، وعمران بن حصين .

١٥٥٧ - أبو داود (٣ / ٢٢٨) كتاب الأيمان والنذور . باب في اليمين في قطيعة الرحم .

قال ابن الأثير :

(قطيعة الرحم) : أن يقطع بِرَّه وإحسانَهُ عن أقاربه وأهله .

١٥٥٨ ـ * روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيفِ بِنَذْرِهِ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلا يَفِ بِه » .

وفي رواية [1] « فَلْيُطِعْهُ ، ولا يَعْصِه » .

١٥٥٩ ـ * روى أحمد عن عِمرانَ بنِ حُصين قال : ما قام فينا رسول الله ﷺ خطيبا إلا أمرنا بالصدقة ونهانا عن المُثْلَةِ قال : وقال : « إن من المثلة أن ينذرَ الرجلُ أن يَحُجَّ ماشيًا فلْيهدِ ولْيَرْكَبْ » .

١٥٦٠ ـ * روى الطبراني عن عطاء بنِ أبي رباحٍ أن رجُلا أتى ابنَ عباسٍ فقال : إني نذرتُ لأَذْبَحَنَّ نفسي فقال ابن عباس : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ ﴾ .

أقول : لقد مرّ معنا من قبل ما نعرف به توجيهات هذه النصوص ، فالنذر في المعصية لا ينعقد عند بعضهم أصلا ، ومن ذلك أن ينذر الإنسان أن يذبح نفسه أو أن يذبح ولده

١٥٥٨ ـ البخاري (١١ / ٥٨٥) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٣١ ـ باب النذر فيما لا يملك وفي معصية .

والترمذي (٤ / ١٠٤) ٢١ ـ كتاب النذور والأيمان ، ٢ ـ باب من نذر أن يطيع الله فلْيُطِعْهُ .

وقال : حديث حسن صحيح .

وأبو داود (٣ / ٢٣٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية .

والنسائي (٧ / ١٧) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٢٧ ـ باب النذر في الطاعة .

(١) النسائي : الموضع السابق .

١٥٥٩ ـ أحمد (٤ / ٤٢٩) .

والمعجم الكبير (١٨ / ١٥٨) . مجمع الزوائد (٤ / ١٨٩) وقال : رواه أحمد والبزار بنحوه والطبراني في الكبير ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

١٥٦٠ ـ المعجم الكبير (١١ / ١٨٦) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٩٠) . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط .

وفي رواية في الكبير عن ابن عبّاس قال : من نذر أن ينحر نفسه أو ولده فليذبح كبشًا ، فذكر نحوه ، ورجاله رجال الصحيح .

أو أن يقطع رحمه ، وبعض الفقهاء أوجب كفارة يمين ، وهذا ابن عباس يفتي : من نـذر أن يذبح نفسه بأن يذبح كبشًا أخذًا مما فعله إبراهيم عليـه السلام إذ أراد أن يـذبح ابنـه ففـداه الله بكبش ، وأمـا النـذر فيما لا يملـك فلـه أكثر من صورة : أن ينـذر أن يتصـدق أو ينحر ملك الغير ، فهذا لا ينفذ حتمًا ، وأما إن كان هو نفسـه لا يملـك شيئًـا ونـذر أن يتصـدق ، فهل هذا النذر دَيْنًا في ذمتـه أو أنـه لا يجب عليـه ؟ من العلمـاء من ذهب إلى أنـه لا يجب عليه كما مرّ معنا .

* * *

نقولٌ ومسائل و فوائد

قال الشوكاني رحمه الله :

الراجح عند الكثير من العلماء وجوب الوفاء ممن التزم أن يتصدق بجميع ماله إذا كان على سبيل القربة . وقيل إن كان مَليًّا لزمه ، وإن كان فقيرًا فعليه كفارة يمين ، وهذا قول الليث ووافقه ابن وهب وزاد وإن كان متوسطًا يخرج قدر زكاة ماله . والأخير عن أبي حنيفة بغير تفصيل وهو قول ربيعة . وعن الشعبي وابن أبي ليلى لا يلزمه شيء أصلا . وعن قتادة يلزم الغني العشر والمتوسط السبع والمملق الخمس . وقيل يلزم الكل إلا في نذر اللجاج فكفارة يمين . وعن سحنون يلزمه أن يخرج مَا لا يَضُرُّ بِهِ . وعن الثوري والأوزاعي وجماعة يلزمه كفارة يمين بغير تفصيل . وعن النخعي يلزمه الكل بغير تفصيل . وإذا تقرر ذلك فقد دل حديث كعب أنه يشرع لمن أراد التصدق بجميع ماله أن يمسك بعضه ، ولا يلزم من ذلك أنه لو نجزه لم ينفذ ، وقيل إن التصدق بجميع المال يختلف باختلاف الأحوال : فمن كان قويًا على ذلك يعلم من نفسه الصبر لم يمنع وعليه يتنزل فعل أبي بكر الصديق وإيثار الأنصار على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن لم يكن كذلك فلا ، وعليه يتنزل « لا صدقة إلا عن ظهر غني » ، وفي لفظ : « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى » اهـ .

قال الشرنبلالي في مراقي الفلاح وهو من الحنفية :

وعيادة فلان بعينه لا يكون معنى القربة فيه مقصودًا للناذر ، بل مراعاة حق فلان ، فلا يصح التزامه بالنذر . وفي ظاهر الرواية : عيادة المريض وتشييع الجنازة وإن كان فيه معنى حق الله تعالى فالمقصود حق المريض والميت ، والناذر إنما يلتزم بنذره ما يكون مشروعًا حقا لله تعالى مقصودًا . اهـ .

قال الطحطاوي في حاشيته على مراقي الفلاح :

(قوله : بل مراعاة حق فلان) هو المقصود له . (قوله : فلا يصح التزامه) منه يؤخذ عدم صحة النذر للأموات .

قال في الدُّر : واعلم أن النذر الذي يقع للأموات من أكثر العوام ، وما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها إلى ضرائح الأولياء الكرام تقربا إليهم فهو باطل وحرام . اهـ .

قال في البحر : لوجوه :

منها : أنه نذر لمخلوق ، ولا يجوز ؛ لأنه عبادة ، والعبادة لا تكون لمخلوق .

ومنها : أن المنذور له ميت ، والميت لا يملك .

ومنها : أنه إن ظن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى كفر ، اللهم إلا أن يقول يا الله : إني نذرت لك إن شفيت مريضي ، أو رددت غائبي أو قضيت حاجتي أن أطعم الفقراء الذين بباب السيدة نفيسة ، أو الفقراء الذين بباب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، أو الإمام الليث ، أو أشتري حصرًا لمساجدهم ، أو زيتًا لوقودها . أو دراهم لمن يقوم بشعائرهم إلى غير ذلك مما يكون فيه نفع للفقراء والنذر لله عز وجل .

وذكر الشيخ : إنما هو بيان لمحل صرف النذر لمستحقيه القاطنين برباطه أو مسجده فيجوز بهذا الاعتبار ، إذ مصرف النذر الفقراء وقد وجد ، ولا يجوز أن يصرف ذلك إلى غنيٍّ غير محتاج إليه ولا لشريف منصب ، لأنه لا يحل له الأخذ مالم يكن محتاجًا فقيرًا ، ولا لذي نسب لأجل نسبه ما لم يكن فقيرًا ، ولا لذي علم لأجل علمه ما لم يكن فقيرًا ، ولم يثبت في الشرع جواز الصرف للأغنياء للإجماع على حرمة النذر للمخلوق ، ولا ينعقد ولا تشتغل به الذمة ، وإنه حرام بل سحت . اهـ .

أقول : قد مرّ معنا أن فقهاء الحنفية يرون أن من نذر أن يتصدق على فقير فله أن يتصدق على غيره ، وإن نذر أن يتصدق على فقراء مكان فله أن يتصدق على فقراء مكان آخر .

* * *

الفصل السادس

في

اليمين

وفيه:

عرض إجمالي وفقرات ومسائل وفوائد



عرض إجمالي

جعلنا بحث الأيْمان في قسم العقائد ؛ لأن اليمين بالله أحد المظاهر الكبرى لاستشعار الإنسان عظمة الله ، ولذلك تجده عفويًا على كل لسان وفي كل دين ، ولما كان بعض الناس يحلفون بغير الله ، وفي ذلك نوع تعظيم يشابه تعظيم الله ، فقد ورد التغليظ في ذلك ومنع منه الشارع .

وهناك حالات تساهل فيها الشارع لانتفاء شبهة المشابهة في التعظيم ، وهذه معان تتعلق بالعقائد تعلقًا صريحًا ، ولذلك أدخلناها هاهنا .

ولما كان هتك حرمة اسم الله عظيمًا ، فقد رتب الشارع على أنواع من الأيْمانِ أحكامًا .

وترى المسائل الداخلة في أبحاث الأيْمان كثيرة جدًا لكثرة ما يستحدثه الناس في هذا الشأن ، ونحن سنحاول أن نعرض لأمهاتٍ من أحكام الأيْمان بين يدي النصوص . نقول وبالله التوفيق :

اتفق الفقهاء على مشروعية اليمين ، إلا أنهم كرهوا الإفراط في الحلف بالله تعالى لقوله تعالى : ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين** ﴾ [1] وقال الشافعي : ما حلفت بالله صادقًا ولا كاذبًا ، و تتأكد كراهة الأيمان إذا حالت بين الإنسان وبين البرّ لقوله تعالى : ﴿ **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس** ﴾ [2] وذكر الحنابلة أن الأيمان خمسة أنواع : أحدها واجب ، وهي التي تنجي إنسانًا معصومًا من الهلاك . والثاني مندوب : وهو الذي تتعلق به مصلحة كالإصلاح بين متخاصمين ، أو إزالة حقد من قلب مسلم عن الحالف أو غيره أو دفع شر . والثالث المباح : مثل الحلف على فعل مباح أو تركه . والرابع المكروه : وهو الحلف على مكروه أو ترك مندوب . والخامس المحرم : وهو الحلف الكاذب .

ومن حلف بالأصنام ونحوها معتقدًا تعظيمها فإنه يكفر بذلك ، وإذا جرت على لسانه

---

(١) القلم : ١٠ .

(٢) البقرة : ٢٢٤ .

بشكل عفوي ولا يقصد التعظيم فقد واقع الحرام وعليه في الحالين أن يتوب وأن ينطق بالشهادتين .

وصيغة اليمين المشروعة هي : أن يقسم الإنسان باسم من أسماء الله الحسنى أو بصفة من صفات الله . وهناك صور كثيرة اعتبرها العلماء يمينًا وأوجبوا فيها الكفارة ، وهناك صور اختلف الفقهاء في اعتبارها أيمانًا تجب فيها الكفارة .

والأيمان على ثلاثة أقسام : يمين منعقدة ، وهي التي يجب على من حنث بها الكفارة . ويمين لغو ، وهي التي لا يجب على صاحبها شيء . ويمين غموس ، وهي التي تغمس صاحبها في النار ، وقد اختلف في شأنها ، هل تجب فيها الكفارة مع التوبة ، أو أن صاحبها يأثم ولا تلزمه كفارة لِعظَم جريمته . وتعريف اليمين الغموس عند الحنفية والمالكية : بأنها اليمين الكاذبة قصدًا في الماضي أو الحال ، أو هي الحلف على أمر ماض أو في الحال متعمدًا الكذب فيه نفيًا أو إثباتًا ، وقد ذهب الحنفية والمالكية والحنابلة على الراجح عندهم : أنه يأثم صاحبها ولا كفارة عليه لِعظَم الجناية ويجب عليه التوبة والاستغفار . وقال الشافعية كما تجب التوبة تجب الكفارة في اليمين الغموس . وقد عرف عامة الفقهاء اليمين اللغو وهو : أن يحلف على أمر يظنه كذلك وليس كذلك . وعرفها الشافعية بأنها التي يسبق اللسان إلى لفظها بلا قصدٍ لمعناها أو يريد اليمين على شيء فيسبق لسانه إلى غيره ، فهي اليمين التي لم تنعقد عليها النية . وقد اتفق الفقهاء على أن يمين اللغو لا كفارة فيها . وأما تعريف اليمين المنعقدة : فهي أن يحلف على أمر في المستقبل أن يفعله أو لا يفعله ، وحكم هذه اليمين وجوب الكفارة عند الحنث مهما كان الشيء المحلوف عليه ، فإن كان المحلوف عليه معصية فإنه يفترض عليه أن يحنث وأن يكفر عن يمينه ، وإذا اقتصر الحالف على لفظ : أقسم أو أحلف أو أشهد أو أعزم يكون يمينًا عند الحنفية والحنابلة وفي الأصح عند الشافعية ،وقال المالكية يكون يمينًا إن نوى وأراد اليمين بالله . وحروف القسم هي : الباء والواو والتاء .

وإذا لم يذكر الحالف شيئًا من هذه الأحرف كأن قال : الله لا أفعل كذا يكون يمينًا عند الجمهور . وقال الشافعية : لا يكون يمينًا إلا بنية ، وإذا قال : وايم الله أو وأيمن الله يعتبر يمينًا عند المالكية والحنابلة والحنفية ، وقال الشافعية إنْ نوى اليمين كانت يمينًا . وإلا

لم تكن يمينًا ، ومن حلف على غيره أن يفعل شيئًا ما إن نوى يمين نفسه فهو يمين عند الشافعية وآخرين ، ويسنُّ للمخاطب أن يبرّ الحالف ولا يجب عليه ، فإن لم يبره المحلوف عليه ؛ فالكفارة على الحالف ، وإن أراد يمين المخاطب أو لم يرد يمينًا ، بل أراد التشفع بالله عز وجل في الفعل لم يكن يمينًا و من قال إن فعلت كذا فأنا يهودي أو نصراني أو بريء من الإسلام فقد أفتى الحنفية بأن ذلك يكون يمينًا موجبة للكفارة إذا فعل الشيء المحلوف عليه مع الإثم .

وقال المالكية والشافعية وبعض الحنابلة لا يعتبر يمينًا ولا تجب فيه الكفارة ، وقد ارتكب بقوله كبيرة من الكبائر ، أما لو قالها على قصد الرضى بالكفر أو فعل الفعل كفر في الحال ، فإن لم يعرف قصده فقد رجّح الشافعية عدم الحكم بكفره ، أما إذا قال مثل هذا الكلام كاذبًا على فعل فعله في الماضي ، فقد كفر بمجرد القول عند كثير من الفقهاء ولا كفارة عليه وإنما عليه التوبة والتشهد ، ومن حرم شيئًا من ماله على نفسه أو حرم حلالا على نفسه فإنه يمين عند الحنابلة والحنفية ، واتفق الفقهاء على أن اليمين في الدعاوى تكون على نية المستحلف ، وأما في غير الدعاوى فقد قال الحنفية : اليمين على نية الحالف إذا كان مظلومًا ، وعلى نية المستحلف إن كان ظالمًا ، ومن حلف بغير الله وأسمائه وصفاته ، فإن كان مما يجري على اللسان ولا يراد به التعظيم ، فإنه لا كفارة عليه إجماعًا لكنه مكروه . وقال الشافعي : أخشى أن يكون معصيةً . وبعضهم ذهب إلى أن ما جرى على ألسنة العرب ولا يراد به التعظيم فالأمر فيه واسع . وقال المالكية والحنفية : إذا حلف الحالف على شيء واحد بعينه مرارًا ولا يريد إلا التأكيد فليس عليه إلا كفارة . واحدة ، أما إذا لم ينو التأكيد ففي كل يمين كفارة ، وقال الحنابلة : ليس عليه إلا كفارة واحدة . ومن حلف فاستثنى بأن قال : إن شاء الله تعالى ، أو إلا أن يشاء الله أو إن أعانني الله أو يسر الله ، أو بمعونة الله أو بتيسيره ، أو إلا أن أحب غير ذلك ونحوه ، وكان ذلك متصلاً مع لفظ اليمين لم تنعقد اليمين ، وإنْ فُصِلَ الاستثناء عن لفظ اليمين انعقدت . وقال الشافعي لا بأس بالسكتة الخفية للتذكر أو للتنفس أو لانقطاع الصوت . وذكر المالكية أن السعال أو العطاس أو التثاؤب لا يعتبر فصلا .

والأَيْمان عند الحنفية : مبنية على العرف والعادة . وقال الشافعية : الأَيْمان مبنية على الحقيقة اللغوية إلا إذا احتمل اللفظ شيئًا آخر ونواه الحالف فيعمل بنيته . وقال مالك في المشهور من مذهبه : المعتبر في الأيمان : النية فإن عدمت فقرينة الحال ، فإن عدمت فعرف اللفظ ، فإن عدم فدلالة اللغة .

والعبرة عند الحنابلة للنية ، فإن لم ينو شيئًا رجع إلى سبب اليمين ، ويتفرع على هذا البحث خلافات كثيرة في كثير من المسائل ، وهناك يمين يسميها الحنفية يمين الفور : وهو أن يحلف الإنسان على شيء في المستقبل ، فتكون دلالة الحال ظاهرة على أنه يريد التأقيت كأن يقول شخص لآخر : تعال تغدى معي ، فيقول : والله لا أتغدى ، ثم رجع إلى منزله فتغدى . ومثل ذلك كل حالة أراد بها صاحبها التوقيت ولم يرد الديمومة وكانت دلالة الحال تدل على ذلك إلا أن زفر - من فقهاء الحنفية - اعتبر هذه اليمين منعقدة كغيرها .

ومن حلف على شيء غير متصور الوجود أصلا بأن يكون مستحيلا عقلا . كأن قال : والله لأشربن ماء هذا الكوز وليس في الكوز ماء ، فقد أفتى أبو حنيفة ومحمد ومالك وبعض الحنابلة بأن هذه اليمين لا تنعقد .

أما إذا حلف على ما هو مستحيل عادة لا عقلا فإن الجمهور على أن يمينه منعقدة . وقال الشافعية والحنابلة : لا كفارة ولا حنث على غير المكلف كالصبي والمجنون والنائم ، ولا كفارة على المغمى عليه والمخدر لضرورة والساهي والمكره .

ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فإنه يستحب له أن يحنث و يكفر عن يمينه ، ولا يجوز أن يكفر قبل اليمين باتفاق العلماء ، أما إذا حلف وأراد الحنث فقد قال الحنابلة : يجوز فعل الكفارة قبل الحنث وبعده ، وكذلك قال الشافعية ، إلا أنهم قالوا : الكفارة بعد الحنث أفضل ، وقال أبو حنفية لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث ، ولا تجب الكفارة على الفور بل هي واجبة على التراخي ، والاستعجال بها أفضل ، والموسر يخير في الكفارة بين أحد أمور ثلاثة : إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو إعتاق رقبة فإذا عجز الإنسان عن الخصال الثلاثة المذكورة لزمه صوم ثلاثة أيام ، ولا يصح الصيام إلا إذا كان الإنسان عاجزًا عن المال الذي يصرفه في الكفارة زائدًا عن كفايته في يومه وليلته وكفاية

من تلزمه نفقته ، والعبرة للعجز وقت الأداء لا وقت الوجوب عند الحنفية والمالكية والشافعية ، والمعتبر عند الحنابلة وقت الوجوب ، أي حاله عند الحنث . والإطعام هو أن يقيت الإنسان عشرة مساكين أو مسكينًا واحدًا عشرة أيام غداءً وعشاءً ، ويكفي عند الحنفية دعوة المساكين إلى الطعام وإباحته لهم ، وعند غير الحنفية لابد من التمليك بالفعل أخذًا ، ويكفي عند الحنفية أن يدفع للمسكين عن اليوم الواحد نصف صاع من حنطة أو ما يعدل عند الحنفية حوالي ألفي غرام إلا قليلاً أو ثمنه .

أما مقدار طعام الإباحة عند الحنفية فأكلتان مشبعتان غداءً وعشاءً أو فطرًا وسحورًا أو غداءين في يومين ، فذلك يجزئ عن إطعام مسكين يومًا واحدًا . والعبرة أن يطعمهم مما يطعم أهله ، وأجاز أبو حنيفة وأبو محمد إعطاء فقراء أهل الذمة كفارة الأيمان وغيرها من الكفارات والنذور .

ويشترط في المدفوع إليهم الطعام أن يكونوا مساكين أحرارًا وإن كان صغيرًا يأكل الطعام يجزئ ، وأما الكسوة فلابد من تمليكها عند عامة الفقهاء ، وأدنى الكسوة عند الحنفية ما يستر عامة البدن . وقال الحنابلة : تتقدر الكسوة بما تجزئ الصلاة فيه مراعىً في ذلك حال الرجل والمرأة . وقال المالكية : أقل ذلك للرجل ثوب يستر جميع بدنه ، وللمرأة مايجوز لها فيه الصلاة وذلك ثوب وخمار . وقال الشافعية : يجزئ أقل ما يطلق عليه اسم الكسوة من إزار أو قميص أو ملحفة فيجوز عند الشافعية الكسوة بالسراويل والعمامة . أما الرقبة فيشترط عند الحنفية أن تكون مملوكة ملكًا كاملاً للمعتق ، وأن تكون كاملة الرق سليمة من العيوب سواء كانت صغيرة أو كبيرة ، ذكرًا أو أنثى ، مسلمة أو كافرة .

واتفق الفقهاء على أن الحانث إن لم يجد طعامًا ولا كسوة ولا عتقًا يجب عليه أن يصوم ثلاثة أيام ، واشترط الحنفية والحنابلة أن تكون متتابعة ، ولا يشترط التتابع عند المالكية والشافعية ولكنه يستحب ، ومن أوجب التتابع فإنه يوجب على من قطع التتابع ولو لعذر كمرض أو سفر أو حيض أن يستأنف الصوم من جديد مرة أخرى ، وكذلك إذا بدأ صيامه قبل يومي العيد وأيام التشريق فعليه أن يفطر ويبطل التتابع وعليه أن يستأنف الصيام من جديد .



الفقـرات

الفقرة الأولى : في أقوال العلماء في اليمين .

الفقرة الثانية : في بعض ما ورد في القرآن الكريم في اليمين .

الفقرة الثالثة : في بعض ما ورد في الحلف بغير الله .

الفقرة الرابعة : في اليمين الغموس .

الفقرة الخامسة : في أن الاستثناء في اليمين يلغي اليمين .

الفقرة السادسة : في من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها .

الفقرة السابعة : في متفرقات في الأيمان .



الفقرة الأولى

في :

بعض أقوال العلماء في اليمين

قال البغوي في شرح السنة :

وَقَــالَ بَعْضُهُمْ: قِيـلَ لِلْحَلِفِ : يَمِينٌ بـاسْمِ يَمِينِ اليَـدِ ، وَكَانُـوا يَبْسُطُـونَ أَيْمَـانَهُمْ إِذَا تَحَـالَفُوا ، وَيَقولُـونَ في اليَمِينَ : وَايْمُنُ اللهِ ، وَيَحْـذِفُ بَعْضُهُمُ النُّـونَ ، فَيَقُـولُ : وَايْمُ اللهِ.اهـ.

وقال صاحب الهداية ـ وهو من فقهاء الحنفية ـ :

الأيمان على ثلاثة أضرب : اليمين الغموس ، ويمين منعقدة ، ويمين لغو . فـالغموس : هو الحلف على أمر ماض يَتَعَمَّد الكذب فيه ، فهذه اليمين يأثم فيها صاحبها ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « من حلف كاذبًا أدخله الله النار» ولا كفارة فيها إلا التوبة والاستغفار .

وقال الشافعي رحمه الله : فيهـا الكفـارة لأنهـا شرعت لرفع ذنب هتـك حرمـة اسم الله تعالى ، وقد تحقق بالاستشهاد بالله كاذبا فـأشبـه المعقودة . ولنـا أنهـا كبيرة محضـة والكفـارة عبادة تتأدى بالصوم ، ويشترط فيها النية فلا تناط بها بخلاف المعقودة لأنها مباحـة ولو كان فيهـا ذنب فهو متـأخر متعلق بـاختيـار مبتـدأ ، ومـا في الغمـوس مـلازم فيمتنـع الإلحـاق ، والمنعقـدة مـا يحلـف على أمر في المستقبل أن يفعله أو لا يفعله ، وإذا حنث في ذلك لزمته الكفـارة لقـولـه تعـالى : ﴿ لا يـؤاخـذكم الله بـاللغـو في أيمـانكم ولكن يـؤاخـذكم بمـا عقّـدتم الأيمـان ﴾ [1] وهو ما ذكرنا . واليمين اللغو أن يحلف على أمر مـاض وهـو يظن أنـه كا قـال والأمر بخلافه ، فهذه اليمين نرجو أن لا يؤاخذ الله بها صاحبها . ومن اللغو أن يقول : والله إنه لزيد وهو يظنـه زيـدًا ، وإنمـا هو عمرو ، والأصل فيـه قولـه تعـالى ﴿ لا يؤاخـذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم ﴾ الآية إلا أنه علقه بالرجاء للاختلاف في تفسيره اهـ .

وقال صاحب كتاب الفقه على المذاهب الأربعة في حكم اليمين :

---

(١) المائدة : ٨٩ .

يختلف حكم الحلف باختلاف الأحوال ، فتارة يكون واجبًا إذا توقف عليه واجب ، كما إذا توقف عليه إنقاذ إنسان بريء مصون الدم من الهلاك ، وقد يكون حرامًا كما إذا حلف على ارتكاب محرم أو حلف بما لا يباح الحلف به . اهـ .

ومن كلام المالكية :

الأصل في اليمين أن يكون جائزًا متى كان باسم الله تعالى أو بصفة من صفاته ولو لم يطلب منه الحلف ، وقد يستحب إذا كان فيه تفخيم أمر من أمور الدين أو حث عليه أو تنفير من محذور ، على أن تكثير الحلف من غير ضرورة من البدع الحادثة بعد السلف ، ومتى كان اليمين مباحًا كان الحنث مباحًا وعليه الكفارة ، إلا أن يكون الخير في الحنث فإنه حينئذ يتبع ذلك في الحكم ، فإن حلف على ترك واجب وجب الحنث ، وإن حلف على فعل معصية وجب الحنث ، وينعكس الحكم إذا حلف على فعل واجب أو ترك معصية وهكذا.

والحنابلة :

قالوا : الحلف يكون واجبًا وحرامًا كما ذكر ، ويكون مكروهًا إذا كان على فعل مكروه أو على ترك مندوب . ومن الحلف المكروه : الحلف على البيع والشراء لحديث : « الحلف منفق للسلعة ممحق للبركة »[1] .

ويكون مندوبا إذا تعلقت به مصلحة كإصلاح بين متخاصمين ولو كان الحالف أحد المتخاصمين ، أو إزالة حقد في قلب مسلم أو دفع شر عنه أو عن غيره . أما الحلف على فعل الطاعة وترك المعصية فليس بمندوب .

ويكون مباحا كالحلف على فعل المباح أو تركه ، أو على الخبر بشيء هو صادق فيه أو يظن أنه صادق فيه ، ومنه الحلف على فعل الطاعة وترك المعصية اهـ (الفقه على المذاهب الأربعة) .

---

(١) ابن ماجة (٢ / ٧٤٥) ١٢ ـ كتاب التجارات ، ٣٠ ـ باب ما جاء في كراهية الأيمان في الشراء والبيع .

ومن كلام الشافعية :

الأصل في الحلف الكراهة لقوله تعالى : ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾ [١] ، وقد يكون مباحًا غير مكروه كما إذا حلف على فعل طاعة أو ترك مكروه ، أو في دعوى عند حاكم مع الصدق ، أو كان لتأكيد أمر في حاجة إلى التأكيد ، أو كان لتعظيم شأن أمر . ويكون مندوبا إذا توقف عليه فعل مندوب أو ترك مكروه .

أما الحنث فتعتريه الأحكام الخمسة ، فتارة يكون واجبًا كما إذا حلف على معصية أو ترك واجب ، فمن حلف ليشربن الخمر ، أو لا يصلي فإنه يفترض عليه أن يحنث وعليه الكفارة . وتارة يكون حرامًا إذا كان بالعكس ، كما إذا حلف أن يقيم الصلاة المفروضة أو لا يزني فإنه يفترض عليه البرّ باليمين ويحرم عليه الحنث ، وتارة يكون مندوبًا كما إذا حلف على فعل مندوب وترك مكروه ، وتارة يكون مكروهًا كما إذا حلف على ترك مندوب وفعل مكروه . وتارة يكون خلاف الأولى كما إذا حلف على فعل مباح أوتركه كالأكل والشرب ، فالأولى أن يبر باليمين صونًا لاسم الله تعالى وهو في جميع الأحوال تجب عليه الكفارة إذا حنث اهـ (الفقه على المذاهب الأربعة) .

ومن كلام الحنفية :

الأصل في اليمين بالله أو بصفة من صفاته أن يكون جائزًا ، ولكن الأولى أن لا يكثر منه اهـ (الفقه على المذاهب الأربعة) .

وقال في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة :

لا ينعقد اليمين بغير الله تعالى كالحلف بالنبي ﷺ ، والكعبة ، وجبريل ، والولي وغير ذلك من كل معظم ، ولا كفارة على الحنث في الحلف به ، وإذا قصد الحالف بذلك إشراك غير الله معه في التعظيم كان ذلك شِرْكًا ، وإذا قصد الاستهانة بالحلف بالنبي والرسول ونحو ذلك كفر اهـ .

---

(١) البقرة : ٢٢٤ .

أقول : وقد تفنن الناس خلال العصور أنواعًا من الأيْمان وأنواعًا من الطرق لتأكيد ما يريدون فاقتضى ذلك فتاوى مطولة وأبحاثًا كثيرة . وها نحن أولاً ننقل لك صورًا من أقوال المذاهب تبين لك نماذج ما ذكرناه ، وإذا أردت التوسع في معرفة ذلك فأمامك كتب المذاهب الفقهية التي تجد فيها مئات الصفحات عن الأيْمان وأنواعها وما يترتب على كل صيغة من آثار وأحيانًا من بلاء :

الحنفية ـ قالوا : الحلف بالتعليق نحو : عليّ الطلاق لا أفعل كذا ، أو إن فعلت كذا يلزمني الطلاق ، إن كان الغرض منه الوثيقة أي اتثاق الخصم بصدق الحالف جاز بدون كراهة ، وإن لم يكن الغرض منه ذلك أو كان حلفًا على الماضي فإنه يكره ، وكذلك الحلف بنحو : وأبيك ولعمرك ونحو ذلك .

الشافعية ـ قالوا : يكره الحلف بغير الله تعالى ويكره الحلف بالطلاق .

الحنابلة ـ قالوا : يحرم الحلف بغير الله تعالى وصفاته ولو بنبي أو ولي ، فمن حلف بذلك يستغفر الله تعالى ويتوب ويندم على ما فرط منه ولا كفارة عليه . ويكره الحلف بالطلاق والعتاق .

المالكية ـ قالوا : الحلف بمعظم شرعا كالنبي والكعبة ونحوهما فيه قولان : الحرمة ، والكراهة والمشهور : الحرمة ، أما الحلف بما ليس بمعظم شرعا كالحلف بالأنصاب والدماء التي كان يحلف بها في الجاهلية ، أو بشيء من المعبودات دون الله تعالى فلا خلاف في تحريمه إذا لم يقصد تعظيمها ، وإلا كفر .. وكذلك لا ينبغي الاختلاف في تحريم الحلف بالآباء والأشراف ورؤوس السلاطين وحياتهم وما شاكل ذلك .

أقول : المذاهب الأربعة على كراهة الحلف بالطلاق ، وعلى وقوع الطلاق إذا حنث بما حلف عليه .

إذا حلف على غيره أو سأله بالله :

إذا قال لغيره : أقسم عليك بالله ، أو أحلف عليك بالله لتفعلن كذا ، أو لا تفعل كذا ففيه تفصيل المذاهب :

الحنفية ـ قالوا : إذا قال رجل لآخر : والله لتفعلن كذا وكذا ، أو بالله لتفعلن كذا ، فإن أراد به استحلاف المخاطب ولم يرد أن يحلف هو فلا يكون يمينًا ولا شيء عليهما ، وإن أراد أن يحلف بذلك أو لم يرد شيئًا فإنه يكون يمينًا ، ويحنث إذا لم يطعه المخاطب .

وإذا قال له : أقسمت لتفعلن كذا ، أو قال : أقسمت بالله ، أو أشهد بالله ، أو أحلف بالله أو أعزم بالله لتفعلن كذا ، سواء قال عليك أو لم يقل فإنه ينعقد يمينًا يلزم به الحالف ، ولا شيء على المخاطَب إلا إذا أراد به الاستفهام فإنه لا يكون يمينًا حينئذ .

المالكية ـ قالوا : إذا حلف على رجل بأن قال له : حلفت عليك بالله لتفعلن كذا ، أو لا تفعل كذا فلم يطعه حنث الحالف وعليه الكفارة ، ولا شيء على الآخر : وكذلك إذا قال : أقسمت عليك فإنه إن لم يطعه وجبت الكفارة على من أقسم إلا إذا قصد بذلك غير اليمين ، فإنه في هذه الحالة فيه خلاف ، والمشهور أنه لا شيء عليه ، وكذا إذا لم يقصد شيئًا .

ولو قال : حلفت عليك ولم يقل بالله ولم ينوه فلا كفارة عليه . وكذا لو قال : أعزم عليك بالله ، أو عزمت عليك بالله ، أو سألتك بالله ولم يقصد به اليمين ، فالأصح أنه لا يكون يمينًا .

ويندب لمن سأله أحد بالله أو أقسم عليه به أن يبر قسمه ، وأن يجيبه إلى طلبه إذا لم يكن هناك مانع شرعي ولم يتذرع السائل بذلك إلى الإلحاف ومضايقة الناس ، ويتأكد الندب فيما تجب فيه الكفارة .

الشافعية ـ قالوا : إذا قال لغيره : أقسم عليك بالله أو أسألك بالله لتفعلن كذا ، فإنه يكون يمينًا إذا قصد به يمين نفسه ، أما إذا قصد به يمين المخاطب ، أو قصد الشفاعة عنده ، أو لم يقصد شيئًا فإنه لا يكون يمينًا ، فإذا حلف الشخص على آخر أنه يأكل فإذا أراد تحقيق الأكل وأنه لابد منه كان يمينًا ، وإن أراد أتشفع عندك بالله أنك تأكل ، أو أراد يمين المخاطَب كأن قصد جعله حالفا بالله فلا يكون يمينًا ، لأنه لم يحلف حينئذ لا هو ولا المخاطب ، ويحمل عند الإطلاق على الشفاعة ، ويسن للمخاطب إبراره في القسم إذا أراد

به يمين نفسه .

الحنابلة ـ قالوا : إذا أقسم على غيره فإن قال : والله لتفعلن يـا فلان كـذا ، أو لا تفعلن كذا فلم يطعه حنث الحالف وعليه الكفارة . لا على من لم يطعه على الراجح . وإن قـال : أسألك بالله لتفعلن كذا ، وأراد بذلك اليمين يكون يمينًا ، والكفارة على الحالف أيضًـا . أمـا إذا أراد به الشفاعة فـإنـه لا يكون يمينًـا ، ويسن إبرار القسم كما تسن إجـابـة السؤال بـالله . اهـ .

الفقرة الثانية

في :

بعض ما ورد في القرآن الكريم في اليمين

- قـال تعـالى : ﴿ ولا تجعلـوا الله عرضـة لأيمانكم أن تبروا وتتقـوا وتصلحـوا بين النـاس ﴾ [1] أي : لا تجعلوا أيمانكم حـائلـة بينكم وبين البر والتقوى والإصـلاح بين النـاس ، وقد جاءت النصوص الكثيرة تحض من حلف على يمين فرأى غيرهـا خيرًا منهـا أن يكفر عن يمينه ويأتي بالذي هو خير .

- وقال تعالى في اليمين الكاذبة : ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ [2] .

- وقال تعالى في اليمين اللغو واليمين المنعقدة : ﴿ لا يؤاخذكم الله بـاللغو في أيمـانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ [3] .

- وقال تعالى : ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ [4] .

- وقال تعالى : ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ [5] .

- وقال تعالى : ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ [6] .

- وقال تعالى : ﴿ ولا يـأتل أولو الفضل منكم والسعـة أن يؤتوا أولي القربى والمسـاكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ﴾ [7] .

أقول : وقد بينت السنة الحالات التي يجوز للإنسان أن يحنث بيمينه فيها وهناك حالات يفترض على الإنسان فيها ، أن يحنث ، وهناك حالات يندب للإنسان أن يحنث فيها .

---

(١) البقرة : ٢٢٤ .

(٢) المجادلة : ١٤ .

(٣) المائدة : ٨٩ .

(٤) البقرة : ٢٢٥ .

(٥) المائدة : ٨٩ .

(٦) النحل : ٩١ .

(٧) النور : ٢٢ .

(ولا يأتل) : أي لا يحلف ولا يمتنع .

الفقرة الثالثة

في :

بعض ما ورد في الحلف بغير الله

١٥٦١ - * روى النسائي عن قُتَيْلَةَ (امرأةٌ مِنْ جُهَيْنَةَ) أنَّ يَهُودِيًّا أتى النبيَّ ﷺ فقال : إنَّكم تُنَدِّدُونَ و تُشْرِكُونَ ، تقُولُونَ : مَا شَاءَ اللهُ وَ شِئْتَ ، وَتقُولُونَ : والكَعْبَةِ ، فَأمَرَهم النبيُّ ﷺ إذَا أرادُوا أنْ يَحْلِفُوا ، أنْ يَقُولُوا : « وَرَبِّ الكَعْبَةِ » : وَ يَقُولُ أحَدُهُم : « مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ شِئتَ » .

قال ابن الأثير :

(ما شاء الله وشئت) إنَّما فرَّق بين قوله : « ما شاء الله وشئتَ ؛ وما شاء الله ثم شئتَ » لأن الواو قد ذهب قوم إلى أنَّها موضوعة للجمع والمشاركة ، لا للترتيب ، فإذا قال : « ما شاء الله وشئتَ » كان قد جمع بينه وبين الله عز وجل في المشيئة ، ولهذا قال القائل بهذا : إذا قلتَ : (قام زيد وعمرو) يجوز أن يكون عمرو قد قام قبلَ زيدٍ ، فأما إذا قال : « ما شاء الله ثم شئتَ » ترتَّبتْ مشيئةُ الله تعالى قبل مشيئته فلهذا قال لهم النبيُّ ﷺ : قولوا : « ما شاء ثم شئتَ » .

١٥٦٢ - * روى أحمد والترمذي عن سعدِ بن عُبَيْدةَ أنّ ابنَ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلا يَقُولُ : لا والكَعْبَةِ ، فقَالَ له : لا تَحْلِفْ بغَيْرِ اللهِ ، فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أوْ أشْرَكَ » . وقال الترمذي : هذا على التغليظ .

١٥٦١ - النسائي (٧ / ٦) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٩ - باب الحلف بالكعبة .

وإسناده حسن .

١٥٦٢ - أحمد (٢ / ١٢٥) .

والترمذي (٤ / ١١٠) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٨ - باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله .

وقال : هذا حديث حسن . وهو كما قال .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٦ / ٢٧٨) .

والمستدرك (٤ / ٢٧٩) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

أقول : قول الترمذي : « هذا على التغليظ » يفيد أن ابن عمر لا يريد الكفر الحقيقي ، وإجماع العلماء منعقد على أن الحلف بالكعبة لا يعتبر يمينًا ، والراجح عند العلماء أنه مكروه ، وذهب بعضهم إلى أنه حرام .

١٥٦٣ ـ * روى الطبراني عن عبدِ الله قالَ : لأنْ أحلِفَ بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلِفَ بغيره وأنا صادقٌ .

أقول : هذا من عبد الله رضي الله عنه : يؤكد حرمة الحلف بغير الله حتى إنه ليراه أفظع من اليمين الغموس .

١٥٦٤ ـ * روى أبو داود عن طلحةَ بنِ عُبَيْدِ الله رَضِيَ اللهُ عنْهُ يَعْني في قِصَّةِ الأعْرابي : فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « أَفْلَحَ وَأَبيهِ إنْ صَدَقَ ، أَوْ دَخَلَ الجَنَّةَ وَأَبيهِ إنْ صَدَق » .

قال ابن الأثير :

(أفلح وأبيه) هذه كلمة جارية على أَلْسُنِ العَرَبِ ، تسْتَعْمِلُها كثيرًا في خطابها وتريد التأكيد ، وَأَمَّا نَهْيُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أن يُحلِفَ الرجلُ بأبيه ، فيحتمل أن يكون هذا القول منه قبل النهي ، ويحتمل أن يكون جرى منه على عادة الكلام الجاري على اللسان ، وهو لا يقصد به القسم ، كاليمين المعفو عنها من قبيل اللغو ، أو أنه أراد التأكيد ، لا اليمين ، فإن هذه اللفظة تجري في كلام العرب على ضربين : للتعظيم ، والتأكيد ، والتعظيم : هو المنهي عنه ، وأما التأكيد ، فلا، لقوله :

لَعمرُ أبي الواشين لا عَمرُ غيرِهم ... لقد كَلَّفَتْني خِطَّةً لا أريدُها

فهذا توكيد ، لأنه لا يقصد أن يقسم بأبي الواشين ، وهذا في كلامهم كثير . اهـ .

أقول : من كلام ابن الأثير نعرف أن بعض العلماء اعتبر أن هذا الحديث منسوخ ، وأنَّ

١٥٦٣ ـ المعجم الكبير (٩ / ٢٠٥) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٧٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

١٥٦٤ ـ أبو داود (٣ / ٢٢٣) كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء .

بعضهم اعتبره أنه مما يجري على ألسنة الناس دون أن يراد فيه القسم ولا التعظيم ، وبالإجماع لا كفارة فيه .

وهو في أدنى حالاته مكروه بعد ورود النهي الصريح عن الحلف بـالآبـاء عن رسول الله ﷺ عند بعضهم ، وعند بعضهم مباح إذا لم يرافقه اعتقاد فاسد .

١٥٦٥ ـ * روى البخـاري ومسلم عن عَبْـدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَـالَ سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ يَنْهَاكُم أَنْ تَحْلِفُوا بآبَائِكم » .

وزادوا فيها ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ : فَو اللهِ ما حَلَفْتُ بِهَـا مُنْـذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْهَى عَنْهَا ، ذَاكِرًا وَلا آثِرًا .

وَفِي أُخْرَى [١] أنَّ النبيَّ ﷺ سَمِعَ عُمَرَ يَقُول : وَأَبِي ، وَأَبِي ، فقـال : « إنَّ اللهَ يَنْهَـاكُم أَنْ تحلِفُوا بآبَائِكُم ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلا يَحْلِفْ إلا بالله ، أَوْ لِيَسْكُتْ » .

وفي أُخْرَى [٢] قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ كَانَ حَالِفـاً فَلا يَحْلِفْ إلا بـالله » . وكانت قُرَيشٌ تَحْلِفُ بآبَائِها ، فَقَالَ : « لا تَحلِفُوا بآبائِكُمْ » .

وللبخاري [٣] : أن النبيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ باللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ » .

وَلَهُ فِي أُخْرَى [٤] أنه قَالَ : « لا تَحْلِفُوا بآبائِكم » وَكَانَتِ العَرَبُ تَحْلِفُ بآبَائها .

١٥٦٥ ـ البخاري (١١ / ٥٣٠) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٤ ـ باب لا تحلفوا بآبائكم .
مسلم (٣ / ١٢٦٦) ٢٧ ـ كتاب الأيمان ، ١ ـ باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى .
وأبو داود (٣ / ٢٢٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلف بالآباء .
والترمذي (٤ / ١٠٩) ٢١ ـ كتاب النذور والأيمان ، ٨ ـ باب في كراهية الحلف بغير الله .
وقال : حديث حسن صحيح .
والنسائي (٧ / ٤) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٥ ـ باب الحلف بالآباء .
قوله : (ولا آثرًا) أي : ولا راويًا لها عن أحد .

(١) الترمذي (٤ / ١١٠) ٢١ ـ كتاب النذور والأيمان ، ٨ ـ باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله .
وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) مسلم (٣ / ١٢٦٧) ٢٧ ـ كتاب الأيمان ، ١ ـ باب النهي عن الحلف بغير الله .

(٣) البخاري (١١ / ٥٣٠) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٤ ـ باب لاتحلفوا بآبائكم .

(٤) البخاري نفس الموضع . وليس فيه : « وكانت العرب تحلف بآبائها » .

١٥٦٦ - * روى ابن ماجة عن ابن عمر قال : سَمِعَ النَّبيُّ ﷺ رَجُلاً يَحْلِفُ بِأَبِيهِ ، فَقَالَ : « لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ أُحْلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ » .

١٥٦٧ - * روى أبو داود عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا تَحلِفوا بِآبَائِكم وَ لا بِأُمَّهَاتِكم ، وَلا بِالأَنْدَادِ ، وَلا تَحلِفُوا إلا بِاللهِ ، و لاتَحْلِفُوا باللهِ عَزَّ وَجَلَّ إلا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ » .

١٥٦٨ - * روى مسلم عن عَبْدِ الرَّحمنِ بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لاَ تَحْلِفُوا بالطَّوَاغِيّ وَلا بِآبَائِكُم » .

وفي رواية النسائي (١) « لا تَحلِفُوا بآبائِكُم وَلا بالطَّوَاغِيتِ » .

قال ابن الأثير :

(الطواغي) والطواغيت : الأوثان ، وهو ما كانوا يعبدونه ، وكذلك الشياطين ، وكل رأس في ضلالة فهو طاغوت ، والجمع : طواغيت ، والطواغيت : جمع طاغية .

١٥٦٩ - * روى أحمد عن بريدة رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ بالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا » .

قال ابن الاثير :

(مَن حَلَفَ بالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا) قَالَ الخَطَّابيُّ : يُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ الكَرَاهةُ فيها من أَجْلِ أَنه أُمِرَ أَن يَحْلِفَ بالله وَصِفَاتِهِ ، وَلَيْسَتِ الأَمَانَةُ مِنْ صِفَاتِهِ ، وَإِنَّما هِيَ مِنْ أَوَامِرِهِ ، وَفَرْضٌ

١٥٦٦ - ابن ماجه (١ / ٦٧٩) ١١ - كتاب الكفارات ، ٤ - باب من حُلِفَ له بالله فليرض .

قال في الزوائد : رجال إسناده ثقات .

١٥٦٧ - أبو داود (٣ / ٢٢٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء .

والنسائي (٧ / ٥) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٦ - باب الحلف بالأمهات . إسناده صحيح .

١٥٦٨ - مسلم (٣ / ١٢٦٨) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٢ - باب من حلف باللات أو العزى .

(١) النسائي (٧ / ٧) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذر ، ١٠ - باب الحلف بالطواغيت .

١٥٦٩ - أحمد (٥ / ٣٥٢) .

أبو داود (٣ / ٢٢٣) كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالأمانة .

مِنْ فُرُوضِهِ ، فَنَهُوا عَنْهُ ، لِمَا فِي ذلِكَ مِن التَّسوِيَةِ بَيْنَها و بَيْنَ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ ، عَلَى أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ وأَصحَابَه قالوا : إذا قَالَ : وَأَمَانَةِ الله ، فَهِيَ يَمِينٌ ، وَعَلَيْهِ الكَفَّارَةُ ، وخَالَفَهُم الشَّافِعِيُّ في الأمْرَيْنِ .

أقول : ووافق الحنفية المالكية والحنابلة ، ووافق الطحاوي من الحنفية الشافعية فلم يعتبره يمينًا ، وعلى كل الأحوال فالوارد في النصوص : « الحلف بالأمانة » والمسألة المختلف فيها : « الحلف بأمانة الله » .

١٥٧٠ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن ابن عمر ، أن رجلا سمع رجلا يحلِفُ بالأمانةِ فقال : ألست الذي تحلف بالأمانةِ .

أقول : استفهام ابن عمر للإنكار .

١٥٧١ ـ * روى أبو داود عن بريدة رَضِيَ الله عَنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَنْ حَلَفَ ، فَقَالَ : إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإسلام ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا ، فَهوَ كَمَا قَالَ ، وإن كَانَ صَادِقًا ، فَلَنْ يَرْجِعَ إلى الإسْلامِ سَالِمًا » .

أقول : إن الجرأة على مثل هذا اليمين حتى لو كان الإنسان صادقًا تعتبر مثلبة ونقصًا في دين الرجل . أما من حيث اعتباره يمينًا فقد قال الحنفية وفي رواية عن أحمد يكون يمينًا موجبة للكفارة إذا فعل الشيء المحلوف عليه . وقال المالكية والشافعية والحنابلة في الرواية الصحيحة عندهم : لا يكون يمينًا ولا كفارة عليه بالحنث فيه ، والحلف به معصية إذا قصد تبعيد نفسه عن المحلوف عليه . أما لو حلف على قصد الرضا بالكفر فقد كفر في الحال ، فإن لم يعرف قصده فقد رجح الشافعية عدم الحكم بكفره ، هذا إذا أضاف قوله إلى المستقبل ، أما إذا أضاف قوله إلى الماضي وكان قد واقع ما أراد البراءة منه فقد اختلف في

١٥٧٠ ـ مجمع الزوائد (٤ / ١٧٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

١٥٧١ ـ أبو داود (٣ / ٢٢٤) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام .

والنسائي (٧ / ٦) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ـ باب الحلف بالبراءة من الإسلام . وإسناده حسن .

وابن ماجة (١ / ٦٧٩) ١١ ـ كتاب الكفارات ، ٣ ـ باب من حلف بملة غير الإسلام .

والمستدرك : (٤ / ٢٩٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

تكفيره ومن لم يكفره بنى عدم تكفيره على أنه لم يقصد الكفر وإنما قصد ترويج كلامه وتصديقه فيه .

١٥٧٢ - * روى الترمذي عن ثابتِ بنِ الضَّحَّاك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَال رَسُولُ الله ﷺ : « مَن حَلَف بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلامِ كَاذِبًا فهو كَمَا قَال » .

قال ابن الأثير :

(فَهُوَ كَمَا قَالَ) مَعْنَى هذا القَوْل : هُوَ أنْ يَقُول الإِنْسَان فِي يَمِينِه : إنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، فَأنا كَافِرٌ أَوْ يَهُودِيٌّ أو نَصْرَانِيٌّ ، وَنَحْوَ ذلك ، وَيَكُونَ كَاذِبًا فِي قوله ، قَال النبيُّ ﷺ : إذَا قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ كَاذِبٌ ، فَقَدْ صَارَ إلَى مَا قَالَهُ مِن الكُفْرِ وَغَيْرِهِ ، وَهذَا يَنْعَقِدُ بِهِ يَمِينٌ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَة ، فَإنَّه لا يُوجِبُ فِيهِ إلا كَفَّارَةَ يمين ، وَأَمَّا الشَّافعيُّ : فَلا يَنْعَقِدُ عِنْدَهُ بذلك يمين ولا كَفَّارَة فِيهِ .

قال البغوي في شرح السنة :

إذا حلف الرجل بغير الإسلام ، فقال إن فعل كذا ، فهو يهودي ، أو نصراني ، أو بريء عن الإسلام ، ففعل ، ذهب جماعة من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم إلى أن عليه كفارةَ اليمين ، وبه قال النخعي ، وإليه ذهب الأوزاعي ، والثوري ، وأصحاب الرأي ، وأحمد ، وإسحاق ، وذهب قوم إلى أنه أتى بأمر عظيم ، ولا كفارة عليه ، وهو قول أهل المدينة ، وبه يقول مالك ، والشافعي ، وأبو عبيد ا . هـ .

أقول : وعليه أن يجدد إيمانه بلفظ الشهادتين ، وعليه أن يستغفر ويتوب ، وعلى مذهب الحنفية عليه أن يجدد عقد زواجه إن حُكِمَ بكفره على رأي من يقول بأن من حلف على أمر

١٥٧٢ - الترمذي (٤ / ١١٥) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١٥ - باب ما جاء في كراهية الحلف بغير ملة الإسلام .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وأبو داود (٣ / ٢٢٤) كتاب الأيمان والنذور ، باب في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام .

والنسائي (٧ / ١٩) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣١ - النذر فيما لا يملك .

وَهو طَرَفٌ من حديث قد أخْرَجَه البخاري والترمذي وأبو داود .

وَزَادَ النسائي في هذا الطرف زيادة أخرى ، هي من جملة الحديث الطويل قال « وَمنْ قتل نَفْسَه بشيء عذبه الله به في نار جهنم » .

ماضٍ بمثل هذه الأَيْمان وكان يعلم أنّ كلامه لا يوافق ما قاله .

١٥٧٣ - * روى النسائي عن سعد بن أبي وَقّاصٍ رضِيَ الله عنْهُ قال : كُنّا نَذكر بعْض الأمْرِ ، وأنا حَديثُ عَهْدٍ بالجَاهلِيَّة ، فحَلَفْتُ باللات والعُزّى ، فقال لي أصحابُ رسولِ الله ﷺ : بئسَ ما قُلْتَ ، ائْتِ رسُولَ الله ﷺ فأخبرهُ ، فإنّا لا نراكَ إلا قد كَفرتَ ، فلَقيتُه فأخبرْتُه ، فقال : « قل : لا إلـه إلا اللهُ وحده - ثلاثَ مَرَّاتٍ - وتَعَوَّذْ بالله مِنَ الشَّيطانِ الرجيمِ - ثَلاثَ مَرَّاتٍ - واتْفُلْ عن شِمالِكَ - ثلاث مَرَّاتٍ - ولا تَعُدْ له » .

وفي أخرى [1] قال : حَلَفْتُ باللاتِ والعزّى ، فقالَ لي أصْحَابي : بِئْسَمَا قُلْتَ ، قُلتَ هُجْرًا ، فأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، فذَكَرْتُ ذلكَ لَهُ ، فقال : « قُلْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحده لا شَرِيكَ لَه ، لـه الملكُ ، وَلَهُ الحمدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَديرٍ ، وانْفُثْ عَنْ يَسَارِكَ - ثلاثًا - وتعوَّذْ بالله مِن الشَّيْطَانِ الرجيمِ ، ثُمَّ لا تَعُدْ » .

قال ابن الأثير :

(فَلْيَقُلْ : لا إلهَ إلا الله) قَالَ الخطّابيُّ ، وَفي قَوْلِه : « مَنْ حَلَفَ باللاتِ والعُزّى ، فَلْيَقُل : لا إلَه إلا الله » دَليل على أن الحالف بها وبما كان في معناهما لا يلزمه كفارة اليمين ، وإنما يلزمه الإنابة والاستغفار ، وهو مذهب الشافعي .

أقول : الحلف باللات والعزى وما شابه ذلك إن أراد به صاحبه التعظيم فقد كفر وعليه تجديد إيمانه كما يجب عليه تجديد عقد زواجه عند الحنفية .

أما إذا جرت على لسانه من غير قصد فكذلك يجب عليه تجديد إيمانه والاستغفار وهذه حالة دون الحالة الأولى .

١٥٧٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه أنّ النبيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ مِنْكم ، فَقَالَ في حَلفِهِ : باللات والعُزّى ، فَلْيَقُلْ : لا إلهَ إلا الله ، وَمَنْ قَالَ

١٥٧٣ - النسائي (٧ / ٧) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٢ - باب الحلف باللات والعزى .

(١) النسائي : الموضع السابق .

١٥٧٤ - البخاري (١١ / ٩١) ٧٩ - كتاب الاستئذان ، ٥٢ - باب كل لهو باطل إذا شغله عن طاعة الله .

مسلم (٣ / ١٢٦٧) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٢ - باب من حلف باللات والعزى ؛ فليقل لا إله إلا الله . =

لِصَاحِبِهِ : تَعَالَ أقامِرْكَ ، فَلْيَتصدَّقْ » قَالَ أبو دَاودَ : « يَعْني بِشَيءٍ » .

وَقَالَ مُسْلِمٌ : هَذَا الحَرْفُ - يَعْني قَوْلَهُ : « تَعَالَ أقَامِرْكَ فليتصدَّقْ » لا يَرويه أحدٌ غَيرُ الزهري ، قَالَ : وللزُّهْري نَحْوٌ من تِسعِينَ حَرفًا يَرْويهِ عَنِ النبيِّ ﷺ لا يُشَارِكه فيه أحَدٌ ، بأسَانِيدَ جيادٍ .

(فَليتصدّق) قال الخطابيُّ : فليتصدّق بِقَدْرِ مَا كَانَ جعله خطرًا في القِمار .

أقول : وهذا من باب : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » .

قال أبو بكر (ابن خزيمة) : فلم يأمر النبي ﷺ الحالف باللات ولا القائل لصاحبه تعال أقامرك ، بإحداث وضوء فالخبر دال على أنّ الفحش في المنطق وما زجر المرءَ عن النطق به لا يوجب وضوءًا خلاف قول من زعم أن الكلام السّيء يوجب الوضوءَ .

أقول : قال الحنفيّة : يندب الوضوء لمن قال قولا فيه إساءة ، ودليلهم على ذلك الأحاديث الكثيرة التي تذكر أنّ الوضوء يغسل الخطايا .

* * *

= وأبو داود (٣ / ٢٢٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلف بالأنداد .
والترمذي (٤ / ١١٧) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١٧ - باب : حدثنا إسحاق بن منصور .
وقال : هذا حديث حسن صحيح .
والنسائي (٧ / ٧) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ١١ - باب باللات .
وابن ماجه (١ / ٦٧٨) ١١ - كتاب الكفارات ، ٢ - باب النهي أن يحلف بغير الله .

الفقرة الرابعة

في :

اليمين الغموس

١٥٧٥ - * روى أبو داود عن جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهما ، أنّ رَسولَ الله ﷺ قال : « لا يَحْلِفُ أحدٌ عِنْدَ مِنْبَرِي هَـذَا عَلَى يَمِينٍ آثِمَـةٍ ، وَلَو عَلَى سِوَاكٍ أَخْضَرَ ، إلا تَبَوَّأَ مَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، أَوْ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ » .

وفي رِوَايَـةِ المُوَطّـأ (1) : أنّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى مِنْبَرِي بِيَمِينٍ آثِمَةٍ تبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

١٥٧٦ - * روى الطبراني عن سَلَمَـةَ بن الأكوع أن رسـول الله ﷺ قـال على المنبر : « لا يحلفُ أحد على يمين كاذبةٍ إلا تَبَوَّأ مَقعدَه من النار » .

١٥٧٧ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال أشهدُ لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما من عبدٍ أو أمَةٍ تحلف عند هذا المنبر على يمين آثمة ولو على سواكٍ رَطْبٍ إلا وَجَبَتْ لـه النار » .

١٥٧٨ - * روى الطبراني عن عِمران بنِ حُصين قـال : كنـا نَعُـدُّ اليمينَ الغمـوس من الكبائرِ .

أقول : مرّ معنا أنّ هناك خلافًا بين الفقهاء حول ما يكفر اليمين الغموس :

١٥٧٥ - أبو داود (٣ / ٢٢١) كتاب الأيمان والنذور - ٣ ، باب ما جاء في تعظيم اليمين عند منبر النبي ﷺ .

والموطأ (٢ / ٧٢٧) ٣٦ - كتاب الأقضية ، ٨ - باب ما جاء في الحنث على منبر النبي ﷺ . وإسناده صحيح .

١٥٧٦ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، ورجاله ثقات .

١٥٧٧ - أحمد (٢ / ٣٢٩) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٧٩) ، وقال رواه أحمد ورجاله ثقات .

١٥٧٨ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨١) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه كثير أبو الفضل ، روى عن جماعة ، ولم يضعفه أحد ، وبقية رجاله ثقات .

فالحنفية قالوا : ليس فيه كفارة يمين وعليه التوبة والاستغفار . والشافعية قـالوا : عليـه كفارة يمين والتوبة والاستغفار . والجميع متفقون على أنه لابـد من رد الحقوق إلى أصحـابها . ومن وافق الحنفية في أنه لا تجب فيه الكفارة المالكية وهو الراجح عند الحنابلة .

* * *

الفقرة الخامسة

في :

أنّ الاستثناء في اليمين يلغي اليمين

قال البغوي في شرح السنة :

(والعمل على هذا عند عامة أهل العلم أن الاستثناء إذا كان موصولاً باليمين ، فلا حنث عليه ، ولا فرق بين اليمين بالله ، أو بالطلاق والعتاق عند أكثر أهل العلم . وقال مالك ، والأوزاعي : إذا حلف بطلاق أو عتق ، فالاستثناء لا يغني عنه شيئًا ، ويقع الطلاق والعتاق ، وقال أصحاب مالك : الاستثناء إنما يعمل في يمين يدخلها الكفارة حتى قال مالك : إذا حلف بالمشي إلى بيت الله ، واستثنى ، فاستثناؤه ساقط ، والحنث له لازم .

واختلف أهل العلم في الاستثناء إذا كان منفصلاً عن اليمين ، فذهب أكثرهم إلى أنه لا يعمل إلا أن يكون بين اليمين والاستثناء سكتة يسيرة كسكتة الرجل للتذكر ، أو للعي ، أو للتنفس ، فإن طال الفصلُ ، أو اشتغل بكلام آخر بينهما ، ثم استثنى ، فلا يصح .

وذهب بعضهم إلى أن الاستثناء جائز مادام في المجلس ، رُوي ذلك عن طاووس ، والحسن ، وقال قتادة : له أن يستثني مالم يتكلم ، أو يقم ، وقال أحمد : له أن يستثني ما دام في ذلك الأمر ، وقال ابن عباس : له الاستثناء بعد حين ، وقال مجاهد : بعد سنين ، وقال سعيد بن جبير : بعد أربعة أشهر .) اهـ .

١٥٧٩ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « مَنْ حَلَفَ ، فَقَالَ : إنْ شَاءَ الله ، لَمْ يَحْنَثْ » .

وعِنْدَ النَّسائي [(١)] : أنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَف على يَمِينٍ ، فقال : إنْ شَاءَ اللّهُ ، فَقَد اسْتَثْنَى » .

١٥٧٩ - الترمذي (٤ / ١٠٨) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٧ - باب ما جاء في الاستثناء في اليمين .

(١) النسائي : (٧ / ٣٠) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤٣ - باب الاستثناء .

١٥٨٠ ـ * روى النسائي عن عَبْدِ الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، قَالَ : إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمينٍ ، فَقَالَ : إنْ شَاءَ اللهُ ، فَقَدِ اسْتَثْنَى » .

وَفي أخْرَى (١) : « مَنْ حَلَفَ عَلى يَمينٍ فاستَثنَى ، فَإن شَاءَ رَجَعَ ، وَإن شَاءَ تَرَكَ غَيْرَ حِنْثٍ » .

وَفي رِوَايةِ التِّرمِذي (٢) : أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمينٍ ، فَقالَ : إنْ شَاءَ اللهُ ، فَلا حِنْثَ عَلَيهِ » قال الترمذي : وَقَدْ رُوِيَ مَوْقُوفًا .

وفي رِوَايةِ الموطأ (٣) موقوفًا عن نافِعٍ عن ابنِ عُمَرَ أنَّه كان يَقُولُ : مَنْ قَالَ وَاللهِ ثُمَّ قَالَ : إنْ شَاءَ الله ، ثُمَّ لَمْ يَفعَلِ الذي حَلَفَ عَلَيْه ، لَمْ يَحْنَثْ .

١٥٨١ ـ * روى الطبراني عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « والله لأغزونَّ قريشًا » . ثم قال : « إن شاءَ الله » . ثم قال : « والله لأغزون قريشًا » . ثم قال : « إن شاء الله » . ثم قال : « والله لأغزون قريشًا » ثم قال : « إن شَاء اللهُ » .

١٥٨٢ ـ * روى البخاري ومسلم عنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : « قال سُلَيْمَانُ عَلَيهِ السَّلامُ : لأَطُوفَنَّ الليلةَ عَلَى تِسعينَ امرَأةً ، كُلُّ امْرَأةٍ تأتي بِفَارِسٍ يجاهد في سَبيلِ الله ، فَقَالَ لَهُ المَلَكُ قل : إن شَاءَ اللهُ ، فلم يقل : إن شاء الله ، فلم تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إلا امرَأةٌ واحِدةٌ ، جَاءَت بشِقِّ رجُلٍ ، فَقالَ وايمُ الذي نَفسي بيَدِهِ ، لَو قَال إن شَاءَ اللهُ لجَاهدوا في سبيل الله فُرسَانًا أجْمَعُون » .

١٥٨٠ ـ النسائي (٧ / ٢٥) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٣٩ ـ باب الاستثناء .

(١) النسائي : نفس الموضع .

(٢) الترمذي (٤ / ١٠٨) ٢١ ـ كتاب النذور والأيمان ، ٧ ـ باب ما جاء في الاستثناء في اليمين . وقال : هو حديث حسن يشهد له حديث أبي هريرة .

(٣) الموطأ (٢ / ٤٧٧) ٢٢ ـ كتاب النذور والأيمان ، ٦ ـ باب ما لا تجب فيه الكفارة من اليمين .

١٥٨١ ـ مجمع الزوائد (٤ / ١٨٢) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح . ورواه أبو يعلى أيضًا .

١٥٨٢ ـ البخاري (١١ / ٥٢٤) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٣ ـ كيف كان يمين النبي ﷺ ؟ .

مسلم (٣ / ١٢٧٦) ٢٧ ـ كتاب الأيمان ، ٥ ـ باب الاستثناء .

(الشِّقُّ) : من كل شيء : نصفه .

وفي رِوَايَةٍ [١] عَنْ أَبي هُريرَةَ قَالَ : « قَالَ سُلَيْمَانُ بن دَاوُدَ : لأَطُوفَنَّ اللَّيلةَ بِمائَةِ امْرَأةٍ ، تَلِدُ كُلُّ امْرَأةٍ مِنْهُنَّ غُلامًا يُقَاتِل في سَبيلِ اللهِ ، فَقَالَ لَهُ المَلَكُ : قُلْ : إنْ شَاءَ اللهُ ، فَلَمْ يقُلْ ، ونَسِيَ ، فَطَافَ بِهِنَّ ، وَلَمْ تَلِدْ مِنهُنَّ إلا امْرَأة نِصْفَ إنسانٍ » ، قال النبيُّ ﷺ : « لَوْ قَالَ : إنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَحْنَثْ ، وَكَانَ أَرْجَى لِحَاجَتِهِ ».

وفي رِوَايةٍ نَحْوه [٢] ، وَقَالَ : « تِسْعِينَ امْرَأةً » قَالَ : « وَلَوْ قَالَ : إنْ شَاءَ اللهُ ، لَم يَحْنَثْ ، وَكَان دَرَكًا لَه في حَاجَتِهِ » قَال : « وَقَالَ مَرَّةً : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لو اسْتَثْنَى » وفي رواية [٣] : « سَبْعِين امْرَأةً » .

وَفي أُخْرَى [٤] قَالَ : « كَانَ لِسُلَيمَانَ سِتُّونَ امْرَأةً ، فَقَالَ : لأَطُوفَنَّ عَلَيْهِنَّ اللَّيلةَ » وذَكَرَ نَحْوَهُ ، وفي آخره : فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَلَو كانَ اسْتَثْنَى لَوَلَدَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنهُنَّ غُلامًا فَارِسًا يُقَاتِلُ في سَبيلِ اللهِ » .

وللبُخَاري [٥] : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « قَالَ سُلَيْمَانُ ابنُ دَاودَ : لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأةٍ ، أو تِسْعَةٍ وتِسْعِينَ .... » وَذَكَر نَحْوَهُ ، وَفيهِ : « والذِي نَفْس مُحَمَّدٍ بيَدِهِ ، لَوْ قَالَ : إنْ شَاءَ اللهُ ، لَجَاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ » .

وَلَهُ في أُخْرَى [٦] نَحْوهُ ، وَقَالَ : « عَلَى سَبْعينَ امْرَأةً » ، وَفيهِ : « وَلَم تَحْمِلْ شَيْئًا » .

أقول : لا تنافي بين الروايات في ذكر أعداد مختلفة ، فبعضها عبّر عن الكثرة ، وبعضها ذكر أزواجه فيما يبدو دون سراريه ، وبعضها ذكر طوافًا على أزواج وسرارٍ .

---

(١) البخاري (٩ / ٣٣٩) ٦٧ ـ كتاب النكاح ، ١١٩ ـ باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي .

(٢) البخاري (١١ / ٦٠٠) ٨٤ ـ كتاب كفارات الأيمان ، ٩ ـ باب الاستثناء في اليمين .

(دَرَكًا) : الدَّرَك : اللحوق بالشيء .

(٣) البخاري (٦ / ٤٥٨) ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ، ٤٠ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ ووهبنا لداود سليمان ... ﴾ .

(٤) مسلم (٣ / ١٢٧٥) ٢٧ ـ كتاب الأيمان ، ٥ ـ باب الاستثناء .

(٥) البخاري (٦ / ٣٤) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ، ٢٣ ـ باب من طلب الولد للجهاد .

(٦) البخاري (٦ / ٤٥٨) ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ، ٤٠ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ﴾ .

الفقرة السادسة

في :

من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها

قال البغوي في شرح السنة :

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا ﴾ [١] الآية .

قال الأزهري : ﴿ عرضةً لأيمانِكُم ﴾ أي : مانعًا لكم عن البر ، والاعتراض : المنع ، وكلُّ شيء منعك عن أمر تريده فقد اعترض عليك ، وتعرض لك ، والأصل فيه : الطريقُ المسلوك يعترض فيه بناءٌ أو شيء يمنع السابلة من سلوكه ، وقيل :العُرضة : الاعتراض في الخير والشر يقول : لا تعترضوا باليمين في كل ساعة ألا تبرُّوا ولا تتقوا . اهـ

١٥٨٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ الرحمنِ بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا عَبْدَ الرحمنِ ، لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ أَتَتْكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إليها ، وإنْ أَتَتْكَ عن غير مسألةٍ أُعِنْتَ عَلَيها ، وَإِذَا حَلَفْتَ على يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَها خَيْرًا مِنهَا ، فائتِ الذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَكَفِّر عَنْ يَمِينكَ » .

وفي رواية لأبي داود [٢] : لم يذكر حديث « الإمارة » وأول حديثه : « إذا حَلَفتَ » .

---

(١) البقرة : ٢٢٤ .

١٥٨٣ ـ البخاري (١١ / ٥١٦) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ١ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ .

مسلم (٣ / ١٢٧٣) ٢٧ ـ كتاب الأيمان ، ٣ ـ باب ندب من حلف يمينًا ، فرأى غيرها خيرًا منها ، أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه .

والترمذي (٤ / ١٠٦) ٢١ ـ كتاب النذور والأيمان ، ٥ ـ باب ما جاء فيمن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها . وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي (٨ / ٢٢٥) ٤٩ ـ كتاب آداب القضاة ، ٥ ـ باب النهي عن مسألة الإمارة .

(٢) أبو داود (٣ / ٢٢٩) كتاب الأيمان والنذور ، باب الرجل يكفّر قبل أن يحنث .

وله في أخرى [1] : « فَكَفِّرْ عن يمينكَ ، ثُمَّ ائْتِ الذي هو خير » .

وللنسائي [2] أيضا قال : « إذا حَلَفَ أحدُكم على يمين ، فرأى غيرَها خيرًا منها ، فَلْيُكَفِّرْ عن يمينه ، ولينظر الذي هو خيرٌ فَلْيَأته » .

أقول : يدخل في هذا الشأن أمور متعددة :

فأول ما يدخل فيه : الحلف على المعصية ، فيحرم على الإنسان أن يفعلها وتجب في ذلك الكفارة ، كما لا يصح للإنسان أن يبر إذا حلف على مكروه وعليه الكفارة ، وإذا حلف على مباح فرأى المصلحة في غيرها فله أن يحنث وعليه الكفارة ، وهناك حالات تحتاج الموازنة فيها بين الخيرية وغيرها إلى علم وفقه أو فتوى من أهل ذلك ، وذلك في الأوضاع الاستثنائية ، كأن يكون الإنسان بين ضررين أو شرين فالأخف في الضرر والأخف في الشر يعتبر خيرًا بالنسبة للحالف والأحاديث الواردة في موضع فعل الخير وترك ما دونه كثيرة كما سنرى في هذه الفقرة .

ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها هل يجوز له أن يكفّر قبل الحنث ؟

قال أبو حنيفة : لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث مطلقًا ؛ وأجاز تقديم الكفارة على الحنث الحنابلة والشافعية والمالكية ، والأفضل عند المالكية والشافعية تأخير الكفارة إلى ما بعد الحنث مراعاة للخلاف .

١٥٨٤ ـ * روى مسلم عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ الله عنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمينٍ ، فَرَأى غَيْرَها خَيْرًا مِنْهَا ، فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ ، وَلْيَفعَلَ » زَادَ في رواية [3] « الذي هُوَ خَيْر » .

---

(١) أبو داود : الموضع السابق .

(٢) النسائي (٧ / ١١) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ١٦ ـ باب الكفارة بعد الحنث .

١٥٨٤ ـ مسلم (٣ / ١٢٧٢) ٢٧ ـ كتاب الايمان ، ٣ ـ باب ندب من حلف يمينًا ، فرأى غيرها خيرًا منها ، أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه .

(٣) مسلم : الموضع نفسه .

وفي رواية [١] قال : أعْتَم رَجُلٌ عِنْدَ النبيِّ ﷺ ، ثُمَّ رَجَعَ إلى أهْلِهِ فَوَجَدَ الصِّبية قَدْ نَامُوا ، فَأَتاهُ أهلُهُ بِطعامِهِ ، فَحَلَفَ لا يأكُل مِنْ أجْل صِبْيتِهِ ، ثُمَّ بدا له فأكَلَ ، فأتى رَسُولَ الله ﷺ فَذَكَر ذلِك له ، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَنْ حَلَفَ على يمين فَرَأى غَيْرهَا خيْرًا مِنْها ، فَلْيَأْتِها ، وَلْيُكَفِّر عَنْ يَمِينه » .

١٥٨٥ - * روى مسلم عن تَمِيم بن طَرَفَةَ الطَّائي رَضِيَ اللهُ عنه ، قَالَ : جَاء سَائِلٌ إلى عَدِيِّ بنِ حَاتِم يَسْأله نَفَقَةً - أوْ في ثَمنِ خَادِمٍ ، أو في بَعْضِ ثَمَنِ خَادِمٍ - فَقَالَ : لَيْسَ عِنْدي مَاأُعْطِيكَ ، إلا دِرْعِي ومِغْفَرِي ، فأكْتُبُ إلى أهلي أن يُعْطُوكَهَا ، قَالَ : فَلَمْ يَرْضَ ، فَغَضِبَ عَدِيٌّ ، فَقَالَ : أمَا وَالله لا أُعْطِيكَ شَيْئًا ، ثم إنَّ الرجُلَ رَضِيَ ، فَقَالَ : أما والله لوْلا أني سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمينٍ ، ثُمَّ رَأى أتْقَى لله مِنْهَا فَلْيَأْتِ التَّقْوى » ما حَنِثْتُ في يميني .

وفي أخْرَى [٢] أنَّ النبيَّ ﷺ قَال : « إذا حَلَفَ أحَدكم على اليَمِينِ ، فَرَأى خَيْرًا مِنْها ، فَلْيُكَفِّرْهَا ، ولْيَأْتِ الذي هو خَيْرٌ » .

وفي أخرى للنسائي [٣] : « فليأتِ الذي هُوَ خَيْرٌ ، وَلْيتْرُكْ يَمينَهُ » .

١٥٨٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيرة رضيَ الله عنه أن النبيَّ ﷺ قَالَ : « نَحَنُ الآخِرُونَ السَّابقونَ » وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لأَنْ يَلَجَّ أحَدُكم بيَمِينِه في أهْلِه

---

(١) مسلم : (٣ / ١٢٧١) الموضع السابق .
والموطأ (٢ / ٤٧٨) ، ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٧ - باب ما تجب فيه الكفارة من الأيمان .
والترمذي (٤ / ١٠٦) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٥ - باب ما جاء فيمن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها . وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(أعْتَم) الإنسان : إذا دخل في العَتَمة ، وهي ظلمة أول الليل .

١٥٨٥ - مسلم (٣ / ١٢٧٢) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٣ - باب ندب من حلف يمينًا ، فرأى غيرها خيرًا منها ، أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه .
(المِغْفَر) : زَرَدٌ يلبس على الرأس .

(٢) مسلم : الموضع نفسه .

(٣) النسائي (٧ / ١١) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٦ - باب الكفارة بعد الحنث .

١٥٨٦ - البخاري (١١ / ٥١٧) ٨٢ - كتاب الأيمان والنذور ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ ...

آثَمُ لَهُ عند اللهِ مِن أنْ يُعطِيَ كَفَّارَتَهُ التي افتَرَضَ اللهُ عليه » .

وللبخاري [١] قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنِ استَلَجَّ في أَهْلِـهِ بيَمِينٍ ، فَهُو أَعظَمُ إثْمًا ليبرَّ ، يَعْنِي الكَفَّارَةَ » .

قال ابن الأثير :

(لَجَّ واستلجَّ) في يمينه : إذا لَجَّ في الاستمرار عليها ، وترك تكفيرها ورأى أنه صادق فيها ، وقيل : هو أن يحلف ويرى أن غيرها خير منها ، فيقيم على ترك الكفارة والرجوع إلى ما هو خير .

(آثَمُ) : أكثر إثْمًا ، لأنه قد أُمِرَ أن يأتِيَ الذي هو خير .

أقول :

اختلف العلماء في قول القائل (أعاهد الله) هل هو يمين أَوْ لا ، فعلى القول بأنّها يمين فمن رأى غير ما عاهد عليه الله أبرّ أو عجز عن الوفاء فإنّ عليه الكفّارة ، وعلى القول : إنّها ليست بيمين فإنّه لا كفّارة على صاحبها ، وإذا عجز أو رأى غيرها خيرًا منها بالمعيار الشرعي فليأت الذي هو خير ولا كفّارة عليه .

قال البغوي في شرح السنّة :

ولو قال : عليّ عهدُ الله وميثاقُه ، فليس بيمين إلا أن يريد به اليمين ، وكذلك لو قال : شَهِدْتُ بالله ، أو أشهد بالله ، أو عزمتُ بالله ، أو أعزمُ بالله ، فلا يكون يمينًا إلا أن يُريده ، ولو قال : أقسمتُ بالله ، أو حلفتُ بالله ، أو أقسِمُ بالله ، أو أحلِفُ بالله ، فإن أراد بالأول إخبارًا عن يمين في الماضي ، أو أراد بالثاني وعد يمين في المستقبل ، فليس بيمين ، وإن أراد بها يمينًا في الوقت ، فهو يمين ، وإن أطلق ، ففيه قولان ، ولو قال : شهدت أو أشهد ، أو عزمتُ ، أو أعزمُ أو أقسمتُ ، أو أقسِمُ ، ولم يقيده بذكر الله ، فليس بيمين وإن

مسلم (٢ / ٥٨٥) ٧ ـ كتاب الجمعة ، ٦ ـ باب هداية هذه الأمة ليوم الجُمُعة .

(١) البخاري : الموضع السابق .

نواه ، وعند أبي حنيفة : كلها يمين اهـ

١٥٨٧ ـ * روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْها ، قَالَت : مَا كَان أَبُو بكرٍ يَحنَث قَطُّ في يَمِينٍ ، حَتّى نَزَلَتْ كفَّارةُ اليَمِين ، فَلَمّا نَزَلَتْ حَنِثَ إذَا رَأى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، وَكَفَّر .

وفي رِوَايةٍ (١) ، أنَّ أبَا بَكْرٍ لَمْ يَكُنْ يَحْنَثُ في يَمِينٍ قَطُّ ، حَتّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كَفَّارةَ اليَمِينِ ، فَقَالَ : لا أَحْلِفُ عَلَى يمِينٍ فَرَأَيْتُ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، إلا أَتَيْتُ الذي هُوَ خَيْرٌ ، وَكَفَّرْتُ عَن يَمِيني .

وفي أخرى (٢) ، إلا قَبِلْتُ رُخصَةَ الله ، وفَعلْتُ الذي هُوَ خيْرٌ .

١٥٨٨ ـ * روى أبو داود عن أبي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَال : « إنِّي وَ اللهِ إنْ شَاءَ اللهُ لا أَحْلِفُ عَلى يَمِينٍ فَأَرى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، إلا كفَّرْتُ عنْ يَمِيني ، وَ أَتَيْتُ الذي هُوَ خَيْرٌ » . أو قال : « إلا أَتَيْتُ الذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي » .

وعِنْدَ النَسَائي (٣) قَالَ : قَالَ النبيُّ ﷺ : « مَا عَلَى الأَرْضِ يَمِينٌ أَحلِفُ عَلَيْهَا فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، إلا أَتَيْتُهُ » .

ولَهُ في أُخْرَى (٤) قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في رَهْطٍ من الأَشْعَرِيينَ نَسْتَحْمِلُهُ ، فَقَالَ : « وَ اللهِ لا أَحْمِلُكُم ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُم عَلَيْهِ » ، ثُمَّ لَبِثْنَا مَا شَاء اللهُ ، فأُتِيَ بِإبلٍ فَأَمرَ لنا بثلاثِ ذَوْدٍ ، فلمّا انطلقنا قال بعضُنا لبعضٍ : لا يُبارِكُ اللهُ لَنا ، أَتَيْنَا

١٥٨٧ ـ البخاري (١١ / ٥١٦) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ١ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو ﴾ .

(١) البخاري : الموضع السابق .

(٢) البخاري (٨ / ٢٧٥) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٨ ـ باب ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ .

١٥٨٨ ـ أبو داود (٣ / ٢٢٩) كتاب الأيمان والنذور ، باب الرجل يُكفِّر قبل أن يحنث .

(٣) النسائي (٧ / ٩) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ١ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ .

(٤) النسائي : الموضع السابق .

رسُولَ الله ﷺ نَستحمِلُهُ ، فحَلَفَ لا يَحْمِلَنَا ، قَالَ أَبُو مُوسَى : فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ ، فَذَكَرْنَا ذلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « مَا أَنَا حَمَلْتُكم ، بَلِ اللهُ حَمَلَكُم ، إِنِّي وَاللهِ لا أَحْلِفُ على يَمين ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، إلا كفَّرتُ عَنْ يَميني ، وأَتَيْتُ الذي هُوَ خَيْرٌ » .

وفي رِوَايَةِ البُخَارِي وَمُسْلِم [٢] نَحْوَ هـذِهِ التي للنَّسَائي ، وَزَادَ فِيهَا : « فَأَمَرَ لَنَا بِثَلاث ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى » وَ فيها : « وَ إِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ الله لا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ ، ثُمَّ أَرَى غيْرَها خَيْرًا مِنْها ، إلا كفَّرتُ عَنْ يَميني ، وَ أَتَيْتُ الذِي هُوَ خَيْرٌ » .

زَادَ في رِوَايَةٍ [٣] : « وَأَتَيْتُ الذِي هُوَ خَيْرٌ ، وكفَّرتُ عَنْ يَميني » .

قال ابن الأثير :

(نستحمله) استحملتَ الإنسان : إذا طلبت منه شيئًا تركبه ، أو تحمل عليه مَتَاعَكَ .

(الذود) من الإبل : ما بين الثنتين إلى التسع ، وقيل : ما بين الثلاث إلى التسع من الإناث خاصة ، وقيل : ليس للإناث به اختصاص ، إنما اللفظة مؤنثة .

(الذُّرَى) : الأسنمة ، وصفها أنها « غرّ » أي : أنها بيض حسان لسمنها .

أقول : يلاحظ أن بعض الروايات تذكر التكفير ثم الحنث ، وبعض الروايات تذكر الحنث ثم التكفير ومن هاهنا وُجِدَ من الفقهاءَ مَنْ يقول : إذا كَفَّر ثم حنث تجب عليه إعادة الكفارة ، ومنهم مَنْ يقول : تجزىء الكفارة ولو كانت قبل الحِنْث وقد مَرَّ معنا هذا من قبل ونزيد الأمر وضوحًا :

قال البغوي في شرح السنة :

اختلف أهلُ العلم في تقديم كفارة اليمين على الحنث ، فذهب أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم إلى جوازه ، كما ورد بـه الحـديث ، ويُروى ذلـك عن ابن عمر ، وابن

---

(٢) البخاري (١١ / ٥١٧) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ... ﴾ .

مسلم (٣ / ١٢٧١) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٣ - باب ندب من حلف يمينًا ، فرأى غيرها خيرًا منه ... إلخ .

(٣) البخاري : الموضع السابق .

عباس ، وعائشة ، وبه قال الحسن البصري ، وابنُ سيرين ، وإليه ذهب مالك ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، إلا أن الشافعي يقول : إن كفّر بالصوم قبل الحنث ، لا يجوز ، إنما يجوز تقديم العتق أو الإطعام ، أو الكسوة ، كما يجوز تقديم الزكاة على الحول . ولا يجوز تعجيلُ صوم رمضان قبل وقته .

وذهب قوم إلى أنه لا يجوز تقديمُ الكفارة على الحنث ، وهو قول أصحاب الرأي ، وجوزوا تعجيل الزكاة قبل الحول ، ولم يجوّز مالك تعجيل الزكاة ، وجوز تعجيلَ الكفارة ، وقال الثوري : إن كفّر بعد الحنث أحبُّ إليّ ، وإن كفر قبل الحنث ، أجزأه . اهـ .

١٥٨٩ ـ * روى النسائي عن أبي الأحْوصِ عنْ أبيه قَالَ : قُلت : يَارَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ ابنَ عَمٍّ لي ، آتِيهِ أسْأَلُهُ ، فَلا يُعْطِيني وَلا يَصِلُني ، ثُمَّ يَحتَاجُ إليَّ فيأتيني فَيَسْأَلُني ، وَقَدْ حَلَفْتُ أنْ لا أُعْطِيَهُ وَلا أصِلَه ؟ فَأَمَرني أن آتِيَ الذي هو خَيْرٌ و أُكَفِّرَ عَنْ يَميني .

* * *

١٥٨٩ ـ النسائي (٧ / ١١) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ١٦ باب الكَفارة بعد الحنث .

الفقرة السابعة

في :

متفرقات في الأَيْمان

اليمين على نية المستحلف :

١٥٩٠ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « اليمينُ على نِيَّةِ المستحلفِ » .

وفي رواية قال[(١)] : « يَمينُكَ عَلَى ما يُصَدِّقُكَ بِهِ صَاحِبُكَ » .

اليمين اللغو :

١٥٩١ - * روى البخـاري عن عـائشـة رَضِيَ اللهُ عَنْهَـا ، قـالَتْ : أُنْزِلَتْ هـذِهِ الآيـة ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ باللَّغو في أَيْمَانِكُم ﴾ [المـائـدة : ٨٩] في قَولِ الرَّجُـلِ : لا والله ، بلَى وَ اللهِ » .

وَفِي رَوايةِ أَبي داود[(٢)] في اللغو في اليَمين ، قالَت عَائشَـةُ : قـال رَسولُ الله ﷺ : « هُوَ قَوْلُ الرجُلِ في بَيْتِه : كلا وَ اللهِ ، وبَلَى وَ اللهِ » .

قال ابن الأثير :

(اللغو) من الكلام : مالا ينعقد عليه القلبُ ، هذا أصلـه ، وقيـل : اللغو من الكلام : الباطل ، وقيل : الكلام المختلط ، والكلُّ متقارب ، وهو في لفظ الحـديث قـد ذكر معنـاه ، وقيل : هو أن يحلف الإنسـان على شيء وهو يرى أنـه صـادق ، ثم تبيَّن لـه خلافـه ، وهـو

١٥٩٠ - مسلم (٣ / ١٢٧٤) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٤ - باب يمين الحالف على نية المستحلف .

(١) مسلم : الموضع السابق .

١٥٩١ - البخاري (١١ / ٥٤٧) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٤ - باب ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ ...

والموطأ (٢ / ٤٧٧) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٥ - باب اللغو في اليمين .

(٢) أبو داود (٣ / ٢٢٣) كتاب الأيمان والنذور ، باب لغو اليمين .

وَرَوَاهُ أيضًا عَنْهَا مَوْقُوفًا . وصحح الدارقطني الوقف على عائشة رضي الله عنها دون الرفع .

الخطأ وقيل : هو اليمين في المعصية ، وقيل : في الغضب ، وقيل : في الهزل والمراء ، وقيل : في النسيان .

إبرار المُقْسِم :

١٥٩٢ - * روى ابن ماجه عن البَراء بنِ عَازِبٍ قالَ : أَمَرَنَا رَسولُ اللهِ ﷺ بإِبْرَارِ المُقْسِمِ .

١٥٩٣ - * روى أحمد عن عائشة قالت أهدت امرأة إليها تمرًا في طبق فأكلت بعضًا وبقي بعضٌ فقالت : أَقْسِمُ عليكِ إلا أكلتِ بقيتَهُ فقال النبي ﷺ : « أَبِرِّيها ، فإن الإثم على المُحنِثِ » .

١٥٩٤ - * روى الطبراني عن أبي حازم أن ابن عمر مر على رجل ومعه غُنيماتٌ له فقال : بكم تبيعُ غنمك هذه ، بكذا وكذا ؟ . فحلف أن لا يبيعَها . فانطلق ابنُ عمرَ فقضى حاجتَه فمر عليه فقال : يا أبا عبد الرحمن خذها بالذي أعطيتني قال حلفتَ على يمينٍ فلم أكن لأعين الشيطانَ عليك وأن أُحْنِثَكَ .

أقول : هذا ورع من ابن عمر ، وإلا فقد كان بإمكانه أن يشتريها منه ، وأن يأمره بدفع الكفارة .

بعض ما حَلَفَ به رسول الله ﷺ أو حلَّف :

١٥٩٥ - * روى البخاري عن عَبْدِ اللهِ بن عمروٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، قالَ : أَكْثَرُ مَا كَانَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَحْلِفُ : « لا ، وَمُقَلِّبِ القُلوبِ » .

١٥٩٢ - ابن ماجه (١ / ٦٨٣) ١١ - كتاب الكفارات ، ١٢ - باب إبرار القسم .

وهو جزء من حديث أخرجه البخاري (١١ / ٥٤١) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ٩ - باب قول الله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ .

١٥٩٣ - أحمد (٦ / ١١٤) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٨٢) وقال : ورجال أحمد رجال الصحيح.

١٥٩٤ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨٣) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

١٥٩٥ - البخاري (١٣ / ٣٧٧) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ١١ - باب مقلب القلوب ، وقول الله تعالى : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ﴾ .

وأرْسَلَهُ مالِكٌ [١] قالَ : بَلَغَني أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يَقُولُ : « لا ، ومُقَلِّبِ القُلُوبِ » .

وَعِنْدَ التِّرمِذي [٢] وأبي داود [٣] : كَثيرًا مَا كَانَ يَحْلِفُ بِهذهِ اليَمين : « لا ، ومُقَلِّبِ القُلُوبِ » .

وفي رواية النسائي [٤] قال : كَانَتْ يمِينٌ يَحْلِفُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ « لا ، ومُقَلِّبِ القُلُوبِ » .

وفي أخرى [٥] لـه : كانَتْ يَمينُ رَسُولِ الله ﷺ التي يَحْلِفُ بِهَا : « لا ، ومُصَرِّفِ القُلُوبِ » .

١٥٩٦ - * روى أبو داود عن أبي سَعيدٍ الخُدْري رَضِيَ اللهُ عنْهُ قال : كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا اجْتَهَدَ في اليَمينِ قالَ : « والذِي نَفْسُ أبي القَاسِمِ بِيَدِهِ » .

١٥٩٧ - * روى ابن ماجه عن أبي هُرَيرَة قالَ : كَانَتْ يَمينُ رَسُولِ الله ﷺ « لا وَاسْتَغْفِرُ اللهَ » .

هذا نموذج يعلمنا فيه رسول الله ﷺ التأكيد بصورة يمين دون أن يكون يمينًا .

هل للحلف مكان ؟

١٥٩٨ - * روى مالك عن أبي غَطَفَانَ بنِ طَريفٍ المُرّي قَالَ : اخْتَصَمَ زَيْدُ ابن ثَابِتٍ

(١) للوطأ (٤ / ٤٨٠) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٩ - باب جامع الأيمان .
(٢) الترمذي (٤ / ١١٣) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١٢ - باب ماجاء كيف كان يمين النبي ﷺ .
وقال : حديث حسن صحيح .
(٣) أبو داود (٣ / ٢٢٥) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في يمين النبي ﷺ ما كانت .
(٤) النسائي (٧ / ٢) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ١ - باب أخبرنا أحمد بن سليمان .... .
(٥) النسائي : الموضع السابق .

١٥٩٦ - أبو داود (٣ / ٢٢٦) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في يمين النبي ﷺ ما كانت . وهو حديث حسن .
١٥٩٧ - ابن ماجه (١ / ٦٧٧) ١١ - كتاب الكفارات ، ١ - باب يمين رسول الله ﷺ التي كان يحلف بها . وإسناده حسن.
١٥٩٨ - الموطأ (٢ / ٧٢٨) ٣٦ - كتاب الأقضية ، ٩ - باب جامع ما جاء في اليمين على المنبر . وإسناده صحيح .
=

وَابنُ مُطيعٍ إلى مَرْوان وَهُوَ أميرُ المدينَـة في دَارٍ كَـانَتْ بَينَهُمَا ، فَقضَى مَرْوَانُ عَلَى زَيْـدِ بن ثَابتٍ باليَمِينِ عَلَى المِنْبرِ ، فقال زيدٌ : أحْلِفُ له مكاني هذا ، فَقَـالَ مَرْوَانُ : لا واللهِ ، إلا عند مَقَاطِعِ الحقوقِ ، فَجَعَلَ زَيْـدٌ يحلِفُ أنَّ حَقَّـه لحَقٌّ ، وأبَى أنْ يَحلِفَ على المِنْبَرِ ، فَجَعَلَ مَرْوَانُ يعجَبُ مِنْ ذلِكَ .

الترهيب من اقتطاع الحقوق بالأَيْمان وفي أنّ البيّنـة على المدّعي واليمين على من أنكر :

١٥٩٩ - * روى الطبراني عن الحارث بن البَرصاء قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول وهو يمشي بين جمرتين من الجمار وهو يقول : « من أخـذ شيئًـا من مـال امرئ مسلم بيمين فاجرة فليتبوأ بيتًا في النار » .

١٦٠٠ - * روى الطبراني عن أبي رُهْم السَّمَعي قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « إن من أسرقِ السراقِ من يسرقُ لسـانَ الأمير ، وإن من أعظم الخطـايـا من اقتطعَ مـالَ امرئٍ مسلمٍ بغيرِ حق ، وإن من الحسناتِ عيادةَ المريض ، وإن من تمامِ عيادته أن تضعَ يدَكَ عليه وتسأله كيف هو ، وإن من أفضل الشفاعـاتِ أن تشفعَ بين اثنين في نكاح حتى تجمـع بينهما ، وإن من لِبْسَـةِ الأنبيـاء قبلي السَّراويـلَ وإن ممـا يُستجابُ عنده الدعاءُ العُطَاسَ » .

١٦٠١ - * روى البخـاري عن عبـدِ الله بن مسعـود رَضِيَ الله عنـه أنَّ النبيَّ ﷺ قَـالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى مَـالِ امرئٍ مُسْلِمٍ بغَيرِ حَقِّـهِ لَقيَ اللهَ وهـو عَلَيـه غضبـانُ » قـالَ عَبـدُ الله : ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَـا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِصْداقَـهُ مِنْ كِتَـابِ اللهِ عَـزَّ وَجَـلَّ ﴿ إنَّ الـذينَ

= وأخرج البخـاري نحوه (٥ / ٢٨٤) ٥٢ - كتـاب الشهـادات ، ٢٣ - بـاب يحلف المدعي عليه حيثما وجبت عليه اليمين .

١٥٩٩ - المعجم الكبير (٣ / ٢٥٦) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٨١) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

١٦٠٠ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨١) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات . وفي بعضهم كلام لا يضر .

١٦٠١ - البخاري (١٣ / ٤٢٣) ٩٧ - كتاب التوحيـد ، ٢٤ - بـاب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئـذ نـاضرة * إلى ربهـا ناظرة ﴾ .

يَشْتَرُونَ بِعَهْـدِ اللهِ وأَيْمانِهم ثَمَنًـا قليـلا ... ﴾ إلى آخرِ الآيـة [١] .

زادَ في رِوَايةٍ[٢] بمَعْنَاهُ ، قال : فَدَخَلَ الأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ الكِنْديُّ فَقَالَ : مـا يُحَـدِّثُكم أبو عَبْـدِ الرحمن ؟ قُلْنَـا : كَـذَا وكَـذَا ، قَـالَ : صَـدَقَ أبو عَبْـد الرحمنِ كَـانَ بَيْني وبَيْنَ رجُـلٍ خُصُومَةٌ في بِئرٍ ، فَاخْتَصَمْنَا إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « شَـاهِـدَاكَ ، أوْ يَمِينُـه » ، قُلْتُ : إنَّـه إذَنْ يَحْلِفُ وَلا يُبَـالِي ، فَقَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « منْ حَلَفَ على يَمين صَبْرٍ يَقْتَطِـعُ بِهَـا مَـالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُـوَ فيهَـا فَـاجِرٌ ، لَقِيَ اللهَ وَهُـوَ عليـه غَضْبَانُ » ونَزَلَتِ الآيـة ﴿ إنّ الـذين يشترون بِعَهْـدِ اللهِ وأَيْمانِهم ثَمَنًـا قليلا ﴾ إلى آخرِ الآيـة.

١٦٠٢ ـ * روى أحمد عن عياضِ بن خالدٍ قَـالَ : رأيتُ رجلين يَختصِمانِ عنـد مَعقلِ بن يسـارٍ . فقـال مَعْقِلُ بنُ يسـارٍ قـال رسول الله ﷺ : « من حلَفَ على يمين ليقتطعَ بهـا مالَ رجل لقيَ الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان » .

١٦٠٣ ـ * روى أبـو داود عن عِمرانَ بن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عنـهُ قَـالَ : قَـال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ على يمينٍ مَصبُورَةٍ كَاذِبًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ بوَجْهه مَقْعدَه مِنَ النَّار» .

قال ابن الأثير :

(مصبورة) أصل الصبر : الحبس ، وقُتِل فـلان صبرًا ، أي : حَبْسًـا على القتـل ، وقهرًا عليه ، ويمين الصبر : هو أن يلزم الحاكم الخصم اليمين حتى يحلف ويَقِفَه ويلزمه بها ، وقوله : « يمين مصبورة » يعني : لازمة لصاحبها من جهـة الحكم ، وقيل لليمين : مصبورة ـ وإن كان

---

(١) آل عمران : ٧٧ .

(٢) البخاري (٨ / ٢١٣) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٣ ـ باب ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً .. ﴾ .

ومسلم (١ / ١٢٣) كتاب الإيمان ، ٦١ ـ باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار .

وأبو داود (٣ / ٢٢٠) كتاب الأيمان والنذور ، ٢ ـ باب فيمن حلف ليقطتع بها مالا لأحد .

والترمذي (٣ / ٦٢٥) ١٣ ـ كتاب الأحكام ، ١٢ ـ باب ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه.

وقال : حديث حسن صحيح .

الاقتطاع : أخذ الشيء والاستبداد به ، كأنه قَطَعَ بعضٍ من كلٍّ .

١٦٠٢ ـ أحمد (١ / ٤٢٦) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٧٩) وقال : ورجال أحمد ثقات .

١٦٠٣ ـ أبو داود (٣ / ٢٢٠) كتاب الأيمان والنذور ، ١ ـ باب التغليظ في الأيمان الفاجرة . وإسناده صحيح .

صاحبها في الحقيقة : هو المصبور ـ؛ لأنه إنما صُبِرَ من أجلها ، فأضيف الصبر إلى اليمين مجازًا واتّساعًا .

(فليتبوأْ) تبوَّأتَ المنزل : إذا اتخذته سكنًا تنزل فيه وتسكنه .

١٦٠٤ ـ * روى أحمد عن عدي بن عُميرةَ قال : خاصَم رجلٌ من كِندَة يقال له امرؤُ القَيْسِ بنُ عابس رَجلا من حضرموتَ إلى رسولِ الله ﷺ فقضى على الحضرمي بالبينةِ فلم يكنْ له بينةٌ فقضى على امرئ القيس باليمين . فقال الحضرمي : أمكَنْتَهُ من اليمين يا رسولَ الله ذهبتْ والله ـ أو وربِّ الكعبة ـ أرضي فقال النبي ﷺ : « من حَلَفَ على يمينٍ كَاذِبةٍ ليَقْتطِعَ بها مالَ أحدٍ لقي اللهَ عز وجل وهو عليه غضبانُ » . قالَ رجاء : وتلا رسول الله ﷺ ﴿ إنَّ الَّذينَ يَشْتَرونَ بِعَهْد اللهِ وأيمانِهِم ثَمَنًا قَليلا ﴾ فقال امرؤ القيس : ماذا لِمَنْ تَرَكَها يا رسولَ الله ؟ قالَ : « الجنةُ » قال : فأُشهدُك أني قد تركتُها له كلَّها .

١٦٠٥ ـ * روى مسلم عن وَائِلِ بنِ حجر رَضِيَ اللهُ عنهُ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِن حضرَموتَ ، وَرَجُلٌ مِنْ كِندةَ ، إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ : فَقَالَ الحضرَمي : يا رسولَ الله ، إنّ هذا قَد غَلَبَني عَلَى أرضٍ كَانَتْ لأَبي ، فَقَالَ الكِنْديُّ : هِيَ أَرْضِي في يَدِي ، أزرَعُهَا ، لَيْسَ لَهُ فيهَا حَقٌّ ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ للحَضْرَميِّ : « أَلَكَ بَيِّنَةٌ ؟ » قَالَ : لا ، قَالَ : « فَلَكَ يمينُهُ » ، قَالَ : يا رَسُولَ اللهِ ، إنَّ الرَّجُلَ فَاجرٌ لا يُبَالي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ ، وَ لَيسَ يتَورَّعُ عَن شَيءٍ ، فَقَالَ : « لَيْس لَكَ مِنْهُ إلا ذلِكَ » ، فَانْطَلَقَ لِيَحْلِفَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمَّا أَدْبَرَ : « أَمَا لَئِنْ حلفَ على مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا : لَيَلْقَيَنَّ اللهَ وَهوَ عَنهُ مُعرِضٌ » .

وفي رِوَايةٍ [١] قَال : كُنْتُ عِنْدَ رسُولِ الله ﷺ ، فَأَتَاهُ رَجُلانِ يَخْتَصِمَان في أرض ،

١٦٠٤ ـ أحمد : (٤ / ١٩١) .

والمعجم الكبير (١٧ / ١٠٨) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٧٨) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجالها ثقات .

١٦٠٥ ـ مسلم (١ / ١٢٣) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٦١ ـ باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار .

(١) مسلم : الموضع السابق .

فقال أحدهما : إنَّ هـذا انتزى عَلَى أَرْضِي يَـا رَسولَ اللهِ في الجَـاهِلِيَّـةِ - وَهُوَ امْرُؤ القَيْسِ بنُ عَابِسٍ الكِنْدِيُّ ، وَخَصْمُهُ : رَبِيعَةُ بنُ عِبْدَانَ - فَقَال : « بَيِّنَتُكَ » ، فَقَـالَ : لَيْسَ لِي بَيِّنَـةٌ ، قَالَ : « يَمِينُهُ » قَالَ : إذَن يَذْهَبُ بِهَا ، قَالَ : « لَيْسَ لَكَ إلا ذلِكَ » ، قَال : فَلَمَّـا قَـامَ لِيَحْلِف ، قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنِ اقْتَطَـعَ أَرْضًـا ظَـالِمًـا ، لَقِيَ اللهَ وَهُـوَ عَلَيْـهِ غَضْبَانُ » . وفي رواية : رَبِيْعَةُ بنُ عَيْدَان » .

١٦٠٦ - * روى مسلم عن ابن عباس أن رسـول الله ﷺ قـال : « لَـوْ يُعْطَى النَّـاسُ بِدَعَاوِيهِم ادَّعَى قومٌ دماءَ رِجَالٍ وأَمْوَالَهُمْ ، وَلَكِنَّ اليَمِينَ عَلَى المُدَّعَى عَلَيْهِ » .

ولمسلم وللبخاري [١] أن رسولَ الله ﷺ قضى باليمين على المدَّعى عليه .

وللبخـاري [٢] أن امرأتين كانتـا تَخْرِزانِ في بَيْتٍ ، وفي الحُجْرَةِ ، فخرَجتْ إحْـدَاهُمَـا ، وقد أُنْفِذَ بإشفىً في كَفِّهـا ، فـادَّعتْ على الأخرى ، فَرُفِعَ ذلـك إلى ابن عبـاس ، فقـال ابن عبـاس : قـال رسـولُ الله ﷺ : « لَـوْ يُعطَى النـاسُ بِـدَعْـوَاهم ، لَـذَهَب دِمَـاؤهُم وأمْـوالُهُم » ، ذَكِّروهـا بـالله ، واقرؤوا عليهـا : ﴿ إن الـذين يشترون بِعَهْـدِ الله ﴾ [٣] فذكَّروها فاعترفت ، فقال ابن عباس : قال النبيُّ ﷺ : « اليَمِينُ على المدَّعَى عليه » . عليه » .

١٦٠٧ - * روى مسلم عن إياس بن ثعلَبةَ الحارثي - وَهُوَ أبو أُمَـامَـة - أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَـالَ : « مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِي مُسلِمٍ بِيَمِينِـهِ ، حَرَّمَ اللهُ عليـه الجَنَّـةَ ، وَأَوْجَبَ لَـهُ

= (انتزى على أرضي) أي : وثَب عليها وغلبني على أخـذهـا ، والتنزّي والانتزاء : تَسَرُّعُ الإنسـان إلى الشَّرِّ ، ووثوبه إلى ما ليس له الوثوب إليه .

١٦٠٦ - مسلم (٣ / ١٣٣٦) ٣٠ - كتاب الأقضية ، ١ - باب اليمين على المدعى عليه .

وابن ماجه (٢ / ٧٧٨) ١٣ - كتاب الأحكام ، ٧ - باب البينة على المدعى ، واليمين على المدعي عليه .

(١) مسلم : الموضع السابق .

والبخاري (٨ / ٢١٢) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٣ - سورة آل عمران ، ٣ - باب : ﴿ إن الذين يشترون... ﴾ .

(٢) البخاري (٨ / ٢١٣) الموضع السابق .

(الإشفى) : : آلة الخرز للإسكاف . وتنون ولا تنون .

(٣) آل عمران : ٧٧ .

١٦٠٧ - مسلم (١ / ١٢٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٦١ - باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار .

والنسائي (٨ / ٢٤٦) ٤٩ - كتاب آداب القضاة ، ٣٠ - القضاء في قليل المال وكثيره .

النَّارَ » قَالُوا : وَ إِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا ؟ قَالَ : « وَإِن كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ » .

وفي رِوَايَةِ المُوَطَّأ [١] : « وَإِن كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ ، وَإِن كَانَ قَضِيبًا مِن أَرَاكٍ ، وإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ » . قَالَهَا ثَلاثَ مرَّاتٍ .

١٦٠٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « رأى عيسى رَجُلا يَسْرِق ، فقال لـه : أسرقتَ ؟ قال : كلا والذي لا إله إلا هو ، فقال عيسى : آمنتُ بالله ، وكَذَّبتُ عَيني » .

كفارة الأيمان المنعقدة :

١٦٠٩ - * روى مالك عن نافع مولى ابن عمر ، أنَّ عبدَ الله بنَ عُمَرَ كان يقُول : مَنْ حَلَف بيمين فوَكَّدَها ، ثم حَنِثَ ، فعليه عِتْقُ رَقَبةٍ ، أو كِسْوَةُ عَشْرَةِ مَساكينَ ، وَمَنْ حَلَفَ بيَمينٍ فَلَمْ يُؤَكِّدْها ، ثُمَّ حَنِثَ ، فَعَلَيه إطْعَامُ عَشْرَةِ مساكينَ ، لكلِّ مِسْكينٍ مُدٌّ من حِنْطَةٍ ، فمن لم يَجِدْ فَصيَامُ ثلاثة أيام .

وفي رِوَاية [٢] أنَّ ابنَ عُمَرَ كَان يُكفِّر عن يَمِينِه بإطعام عَشْرَةِ مَساكِينَ ، لِكُلِّ مِسْكينٍ مُدٌّ مِن حِنْطةٍ ، وَكَانَ يُعْتِقُ المِرارَ ، إذا وكَّدَ اليَمِينَ .

أقول : هذا التفريق بين اليمين المؤكدة وغيرها لابن عمر ، وإلا فالفقهاء لا يفرقون ، فمتى كانت اليمين منعقدة فكفارتها واحدة ، وهي ماذكره الله تعالى بقوله :

﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ [٣] .

---

(١) الموطأ (٢ / ٧٢٧) ٣٦ - كتاب الأقضية ، ٨ - باب ما جاء في الحنث على منبر النبي ﷺ .

١٦٠٨ - البخاري (٦ / ٤٧٨) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ، ٤٨ - باب قول الله [١٦ : مريم] ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٣٨) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٤٠ - فضائل عيسى ، عليه السلام .

١٦٠٩ - الموطأ (٢ / ٤٧٩) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٨ - باب العمل في كفارة اليمين . وإسناده صحيح .

(٢) الموطأ : الموضع السابق .

(المُدُّ) : مكيال رطلين أو رطل وثلث أو ملء كفي الإنسان المعتدل .

(المِرار) : الجواري الناعمة .

(٣) المائدة : ٨٩ .

المسائل والفوائد

ـ الكفارة تجب في اليمين المنعقدة عند الحنفية والمالكية سواء كان الحانث عامدًا أو ساهيًا أو مخطئًا أو نائمًا أو مغمىً عليه أو مجنونًا أو مكرهًا .

ـ إذا حلف شخص أن يقضي حق غيره في وقت فقضاه قبله لم يحنث بيمينه عند الحنفية والحنابلة .

ـ صفات الله تعالى التي ترد في باب القسم ثلاثة :

أحدها : مالا يستعمل في عرف الناس وعاداتهم إلا في وصف الله كقولهم وعزة الله وعظمته .

والثاني : صفة تستعمل لله ولغيره كالقدرة والإرادة والمشيئة فهذه كالأولى يعتبر الحلف بها إذا أضيفت إلى الله يمينًا .

الثالث : الحلف بصفة تستعمل لله تعالى ولغيره ولكن يمكن أن يراد بها أكثر من معنى ، فمثلا علم الله قد يراد به الصفة وقد يراد به المعلوم فالأصل في مثل هذه الصفات أن الحلف بها يمين إلا أن ينوي الحالف بالعلم المعلوم وبالقدرة المقدور ، هذا ما قاله الشافعية والحنابلة في هذا الموضوع والحنفية لا يفرّقون بين هذا النوع من الحلف والذي قبله ؛ لأن العبرة عندهم للعرف فما دام المتعارف عليه أن يحلف بصفات الله فكل صفة له جل جلاله يعتبر الحلف بها يمينًا مطلقًا .

ـ إذا قال قائل وعهد الله فهو يمين عند الحنفية والمالكية والحنابلة وفي وجه ضعيف عند الشافعية والراجح عندهم أنها لا تعتبر يمينًا ما لم ينو الحالف بها اليمين .

ـ إذا قال الحالف : ووجه الله فهو يمين .

ـ لو حلف إنسان بالمصحف أو بالقرآن فإن المالكية والشافعية والحنابلة يعتبرونه يمينًا واختلف الحنفية في ذلك وقدماؤهم مجمعون على أن ذلك لا يعتبر يمينًا . ومع أن الشافعية والمالكية والحنابلة اعتبروه يمينًا فإنهم استثنوا من ذلك ما إذا أراد الحالف بهذا الحلف الخطبة

أو الصلاة أو ورق المصحف أو جلده أو نقوشه ، وإنما اعتبروه يمينًا ، لأن القرآن كلام الله فالحلف به كالحلف بصفة من صفات الله عز وجل .

- ومن حلف بحق الله فإنه يمين عند المالكية والحنابلة والشافعية في الأصح ومن باب أولى أن يحلف بالحق ؛ لأنه اسم من أسماء الله تعالى ، وقد اختلف الحنفية في الحلف بحق الله فقال أبو حنيفة ومحمد وفي رواية عن أبي يوسف : لا يكون يمينًا.

- من قال حالفًا : لعمر الله فإن الجمهور يعتبرها يمينًا موجبة الكفارة ، وقال الشافعي : إن قصد اليمين فهي يمين وإلا فلا .

* * *



خاتمة قسم العقائد

مؤمنون لا فلاسفة



خاتمة قسم العقائد

مؤمنون لا فلاسفة

لقد أعطى الإسلام للبحث العقلي وللنظر العلمي مداهما الصحيح ، والمسلم إذ يدرس النصوص يبقى مطمئنًا أنّ النصوص لا تخالف عقلا ، ولا علمًا ، وهو إذ يدرس العلوم الإسلاميّة باستيعاب عقل ودقّة فهم وتحقيق عليم لا يفوته أن يعرف أدبه مع النصوص فهو بعد إذ يطمئن إلى سلامة الفهم ، وإلى مواطأة فهمه لفهوم الراسخين في العلم يعرف أنّ أدبه مع النصّ التلقي بالتسليم ، والتفاعل القلبي والعملي مع النصّ بما يقتضيه المقام ، فمعرفته أنّ الله سميع تقتضي منه أن يستشعر أنّ الله يسمعه ، ومعرفته أنّ الله ليس كمثله شيء تقتضيه أن ينزّه الله عز وجل عن كل ما يخطر بباله ، ومعرفته أنّ الله عز وجل ينزل كلّ يوم في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا تقتضيه أن يكون له في ذلك الوقت تهجّد ودعاء واستغفار ، ومعرفته بالرسل تقتضي اقتداء ، ومعرفته بالملائكة تقتضيه حياءً ، ومعرفته بالقرآن تقتضيه خشوعًا وتأثّرًا وبكاءً واتّباعًا ، ومعرفته بالسنّة تقتضي التزامًا واهتداءً ، فهو يتلقّى النصوص بعقل مسلّم وقلب مُخبت ، ويعطي كلّ نصّ حكمه وحقّه ، فالمسلم ليس فيلسوفًا يَسْبَحُ في خيالات الأوهام ، أو في متاهات الأحلام يتعبّد لأصنام العقل ، أو يبقى في دائرة الفكر ، وإنّما هو عقل وقلب وشعور وجسد ، وهو في هذا كلّه يتفاعل مع النصوص تفاعل المؤمن لا تفاعل المتردّد ، وتفاعل المخبت المطيع الخاشع لا تفاعل العقل الجامد أو القلب القاسي .

إنّ أعظم ما تَعَبّدَ اللهُ عز وجل به عباده ، هو معرفتُه ، وإنّما يُعْرَفُ جلّ جلاله حقّ المعرفة بما خلق وبما أنزل ، والخلق نوعان : مشهود ومغيّب ، وقد أنزل الكتاب وجعل السنّة من الوحي وهي شارحة للكتاب ، وبذلك كلّه يُعْرَفُ اللهُ عز وجل حقّ المعرفة .

وموقف المسلم العارف بالله من الكتاب والسنّة الإيمان بالنصوص والتسليم لله في الحكم سواء في ذلك أحكامه في العقائد أو في العبادات أو في مناهج الحياة ، وقد أخذتَ تصوّرًا في هذا القسم عن عقائد الإسلام وها إنّك في القسم اللاحق تأخذ تصوّرًا عن عباداته الرئيسيّة ،

وفي القسمين الأخيرين تأخذ تصوّرًا عن مناهج الحياة في الإسلام .

فإلى القسم الثالث من أقسام (الأساس في السنّة وفقهها) وهو في العبادات الرئيسيّة ، وليُعْلَم أنه بإقامة العبادات تكون للعقيدة حياتها وحيويتها ، ومظهر الحياة والحيوية إقامة العبودية كاملة ، وذلك بإقامة مناهج الحياة ، وليُعْلَم أن الذكر والفكر مفتاحان من مفاتيح الإسلام للعقل وللقلب ، فليكثر المسلم منهما ، وليقبل على الأخذ عن الراسخين في العلم ، ويدع أهل الشذوذ والأهواء والجدل ، فذلك من جملة ما يحفظه ثابت القدم ، على الصراط المستقيم . والحمد لله رب العالمين .

* * *

الفهرس

الموضوع | الصفحة

* * *











